السيرة النبوية

لابن هشام

مكتبة زهران
حارة لطفي . خلف الأزهر

اهداءات ٢٠٠٢

د/ابراهيم محمد ابراهيم حريبة

القاهرة

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّة

لابنْ هشام

لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

قدم لها وعلق عليها وضبطها

طه عبد الرؤوف سعد

م

الجزء الأول

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية

٩ ش الصنادقية - الأزهر

طبعة جديدة

مضبوطة — منقحة

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، والصلاة والسلام عليك سيدى يارسولَ الله ، يامن بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وتركتنا على المحجّة البيضاء .

سيدى يارسول الله ، كلما ادلهمت ظلماتُ الأنفس واضطربت سكينة الأفئدة وضاقت بجاج الأرض بما رحبت . . تتطلع القلوب المؤمنة إلى رحمة الله وتترقرق فى العيون دموع الرجاء ، وتختلج فى الصدور زفرات الندم ، وإذا بشعاع الأمل يشرق بسنا طلعتك فيهدى الحيارى مثلما اهتدت البشرية من قبل عندما نظرت الدنيا ترقب الأمل المشرق فى سمائها ، فتهادت أضواؤه تهادى الرجاء فى القلوب الحائرة وشع لألاؤه فارتسمت على صفحة الكون صورة الجلال وسُطر فى أفق الحياة اسم محمد بن عبد الله ، وأقبل الروح الأمين بهدية السماء إلى العالمين « لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ماعنتم حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » .

سيدى يارسول الله . . إن العالم اليوم أحوج مايكون إلى النظر فى سيرتك ، وماأشد حاجة المسلمين اليوم إلى الأسوة الحسنة فى روعة شخصيتك . . والاقتداء بما تركته بين أيدينا ،حتى لاتجرفنا تيارات الضلال ونزغات الهوى . .

فهل تأذن لى سيدى يارسولَ الله ياخيرَ مرسِل ويا أفضل الخلق أن أقف ببابك وأجول بنظرى وفكرى فى جنبات سيرتك ومغازيك أبغى الهداية والعبرة والموعظة الحسنة ، وأهدى هذه الطبعة من [السيرة النبوية لابن هشام] إليك سيدى أبا القاسم ، ياعلم الهدى ونبى الرحمة ، لعلها تكون يوم الحساب نوراً يهدينى إلى الصراط المستقيم .

طه عبد الرءوف سعد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

. إن مفهوم التاريخ عند العرب يتضح فيما جاء فى روايات الأنساب من ذكر لبعض أحداث وقعت وورد ذكرها فى ثنايا حديث النسّابين ؛ ولعل هذه الفترة تكون قد سبقت مطلع الفجر الإسلامى، وإن كانت قد تجلت بصورة أوضح فى مبدأ الدعوة، وإن كان قد بدا لنا أن أحدا من الصحابة لم يعنِ بجمع الأخبار فذلك لأنهم كانوا مشغولين بالجهاد والفتوح ، والذى التفت إلى هذا هم فريق من التابعين الذين كانوا يعتمدون فى جمع مادتهم على سؤال من شاهدوا الغزوات من الصحابة ومن صاحب الأحداث التى وقعت للمسلمين فى عهد صاحب الرسالة ـ صلى الله عليه وسلم .

ولكن الشكل التقليدى التاريخ فى أبسط صوره ظهر على تلك الصورة فى العصر الأموى ، غير أن مؤرخى بنى أمية لم يعنهم من التاريخ إلا ما دعتهم إليه أسباب المحافظة على أركان الدولة من ثناء وإطراء بمن اشتهر منهم أو تحقيق لرواية نسبه من الأنساب يكون فيها صالح لدولتهم ، وإن كان الدافع إلى ذلك فى أغلب الأحيان هو الرغبة فى العطاء .. ومما يؤسف له أنه لم يصل إلينا من هذا التاريخ شىء إلا ما تناثر فى بطون بعض كتب الأدب نقلا عن الرواة ، وقد يرجع ذلك إلى أسباب الاضطرابات والفتن فى عصر بنى أمية ، ولعل العباسيين قد تعمدوا إزالة آثار الأمويين ، أو لعل الناس قد هجرت تلك الكتب وأهملتها مجاملة لرأى بنى العباس . على أن التاريخ الإسلامى فى حقيقة أمره لم يتمهد له السبيل إلا فى العصر العباسى حيث ظهرت بوادر التآليف فى التواريخ العامة والخاصة . وإن كان الواقع يهيب بنا أن نشير إلا أن أول كتاب ظهر وفيه لمحات تاريخية هو « القرآن الكريم » ، وقد تجلى ذلك فى استخراج العبرة من بعض الحوادث التى وردت فى آيات الله البينات .

وعندما أخذ علماء الإسلام فى جمع القرآن الكريم وتفسيره وجمع الأحاديث ووجدوا أنفسهم فى حاجة إلى تحقيق أماكن نزول الآيات وإيضاح حقائق الأحداث التى جرت، وكذلك بالنسبة لجمع الأحاديث، فكان لابد من الرجوع إلى جمع السيرة النبوية أولا لأنها المنبت الخصب لذلك كله والمرجع الصادق فى هذا الشأن.

مفهوم السيرة: ويراد بسيرة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه التعرف على حياته منذ ظهور الإرهاصات التى مهدت لرسالته وماسبق مولده من سمات تُلقى أضواء رحمانية على طريق الدعوة المحمدية، ومولده ونشأته حتى مبعثه وماجاء بعد ذلك من دعوة الناس إلى الدين الحنيف، ومالقى فى سبيل نشر الإسلام من معارضة. وماجرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين من عارضوه من صراع بالقول والسيف، وذكر من استجاب له حتى علت راية الحق وأضاءت شعلة الإيمان.

ولقد عُرفت تلك الحروب بالغزوات والسرايا وإن غلب عليها لفظ المغازى (أى غزوات ومناقب الغزاة، مفرده مغزى: بمعنى الغزو وموضعه وزمانه).

الرواد فى كتاب السير: من بين الأسماء الكثيرة التى عنيت بكتابة وجمع السيرة «عروة بن الزبير بن العوام» المتوفى سنة ٩٣ هـ. و«أبان بن عثمان بن عفان» (١٠٥ هـ) و«شرحبيل بن سعد» (١٢٣ هـ) و«ابن شهاب الزهرى» (١٢٤ هـ) فى كتابه «المغازى» و«عبدالله بن أبى بكر بن حزم» (١٣٥ هـ) و«موسى بن عقبة» (١٤١ هـ) فى كتابه المسمى أيضا بالمغازى، وفى مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الغزوات النبوية، ومنها قطعة منتخبة طبعت فى أوربا سنة ١٩٠٤ م. و«معمر بن راشد» (١٥٠ هـ) و«محمد بن إسحاق بن يسار» (١٥١ هـ) و«زياد ابن عبدالله البكائى» (١٨٣ هـ) و«الواقدى» صاحب كتاب المغازى (٢٠٧ هـ) و«ابن هشام» (٢١٣ هـ) و«محمد بن سعد» صاحب كتاب الطبقات (٢٣٠ هـ).

منهج السيرة: ابتدأت السيرة بسرد نسب النبى صلوات الله وسلامه عليه. وقد تطلب هذا إشارة إلى أنساب بعض أخيار العرب وأفاضلهم وذكر أخبارهم فى الجاهلية،

وعاداتهم وتقاليدهم وعباداتهم ، وذكر الأحداث الهامة التى وقعت بينهم كإعادة حفر بئر زمزم على يد عبد المطلب بن هاشم ، ومولد الرسول عليه الصلاة والسلام ونشأته ومبعثه ومن استجاب لدعوته وآمن برسالته، وما لقيه النبى عليه الصلاة والسلام فى سبيل نشر الدعوة من أذى وتعنت وما قاساه من نصب وإرهاق ، وماعاناه المؤمنون من إيذاء الكفار لهم ، وهجرتهم الأولى والثانية إلى الحبشة فراراً بدينهم وعرض رسول الله عليه الصلاة والسلام نفسه على قبيلة ثقيف وغيرها من القبائل ليؤمنوا به ويتبعوا النور الذى أنزل معه،حتى كان من حسن طالع أهل يثرب أن شرح الله صدورهم للإيمان بدعوة رسوله فهاجر إلى المدينة هو والذين آمنوا معه ، وكذلك ذكر ماوقع فى المدينة بين الرسول وبين اليهود من مفاوضات ومحادثات ومعاهدات نقضوها فدارت عليهم دائرة السوء وتطهرت منهم أرض يثرب وأعز الله المسلمين .

ومن المدينة المنورة انطلقت جحافل جيوش المسلمين تدعو إلى الحق وترفع لواء الإيمان . ومنها أرسلت الوفود تنادى بالسلام إلى الإسلام فجاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وبعد ذلك توالت أخبار أزواج النبى ثم مرض الرسول عليه الصلاة والسلام وتمريضه فى بيت عائشة رضى الله عنها وانتقاله إلى الرفيق الأعلى وأمر ثقيفة بنى ساعدة واتفاق رأى المسلمين على اختيار الصديق خليفة لرسول الله ، وماكان من أمر تجهيز الرسول عليه السلام ودفنه ورثاء حسان بن ثابت له .

ذلك هو النهج الذى سار عليه ابن هشام فى كتابه السيرة النبوية .

شراح السيرة لقد تناول السيرة بعد ابن هشام فريق ـ ممن شرح الله صدورهم للإيمان والعلم بما فى سيرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام : من نور يهدى به الله من عباده الذين اتبعوا رضوانه سبل السلام ، فقام هؤلاء بتناول السيرة بالشرح والتوضيح والتحقيق أو الاختصار أو التهذيب، ونخص بالذكر من هؤلاء السهيلى (٥٠٨ / ٥٨١ هـ) و « أبا ذر الخشنى » (٥٣٥/٦٠٤ هـ) وهو : مصعب بن محمد بن

مسعود بن عبد الله بن مسعود النجيانى الخشنى ، كان عالما بالعربية والحديث وعارفا بالآداب واللغات وأجد من قرض الشعر وكان له ناقدا ، وكان طويل الباع فى معرفة أخبار العرب وأحداثها وأشعارها ، وهو صاحب كثير من المؤلفات المشهورة ويعنينا منها كتابه فى شرح الغريب من سيرة ابن إسحاق .

أما السهيلى ، فهو الذى قام بشرح سيرة ابن هشام فى كتابه «الروض الأنف» ومنهجه كما ورد فى مقدمة كتابه « إيضاح ما وقع فى سيرة ابن إسحاق التى لخصها عبد الملك بن هشام من لفظ غريب ، أو إعراب غامض ، أو كلام مستغلق ، أو نسب عويص ، أو موضع فقه ينبغى التنبيه عليه ، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته . . » وأما تفصيل الحديث عن جوانب هذه الشخصية الفذة فلا يسعنا إلا أن نفرد لها مكانا نترجم فيه لها .

نسخ وطبعات السيرة : إن النسخ المخطوطة من السيرة كثيرة ، يوجد أغلبها فى معظم مكاتب أوربا ، وهناك نسخة ناقصة بالمكتبة التيمورية ، أما النسخة الأصلية رواية ابن إسحق فقد كان « كربسيك karabacek » يظن أنه عثر على ورقة منها بين مجموعة البردى الخاصة بالأرشيدوق « رينر Rainer » والمحفوظة فى مكتبة مدرسة كوبريلى باستانبول (دفتر ١١٤٥) ، ولكن ظهر أنها نسخة من كتاب سيرة ابن هشام . ولا يزال كتاب المغازى باقيا حتى اليوم فى بطون الكتب مثل ما جاء فى كتاب الماوردى « الأحكام السلطانية » وفى الفقرات التى أوردها الطبرى فى تاريخه .

وقد طبعت السيرة عدة مرات .

١ — طبعة جوتنجن — وهى أصحها — بألمانيا سنة ١٨٦٠ م . بعناية وستنفيلد المستشرق الألمانى فى مجلدين ، مضبوطة بالشكل اللازم ، وألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفى صدره ترجمة ابن إسحق نقلا عن ابن قتيبة وابن خلكان وابن النجار . ونقل عن كتاب عيون الأثر لابن سيد الناس اليعمرى من أهل القرن الثامن للهجرة ما قيل فى ابن إسحق ومناقبه وما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة .

٢ — وقد طبعتُ السيرة أيضاً فى بولاق فى ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ ﻫ .

٣ — طبعة المطبعة الخيرية فى مصر فى ثلاثة مجلدات سنة ١٢٢٩ ﻫ .

٤ — طبعة ليبزج سنة ١٩٠٠ م .

٥ — طُبِعَتْ على هامش كتاب « الروض الأنف » بمطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ ﻫ / ١٩١٤ م

٦ — وهناك طبعة على هامش زاد المعاد فى هدى خير العباد سنة ١٣٣٣ ﻫ

٧ — طبعت فى شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده طبعتين: الأولى سنة ١٣٥٥ﻫ / ١٩٣٦ م . والثانية سنة ١٣٧٥ﻫ/ ١٩٥٥ م .

— طبعت فى مطبعة حجازى للمكتبة التجارية فى أربعة أجزاء سنة ١٣٥٦ﻫ/١٩٣٧م

ترجمة محمد بن إسحاق صاحب السيرة

٨٥ — ١٥١ ﻫ

نسبه ونشأته: كنيته أبو عبد الله - وقيل : أبو بكر - محمد بن إسحاق بن يسار بن جبار ، وقيل : سيار بن كونان ، وفى « عيون الأثر » يقول « ابن سيد الناس » هو : محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار - ويقال : ابن يسار بن كوثان المدينى ، كان جده يسار أول سبى دخل المدينة من العراق حيث سباه خالد بن الوليد وأسره عام ١٢ ﻫ (٦٣٣ م) فى كنيسة بعين التمر (وهى بلدة قرب الأنبار بالعراق) ، وأصبح من موالى قبيلة عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشى ، ومن ثم فيقال : يسار المطلبى بالولاء المدنى بالمقام . وفى المدينة شب محمد بن إسحاق ، وكرس جهده لجمع الأخبار والقصص المتعلقة بحياة النبى صلى الله عليه وسلم. وكان له أخوان من رواة الحديث هما عمر وأبو بكر .

مكانته عند العلماء : محمد بن إسحاق ثبت فى الحديث عند أكثر العلماء ، ولا تجهل إمامته فى المغازى والسير ، قال ابن شهاب الزهرى : من أراد المغازى فعليه

بابن إسحاق ، وذكره البخاري فى تاريخه ،وروى عن الشافعي رضى الله عنه أنه قال : من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على ابن إسحاق ، وقال شعبة بن الحجاج : ابن إسحاق أمير المؤمنين (يعنى فى الحديث) ، وذكر الساجى أن أصحاب الزهرى كانوا يلجؤون إلى محمد بن إسحاق فيما شكّوا فيه من حديث الزهرى ، ثقة منهم بحفظه ، وحكى عن يحي بن معين وأحمد بن حنبل ويحي بن سعيد القطان أنهم وثّقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه .

قال المَرْزبانى : ومحمد بن إسحاق أول من جمع من مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وألفها .

أساتذته وتلامذته : رأى ابن إسحاق أنس بن مالك وسعيد بن المسيب ، وسمع القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وأبان بن عثمان بن عفان ، ومحمد بن على بن الحسن ابن على بن أبى طالب ، وأباسلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ونافعا مولى ابن عمر ، والزهرى وغيرهم ..

وحدَّث عنه أئمة العلماء منهم يحي بن سعيد الأنصارى ، وسفيان الثورى ، وابن جريج ، وشعبة ، والحمادان ، وإبراهيم بن سعد ، وشريك بن عبد الله النخعى ، وسفيان ابن عيينة ومَن بعدهم .

ومن رواة سيرته الراويتان الثقتان : يونس بن بكير (١٩٩ هـ) وزياد بن عبد الله البكائى .

مؤلفاته : يبدو أن ابن إسحاق كان قد دون سيرة النبى - صلى الله عليه وسلم - فى كتابين :

١ - أحدهما هو « كتاب المبتدأ » أو « مبتدأ الخلق » أو « كتاب المبدأ وقصص الأنبياء » ؛ وهو تاريخ النبى حتى الهجرة، ورواه عنه إبراهيم بن سعد ومحمد بن عبد الله ابن نمير النفيلى المتوفى (٢٣٤هـ) .

٢ — والآخر « كتاب « المغازى » وهو أهم مؤلفاته؛ ولعل هذا الكتاب هو الذى كان يعتمد عليه الماوردى فى كتاب الأحكام السلطانية .

ولابن إسحاق مؤلف آخر هو :

٣ ـ « كتاب الخلفاء » وقد رواه عنه الأموى ، وقد كان لظهور كتاب المغازى أثره على شهرة هذا الكتاب فيبدو أنه قد قلل من شأنه وأطفأ من بريقه .

رحلاته العلمية عندما اصطدم ابن إسحاق بأئمة الحديث أصحاب الرأى السائد فى المدينة حينذاك وعلى الأخص بمالك بن أنس . ترك ابن إسحاق وطنه ورحل إلى مصر ثم إلى العراق ، ولما كان مع العباس بن محمد بالجزيرة سمع منه أهلها ، وكان قد أتى أبا جعفر المنصور بالحيرة فكتب إليه المغازى فسمع منه أهل الكوفة لذلك السبب ، وأتى الرى فسمع منه أهلها كذلك، فرواته من هذه البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة، وأتى بغداد فأقام بها إلى أن لقى ربه

مطاعن على ابن إسحاق والرد عليها : قال الشاذكانى : كان محمد بن إسحاق بن يسار يتشيع ، وكان قدريا ، وقال أحمد بن يونس : أصحاب المغازى يتشيعون كابن إسحاق وأبى معشر ...

ويرد على ذلك « ابن سيد الناس فى عيون الأثر » بقوله : أما مارُمى به ابن إسحق من القدر والتشيع فلا يوجب رد روايته ولا يوقع فيها كبير وهن .

وأما قول ابن نمير : أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة، فلو لم ينقل توثيقه وتعديله، لتردد الأمر فى التهمة بها بينه وبين من نقلها عنه ، وأما مع التوثيق والتعديل فالحمل فيها على المجهولين المشار إليهم لا عليه .

وأما قول يحيى : إن ابن إسحاق ثقة وليس بحجة فحسبه التوثيق . . .

وإنما طعن مالك فيه - وإن كان ذلك مرة واحدة - فلأن ابن إسحاق كان يزعم أن مالكا من موالى ذى أصبح وكان مالك يزعم أنه من أنفسها ، فوقع بينهما لذلك

حفاوضة ، فلما صنف مالك « الموطأ » قال ابن إسحاق : ائتونى به فأنا بيطاره (طبيب بعلله) ، فنقل ذلك إلى مالك فقال : دجال من الدجاجلة يروى عن اليهود . وكان بينهما مايكون بين الناس ، حتى عزم ابن إسحاق على الخروج إلى العراق فتصالحا حينئذ وأعطاه مالك عند الوداع خمسين ديناراونصف ثمرته تلك السنة، وعاد إلى مايجب نحو ابن إسحاق؛لأنه لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم منه .

ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير ، إلى غير ذلك من الغرائب من أسلافهم ، وماكان ابن إسحاق فى تتبعه لذلك إلا ليزداد معرفة من غير أن يحتج برأيهم .

وأما رواية ابن اسحاق عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير وهى زوج هشام بن عروة ابن الزبير ومازعمه ؛أن هشاما ذكره فقال العدو لله الكذاب يروى عن امرأتى ؟ ! من أين رآها ؟! فليس ذلك بمستنكر فقد كان أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يروون عن أزواجه، فما منع ذلك أحد ، وقد يكون ابن إسحاق قد استأذن عليها فأذنت له؛ فروى عنها من وراء ستار ، أو كان معهما محرم ، وهى محجبة . ولعل هشام بن عروة لم يقل ذلك أصلا . .

وفاته : توفى ابن إسحاق ببغداد سنة ١٥١هـ وقد قيل سنة ١٥٠ هـ أو ١٥٢هـ أو ١٥٣ هـ وهناك رأى يقول أن وفاته كانت سنة ١٤٤ هـ وهو مستبعد والأول أصحها .

ودفن ـ رضوان الله عليه ـ فى مقبرة باب الخيزران عند قبر أبى حنيفة بالجانب الشرقى ، وهى منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد لأنها مدفونة بها .

ترجمة : ابن هشام ـ الذى اشتهرت باسمه السيرة

هو : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المُعافرى البصرى ، والمعافرى نسبة إلى المعافر بن يعفر ، قبيل كبير ينسب إليه خلق كثير بعضهم باليمن وعامتهم بمصر .

وقد اختلف فى نسبته فقيل : قحطانى ، وقيل : عدنانى ، ولكن شهرته بالحميرية تجعلنا ترجح أنه حميرى من قحطان .

ولد بالبصرة وتلقى العلم فيها وتاريخ ولادته مجهول . رحل إلى مصر وأقام بها .

وقد اشتهر بحمل العلم ، وتقدم فى علم النسب والنحو وله كتاب فى أنساب حمير وملوكها أسماه كتاب (التيجان) وهو يرويه بسنده عن وهب بن منبّه ، طبع فى حيدر أباد بالهند سنة ١٣٤٧ هـ ، ويذكر أيضا من تآليفه شرح أخبار الغريب فى السيرة .

وابن هشام هو الذى جمع سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المغازى والسير لابن إسحاق وهذبها ولخصها ، وهى الموجودة بين أيدى الناس والمعروفة بسيرة ابن هشام وبها اشتهر

توفى ـ رحمه الله ـ فى الفسطاط بمصر عام ٢١٣ هـ ، وقال أبو سعيد عبد الرحمن ابن أحمد بن يونس صاحب تاريخ مصر الذى جعله للغرباء القادمين على مصر : إن عبد الملك بن هشام توفى لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ٢١٨ هـ (مايو ٨٣٤)م

ترجمة السهيلي ــ أحد شرّاح السيرة

٥٠٨ - ٥٨١ هـ / ١١١٤ - ١١٨٥ م

هو : أبو القاسم وأبو زيد ، عبد الرحمن بن الخطيب ، أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن ، أصبَغ بن حُسين ، بن سعدون بن رضوان بن فتوح ، وهو الداخل إلى الأندلس ، قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : هكذا أملى على نسبته : الخثعمي السهيلي الإمام المشهور .

وذكره الزركلي فى الأعلام قال : عبد الرحمن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي . والخثعمي نسبة إلى خثعم بن أنمار وهى قبيلة كبيرة وهو رأى مختلف فيه . والسهيلي نسبة إلى سُهيل وهى قرية بالقرب من مالقة (مدينة كبيرة بالأندلس) سميت باسم الكوكب (سهيل) لأنه لا يُرى فى جميع بلاد الأندلس إلا من جبل مطل عليها .

ولد فى مالقة سنة ٥٠٨ هـ الموافقة لسنة ١١١٤ م وكف بصره وعمره سبع عشرة سنة .

نشأ ببلدته يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف ، ثم نبغ فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه وأحسن إليه وأقبل بوجهه غاية الإقبال عليه ، فأقام بمراكش نحو ثلاثة أعوام يصنف كتبه إلى أن توفى بها .

وهو مشهور فى علم النحو وفنون الأدب ، وحافظ عالم باللغة والسير ، وأشعاره كثيرة وتصانيفه ممتعة ، قال ابن دحية : أنشدنى السهيلي وقال : إنه ماسأل الله تعالى (بهذه الأبيات) حاجة إلا أعطاه إياها ، وكذلك من استعمل إنشادها (وهى من بحر الكامل) ومطلعها :

يا من يَرَى مافى الضميرِ ويسمعُ   أنت المُعَدُّ لكل ما يُتَوقعُ
يامن يُرجَى للشدائدِ كلها   يامن إليه المُشتكَى والمفزع
يامن خزائنُ رزقِهِ فى قولِ كنْ   امنُنْ فإن الخيرَ عندَك أجمع
مالى سوى فقرى إليك وسيلةٌ   فبالافتقارِ إليكَ فقرِى أدفع

مالى سوَى قرعى لبابك حيلة ... إن كان فضلُك عن فقيرك يُمنَعُ
حاشا لجدك أن تُقنّط عاصيا ... الفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ

وقيل : إن الفرنجة أغاروا على سهيل وخربوه وقتلوا أهله وأقاربه ، وكان غائبة عنهم فاستأجر من أركبه دابة وأتى به إلى سهيل ، فوقف بإزائه فقال :

يادارُ أين البيضُ والآرامُ ... أم أينَ جيرانٌ علىَّ كرامُ ؟!
رابَ المحبَّ من المنازل أنه ... حيَّ فلم يرجعْ إليه سلامُ
لما أجابنىَ الصدَى عنهم ولم ... يلجِ المسامعَ للحبيبِ كلامُ
طارحت وُرقَ حمامِها مترنما ... بمقالِ صبٍّ والدموع سِجام
يادارُ مافعلتْ بكِ الأيامُ ... ضامتكِ والأيامُ ليس تُضام

والسهيلى الإمام المشهور صاحب كتاب (الروض الأنف)(*) أشهر كتاب فى شرح سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كتاب زاخر بفوائد العلوم والآداب من أنساب وفقه ونحو ، وقد استخرجه كما يقول من نيّف على مائة وعشرين ديوانا سوى ماأنتجه من صدره ونفحه من فكره ، وكان بدء إملائه هذا الكتاب فى شهر المحرم من سنة ٥٦٩ هـ وكان الفراغ منه فى جمادى الأول من ذلك العام .

وللسهيلى غير هذا الكتاب كتب كثيرة منها :

١ - التعريف والإعلام فيما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام .
٢ - نتائج الفكر .
٣ - الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير القرآن الكريم .
٤ - مسألة رؤية الله تعالى فى المنام ورؤية النبى - صلى الله عليه وسلم .
٥ - مسألة السر فى عَوَر الدجال .
٦ - شرح آية الوصية .
٧ - شرح الجمل ولم يكتمل ، ومسائل غير هذه كثيرة مفيدة

وتوفى - رحمه الله - بحضرة مراكش يوم الخميس ودفن وقت الظهر فى السادس والعشرين من شعبان سنة ٥٨١ هـ الموافقة لسنة ١١٨٥ م

(*) انظر الطبعة الجديدة بتحقيقنا : الصادر عن مكتبة الكليات الأزهرية .

(مراجع المقدمات والتراجم)

١ - الأعلام قاموس تراجم لخير الدين الزركلى
٢ - بغية الملتمس للضبي
٣ - بغية الوعاة للسيوطى
٤ - تاريخ آداب اللغة العربية لجورج زيدان
٥ - تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمن
٦ - تاريخ بغداد - أو مدينة السلام للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ٤٦٣ هـ
٧ - تراث الإنسانية (سلسلة) المجلد الأول العدد العاشر
٨ - دائرة المعارف الإسلامية
٩ - الروض الأنف للسهيلى
١٠ - ضحى الإسلام لأحمد أمين
١١ - عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس
١٢ - الفلاكة والمفلوكون
١٣ - الفهرست لابن النديم
١٤ - المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية
١٥ - معجم الأدباء لياقوت الحموي
١٦ - المُغرب فى حُلىّ المَغرب أو وَشْى الطرس فى حلى جزيرة الأندلس . . . الذى صنفه بالموارثة فى مائة وخمس عشرة سنة : ستة من أهل الأندلس أولهم أبو محمد الحجارى وآخرهم على بن موسى بن سعيد الذى وجد الكتاب مخطوطا بيده
١٧ - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى
١٨ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّة

لابنْ هشام

أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافرى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

قدم لها وعلق عليها وضبطها

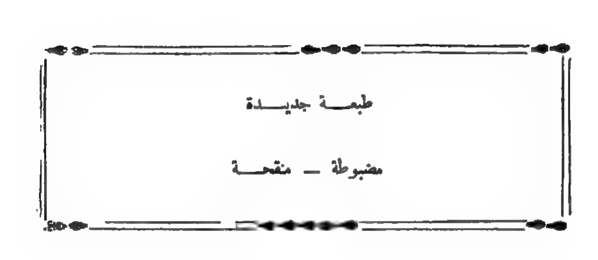
طه عبد الرءوف سعد

الجزء الأول

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية

٩ ش الصنادقية - الأزهر


طبعة جديدة

مضبوطة – منقحة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين)

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين

ذكر سرد النسب الزكى

من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى آدم عليه السلام

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : هذا كتاب سيرة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب : شَيْبَة (١) بن هاشم . واسم هاشم : عمرو (٢) بن عبد مناف ، واسم عبد مناف : المغيرة (٣) بن قُصَى (٤) ، بن كلاب (٥) .

---

(١) هكذا ذكر ابن إسحاق : أن اسمه شَيبة - وهو الصحيح - وسمى بذلك لأنه ولد وفى رأسه شيبة . وأما غيره من العرب ممن اسمه شَيبة ؛ فإنما قصد فى تسميتهم بهذا الاسم التفاؤل لهم ببلوغ سن الحنكة والرأى ، كما سموا بهرم وكبير .

وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وكان لدة عُبَيد بن الأبرص الشاعر المشهور .

ويقال : إنه أول من خضب بالسواد . وقد ذُكر أن اسمه عامر . (انظر الروض الأنف بتحقيقنا طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ص ٧ ج ١) .

(٢) عمرو : اسم منقول من أحد أربعة أشياء : من العَمر الذى هو العُمر . أو من العَمر : الذى هو من عمور الأسنان . أو العُمر الذى هو طرف الكم . أو العَمر الذى هو القُرط .

(٣) المغيرة : منقول من الوصف ، والهاء فيه للمبالغة ، أى أنه مغير على الأعداء . أو : مغير ، من : أغار الحبل إذا أحكمه .

(٤) قصى : واسمه زيد ، وهو تصغير قَصى أى بعيد ؛ لأنه بَعُدَ عن عشيرته فى بلاد قضاعة حين احتملته أمه فاطمة مع زوجها ربيعة بن حرام .

(٥) كلاب : وهو منقول إما من المصدر الذى هو معنى المكالبة ، وإما من الكلاب جمع =

ابن مُرة (١) ، بن كعب (٢) بن لؤى(٣) ، بن غالب ، بن فِهْر (٤) ، بن مالك ، بن النَّضْر، بن كِنانة ، بن خزَيمة (٥) ، بن مدركة ، واسم مدركة : عامر ، بن الياس (٦) ، بن مضَر (٧) ،

= كلب . لأنهم يريدون الكثرة . وقد قيل لأبى الرقيش الأعرابى : لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو : كلب وذئب ، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو : مرزوق ورباح ، فقال : إنما تسمى أبناءنا لأعدائنا ، وعبيدنا لأنفسنا . يريد أن الأبناء عدة الأعداء وسهام فى نحورهم ، فاختاروا لهم هذه الأسماء .

(١) مرة : وهو منقول من وصف الحنظلة والعلقمة . ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة ؛ فيكون منقولا من وصف الرجل بالمرارة . أو قد يكون من المسمين بالنبات. فقد ذُكر : أن المرة بقلة تُقلع فتؤكل بالخل والزيت .

(٢) كعب : وهو منقول من الكعب الذى هو قطعة من السمن ، أو من كعب القدم ، يقولون : ثبت ثبوت الكعب . وكعب هو أول من جمع يوم العروبة ، ولم تسم العروبة إلا مذ جاء الإسلام وقيل هو أول من سماها الجمعة . فكان يجمع قريش فى هذا اليوم ويذكرهم بمبعث النبي — صلى الله عليه وسلم — ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه .

(٣) لؤى : هو تصغير اللأى ، وهو الثور الوحشى كما ذكر ابن الأنبارى .

(٤) فِهْر : قيل : إنه لقب ، والفهر من الحجارة الطويل ، واسمه قريش وقيل بل اسمه فِهْر ، وقريش لقب له .

(٥) خزيمة : تصغير خزمة ، وهى المرة الواحدة من الخزم ، وهو شد الشيء وإصلاحه .

(٦) الياس. قال فيه ابن الأنبارى : إلياس بكسر الهمزة وجعله موافقا لاسم إلياس النبي، وقيل فى اشتقاقه إنه إفعال ، من قولهم : رجل أَلْيَس وهو الشجاع الذى لا يفر . قال العجاج:

أَلْيَسُ عن حوبائه سخى

أما غير ابن الأنبارى فقال : إنه الياس ، سمى بضد الرجاء ، واللام فيه للتعريف والهمزة همزة وصل.

(٧) مضر : قال فيه القتبي . هو من المضيرة وهي شيء يصنع من اللبن فسمى مضر لبياضه ، فقيل : مضر الحمراء ، لأن العرب تسمى الأبيض أحمر .

ابن نزار (١)، بن معد (٢) بن عدنان (٣) ، بن أُدّ (٤)

ويقال أُدَد ، بن مَقَوّم ، بن ناحور ، بن تَيْرَح ، بن يَعْرُب، بن يَشجُب (٥)، بن نابت، ابن إسماعيل (٦) ، بن إبراهيم (٧) - خليل الرحمن - ابن تارح - وهو آزَر (٨) - بن ناحور ، بن ساروغ ، بن راعو ، بن فالخ (٩) ، بن عيبر (١٠) ، بن شالخ (١١) ، بن أرْفخشذ (١٢) ، بن سام ، ابن نوح (١٣)، بن لمك، بن مَتُوشَلَخ (١٤)، بن أخنوخ وهو إدريس النبي - فيما يزعمون - والله أعلم . وكان أول بني آدم أعطى النبوة ، وخط بالقلم - ابن يَرْد (١٥) ، بن مَهْليل (١٦) ،

---

(١) نزار : واشتقاقه من النزر وهو القليل ، وكان أبوه حين ولد له ونظر إلى النور بين عينيه وهو نور النبوة نحر وأطعم وقال : إن هذا كله نزر لحق هذا المولود .

(٢) معد : أخذ من المعد وهو القوة .

(٣) عدنان : فعلان من عدن إذا أقام .

(٤) أد : ويقال : أدد. قال ابن السراج : هو من الوُد وانصرف .

(٥) ناحور : من النحر ، وتيرح : من الترحة . ويشجب : من الشجب .

(٦) إسماعيل : تفسيره : مطيع الله .

(٧) إبراهيم : معناه : أب راحم

(٨) قيل معناه : يا أعوج .

(٩) ويقال فيه : فالغ .

(١٠) عيبر : ويقال فيه عابر ، وذكر الطبرى : أن بين فالغ وعابر أبا اسمه قينن أسقط اسمه من التوراة لأنه كان ساحراً .

(١١) شالخ : معناه الرسول أو الوكيل .

(١٢) أرفخشذ : تفسيره المصباح مضيء .

(١٣) نوح : واسمه عبد الغفار ويقال إنه سمى «نوحا» لنوحه على ذنبه .

(١٤) متوشلخ : وتفسيره مات الرسول لأن أباه كان رسولا ومات ومتوشلخ في بطن أمه .

(١٥) يرد : وتفسيره الضابط .

(١٦) مهليل : وقيل مهلائيل : وتفسيره : الممتدح .

ابن قَيْنَن (١) ، بن يانش (٢) ، بن شيث (٣) ، بن آدم (٤) ، صلى الله عليه وسلم .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدثنا زياد بن عبد الله البَكّائى (٥) ، عن محمد بن إسحاق المطلبى (٦) ، بهذا الذى ذكرت من نسب محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى آدم عليه السلام ، وما فيه من حديث إدريس وغيره . قال ابن هشام : وحدثنى خَلَّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدوسى ، عن شَيْبَان بن زهير بن شقيق بن ثور ، عن قتادة بن دِعامة ، أنه قال :

إسماعيل بن إبراهيم ـ خليل الرحمن ـ ابن تارح ـ وهو آزر ـ بن ناحور بن أسرغ بن أرغو ابن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن مَتُّوشلخ بن أخنوخ بن يرد ابن مهلائيل بن قاين بن أنوش بن شيث بن آدم ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

منهج ابن هشام فى عرضه للسيرة : قال ابن هشام: وأنا ـ إن شاء الله ـ مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومَن ولدَ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من ولدِه، وأولادهم لأصلابهم ، الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة؛ للاختصار ، إلى حديث سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتارك بعض ما ذكره ابن إسحق فى هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شىء ، وليس سبباً لشىء من هذا الكتاب ، ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يَشْنُع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البَكّائى بروايته ، ومستقص ـ إن شاء الله تعالى ـ ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به .

---

(١) قينن : وقيل : قينان ، وتفسيره المستوى .

(٢) يانش : وقيل : أنوش ، وتفسيره الصادق .

(٣) شيث : وهو بالسريانية : شاث ، وتفسيره : عطية الله .

(٤) آدم : وفيه ثلاثة أقوال : أنه اسم سريانى . أو هو أفعل من الأدمة وهى السمرة . أو أخذ من لفظ الأديم ، لأنه خلق من أديم الأرض .

(٥) هو : أبو محمد زياد بن عبد الله البَكّائى الكوفى وهو محدث مشهور .

(٦) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار من المحدثين خاصة فى المغازى والسير . توفى ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة هجرية انظر تاريخه مفصلا هو وابن هشام فى مقدمة الكتاب .

سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام

أولاد إسماعيل عليه السلام :

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبدالله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى قال : ولد إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ اثنى عشر رجلا : نابتا ـ وكان أكبرهم ـ وقيدر وأذبُل ، ومنشا ، ومسمعا ، وماشى ، ودما ، وأذر ، وطيما ، ويطورا ، ونبش ، وقيذُما ، وأمهم : بنت مُضاض بن عمرو الجرهمى . قال ابن هشام : ويقال : مِضاض ، وجرهم ابن قحطان ـ وقحطان أبو اليمن كلها ، وإليه يجتمع نسبها ـ ابن عامر بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح .

قال ابن إسحاق : جرهم بن يقطن بن عيبر بن شالخ ، ويقطن هو : قحطان بن عيبر بن شالخ .

عمر إسماعيل وموطن أمه ووفاته : قال ابن إسحاق : وكان عمر إسماعيل ـ فيما يذكرون ـ مائة سنة وثلاثين سنة ، ثم مات ـ رحمة الله وبركاته عليه ـ ودفن فى الحِجْر(١) مع أمه هاجر ـ رحمهم الله تعالى .

قال ابن هشام : تقول العرب : هاجر وآجر ، فيبدلون الألف من الهاء ، كما قالوا : هراق الماء ، وأراق الماء ، وغيره . وهاجر من أهل مصر .

حديث الوصاة بأهل مصر وسببها : قال ابن هشام : حدثنا عبد الله بن وهب ، عن عبد الله بن لهيعة ، عن عمر مولى غُفْرَة(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « الله الله فى أهل الذمة ، أهل المدَرَة السوداء ، السُّحْم الجعاد(٣) ، فإن لهم نسباً وصِهْراً » .

---

(١) الحجر : هو حجر الكعبة وهو ما تركت قريش فى بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام حينما ضاقت بهم النفقة وحجرت على الموضع ليعرف أنه من الكعبة .

(٢) غُفْرَة : أخت أو بنت بلال رضى الله عنه .

(٣) المدَرة : البلدة . والسحم : السود . والجعاد : يقال فلان جعد الشعر إذا كان فيه تكسير .

قال عمر مولى غُفْرة : نسبُهم : أن أم إسماعيل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم . وصِهْرُهم، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تسرَّر فيهم [١] .

قال ابن لهيعة : أم إسماعيل : هاجر ، من «أم العرب» قرية كانت أمام الفَرَمَا[٢] من مصر .

وأم إبراهيم[٣] : مارية[٤] سُرِّيّة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ التي أهداها له المقوقس من حَفْن [٥]، من كورة أنْصِنَا [٦] .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري : أن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، ثم السلمي ، حدثه : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «إذا فتحتم مصر ، فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحما» . فقلت لمحمد بن مسلم الزهري : ما الرحم التي ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لهم ؟ فقال : كانت هَاجَر أم إسماعيل منهم .

أصل العرب : قال ابن هشام : فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان ، وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها .

---

(١) تسرر الرجل : اتخذ أمة لفراشه .

(٢) الفرما : مدينة شرق مصر كانت ميناء كبيراً . وتعرف الآن بتل الفرما

(٣) هو إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) مارية ومعناها : البقرة الفتية إذا كان اللفظ مخففا ، والملساء إذا كان اللفظ مشددا وهي التي أهداها إلى النبي صلى الله عليه وسلم المقوقس واسمه جُرَيج بن ميناء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل إليه حاطب بن أبي بلتعة وجبرا مولى أبي رهم الغفاري ، فقارب الإسلام وأهدى معهما أيضا بغلته التي يقال لها : دُلْدُل ـــ القنفذ العظيم ـ وأهدى إليه قدحا من قوارير كان يشرب فيها . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ١٧

(٥) حَفْن : قرية بصعيد مصر وهي التي رفع عنها معاوية الخراج بواسطة الحسن بن علي رضي الله عنهم حفظا لوصية رسول الله ورعاية لحرمة صهره صلى الله عليه وسلم .

(٦) أنصنا : قرية بصعيد مصر ، يقال إنها كانت مدينة السحرة وشهرتها قائمة على وجود شجر اللبخ بها .

قال ابن إسحاق : عاد بن عَوْص بن إِرَم بن سام بن نوح، وثمود وجديس ابنا عابر ابن إرم بن سام بن نوح، وطَسْمٌ وعلاق وأُمَيم بنو لاوَذ بن سام بن نوح. عرب كلهم .

فولد نابتُ بن إسماعيل : يشجبَ بن نابت، فولد يشجبُ : يعربَ بن يشجب : فولد يعرب : تيرَح بن يعرب، فولد تيرح : ناحور بن تيرح، فولد ناحور : مقومَ بن ناحور، فولد مقوم : أُدَد بن مقوم، فولد أُدَد : عدنان بن أدد. قال ابن هشام : ويقال : عدنان بن أُد.

قال ابن إسحاق : فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ فولد عدنان رجلين : مَعَدّ بن عدنان، وعَكّ بن عدنان.

قال ابن هشام : فصارت عك في دار اليمن، وذلك أن عكا تزوّج في الأشعريين، فأقام فيهم ؛ فصارت الدار واللغة واحدة. والأشعريون : بنو أشعر بن نبت بن أُدَد بن زيد بن هَمَيسَع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ويقال : أشعر : نَبْت بن أدد. ويقال : أشعر : بن مالك، ومالك : مَذحج بن أدد ابن زيد بن هميسع. ويقال : أشعر : بن سبأ بن يشجب.

وأنشدني أبو مُحرز خلف الأحمر، وأبو عبيدة، لعباس بن مرداس، أحد بني سُلَيم ابن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، يفخر بعك :

وعَكُّ بنُ عدنانَ الذين تَلَقبُوا ... بغسانَ حتى طُرِّدوا كلَّ مَطرَدِ

وهذا البيت في قصيدة له. وغسان : ماء بسد مأرب باليمن، كان شِرْباً لولد مازن بن الأسد[1] ابن الغَوْث، فسُموا به. ويقال : غسان : ماء[2] بالمُشَلَّل قريب من الجُحْفَة، والذين شربوا منه تحزبوا فسموا به قبائل من ولد مازن بن الأسد، بن الغوث، بن نبت، بن مالك، بن زيد، ابن كهلان، بن سبأ، بن يشجب، بن يعرب، بن قحطان.

---

(١) ويقال فيه الأزْد أيضا.

(٢) واشتقاق غسان — اسم ذلك الماء — من الغس وهو الضعيف وبعد هذا البيت :

يا أختَ آلِ فراسٍ إنني رجلٌ ... من معشرٍ لهم في المجدِ بُنيانُ

ذكر نسب الأنصار

قال حسان بن ثابت الأنصارى ، والأنصار بنو الأوس والخزرج ، ابنَىْ حارثة ، بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر ، بن حارثة ، بن امرىء القيس ، بن ثعلبة ، بن مازن ، بن الأسد ، ابن الغوث :

إمّا سألتِ فإنا معشرٌ نُجُبٌ ... الأسْدُ نسبتُنا والماءُ غسانُ

وهذا البيت فى أبيات له .

فقالت اليمن ، وبعض عك ، وهم الذين بخراسان منهم : عك بن عدنان بن عبد الله بن الأسد بن الغوث . ويقال : عُدثان بن الديث بن عبد الله بن الأسْد بن الغَوث .

قال ابن إسحاق : فولد معدبن عدنان أربعة نفر : نِزارَ بن معد ، وقُضاعة بن معد ، وكان قضاعة بِكْر معد الذى به يكنى ـ فيما يزعمون ـ وقُنُص بن معد ، وإياد بن معد .

فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ ـ وكان اسم سبأ : عبد شمس ـ وإنما سمى سبأ ، لأنه أول من سَبَى فى العرب ـ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

قال ابن هشام : فقالت اليمن وقضاعة : قضاعة بن مالك بن حمير . وقال عمرو بن مرة الجهنى (١) ، وجُهَينة بن زيد ، بن ليث ، بن سَوْد ، بن أسلم ، بن الحاف ، بن قضاعة :

نحن بنو الشيخِ الهجانِ الأزهرِ ... قُضاعةَ بنِ مالكِ بنِ حِمْيَرِ
النسبِ المعروفِ غيرِ المنكَرِ ... فى الحجَرِ المنقوشِ تحتَ المنبرِ (٢)

قنص بن معد ونسب النعمان بن المنذر : قال ابن إسحاق : وأما قُنُص بن معد فهلكت بقيتهم ـ فيما يزعم نساب معد ـ وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة . قال ابن إسحاق :

---

(١) من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

له حديثان أحدهما فى أعلام النبوة ، والآخر : « من ولى أمر الناس ، فسد بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة ، سد الله بابه دون حاجته وخلته ومسكنته يوم القيامة » انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٣ .

(٢) الهجان الكريم . الأزهر : المشهور ويقال : إن هذا الشعر لأفلح بن اليعبوب كما ذكر ذلك ذو الحسبين عن الزبير . ويقال أن أول هذا الرجز قوله :

يأيها الداعى ادعنا وأبشر ... وكن قضاعيا ولا تنزر

حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري : أن النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص ابن معد . قال ابن هشام : ويقال : قَنَص .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن شيخ من الأنصار من بني زُرَيْق أنه حدثه : أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين أُتي بسيف النعمان ، ابن المنذر (١) ، دعا جُبَير بن مُطعِم بن عَدِي بن نَوْفل بن عبد مناف بن قصي — وكان جبير من أنسب قريش لقريش ، وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب — فسلَّحه إياه ، ثم قال : ممن كان يا جُبير : النعمان بن المنذر؟ فقال : كان من أشلاء قُنُص بن معد .

قال ابن إسحاق : فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلا من لَخْم ، من ولد ربيعة بن نصر ، فالله أعلم أي ذلك كان .

لخم بن عدي : قال ابن هشام : لخم : بن عدي بن الحارث بن مرة بن أُدَد بن زيد ابن هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال : لخم : بن عدي بن عمرو بن سبأ . ويقال : ربيعة بن نصر (٢) بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر ، وكان تخلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن .

---

(١) وإنما أتي بهذا السيف حين افتتحت المدائن، وكانت بها خزائن كسرى وذخائره فأخذت نفائسه ، ومن جملتها خمسة أسياف . أحدها : سيف كسرى أَبَرْوَيز ، والثاني سيف كسرى أنوشروان وثالثها : سيف النعمان بن المنذر كان استلبه منه حين غضب عليه وقتله . ورابعها : سيف خاقان ملك الترك ، وخامسها : سيف هرقل وكان تصيَّر إلى كسرى أيام غلبته على الروم .

(٢) ويقال فيه : نصر بن ربيعة . وهو في قول نساب اليمن ربيعة بن نصر بن الحارث ابن نمارة بن لخم . وقال الزبير : نصر بن مالك بن شعوذ بن مالك بن عجم بن عمرو بن نمارة ابن لخم .

أمر عمرو بن عامر فى خروجه من اليمن

وقصة سد مأرب

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن، فيما حدثنى أبو زيد الأنصارى، أنه رأى جُرَذاً يحفر فى سد مأرب الذى كان يحبس عليهم الماء فيَصْرِفونه حيث شاءوا من أرضيهم، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك، فاعتزم على النُّقلة من اليمن، فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه، أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنُه ما أمره به، فقال عمرو: لا أقيم ببلد لطم وجهى فيه أصغر ولدى، وعرض أموالَه، فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتنموا غَضْبة عمرو؛ فاشتروا منه أمواله، وانتقل فى ولده وولد ولده. وقالت الأزد: لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم، وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان. فحاربتهم عك، فكانت حربهم سجالا. ففى ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذى كتبنا[1]، ثم ارتحلوا عنهم، فتفرقوا فى البلدان، فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر: الشام، ونزلت الأوس والخزرج: يثرب، ونزلت خزاعة: مَرًّا، ونزلت أزدُ السَّراة: السراة، ونزلت أزد عمانَ: عمانَ. ثم أرسل الله تعالى على السد السيلَ فهدمه، ففيه أنزل الله ــ تبارك وتعالى ــ على رسوله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ: «لقد كان لسبأ فى مسكنِهم آيةٌ جنتان عن يمينٍ وشمالٍ، كلوا من رزقِ ربِّكم، واشكروا له. بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سَيْلَ العَرِم».

والعرم: السد، واحدته: عَرِمة، فيما حدثنى أبو عبيدة.

قال الأعشى: أعشى بنى قيس، ابن ثعلبة، بن عُكابة، بن صَعْب، بن على، بن بكر، ابن وائل، بن هِنْب، بن أفصى، بن جَديلة، بن أسد، بن ربيعة، بن نزار، بن مَعَد.

قال ابن هشام: ويقال: أفصى بن دُعْمِىّ بن جديلة، واسم الأعشى: ميمون بن قيس، ابن جَنْدَل، بن شَراحيل، بن عَوْف، بن سعد، بن ضُبَيْعة، بن قيس، بن ثعلبة:

وفى ذاكَ للمؤتَسِى أُسوةٌ ومأربُ عَفَّى عليها العَرِمْ
رُخامٌ بنته لهم حِمْيَرٌ إذا جاء مَوّارُه لم يَرِمْ
فأروى الزروعَ وأعنابَها على سَعَةٍ ماؤهم إذ قُسِمْ

---

(1) وهو قوله:

وعك بن عدنان الذين تلقبوا بغسان حتى طُرِّدوا كل مطردِ

فصاروا أيادىَ ما يَقدِرو نَ منه على شُرْبِ طِفلٍ فُطِمْ

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى ـ واسم ثقيف : قَسِيُّ بن مُنَبِّه ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خَصَفة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يَبنون من دونِ سيلِه العَرِما

وهذا البيت فى قصيدة له . وتروى للنابغة الجعدى ، واسمه : قيس بن عبد الله ، أحد بنى جعدة ، بن كعب ، بن ربيعة ، بن عامر ، بن صعصعة ، بن معاوية ، بن بكر ، بن هوازن .

وهو حديث طويل ، منعنى من استقصائه ما ذكرت من الاختصار .

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

رؤيا ربيعة : قال ابن إسحاق: وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته ، وفَظِع بها ، فلم يَدَعْ كاهناً ، ولا ساحراً ، ولا عائفاً[١] ، ولا مُنجماً من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إنى قد رأيت رؤيا هالتنى ، وفَظِعْت بها ، فأخبرونى بها وبتأويلها ، قالوا له : اقصصها علينا نخبرْك بتأويلها ، قال : إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها ، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيح[٢] وشِقّ[٣] ، فإنه ليس أحد أعلم منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه .

---

(١) العائف : من يزجر الطير .

(٢) وسمى سَطِيحا : لأنه كان جسدا مُلقًى لا جوارح له ولا يقدر على الجلوس ، إلا إذا غضب انتفخ فجلس . ويذكر أن وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ويذكر عن وهب ابن منبه أنه قال : قيل لسطيح : أنَّى لك هذا العلم ؟ فقال : لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى ـــ عليه السلام ـــ فهو يؤدى إلىَّ من ذلك ما يؤديه .

(٣) وسمى بذلك لأنه كان نصف إنسان ، له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة . وولد شق وسطيح فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة وهى بنت الخير الحميرية امرأة عمرو بن عامر فدعت بشق وسطيح قبل أن تموت فتفلت فى فيهما وأخبرت أنهما سيخلفانها فى كهانتها.

واسم سطيح : ربيع بن ربيعة، بن مسعود، بن مازن، بن ذئب، بن عدى، بن مازن غسان.
وشق : بن صعب، بن يشكر، بن رُهْم ، بن أفْرَك ، بن قَسْر، بن عَبْقَر ، بن أنمار، ابن نزار . وأنمارُ أبو بجيلة وخَثْعَمَ.

نسب بجيلة : قال ابن هشام : وقالت اليمن : وبجيلة بنو أنمار ، بن إراش ، بن لحيان ، ابن عمرو، بن الغوث ، بن نبت، بن مالك، بن زيد، بن كهلان ، بن سبأ . ويقال : إراش بن عمرو ، بن لحيان، بن الغوث . ودار بجيلة وخثعم يمانية.

قال ابن إسحاق : فبعث إليهما ، فقدم عليه سطيح قبل شق ، فقال له : إنى رأيت رؤيا هالتنى ، وفَظِعْت بها ، فأخبرنى بها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها .

قال : أفعل . « رأيت حُمَمَة ، خرجت من ظُلُمَة ، فوقعت بأرض تَهَمَة ، فأكلت منها كل ذات جُمْجُمة »[(١)] .

فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئا يا سطيح ؛ فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أحلفُ بما بين الحَرَّتَيْنِ من حَنَش ، لتهبطنَّ أرضَكم الحبش، فليملِكُن ما بين أبْيَنَ إلى جُرَش[(٢)] ، فقال له الملك : وأبيك يا سطيح ، إن هذا لنا لغائظ مُوجِع ، فتى هو كائن ، أفى زمانى هذا ، أم بعده ؟ قال لا ، بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال : أفيدوم ذلك من مُلكهم أم ينقطع ؟ قال : لا، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يُقتلون ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرَم ذى يَزَن[(٣)] ، يخرج

---

(١) الحمة : الفحمة المحرقة والظلمة : الظلام، يريد خروج عسكر الحبشة من أرض السودان. وأرض تهمة أى منخفضة وقوله : « أكلت منها كل ذات جمجمة » ولم يقل : كل ذى جمجمة لأن القصد إلى النفس والنسمة فهو أعم ، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح .

(٢) بنو حبش بن حام بن نوح وبه سميت الحبشة. وأبين هكذا رويت بفتح الهمزة وذكرها سيبويه بكسر الهمزة على مثل إصبع . وقال ابن ماكولا هو أبين بن زهير بن أيمن بن الهميسع من حمير، أو من ابن حمير سميت به البلدة. وذكر الطبرى: أن أبين وعدن ابنا عدنان سميت بهما البلدتان. وجرش : مدينة باليمن .

(٣) المعروف أن اسمه : سيف بن ذى يزن، ولكن جعله إرما، إما لأن الإرم هو العلم

عليهم من عدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك من سلطانه ، أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع .

قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي ، يأتيه الوحي من قِبل العلي ، قال: ومن هذا النبي ؟

قال : رجل من ولد غالب بن فِهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر .

قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمَع فيه الأولون والآخرون ، يسعَدُ فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحقٌّ ما تخبرني ؟ قال : نعم . والشفق والغسق ، والفلق إذا اتسق ، إن ما أنبأتك به لحق .

ثم قدم عليه شق ، فقال له كقوله لسطيح ، وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان .

فقال : نعم ، رأيت حُمَمَة ، خرجت من ظُلُمة ، فوقعت بين رَوْضة وأَكَمَة ، فأكلت منها كل ذات نسمة .

قال : فلما قال له ذلك ، عرف أنهما قد اتفقا ، وأن قولهما واحد .

إلا أن سطيحاً قال : « وقعت بأرض تهَمَة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة » .

وقال شق : « وقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة » .

فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئاً ، فما عندك في تأويلها ؟

قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودانُ ، فليغلِبُنّ على كل طَفْلَة البَنان[1] ، وليملِكُنّ ما بين أبين إلى نجران .

فقال له الملك : وأبيك يا شق ، إن هذا لنا لغائظ مُوجِع ، فتى هو كائن؟ أفي زماني ، أم بعده ؟

قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشد الهوان .

قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام ، ليس بدَنِيّ ، ولا مُدَنٍّ[2] ، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .

= قد حدثك ، وإما شبه بعاد إرم في عظم الخلقة ، قال الله تبارك وتعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرمَ ذاتِ العماد » .

(١) الطَّفْلَة : الناعمة الرخصة . والبنان : الأصبع .

(٢) المدن : الذي جمع الضعف مع الدناءة .

قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسَل يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفَصْل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم تُجزى فيه الولاة ويدعى فيه من السماء بدعوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات .

قال : أحق ما تقول ؟ قال : إى وربِّ السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ، ما فيه أمْضٌ .

قال ابن هشام : أمض . يعنى شكّاً : هذا بلغة حمير . وقال أبو عمرو . أمْضٌ أى : باطل .

فوقع فى نفس ربيعة بن نصر ما قالا ، فجهز بنيه ، وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له : سابور بن خُرَّزاذ فأسكنهم الحيرة .

رأى آخر فى نسب النعمان بن المنذر : فمن بقية ولد ربيعة بن نصر : النعمان بن المنذر ، فهو فى نسب اليمن وعلمهم : النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ، ذلك الملك .

قال ابن هشام : النعمان بن المنذر ، بن المنذر ، فيما أخبرنى خلف الأحمر .

استيلاء أبى كرب تُبّان أسعد على ملك اليمن

وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق : فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع مُلك اليمن كله إلى حسان بن تُبّان أسعد أبى كرب[1] — وتبان أسعد هو : تبع الآخر ، ابن كَلْكِى كَرِب بن زيد ، وزيد هو تبع الأول بن عمرو ذى الأذعار[2] ابن أبرهة ذى المنار[3] ابن الرِّيش — قال ابن هشام : ويقال : الرائش . قال ابن إسحاق : ابن عدى بن صيفى بن سبأ الأصغر ، بن كعب ، كهف الظُّلْم ، ابن زيد

(١) اسمان جُعلا اسماً واحداً ، ويصح جعل الإعراب فى الجزء الأول من الاسم وإضافة الاسم الثانى إليه ، ويجوز جعل الإعراب فى الجزء الثانى من الاسم . وتبان : من التبانة وهى الذكاء والفطنة . يقال : رجل تبن وطبن .

(٢) وسمى ذا الأذعار ، لأنه أوغر فى ديار المغرب وسبا أمة ذات شكل غريب ، فذعر الناس منهم فسمى بذلك .

(٣) وسمى بذلك لأنه رفع نيراناً فى جبال ليهتدى بها فى إحدى غزواته .

ابن سهل ، بن عمرو ، بن قيس ، بن معاوية ، بن جشم ، بن عبد شمس ، بن وائل ، بن الغوث ، بن قطن ، بن عريب ، بن زهير ، بن أيمن ، بن الهميسع ، بن العرنجج . والعرنجج : حمير بن سبأ الأكبر ، ابن يعرب ، بن يشجب ، بن قحطان .

قال ابن هشام : يشجب : بن يعرب بن قحطان .

قال ابن إسحاق : وتُبَّان أسعد أبو كرب الذى قدم المدينة ، وساق الحبرين من يهود المدينة إلى اليمن وعمّر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل مُلك ربيعة بن نصر .

قال ابن هشام : وهو الذى يقال له :

ليت حظى من أبى كرب أن يسُدَّ خيرُه خَبَلَه[1]

تبان يغضب على أهل المدينة : قال ابن إسحاق : وكان قد جعل طريقه — حين أقبل من المشرق — على المدينة ، وكان قد مر بها فى بدأته ، فلم يهج أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابناً له ، فقُتل غيلة ، فقدمها ، وهو مُجمع لإخرابها ، واستئصال أهلها ، وقطع نخلها[2] ، فجمع له هذا الحى من الأنصار ، ورئيسهم عمرو بن طلَّة أخو بنى النجار ، ثم أحد بنى عمرو بن مبذول ، واسم مبذول : عامر ، بن مالك ، بن النجار . واسم النجار : تيم الله بن ثعلبة ، بن عمرو ، ابن الخزرج ، بن حارثة ، بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر .

عمرو بن طلة ونسبه : قال ابن هشام : عمرو بن طلَّة : عمرو بن معاوية ، بن عمرو ، ابن عامر ، بن مالك ، بن النجار ، وطلة : أمه : وهى بنت عامر بن زُرَيْق ، بن عامر بن زُرَيْق ، ابن عبد حارثة ، بن مالك ، بن غضب ، بن جُشَم ، بن الخزرج .

---

(١) الخبل : الفساد . وقد نسب هذا البيت إلى الأعشى ولكن البرقى نسبه إلى عجوز من بنى سالم ، قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تبع . فدخل سراً ، فقال لقومه : قد جاء تبع فقالت العجوز البيت .

(٢) يذكر القتبى أنه لم يقصد غزوها ، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها ، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزلوها معهم ، حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم فلم يف بذلك يهود واستضاموهم ، فاستغاثوا بتبع ، فعند ذلك قدمها .

قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة : قال ابن إسحاق : وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له : أحمر ، عَدا على رجل من أصحاب تبّع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجده فى عَذْق له يَجُدُّه (١) فضربه بمنجله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أبّره(٢)، فزاد ذلك تبعاً حَنَقا عليهم ، قال : فاقتتلوا ، فتزعُم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ،ويَقْرُونه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام !!

فبينا تُبّع على ذلك من قتالهم ، إذ جاءه حبران من أحبار اليهود ، من بنى قريظة ـ وقريظة والنضير والنَّجّام وعمرو ـ وهو هَدَل(٣) ـ بنو الخزرج بن الصريح بن التَّوْمان(٤)، بن السِّبط بن اليسع ، بن سعد ، بن لاوىّ ، بن خير ، بن النجّام ، بن تنحوم ، بن عازر ، بن عِزْرَى ، بن هارون ، بن عمران ، بن يصهر ، بن قاهث ، بن لاوى ، بن يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ بن إسحاق ، بن إبراهيم خليل الرحمن ـ صلى الله عليهم ـ عالمان راسخان فى العلم ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيها الملك ، لاتفعل ، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حِيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا : هى مُهاجَر نبىّ يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان ، تكون داره وقراره ، فتناهَى عن ذلك ، ورأى أن لهما علما ، وأعجبه ماسمع منهما ، فانصرف عن المدينة ، وأتبعهما على دينهما ، فقال خالد ابن عبد العُزّى بن غَزِيّة بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طَلّة:

أصحا أم قد نَهى ذُكَرَه ... أم قضى من لذة وَطَرَهْ(٥)

---

(١) العذق : النخل ، ويجده : يقطعه .

(٢) أبّر النخل : لقحه وأصلحه .

(٣) هَدَل : بفتح الدال والهاء ، كأنه مصدر : هدل هدلا إذا استرخت شفته ، وذكره الأمير بن ماكولا عن أبى عبدة النسابة فقال فيه : هَدْل بسكون الدال .

(٤) التومان : على وزن فعلان . كأنه من لفظ التَّوْم ، وهو الدر .

(٥) الذكر: جمع ذكره . والمستعمل فى هذا المعنى ذكرى بالألف وقلما يجمع فعلى على فُعَل وإنما يجمع على فعال ، فإن كان أراد فى هذا البيت جمع ذكرى ، وشبه ألف التأنيث بهاء التأنيث ، فله وجه : قد يحملون الشىء على الشىء إذا كان فى معناه .

أم تذكَّرتَ الشبابَ ، وما ذِكْرُكَ الشبابَ أو عُصُرَه (١)
إنها حربٌ رَباعِيَةٌ مثلها آتَى الفتى عِبَرَه (٢)
فاسألا عِمرانَ ، أو أسَدا إذْ أتت عَدْواً مع الزُّهَرَه (٣)
فَيْلَقٌ فيها أبو كَرِبٍ سُبَّغٌ أبدانُها ذَفِرَه (٤)
ثم قالوا : مَن نَؤُمُّ بها أَبَنى عوفٍ ، أم النَّجَرَه ؟ (٥)
بل بنى النجارِ إن لنا فيهمُ قَتلَى ، وإنَّ تِرَه (٦)
فتلقتْهُم مُسايفةٌ مَدُّها كالغَبية النَّثِرَة (٧)
فيهمُ عمْرو بنُ طَلَّةَ مَلَّى الإلهُ قومَه عُمُرَه (٨)

---

(١) أو عُصُره ، أراد أو عَصْره وهما لغتان كما قال ابن جنى ليس شيء على وزن فعْل يمتنع فيه فُعُل . انظر الروض الأنف بتحقيقنا = ١ ص ٢٧ .

(٢) حرب رباعية . مَثَل . أى ليست بصغيرة ولا جذعة ، بل هي فوق ذلك ، وضرب سن الرباعية مثلا ، كما يقال : حرب عوان ؛ لأن العوان أقوى من الفتية وأدرب .

(٣) يريد صبَّحهم بغلس : وهى ظلمة آخر الليل قبل مغيب الزُّهَرة : وهي نجم معروف شديد اللمعان .

(٤) سُبَّغ : كاملة . والأبدان : الدروع . وذَفِرة من الذَّفَر وهى سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة ، وأما الدَّفر ، فإنه فيما كره من الروائح ، ومنه قيل للدنيا أم دَفْر .

(٥) النجرة : جمع ناجر ، والناجر والنجار : بمعنى واحد ، وهذا كما قيل المناذرة فى بنى المنذر والنجار ، وهم : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، وسمى النجار ؛ لأنه نجر وجه رجل بقدوم فيما ذكر بعض أهل النسب .

(٦) فيهم قتلى وإنَّ تِرَه : أظهر إن بعد الواو . أراد : إن لنا قتلى وترة ، والترة : الوِتْر انظر تفصيل ذلك فى الروض الأنف بتحقيقنا = ١ ص ٣٨ .

(٧) مسايفة : أى كتيبة مسايفة . والغبية : الدفعة من المطر . والنثرة : المنتثرة ، وهى التى لا تمسك الماء .

(٨) ملى : من قولهم . تمليته حيناً . أى عشت معه حيناً وهو مأخوذ من الملاوة والملوين من القاموس . ملاك الله حبيبك تملية : متعك به ، وتملى عمره : استمتع فيه ، والملا : الصحراء والملوان : الليل النهار .

سيدٌ سام الملوكَ ومن رام غمْزا لايكنْ قَدَرَه

وهذا الحى من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حَنَق تبَّع على هذا الحى من يهود الذين كانوا بين أظهرهم ، وإنما أراد هلاكَهم ، فنعوهم منه ، حتى انصرف عنهم ، ولذلك قال فى شعره :

حَنَقا على سِبْطين حَلّا يثربا أولَى لهم بعقابِ يومٍ مُفْسِد

قال ابن هشام : الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع ، فذلك الذى منعنا من إثباته (١) .

تبَّع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة : قال ابنُ إسحاق : وكان تُبَّع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فتوجه إلى مكة ، وهى طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسْفان ، وأمَج أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ؛ فقالوا له : أيها الملك ألا ندُلك على بيت مال داثر ، أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ، ويصلون عنده . وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ؛ لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغَى عنده . فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الحَبْرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ماأراد القومُ إلا هلاكَك وهلاكَ جنديك . مانعلم بيتا لله اتخذه فى الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت مادعوك إليه ، لتهلكن ، وليهلكن من معك جميعا ، قال : فماذا تأمرانِنى أن أصنع إذا أنا قدمتُ عليه ؟ قالا : تصنع عنده مايصنع أهله : تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده وتَذِل له ، حتى تخرج من عنده ، قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوها حوله ، وبالدماء التى يهرقون عنده ، وهم نَجَس أهل شرك ـ أو كما قالا له ـ فعرف نصحهما وصدق حديثهما فقرَّب النفرَ من هذيل ، فقطع أيديَهم وأرجلَهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ، ونحر عنده ، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام ـ فيما يذكرون ـ ينحر بها للناس

---

(١) على الرغم من زعْم ابن هشام أن هذا البيت مصنوع فقد ذكره ضمن قصيد مطول فى كتاب التيجان . أوله :

ما بال عينك لا تنام ، كأنما كُحلت مآقيها بسم الأسود

ويُطعم أهلها ، ويسقيهم العسل ، وأُرِى فى المنام أن يكسوَ البيت ، فكساه الخصَف[١] ثم أُرِىَ أن يكسوه أحسنَ من ذلك ، فكساه المعافِر[٢] ، ثم أُرِىَ أن يكسوه أحسنَ من ذلك ، فكساه الملاءَ والوَصائل[٣] ، فكان تُبَّع - فيما يزعمون - أول من كسا البيت[٤] ، وأوصى به وُلاتَه من جُرْهم ، وأمرهم بتطهيره وألا يُقربوه دما ، ولا ميتة ، ولا مِئلاتا - وهى المحايض[٥] - وجعل له بابا ومفتاحا ، وقالت سُبيعة بنت الأحبّ[٦] ، بن زَبِينة ، بن جذيمة ، بن عَوْف ، بن معاوية ، بن بكر ابن هَوازن ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خَصَفَة ، بن قيس ، بن عَيْلان ، وكانت عند عبد مناف بن كعب ، بن سعد ، بن تَيْم ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤى ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، لابنٍ لها منه يقال له : خالد : تُعظِّم عليه حرمة مكة ، وتنهاه عن البغى فيها ، وتذكر تُبَّعا وتَذَلُّله لها ، وما صنع بها :

---

(١) الخصَف : جمع خصفة وهى شىء يُنسج من الخوص والليف ، والخصف أيضا : الثياب الغليظة .

(٢) المعافر : ثياب يمنية .

(٣) الملاء : جمع ملاءة ، وهى الملحفة . والوصائل : ثياب موصلة من ثياب اليمن .
ويروى أن تبعاً لما كسا البيت المسوح والأنطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصف ، فلما كساه الملاء والوصائل قبلها .

(٤) قال ابن إسحاق : أول من كسا الكعبة الديباج : الحجاج ، وذكر الدارقطنى : أنها نُتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب ، كانت قد أضلت العباس صغيراً . فنذرت : إن وجدته أن تكسوَ الكعبة الديباجَ ففعلت ذلك حين وجدته . وقال الزُّبير النسابة : بل أول من كساها الديباجَ عبدُ الله بن الزبير .

(٥) لم يرد النساء الحيض ، لأن حائضا لا يجمع على محائض ، وإنما هى جمع محيضة ، وهى خرقة المحيض ، ويقال للخرقة أيضا : مئلاة ، وجمعها : المَآلى .

(٦) وقال أبو عبيدة : بنت الأجب — بالجيم — وقد قالت هذا الشعر فى حرب كانت بين بنى السباق بن عبد الدار ، وبين بنى على بن سعد بن تميم حتى تفانوا .

أبُنَىَّ : لا تظلم بمكة لا الصغيرَ ولا الكبيرْ
واحفظ محارمَها بُنَىَّ ولا يغرَّنْك الغَرورْ
أبُنَىّ : من يَظلِمْ بمكةَ يلقَ أطرافَ الشرورْ
أبُنَى : يُضربْ وجهُه ويَلُحْ بخديه السَّعير
أبُنى : قد جربتُها فوجدتُ ظالمها يبور (١)
الله أمّنها ، وما بُنيتْ بعَرْصتِها قصور
والله آمن طيرَها والعُصمُ تأمنُ فى ثَبِير(٢)
ولقد غزاها تُبَّع فكسا بَنِيَّتَها الحبيرْ(٣)
وأذل ربى ملكَه فيها فأوفَى بالنُّذور
يمشى إليها حافيا بفنائها ألفا بعير
ويظَلُّ يُطعم أهلَها لحمَ المهارِى والجزُور(٤)
يسقيهمُ العسلَ المصفَّى والرَّحيضَ من الشَّعير(٥)
والفيلُ أُهلك جيشُه يُرمَوْن فيها بالصُّخور
والمُلْك فى أقصى البلا دِ وفى الأعاجم والخزير(٦)
فاسمعْ إذا حُدِّثتَ ، وافْـ ـهمْ كيفَ عاقبةُ الأمور

قال ابن هشام : يوقف على قوافيها لا تعرب

أصل اليهودية باليمن : ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبْرَين، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبَوْا عليه ، حتى يحاكموه إلى النار التى كانت باليمن .

---

(١) يبور : يهلك .
(٢) العُصم : الوعول تعتصم فى الجبال . وثَبِير : جبل بمكة .
(٣) بَنِيَّتها : الكعبة . والحبير : نوع موشى من ثياب اليمن .
(٤) المهارى : الإبل النجيبة .
(٥) الرحيض : المنق والمصفى .
(٦) الخزير : يريد الخزر وهم أمة من العجم .

قال ابن إسحاق : حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي ، قال : سمعت إبراهيم ابن محمد بن طلحة بن عُبيد الله يحدث : أن تُبعا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حِمْير بينه وبين ذلك ، وقالوا : لا تدخلْها علينا ، وقد فارقتَ ديننا ، فدعاهم إلى دينه وقال : إنه خير من دينكم ، فقالوا : فحاكِمنا إلى النار قال : نعم . قال : وكانت باليمن - فيما يزعُم أهل اليمن - نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالمَ ولا تضرّ المظلومَ ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلّديْها ، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فذَمَّرهم(١) من حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم ، فأكلت الأوثان وما قرّبوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال حِمير ، وخرج الحبْران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباهما لم تضرُّهما ، فأصفقت عند ذلك حمير على دينه ، فمن هنالك ، وعن ذلك ، كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محدّث أن الحبرين ، ومن خرج من حِمْير ، إنما اتبعوا النار ليردوها ، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها ، فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ، ودنا منها الحبْران بعد ذلك ، وجعلا يتلوان التوراة ، وتنكُص عنهما ، حتى رداها إلى مخرجها الذى خرجت منه ، فأصفقتْ (٢) عند ذلك حمير على دينهما . والله أعلم أى ذلك كان .

هدم البيت المسمى رِئَام (٣) : قال ابن إسحاق : وكان رِئَام بيتًا لهم يعظّمونه ، وينحرون عنده ، ويُكلَّمون منه ، إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخلّ بيننا وبينه ، قال : فشأنكما به ، فاستخرجا منه - فيما يزعُم أهل اليمن - كلبا أسودَ فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم - كما ذكر لى - بها آثار الدماء التى كانت تُهَرَاق عليه .

---

(١) ذمرهم : شجعهم وحضهم ليجدّوا .

(٢) أصفقت : اجتمعت .

(٣) رئام : فعال من رئمت الأنثى ولدها ترأمه رئما ورئاما : إذا عطفت عليه ورحمته فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسون فى عبادته .

مُلك حسان بن تُبَّان وقتله على يد أخيه عمرو

فلما ملك ابنه حسان بن تُبَّانَ أسْعد أبي كرب ، سار بأهل اليمن ، يريد أن يطأ بهم أرض العرب ، وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق ـ قال ابن هشام : بالبحرين ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم ـ كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم ، فكلموا أخاً له يقال له عمرو ، وكان معه فى جيشه ، فقالوا له : اقتل أخاك حسان ، ونملّكك علينا ، وترجع بنا إلى بلادنا ، فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعَيْن الحميرى فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه . فقال ذو رُعَيْن (١) :

أَلاَ من يَشترِى سهراً بنوم ... سعيدٌ من يبيتُ قريرَ عينِ (٢)
فإمّا حِمْيرٌ غدرتْ ، وخانتْ ... فمعذرةُ الإلهِ لذى رُعَيْنِ

ثم كتبهما فى رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بها عمراً ، فقال له : ضع لى هذا الكتاب عندك ، ففعل ، ثم قتل عمرو أخاه حسان ، ورجع بمن معه إلى اليمن . فقال رجل من حمير :

لاهِ عَيْنا الذى رأى مثلَ حسان قتيلا فى سالفِ الأحقابِ (٣)
قتلتْه مقاولٌ خَشْيَةَ الحبْسِ غداةَ قالوا : لَبَابِ لَبَابِ (٤)
مَيْتُكم خيرُنا وحيُّكمُ ربٌّ علينا ، وكلُّكمُ أربابى

---

(١) ذو رعين : تصغير رعْن ، والرعن : أنف الجبل ، ورعين : جبل باليمن وإليه ينسب ذو رعين .

(٢) معناه : أَمَنْ يشترى ، وحسن حذف ألف الاستفهام لتقدم همزة ألاَ . وفى البيت حذف تقديره : بل من يبيت قرير عين هو السعيد ، فحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه .

(٣) لاهِ : أراد لله وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل ، وهذا حذف كثير . ولكنه جاز فى هذا الاسم خاصة لكثرة دوره على الألسنة . مثل قول الفراء :

لَهِنَّكَ من برق علىَّ كريم

أراد : والله إنك . انظر هذا الموضوع مفصلا فى الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٤٣ .

(٤) المقاول : يريد الأقيال ، وهم الذين دون التبابعة واحدهم قيْل وأصله قيِّل مثل سيِّد واستعمل باليـــاء فى إفراده وجمعه ، وإن كان أصله الواو ، لأن معناه : الذى يقوله ويُسمع قوله .

قال ابن إسحاق : وقوله : لَبَاب لَبَاب : لا بأس لا بأس بلغة حِمير . قال ابن هشام : ويروى لِبَاب لِبَاب .

هلاك عمرو وتفرق حمير : قال ابن إسحاق : فلما نزل عمرو بن تبان اليمن مُنع منه النوم ، وسُلط عليه السهر ، فلما جَهَده ذلك سأل الأطباء والحُزاة(١) من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم : إنه ما قتل رجل قط أخاه ، أو ذا رَحِمه بغياً على مثل ما قتلت أخاك عليه إلا ذهب نومُه ، وسُلط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن ، حتى خلص إلى ذي رعين ، فقال له ذو رعين : إن لي عندك براءةً ، فقال : وما هي ؟ قال : الكتاب الذي دفعت إليك ، فأخرجه فإذا البيتان ، فتركه ، ورأى أنه قد نصحه . وهلك عمرو ، فمرج(٢) أمر حمير عند ذلك وتفرقوا .

خبر لَخنيعة وذي نواس

فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة ، يقال له : لَخْنِيعة(٣) ينوف ذو شَنَاتر(٤) ، فقتل خيارهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، فقال قائل من حمير للَخْنيعة :

تُقَتِّلُ أبناها وتَنفى سَراتَها ... وتبنى بأيديها لها الذلَّ حميرُ
تُدمِّرُ دُنياها بطيشِ حلومِها ... وما ضيَّعتْ من دينها فهو أكثرُ
كذاك القرونُ قبلَ ذاكَ بظُلمِها ... وإسرافِها تأتى الشرورَ فتخسَرُ

فسوق لخنيعة : وكان لَخنيعة امرأً فاسقاً يعمل عمل قوم لوط ، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك ، فيقع عليه في مَشْرُبَة له قد صنعها لذلك ، لئلا يَمْلِكَ بعد ذلك ، ثم يطلع من مَشْرُبته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده ، قد أخذ مسواكاً ، فجعله في فيه ، أي ليعلمهم أنه قد فرغ منه ، حتى بعث إلى زُرعة ذي نواس بن تُبَّان أسعد أخي حسان ، وكان صبياً صغيراً حين قُتل حسان ، ثم شب غلاماً جميلا وسيما ذا هيئة وعقل ، فلما أتاه رسوله

---

(١) الحزاة : المنجمون .

(٢) مرج : اختلط .

(٣) قال ابن دريد : هو من اللخع ، وهو استرخاء الجسم

(٤) الشناتر الأصابع واحدها شُنْتُر .

عرف ما يريد منه ، فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً ، فخبأه بين قدمه ونعله ، ثم أتاه ، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نواس ، فوجأه (١) حتى قتله ، ثم حزّ رأسه ، فوضعه في الكُوَّة التي كان يُشرف منها ، ووضع مسواكه في فيه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذا نواس أرطْب أم يَباس فقال : « سَلْ نخماس استرطبان ذو نواس استرطبان لاباس » قال ابن هشام : هذا كلام حمير . ونخماس : الرأس . فنظروا إلى الكُوَّة فإذا رأس لخنيعة مقطوع ، فخرجوا في إثر ذى نواس حتى أدركوه ؛ فقالوا : ما ينبغى أن يملكنا غيرك ، إذ أرحتنا من هذا الخبيث .

مُلْكُ ذى نُواس : فملّكوه ، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير وهو صاحب الأخدود ، وتَسمّى : يوسف ، فأقام في ملكه زمانا .

سبب وجود النصرانية بنجران : وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل . أهل فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له : عبد الله بن الثامر .

وكان موقع أصل ذلك الدين بنَجْران ، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له : فَيْمِيُون ، وقع بين أظهرهم ، فحملهم عليه ، فدانوا به .

حديث فَيْميون (٢) : قال ابن إسحاق : حدثنى المغيرة بن أبى لبيد مولى الأخنس ، عن وهب ابن منبه اليمانى أنه حدثهم : أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فَيْميون ، وكان رجلا صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا ، مجاب الدعوة ، وكان سائحاً ينزل بين القرى ، لا يُعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرف بها ، وكان لا يأكل إلا من كسْب يديه ، وكان بنّاءً يعمل الطين ، وكان يعظّم الأحد ، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً ، وخرج إلى فلاةٍ من الأرض يُصلى بها حتى يمسى . قال : وكان في قرية من قرى الشام

---

(١) وجأه : ضربه .

(٢) فَيْميون . وقال عنه السهيلى في الروض الأنف فيمْيُون . وذكر أن النقاش قال : إن اسمه يحيَ ، وكان أبوه ملكا فتوفى ، وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه ، ففر من الملك ولزم السياحة .

يعمل عمله ذلك مستخفياً ، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له : صالح ، فأحبه صالح حبا لم يحبه شيئاً كان قبله . فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فَيْمِيون ، حتى خرج مرة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض - كما كان يصنع - وقد اتبعه صالح، وفَيْمِيون لايدرى ؛ فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه ، لا يحب أن يعلم بمكانه ،وقام فَيْمِيون يصلى ، فبينما هو يصلى إذ أقبل نحوه التِّنينُ - الحية ذات الرءوس السبعة(١) - فلما رآها فَيْمِيون دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها ، فخافها عليه ، فَعِيلَ عَوْلُه ؛ فصرخ : يا فَيْمِيون ! التنين قد أقبل نحوك ، فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها ، وأمسى ، فانصرف ، وعرف أنه قد عُرِف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه . فقال له : يا فَيْمِيون ! تَعْلَمُ والله أنى ما أحببت شيئاً قط حبك وقد أردت صحبتك ، والكينونة معك حيثُ كنتَ ، فقال : ما شئت ، أمرى كما ترى ، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم ، فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبدُ به الضر دعا له فشُفِىَ ، وإذا دُعِىَ إلى أحد به ضر لم يأته ، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير ، فسأل عن شأن فَيْمِيون ، فقيل له : إنه لا يأتى أحداً دعاه ،ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك ، فوضعه فى حجرته ، وألقى عليه ثوباً ثم جاءه فقال له : يا فَيْمِيون ، إنى قد أردت أن أعمل فى بيتى عملا ، فانطلق معى إليه حتى تنظر إليه فأشارطك عليه، فانطلق معه حتى دخل حجرته، ثم قال له : ما تريد أن تعمل فى بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا، ثم انتشط الرجلُ الثوبَ عن الصبى(٢)، ثم قال له : يا فَيْمِيون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى ، فادع الله له ؛ فدعا له فيميون ؛ فقام الصبى ليس به بأس .

وعَرف فيميون أنه قد عُرِف ، فخرج من القرية ، واتبعه صالح ، فبينما هو يمشى فى بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : يا فَيْمِيون ! قال : نعم . قال : ما زلتُ أنظُرُك ، وأقول : متى هو جاءٍ ؟ حتى سمعت صوتَك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرحْ حتى تقوم علىَّ فإنى ميت الآن . قال : فمات ، وقام عليه حتى واراه ، ثم انصرف ، وتبعه صالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعدوا عليهما ، فاختطفتهما سيَّارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما ، حتى

(١) أى القرون السبعة .

(٢) انتشط الثوب : رفعه بسرعة .

باعوها بنجران ، وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد فى كل سنة ، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحلى النساء ، ثم خرجوا إليها ، فعكفوا عليها يوماً .

فابتاع فيميونَ رجل من أشرافهم ، وابتاع صالحاً آخرُ ، فكان فيميون إذا قام من الليل ـ يتهجد فى بيت له أسكنه إياه سيده ـ يصلى ، استسرج له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح ، فرأى ذلك سيدُه ، فأعجبه ما يرى منه ، فسأله عن دينه ، فأخبره به ، وقال له فيميونُ : إنما أنتم فى باطل ، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلهى الذى أعبده ، لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له ، قال : فقال له سيده : فافعل ، فإنك إن فعلت دخلنا فى دينك ، وتركنا ما نحن عليه . قال : فقام فيميونُ ، فتطهر وصلى ركعتين ، ثم دعا الله عليها ، فأرسل الله عليها ريحاً فجعفتها[1] من أصلها فألقتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام ، ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض ، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران فى أرض العرب .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وهب بن منبّه عن أهل نجران .

خبر عبد الله بن الثامر

عبد الله بن الثامر والاسم الأعظم : قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن زياد عن محمد ابن كعب القُرَظى ، وحدثنى أيضا بعض أهل نجران عن أهلها : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان فى قرية من قراها قريباً من نجران ـ ونجران : القرية العظمى التى إليها يجتمع أهل تلك البلاد ـ ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فيميون ـ ولم يسموه لى باسمه الذى سماه به وهب بن منبّه ، قالوا : رجل نزلها ـ ابتنى خيمة بين نجران ، وبين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر ، يعلمهم السحر ، فبعث إليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ، ويسمع منه حتى أسلم ، فوحّد

---

(١) جعفتها : أسقطتها .

الله وعبده ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقهَ فيه ، جعل يسأله عن الاسم الأعظم ـ وكان يعلمه ـ فكتمه إياه وقال له : يا ابن أخي ! إنك لن تحمله ، أخشى عليك ضعفك عنه .
والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبدالله أن صاحبه قد ضنّ به عنه ، وتخوف ضعفَه فيه ، عمد إلى قِداح (١) فجمعها ، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه فى قِدْح ، لكل اسم قِدْح ، حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً ، ثم جعل يقذفها فيها قِدْحاً قِدْحاً ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقِدْحِه ، فوثب القِدْح حتى خرج منها لم تضره شيئاً ، فأخذه ثم أتى صاحبه ، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذى كتمه ، فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع ، قال : أى ابن أخي ! قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل .

عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد : فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجْران لم يلق أحداً به ضُر إلا قال : يا عبد الله ، أتوحد الله ، وتدخل فى دينى ، وأدعو الله ، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ويُسلم ، ويدعو له فيُشْفَى ، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ، ودعا له فعُوفى ، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدتَ علىّ أهل قريتى ، وخالفت دينى ودين آبائى ، لأمثلن بك . قال : لا تقدر على ذلك ، قال : فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل ، فيُطرح على رأسه ، فيقع إلى الأرض ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران ، بحور لا يقع فيها شىء إلا هلك ، فيُلقَى فيها ، فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال له عبد الله بن الثامر : إنك والله لن تقدر على قتلى حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت ذلك ، سُلطت علىّ فقتلتنى ، قال : فوحّد الله تعالى ذلك الملكُ ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصاً فى يده ، فشجه شجة غير كبيرة ، فقتله ثم هلك الملك مكانه ، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحُكمه ، ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران ، والله أعلم بذلك .

---

(١) القداح : السهام .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظى ، وبعض أهل نجران عن عبد الله ابن الثامر ، والله أعلم أى ذلك كان .

ذو نواس يدعو أهل نجران إلى اليهودية : فسار إليهم ذونُواس بجنوده ، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل، فخدّ لهم الأخدودَ(١)، فحرّق من حرّق بالنار وقتل من قتل بالسيف ، ومثّل بهم ، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ، ففى ذى نُواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم : « قُتِلَ أصحابُ الأُخدودِ. النارِ ذاتِ الوَقودِ. إذْ هم عليها قُعودٌ. وهم على مايفعلونَ بالمؤمنينِ شُهودٌ. ومانَقَموا منهم إلا أنْ يُؤمنوا باللهِ العزيزِ الحميدِ » .

تفسير الأخدود : قال ابن هشام : الأخدود : الحفر المستطيل فى الأرض، كالخندق والجدول ونحوه ، وجمعه : أخاديد . قال ذو الرمّة ـ واسمه : غيلان بن عقبة ، أحد بنى عَدِىّ بن عبد مناف ابن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر :

مِن العراقيّةِ اللاتى يُحيلُ لها بين الفَلاةِ وبين النخْلِ أُخْدودُ

يعنى : جدولا . وهذا البيت فى قصيدة له . قال : ويقال لأثر السيف والسكين فى الجلد ، وأثر السَّوْط ونحوه : أخدود ، وجمعه أخاديد .

نهاية عبد الله بن الثامر : قال ابن إسحاق : ويقال : كان فيمن قتل ذو نواس ، عبدُ الله ابن الثامر رأسهم وإمامهم .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حُدِّث : أن رجلا من أهل نجران كان فى زمان عمرَ بنِ الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حفر خَربة من خَرِب نجران لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دَفْن منها قاعداً ، واضعا يده على

---

(١) روى ابن سنجر عن جبير بن نُفَيْر قال : الذين خددوا الأُخدود ثلاثة : تُبّع صاحب اليمن ، وقسطنطين ابن هلانى ـــ وهى أمه ـــ حين صرف النصارى عن التوحيد ودين المسيح إلى عبادة الصليب ، وبختنصّر من أهل بابل حين أمر الناس أن يسجدوا له ، فامتنع دانيال وأصحابه ، فألقاهم فى النار ، فكانت بردا وسلاما عليهم .

ضربة فى رأسه ، ممسكا عليها بيده ، فإن أُخِّرت يده عنها تنبعث دما ، وإذا أُرسلت يده ردها عليها ، فأمسكت دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : « ربى الله » فكُتب فيه إلى عمر بن الخطاب يُخبر بأمره ، فكتب إليهم عمر رضى الله عنه : أنْ أَقِرُّوه على حاله وردوا عليه الدَّفْن الذى كان عليه ، ففعلوا (١) .

فرار دَوْس ذى ثُعْلُبان من ذى نُوَاس واستنجاده بقيصر

قال ابن إسحاق : وأفلت منهم رجل من سبأ ، يقال له دَوْس ذو ثُعْلُبان على فرس له ، فسلك الرمل فأعجزهم ، فمضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قيصر ملك الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له : بعُدتْ بلادُك منا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

النجاشى ينصر دَوْسا : فقدم دَوْس على النَّجاشى بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة ، وأمَّر عليهم رجلا منهم يقال له : أرياط — ومعه فى جنده أَبْرَهَةُ الأشرم — فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ، ومعه دَوْس ذو ثُعلُبان .

نهاية ذى نُواس : وسار إليه ذو نُواس فى حِمْيَر ، ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه ، وجه فرسه فى البحر ، ثم ضربه ، فدخل به فخاض به ضَحْضَاح (١) البحر ، حتى أفضى به إلى غَمْره (٢) ، فأدخله فيه ،

---

(١) يصدِّق ذلك قولهُ تعالى : « ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء ... » وما وُجد من شهداء أحد وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدهور الطويلة ، كحمزة ابن عبد المطلب — رضى الله عنه — فإنه وُجد حين حَفر معاوية العينَ صحيحاً لم يتغير وأصابت الفأس أصبعه ، فدَميت . وكذلك أبو جابر عبد الله بن حرام ، وعمرو بن الجموح . وطلحة ابن عُبيدالله ، استخرجته بنته عائشة من قبره حين أمرها فى المنام بنقله فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير . وحدثنى من لا أشك فى قوله أنه رأى كثيراً من الشهداء فى حرب فلَسْطين لم يتغيروا بعد السنين الطويلة .

(٢) الضحضاح من الماء : الذى يظهر قعره .

(٣) الغمر : الماء الكثير .

وكان آخر العهد به . ودخل أرياطُ اليمنَ ، فملكها(١) .

فقال رجل من أهل اليمن – وهو يذكر ما ساق إليهم دَوْس من أمر الحبشة :

« لا كدَوْس ولا كأعلاق رَحْلِه »(٢)

فهي مَثَل باليمن إلى هذا اليوم .

قول ذي جَدَن الحميري في هذه القصة : وقال ذو جَدَن الحميري :

هَوْنَكِ(٣) ليس يرد الدمعُ ما فاتا ... لا تهلكي أسفاً في إثرِ مَنْ ماتا

أبعدَ بَيْنُونَ لا عينٌ ولا أثرٌ ... وبعد سِلْحِينَ يبني الناسُ أبياتا؟!

بينون وسلحين وغمدان : من حصون اليمن التي هدمها أرياط ، ولم يكن في الناس مثلها .

وقال ذو جَدَن أيضاً :

دَعِيني – لاأبالَكِ – لن تُطيقي(٤) ... لَحاكِ اللهُ ! قد أنزفْتِ ريقي(٥)

لَدَى عَزْفِ القِيانِ إذ انتشَيْنا ... وإذْ نُسْقَى من الخمرِ الرحيقِ(٦)

---

(١) هذا ما ذكره ابن إسحاق وهناك رواية أخرى : أن ذا نُواس أدخل الحبشة: صنعاء اليمن ، حين رأى أن لا قِبَل له بهم ، بعد أن استنفر جميع المقاول ليكونوا معه يداً واحدة عليهم فأبوا إلا أن يحمى كل واحد منهم حوْزَته على حدته ، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله على أن يسالموه ومن معه ، فكتبوا إلى النجاشي بذلك فقبل ، ثم كتب ذو نواس إلى كل موضع ببلاده أن اقتلوا كل ثور أسود فقُتل أكثر الحبشة فوجه النجاشي جيشاً إلى أبرهة وعليهم أرياط وأمره أن يقتل ذا نُواس ، ويخرب ثلث بلاده ويسبي ثلث النساء والذرية ففعل ذلك أبرهة .

(٢) الأعلاق : النفائس .

(٣) هَوْنَك : ترفقي ، وقد روى عن ابن إسحق من غير رواية ابن هشام : هونكما لن يرد . وهو من باب قول العرب للواحد : افعلا .

(٤) أي لن تطيقي صرفي بالعذل عن شأني .

(٥) أي أيبست ريقي في فمي ، وقلة الرقيق من الحصر ، وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش .

(٦) الرحيق : الخالص .

وشربُ الخمر ليس عليَّ عارا ... إذا لم يَشكُنى فيها رفيق
فإن الموتَ لا يَنهاهُ ناهٍ ... ولو شرِب الشفاءَ مع النَّشُوق(١)
ولا مُترهِّب فى أُسطُوان ... يناطح جُدْرَه بَيْضُ الأَنوق(٢)
وغُمدان(٣) الذى حُدِّثت عنه ... بَنَوْه مُسَمَّكا فى رأس نِيق(٤)
بِمَنْهَمَةٍ ، وأسفلُه جُرُونٌ ... وحُرُّ المَوْحَلِ اللَّثِق الزَّلِيق(٥)
مصابيحُ السَّليط تلوح فيه ... إذا يمسى كتَوماض البُرُوقِ(٦)
ونخلتُه التى غُرِست إليه ... يكاد البُسْر يَهصر بالعُذُوق(٧)

(١) أى لو شرب كل دواء يستشفى به ، وتنشق كل نشوق يجعل فى الأنف للتداوى به، مانهى ذلك الموت عنه .

(٢) مترهب يجوز أن يكون معطوفا على لفظ (ناه) فيكون المعنى : لا ينهى الموت ناه ولا مترهب أى ولا دعاء مترهب . ويجوز أن يكون مرفوعاً على الفاعلية . أى . ولا ينجو منه مترهب .

والأُسطوان : على وزن أفعوال والنون فيها أصلية ؛ جمعه : أساطين ، وليس فى الكلام أفاعين والأسطوان جمع أسطوانة ، وهى السارية ويقصد هنا المكان الذى يختلى فيه الراهب . والأنوق : الذكر من الرخم وهو لا يبيض .

(٣) غمدان : هو الحصن الذى كان لهوذة بن على ملك اليمامة .

(٤) مسمكا : مرفعاً . من قوله سمك السماء ، والنيق : أعلى الجبل .

(٥) المنهمة : موضع الرهبان ، والراهب يقال له النهامى ويقال للنجار أيضاً : نهامى فتكون المنهمة أيضاً على هذا موضع نجر . والجرون . جمع جرن ، وهو النقير ، من جرن الثوب : إذا لان . روى أبو الوليد الوقشى جروب بالباء وكذلك ذكره الطبرى أيضا، وفى حاشية كتاب الوقشى أنها الحجارة السوداء . وحر : الخالص من كل شىء . والموحل : من الوحل . وفى كتاب أبى بحر عن الوقشى : وحر الموجل وفسرها بأنها حجارة مُلس لينة . واللثق من اللثق وهو أن يختلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق ، والزليق الذى يزلق فيه . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ٢ ص ٥٨ .

(٦) السليط : الدهن .

(٧) يهصر : يميل . العذوق : جمع عذق بفتح العين وهى النخلة .

فأصبح بعدَ جِدَّته رَماداً وغيَّر حسنَه لهبُ الحريقِ
وأسلمِ ذو نُوَاسٍ مستكيناً وحذَّر قومَه ضَنْكَ المضيقِ

قول ربيعة بن الذئبة الثقفي في هذه القصة : وقال عبد الله بن الذئبة الثقفي في ذلك —
قال ابن هشام: الذئبة أمه، واسمه : ربيعة بن عبدياليل بن سالم بن مالك بن حُطيط بن جُشَم
ابن قَسِيّ .

لَعَمْرُكَ ما للفتى من مَفرّ مع الموت يلحقه والكِبَرْ
لعمرك ما للفتى صُحْرَةٌ لعمرك ما إنْ له من وَزَرْ (١)
أبعدَ قبائلَ من حِمْيَرٍ أُبيدوا صباحا بذات العِبَرْ (٢)
بألفِ ألوفٍ وحُرَّابةٍ كمثل السماء قُبيلَ المطرْ (٣)
يُصِم صياحُهمُ المُقْرَبات وينفون من قاتلوا بالذَّفَرْ (٤)
سَعالِيَ مثلُ عديدِ التراب تيبَس منهمْ رِطابُ الشجرْ (٥)

---

(١) الصحرة : المتسع ، أخذ من لفظ الصحراء . والوَزَر : الملجأ ، ومنه اشتق الوزير لأن الملك يلجأ إلى رأيه ، وقد قيل من الوِزْر ، لأنه يحمل عن الملك أثقالا ، لأن الوِزْر : الثقل .

(٢) ذات العبر : أي ذات الحزن ، يقال : عبر الرجل إذا حزن ، ويقال لأمه العُبْر ، كما يقال لأمه الثُّكل .

(٣) الحرابة : ذوو الحراب . وقوله كمثل السماء أي كمثل السحاب لاسوداد السحاب وظلمته قبيل المطر .

(٤) المقربات : الخيل العتاق التي لا تسرح في المراعي ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو .

والذفر : الرائحة الشديدة ، أي ينفون من قاتلوا بريحهم وأنفاسهم ، وهذا إفراط في وصفهم بالكثرة وقيل غير ذلك . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٦٠ .

(٥) سعالى : الجن ، والمفرد سعلاة ويقال : بل هي الساحرة من الجن .

قول عمرو بن معدى كرب الزبيدى في هذه القصة : وقال عمرو بن مَعْدى كرب الزبيدى(١) فى شىء كان بينه وبين قيْس بن مكشوح المُرادى(٢) ، فبلغه أنه يتوعده ، فقال يذكر حمير وعزها ، وما زال من مُلكها عنها :

أتوعِدُنى كأنك ذو رُعَيْنٍ ... بأفضل عيشة ، أو ذو نُوَاس

وكائنْ كان قبلَك من نعيم ... ومُلك ثابتٍ فى الناسِ راسِى

قديم عهدُه من عهدِ عادٍ ... عظيم قاهرِ الجبروتِ قاسِى

فأمسى أهلُه بادوا ، وأمسى ... يُحوَّلُ من أناسٍ فى أناسِ

نسب زُبَيْد ومراد : قال ابن هشام : زُبَيْد بن سلمة بن مازن بن مَنَبِّه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج . ويقال : زبيد بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة ، ويقال : زبيد بن صعب ابن سعد . ومراد : يُحابر بن مَذْحِج .

لماذا قال عمرو بن معدى كرب هذا الشعر : قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة ، قال : كتب عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إلى سلمان بن ربيعة الباهلى ، وباهلة بن يَعْصُر ابن سعد بن قيس بن عَيْلان . وهو بإرمينية يأمره أن يفضّل أصحاب الخيل العِراب على أصحاب

---

(١) عمرو بن معدى كرب - رضى الله عنه - صحابى ، يُكنى : أبا ثور تضرب الأمثال بفروسيته وبسالته . ومعنى معدى كرب : وجه الفلاح ، المعدى هو : الوجه ، والكرب هو : الفلاح .

(٢) ليس من مراد ، وإنما هو حليف لها ، واسم مراد : يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج . ونسبه فى بجيلة ثم فى بنى أحمس ، وأبوه مكشوح اسمه : هُبَيْرة بن هلال . ويقال : عبد يغوث ابن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر بن على بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار ، وأنمار هو : والد بجيلة وخثعم ، وسمى أبوه مكشوحا ، لأنه ضرب بسيف على كشحه (ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف) ويكنى قيس : أبا شداد ، وهو قاتل الأسود العنسى الكذاب هو وذَادَوَيْه وفيروز ، وكان قيس بطلا شجاعا قُتل مع على — رضى الله عنه — يوم صفين وله فى ذلك اليوم وفى حروب الشام ضد الروم وقائع لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد .

الخيل المَقَارف(١) فى العطاء ، فعرض الخيل ، فمر به فرس عمرو بن معدى كرب ، فقال له سلمان : فرسك هذا مُقرِف ، فغضب عمرو ، وقال : هجين عرف هجيناً مثله ، فوثب إليه قيس فتوعده ، فقال عمرو هذه الأبيات .

تصديق قول شق وسطيح : قال ابن هشام : فهذا الذى عنَى سطيح الكاهن بقوله : « ليهبطنّ أرضكم الحبشُ ، فليملِكُن ما بين أَبْيَن إلى جُرَش » ، والذى عنى شق الكاهن بقوله : « لينزلن أرضكم السودانُ ، فليغلِبُن على كُلّ طَفْلة البنان ، وليملكن ما بين أبْيَن إلى نجران » .

النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط

قال ابن إسحاق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنينَ فى سلطانه ذلك ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشى ، حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لا تصنع بأن تلق الحبشة بعضها ببعض ، حتى تفنيها شيئاً ، فابرز إلىّ ، وأبرز إليك ، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه أرياط : أنصفتَ ، فخرج إليه أبرهة — وكان رجلا قصيراً لحيا ، وكان خادِين فى النصرانية — وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا ، وفى يده حربة له وخلفَ أبرهة غلام له ، يقال له : عَتْوَدَة(٢) ، يمنع ظهره ، فرفع أرياط الحربة ، فضرب أبرهة يريد يافوخه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته ، فبذلك سمى : أبرهة الأشرم ، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، ووَدَى(٣) أبرهةُ أرياطَ .

غضب النجاشى على أبرهة : فلما بلغ النجاشى غضب غضباً شديداً وقال : عدا على أميرى ، فقتله بغير أمرى ، ثم حلف : لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ، ويجز ناصيته . فحلق أبرهة رأسه

---

(١) المقارف : جمع مقرف الذى دانى الهجنة ، وهو الذى أمه عربية وأبوه ليس بعربى فالإقراف من جهة الأب والهجنة من جهة الأم . انظر ذلك مفصلا فى الصحاح مادة ق ر ف .

(٢) العتودة : الشدة فى الحرب .

(٣) وداه : تحمل ديته .

وملأ جرابا من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشي ، ثم كتب إليه :

« أيها الملك ، إنما كان أرياطُ عبدَك ، وأنا عبدُك ، فاختلفنا فى أمرك ، وكُلٌّ طاعته لك ، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة ، وأضبط لها ، وأسوس منه ، وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك ، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضى ؛ ليضعه تحت قدميه ، فيبر قسمه فىَّ » .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشى رضى عنه ، وكتب إليه : أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى ، فأقام أبرهة باليمن .

« القُلَّيْس » أو كنيسة أبرهة : ثم إن أبرهة بنى القُلَّيْس[1] بصنعاء، فبنى كنيسة لم يُرَ مثلها فى زمانها بشىء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشى : أنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حجَّ العرب ، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشى ، غضب رجل من النَّسَأة ، أحد بنى فُقَيْم بن عدى بن عامر بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .

النَّسَأة : والنَّسَأة : الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب فى الجاهلية ، فيحلون الشهر من الأشهر الحرُم ، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحِلّ ، ليواطئوا عدة ما حرَّم الله ، ويؤخرون ذلك الشهر ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : « إنما النَّسِىءُ زيادة فى الكفر يُضَلّ به الذين كفروا ، يحلّونه عاما ، ويحرمونه عاما ؛ ليواطِئوا عدةَ ما حرَّم اللهُ » .

---

(١) القُلَّيْس : وهى الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها وسميت بهذا الاسم لارتفاع بنائها وعلوها ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس ، وقلس طعاما : أى ارتفع من معدته إلى فيه . وقد استذل أبرهة أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة وجشمهم أنواعا من السخر وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس وكان من موضع الكنيسة على فراسخ، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنُوس وكان أراد أن يرتفع بها حتى يشرف منها على عدن . انظر قصة هذه الكنيسة مفصلة فى الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٦٣ .

قال ابن هشام : ليواطئوا : ليوافقوا ، والمواطأة : الموافقة، تقول العرب : واطأتك على هذا الأمر ، أى وافقتك عليه ، والإيطاء فى الشعر : الموافقة ، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد ، نحو قول العجاج — واسم العجاج(١) : عبد الله بن رؤبة أحد بنى سعد ابن زيد مَناةَ بن تميم بن مر بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار .

فى أُثْعُبان المَنْجَنُون المُرْسَل(٢)

ثم قال : مَدّ الخليجِ فى الخليجِ المُرْسَلِ

وهذان البيتان فى أرجوزة له

أول من ابتدع النسىء : قال ابن إسحاق : وكان أول من نسأ الشهور على العرب ، فأحلت منها ماأحل ، وحرمت منها ماحرم : القَلَمَّس(٣)، وهو حذيفة بن عبد بن فُقَيْم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عَبَّاد ابن حذيفة، ثم قام بعد عَبّاد : قَلَع بن عَبَّاد، ثم قام بعد قَلَع : أمية بن قَلَع ، ثم قام بعد أمية : عَوْف بن أمية ، ثم قام بعد عَوْف : أبو ثُمامة ، جُنادة بن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام(٤)، وكانت العرب إذافرغت من حجها اجتمعت إليه، فحرّم الأشهرالحُرُم الاربعة : رجباً، وذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرم . فإذاأراد أن يُحل شيئاً أحل المحرّم فأحلوه وحرم مكانه صفر

(١) وكنيته : أبو الشعثاء وسمى العجاج بقوله : حتى يعج عندها من عجعجا المرجع السابق ص ٦٥ .

(٢) الأثعُبان ما يتدفع من الماء من مثعبه ، والمثعب : المجرى . والمنجنون : الدولاب التى يستق عليها . نفس المرجع هامش صفحة ٦٢ .

(٣) وسمى القَلَمّس لجوده ، إذ أنه من أسماء البحر .

(٤) وجد السهيلى خبراً عن إسلام أبى ثُمامة فقدحضر الحج فى زمن عمر ،فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى : أيها الناس : إنى قد أجرته منكم ، فخفقه عمر بالدرة وقال : ويحك : إن الله أبطل أمر الجاهلية .

عرموه ، ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم . فإذا أرادوا الصَّدَر(١) قام فيهم فقال : «اللهم إنى قد أحللت لك أحد الصفرين ، الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام المقبل(٢)» . فقال فى ذلك عمير بن قيس ، جِذْلُ الطّعان(٣) ، أحد بنى فِراس بن غَنْم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، يفخر بالنَّسَأة على العرب :

لقد علمتْ معدّ أن قومى … كِرامُ الناس أنّ لهم كرامًا(٤)
فأىُّ الناسِ فاتونا بوِتْرٍ … وأىّ الناس لم نُعْلِكْ لجامًا(٥)
ألسنا الناسئينَ على معدٍّ … شهورَ الحلِّ نجعلها حرامًا ؟

---

(١) الصدر هنا : الرجوع من الحج .

(٢) كان نسؤهم على ضربين . أحدهما : ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات . والثانى : تأخيرهم الحج عن وقته تحريا منهم السنة الشمسية ، فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوما أو أكثر قليلا ، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة ، فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه السلام فى حجة الوداع : «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» ، وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج إلى وقته ، ولم يحج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة ، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ، ولطوافهم بالبيت عراة — والله أعلم — إذ كانت مكة بحكمهم ، حتى فتحها الله على نبيه — صلى الله عليه وسلم —

(٣) وكان عمير من أطول الناس ، وسمى جذل الطعان لثباته فى الحرب كأنه جذل شجرة واقف ، وقيل : لأنه كان يستشفى برأيه ، ويُستراح إليه ، كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل «عود ينصب للبهم الجرباء لتحتك به» .

(٤) أى : آباء كراما وأخلاقا كراما .

(٥) أى : لم نقدعهم ونكفهم ، كما يقدع الفرس باللجام . تقول : أعلكت الفرس لجامه : إذا رددته عن تزعه ، فمضغ اللجام كالعِلْك من نشاطه ، فهو مقدوع .

قال ابن هشام : أول الأشهر الحرم : المحرم . (١)

الكنانى يحدث فى القُلَّيْس : قال ابن إسحاق : فخرج الكِنانى حتى أتى القُلَّيْس فقعد(٢) فيها — قال ابن هشام : يعنى أحدث فيها ـ قال ابن إسحاق : ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك : « أصرف إليها حج العرب » غضب فجاء ، فقعد فيها ، أى أنها ليست لذلك بأهل .

خروج أبرهة لهدم الكعبة : فغضب عند ذلك أبرهة وحلف : ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعتْ بذلك العرب ، فأعظموه وفظِعوا به، ورأوا جهاده حقاً عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة ، بيت الله الحرام.

أشراف اليمن يدافعون عن البيت : فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفْرٍ ، فدعا قومه ، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فهُزم ذو نَفْر وأصحابه ، وأُخذ له ذو نفر ، فأتى به أسيراً ، فلما أراد قتله ، قال له ذو نَفْر : أيها الملك ، لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من قتلى ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده فى وَثاق ، وكان أبرهة رجلا حليما .

---

(١) وقال غير ابن هشام : إن أولها ذو القعدة لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بدأ به حين ذكر الأشهر الحرم ، ومن قال المحرم أولها، احتج بأنه أول السنة . وتظهر فائدة هذا الخلاف فيمن نذر صيام الأشهر الحرم . فيقال له على الأول : ابدأ بالمحرم ، ثم برجب ، ثم بذى القعدة ، وذى الحجة . وعلى القول الآخر : يبدأ بذى القعدة حتى يكون آخر صيامه فى رجب من العام الثانى .

(٢) قعد : أى أحدث فيها — وهذا شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء فى تفسير القعود على المقابر المنهى عنه وأن ذلك للمذاهب « للمتوضئين » .

خثعم تجاهد أبرهة: ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم[1] عرض له نُفَيْل بن حبيب الخثعمى فى قَبيلَىْ خَثْعَم: شهران وناهس[2]، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأُخذ له نفيل أسيراً، فأُتى به، فلما هَمّ بقتله قال له نفيل: أيها الملك، لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب، وهاتان يداى لك على قبيلَىْ خثعم: شهران وناهس بالسمع والطاعة، فخلى سبيله.

وخرج به معه يدله، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف فى رجال ثقيف.

نسب ثقيف[3] واسم ثقيف: قَسِى بن النَّبيت بن منبه بن منصور بن يَقْدُم بن أفصى بن دُعْمِىّ بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان.

قال أمية بن أبى الصلت الثقفى[4]:

قومى إياد لو أنهم أَمَم ... أو: لوأقاموا فتُهزَلَ النَّعَمُ[5]
قوم لهم ساحةُ العِراقِ إذا ... سَاروا جميعاً والقِطُّ والقلمُ[6]

---

(١) خثعم: اسم جبل سمى به بنو عفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار، لأنهم نزلوا عنده. وقيل: إنهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم أى تلطخوا.

(٢) يقال إن خثعم ثلاث: شهران وناهس وأكلب غير أن أكلب عند أهل النسب هو: ابن ربيعة بن نزار، ولكنهم دخلوا فى خثعم، وانتسبوا إليهم.

(٣) اختلف النسَّابون فى نسب ثقيف فبعضهم ينسبهم إلى إياد، والبعض إلى قيس وقد نسبوهم إلى ثمود أيضاً. وفى حديث رواه معمر بن راشد فى جامعه: «أن أبا رغال من ثمود».

(٤) واسم أبى الصَّلت: ربيعة بن وهب.

(٥) الأَمَم: القريب. أولو أقاموا: أى بالحجاز لأنهم انتقلوا عنها حين ضاقت عن مسارحهم فصاروا إلى ريف العراق

(٦) القط ما قط من الكاغد والرق وذلك أن الكتابة كانت فى تلك البلاد التى ساروا إليها. وقد قيل لقريش: ممن تعلمتم القط؟ فقالوا: تعلمناه من أهل الحيرة، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار.

وقال أمية بن أبي الصلت أيضا :

فإما تسألى عنى — لُبَيْنَى وعن نسبي — أخبِّرْك اليقينا
فإنا للنَّبيتِ أبي قَسِيّ لمنصور بن يَقْدُم الاقْدَمينا

قال ابن هشام : ثقيف : قَسِيُّ بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، والبيتان الأولان والآخران فى قصيدتين لأمية .

ثقيف تهادن أبرهة : قال ابن إسحاق : فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذى تريد — يعنون اللات — إنما تريد البيت الذى بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه ، فتجاوز عنهم .

اللات : واللات: بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة النحوى لضِرار بن الخطاب الفِهْرى :

وفرتْ ثقيف إلى لاتِها بمُنقلَب الخائبِ الخاسرِ

وهذا البيت فى أبيات له .

أبو رِغال ورجم قبره : قال ابن إسحاق : فبعثوا معه أبا رِغال يدله على الطريق إلى مكة فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال حتى أنزله المُغَمَّس (١) ، فلما أنزله به مات أبو رِغال هناك ، فرجمت قبرَه العربُ ، فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمّس .

---

(١) المغمس : بفتح الميم الثانية على زنة اسم المفعول فكأنه من غمست الشيء إذا غطيته وذلك أنه مكان مستور إما بهضاب وإما بعضاه (شجر له شوك) فقد روى على بن السكن «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان بمكة ، كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمّس» وهو على ثلث فرسخ من مكة .

أما على رواية كسر الميم الثانية بزنة اسم الفاعل فهو مشتق من الغميس وهو الغمير « نبات أخضر ينبت فى الخريف » .

الأسود بن مقصود يهاجم مكة : فلما نزل أبرهة المغمّس ، بعث رجلا من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود(١) على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمّت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به ، فتركوا ذلك .

رسول أبرهة إلى مكة : وبعث أبرهة حُناطة الحميرى إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إنى لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لى بدمائكم ، فإن هو لم يُرِدْ حربى فأتنى به ؛ فلما دخل حُناطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم ،فجاءه ، فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم — عليه السلام — أو كما قال — فإن يمنعه منه ، فهو بيته وحرمه ، وإن يُخَلِّ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال له حُناطة : فانطلق معى إليه ، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك .

أُنَيْس يشفع لعبد المطلب : فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذى نَفْر ،وكان له صديقا ،حتى دخل عليه وهو فى محبسه ، فقال له : ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نَفْر : وما غناء رجل أسير بيدَىْ ملك ينتظر أن يقتله غُدُوا أو عَشِيا ؟ ! ما عندنا غَناء فى شىء مما نزل بك، إلا أن أُنَيْسا سائس الفيل صديق لى ، وسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأُعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك،فتكلمه بما بدا لك ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك . فقال : حسبى . فبعث ذو نَفْر إلى أُنَيْس ، فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش ، وصاحب عِير مكة ، يطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رءوس

---

(١) وهو الأسود بن مقصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عمرو بن علة . ويقال فيه : عُلَـة على وزن عمر — ابن خالد بن مذحج بعثه النجاشى مع الفيلة والجيش، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلا هلكت كلها إلا (محمود) فيل النجاشى لامتناعه عن التوجه إلى الكعبة .

الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتى بعير ، فاستأذن عليه ، وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل .

فكلم أنيس أبرهة ، فقال له : أيها الملك : هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عير مكة ، وهو يطعم الناس فى السهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، فأذن له عليك فيكلمك فى حاجته ، قال : فأذن له أبرهة .

الإبل لى والبيت له رب يحميه : قال : وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجلّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان . فقال : حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى ، فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى ، أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ، لا تكلمنى فيه ؟ ! قال له عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه ، قال : ما كان ليمتنع منى ، قال : أنت وذاك .

الوفد المرافق لعبد المطلب : وكان — فيما يزعم بعض أهل العلم — قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة ، حين بعث إليه حناطة ، يَعْمَرُ بن نُفاثة بن عدى بن الدُّئل بن بكر بن مناة ابن كنانة — وهو يومئذ سيد بنى بكر — وخُوَيْلد بن واثلة الهُذَلى — وهو يومئذ سيد هذيل — فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم أكان ذلك ، أم لا . فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له .

قريش تستنصر الله على أبرهة : فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبد المطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرز [1] فى شعف الجبال [2] والشِّعاب [3]

---

(١) التحرز : التمنع .

(٢) شعف الجبال : رءوسها .

(٣) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال .

تخوفا عليهم من مَعَرَّة[1] الجيش ، ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحَلْقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلْقة باب الكعبة :

لاهُمَّ إن العبدَ يمـ ... ـنع رحله فامنع حِلالَكْ[2]
لا يغلبنَّ صليبُهم ... ومِحالُهم غَدْواً مِحالَك[3]
إن كنتَ تاركَهم وقبـ ... ـلتَنا فأمْرٌ ما بدا لكْ[4]

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها .

عكرمة بن عامر يدعو على الأسود : قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى :

لاهُمَّ أخزِ الأسودَ بنَ مقصودْ ... الآخِذَ الهَجْمة فيها التَّقليدْ[5]

---

(١) معرة الجيش : شدته .

(٢) لاهُم : أصلها : اللهم . والعرب تحذف منها الألف واللام . وكذلك تقول فى : والله إنك : « لاهنك » وذلك لكثرة دَور هذا الاسم على الألسنة . بل قد قالوا فيما هو دونه فى الاستعمال: « إجنك » أى « من أجل أنك » . والحلال فى هذا البيت : الحلول فى المكان والحلال مركب من مراكب النساء . والحلال أيضا : متاع البيت وجائز أن يستعيره هنا .

(٣) غدوا : غدا ، والمحال : القوة والشدة .

(٤) روى السهيل بعد هذا البيت بيتا آخر هو :

وانصر على آلِ الصليب ... وعابديه اليومَ آلَك

(٥) الهجمة : هو ما بين التسعين إلى المائة من الإبل . والمائة منها : هنيدة ، والمائتان : هند . قال بعضهم : والثلاثمائة أمامة . وأنشدوا :

تبيَّن رويدا ما أمامة من هند

وكأن اشتقاق الهجمة من الهجيمة ، وهو : الثخين من اللبن ، لأنه لما كثر لبنها لكثرتها ، لم يمزج بماء ، وشرب صرفا ثخينا ، ويقال للقدح الذى يحلب فيه إذا كان كبيرا : هَجْم . والتقليد : أى أن القلائد فى أعناقها .

بين حِراءَ وثَبيرٍ فالبِيدْ يحبسُها وهْي أولاتُ التطْريدْ[١]
فضمَّها إلى طَماطِمٍ سُودْ أخْفِرْه يارَبِّ وأنتَ محمودْ[٢]

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها ، والطماطم : الأعلاج [٣].

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حلْقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال فتحرَّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها

أبرهة يهاجم الكعبة : فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله ، وعبَّى[٤] جيشه — وكان اسم الفيل محمودا — وأبرهة مُجْمع لهدم البيت ، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيْل بن حبيب [٥] حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه ، فقال : ابرُك[٦] محمود ، أو ارجع راشدا من حيث جئت ، فإنك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه . فبرك الفيل ، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فضربوا فى رأسه بالطَّبَرْزين[٧] ،

---

(١) حراء وثبير : جبلان بالحجاز .

(٢) أخفره : أى انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه .

(٣) الأعلاج : جمع علج — الرجل من كفار العجم .

(٤) يقال : عبى الجيش بغير همزة وعبأ المتاع بالهمز ، وقد حكى عبأت الجيش بالهمز وهو قليل .

(٥) وقيل هو نفيل بن عبد الله بن جَزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب ابن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أفتل ، وهو : خثعم . كذلك نسبه البرقى . ونفيل من المسمين بالنبات وهو تصغير نفل وهو نبت منبسط على الأرض .

(٦) الفيل لا يبرك ، ويحتمل أن يكون بروكه : سقوطه إلى الأرض لما جاءه من أمر الله . أو يكون فعل فعْل البارك الذى يلزم موضعه ولا يبرح . ويقول السهيلى فى الروض الأنف : أنه سمع من يقول : إن فى الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل .

(٧) الطبَرْزين : آلة من الحديد .

ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن (١) لهم فى مَرَاقِّه (٢) فبزغوه (٣) بها ليقوم فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك.

عقاب الله لأبرهة وجنده: فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبَلَسان (٤)، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر فى منقاره، وحجران فى رجليه، أمثال الحمص والعَدَس (٥)، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، — وليس كلهم أصابت — وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا، ويسألون عن نُفَيْل بن حبيب، ليدلهم على الطريق إلى اليمن؛ فقال نُفَيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أين المفرُّ والإلـه الطالبْ ... والأشرمُ المغلوبُ ليس الغالبْ

قال ابن هشام: قوله: «ليس الغالب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال نُفَيل أيضا:

ألا حُيِّيتِ عنـا يا رُدَيْنا ... نَعِمناكم مع الإصباح عَيْنا (٦)

رُدَيْنةُ لو رأيتِ — ولا تَرَيْه ... لدى جَنْب المحصَّب ما رأينا

إذاً لعذرتِنى وحمِدتِ أمرى ... ولم تأسَىْ على مافات بَيْنا

حمِدتُ اللهَ إذ أبصرتُ طيراً ... وخِفتُ حجارةً تُلقَى علينا

وكلُّ القوم يسألُ عن نُفَيلٍ ... كأنَّ علىَّ للحُبشانِ دَيْنا

---

(١) المحاجن: جمع محجن — عصا معوجة.

(٢) المراق: أسفل البطن.

(٣) بزغوه: أدموه.

(٤) الخطاطيف والبلسان: نوعان من الطيور.

(٥) فى الشكل فقط وليس فى المقدار إذ ذكر البرق أن ابن عباس قال: أصغر الحجارة كرأس الإنسان، وكبارها كالإبل. وكانت قصة الفيل أول المحرم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين.

(٦) رُدَيْنا: اسم امرأة، كأنها سميت بتصغير ردنة، وهى القطعة من الردن (الحرير) ونعمناكم: أى: نعمنا بكم.

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مَهلِك على كل مَنهَل ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أُنملة أنملة[1] : كلما سقطت أنملة ، أتبعتها منه مِدة تَمُثّ[2] قيحاً ودماً، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة أنه حُدِّث : أن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤى بها مرائر الشجر : الحرْمل والحنظل والعُشَر ذلكَ العامَ .

المنة على قريش ببعثة الرسول

الله ـ جل جلاله ـ يذكر حادثة الفيل ويمتن على قريش . قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تعالى محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال الله تبارك وتعالى : « ألم تَرَ كيفَ فعلَ ربُّك بأصحابِ الفيلِ . ألم يجعلْ كيدَهم فى تضليلٍ . وأرسلَ عليهم طيراً أبابيلَ . ترميهم بحجارةٍ من سِجِّيلٍ . فجعلهمْ كعصفٍ مأكولٍ » . وقال : « لإيلافِ قريشٍ إيلافِهم . رحلةَ الشتاءِ والصيفِ. فليعبدوا ربَّ هذا البيتِ . الذى أطعمهمْ من جوعٍ وآمنَهم من خوفٍ » . أى لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها ، لِمَا أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .

تفسير مفردات سورتىْ الفيل وقريش : قال ابن هشام : الأبابيل : الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه[3]، وأما السِّجِّيل، فأخبرنى يونس النحوى وأبو عُبيدة أنه عند العرب: الشديد الصلب ، قال رؤبة بن العجاج :

ومسَّهم ما مسَّ أصحابَ الفيلْ ترميهم حجارةٌ من سِجِّيلْ
ولعبت طيرٌ بهم أبابيل

---

(١) الأنملة : طرف الأصبع ، ولكن قد يعبر بها عن طرف غير الأصبع ، أى : ينتثر جسمه قطعة قطعة .

(٢) تمث : ترشح .

(٣) ذكر ابن هشام أنها لا واحد لها من لفظها ، وقال غيره : واحدها : إبّالة ، وإبول ، وزاد ابن عزيز : وإبِّيل .

وهذه الأبيات فى أرجوزة له .

ذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سنج وجِلّ يعنى بالسنج : الحجر . والجل : الطين ، يعنى الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين . والعصف : ورق الزرع الذى لم يُقصب ، وواحدته عَصْفة . قال : وأخبرنى أبو عبيدة النحوى أنه يقال له : العُصافة والعَصيفة . وأنشدنى لعلقمة بن عَبَدَة أحد بنى ربيعة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم :

تَسقى مَذانبَ قد مالت عصيفتُها حَدُورُها من أتىِّ الماءِ مَطمومُ(١)

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الراجز :

فصُيِّروا مِثْلَ كعصفٍ مأكولْ

قال ابن هشام : ولهذا البيت تفسير فى النحو (٢) .

وإيلاف قريش : إلفُهم الخروج إلى الشام فى تجارتهم ، وكانت لهم خَرْجتان : خرجة فى الشتاء ، وخرجة فى الصيف . أخبرنى أبو زيد الأنصارى : أن العرب تقول : ألِفت الشىء إلفا ، وآلفته إيلافا ، فى معنى واحد . وأنشدنى لذى الرُّمّة :

من المُؤْلِفاتِ الرملَ أدْماءُ حُرَّةٌ شعاعُ الضحَى فى لونها يتوضّحُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال مطرود بن كعب الخزاعى :

المنعِمين إذا النجومُ تغيرت والظاعنين لرحلةِ الإيلافِ

وهذا البيت فى أبيات له، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى . والإيلاف أيضاً : أن يكون للإنسان ألف من الإبل ، أو البقر ، أو الغنم ، أو غير ذلك . يقال : آلف فلان إيلافا . قال الكُميت بن زيد ، أحد بنى أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد :

---

(١) مذانب : مسايل . حدورها : ما انحدر منها ويروى جدورها : أى الحواجز التى تحبس الماء . والأتى : الماء يأتى من بعيد . والمطموم : الماء المرتفع .

(٢) تفسيره : أن الكاف تكون حرف جر ، وتكون اسما بمعنى مثل وهى هنا حرف . انظر ذلك مفصلا فى الروض الأنف للسهيلى بتحقيقنا جـ ١ ص ٧٥ .

بهام يقول له المؤلفو ن هذا المُعيم لنا المُرْجِل(١)

وهذا البيت فى قصيدة له . والإيلاف أيضاً : أن يصير القوم ألفا ، يقال آلف القوم إيلافا . قال الكميت بن زيد :

وآل مُزَيقياء غداة لاقَوْا بنى سعد بن ضبة مؤلفينا

وهذا البيت فى قصيدة له . والإيلاف أيضاً : أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه، يقال : آلفته إياه إيلافا . والإيلاف أيضا : أن تصير مادون الألف ألفا ، يقال : آلفته إيلافا .

مصير قائد الفيل وسائسه : قال ابن إسحاق : حدثني عبدالله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : « لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس » .

ما قيل فى قصة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق : فلما رد الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة ، أعظمت العرب قريشا ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونة عدوهم ، فقالوا فى ذلك أشعارا يذكرون فيها ماصنع الله بالحبشة ، وما رد عن قريش من كيدهم .

شعر عبدالله بن الزبعرى : فقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى بن عدى بن قيس بن عدى ابن سُعيد(٢) بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر :

تَنَكَّلوا عن بطن مكة ، إنها كانت قديما لايُرام حريمها
لم تخلق الشِّعرى ليالى حُرِّمت إذ لا عزيز من الأنام يرومها

(١) المؤلفون : جمع مؤلف . والمؤلف صاحب الآلاف من الإبل . والمعيم : من العيمة أى تجعل تلك السنة صاحب الآلاف من الإبل يعام (يشتاق) إلى اللبن . وترجله . فيمشى راجلا ، لجفف الدواب وهزالها .

(٢) نسب ابن إسحاق عبدالله بن الزبعرى إلى عدى بن سعيد بن سهم . والصواب : سعد بن سهم ، وإنما سُعيد : أخو سعد .

سائلْ أميرَ الجيشِ عنها ما رأى ... ولسوفَ يُنبي الجاهلين عليمُها
ستون ألفا لم يئُوبوا أرضَهم ... ولم يَعِشْ بعدَ الإيابِ سقيمُها
كانت بها عادٌ وجُرْهُمُ قبلَهم ... واللهُ من فوقِ العبادِ يقيمُها

قال ابن إسحاق : يعنى ابنُ الزِّبَعْرَى بقوله :

. . . بعد الإياب سقيمها

أبرهة ، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه ، حتى مات بصنعاء .

شعر ابن الأسلت: وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ثم الخَطْمِىّ ، واسمه : صيفى .
قال ابن هشام : أبو قيس : صيفىُّ بن الأسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة ابن مالك بن الأوس :

ومن صُنْعِه يومَ فيلِ الحبُو ... شِ إذ كلما بعثوه رَزَمْ(١)
محاجِنُهم تحتَ أقرابِه ... وقد شرَّموا أنفَه فانخرمْ(٢)
وقد جعلوا سوْطَه مِغْوَلاً ... إذا يمموه قفاهُ كُلِمْ(٣)
فوَلَّى وأدبرَ أدراجَهُ ... وقد باءَ بالظلمِ من كان ثَمْ
فأرسلَ من فوقِهم حاصِباً ... فلفَّهمُ مِثْلَ لفِّ القُزُمْ(٤)
تَحُضُّ على الصبرِ أحبارُهم ... وقد ثأجُوا كثُؤاجِ الغَنَمْ(٥)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له . والقصيدة أيضا تروى لأمية بن أبى الصلت .
قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس بن الأسلت :

---

(١) رزم : ثبت فى مكانه ولزمه لا يبرحه .
(٢) المحاجن : جمع محجن . عصا معوجة . والأقراب : جمع قرب . الخصر . شرموا أنفه : شقوه .
(٣) المغول : سكين كبير . وكلم : جرح .
(٤) القزم : صغار الغنم ، ويقال : رذال المال .
(٥) ثأج : صاح .

فقوموا فصلُّوا ربَّكم ، وتمسَّحوا ... بأركانِ هذا البيتِ بين الأخاشبِ[1]
فعندكم منه بلاءٌ مُصَدَّق ... غداةَ أبى يكسُومَ هادى الكتائبِ
كتيبتُه بالسهلِ تُمسى ورَجْلُه ... على القاذفات فى رءوس المناقب[2]
فلما أتاكم نصرُ ذى العرشِ ردهم ... جنودُ المليك بين سافٍ وحاصبِ[3]
فولَّوا سِراعا هاربين ولم يَؤُبْ ... إلى أهله ملْحبْش غيرُ عصائبِ[4]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى قوله :

على القاذفات فى رءوس المناقب

وهذه الأبيات فى قصيدة لأبى قيس ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله . وقوله : « غداة أبى يكسوم » : يعنى : أبرهة ، كان يُكنى أبا يكسوم .

شعر طالب بن أبى طالب : قال ابن إسحاق: وقال طالب[5] بن أبى طالب بن عبدالمطلب :

ألم تعلموا ما كانَ فى حربِ داحسٍ ... وجيشِ أبى يكْسُوم إذ مَلئوا الشِّعْبا[6]
فلولا دفاعُ الله لا شىء غيرُه ... لأصبحتم لا تمنعون لكم سَربا[7]

قال ابن هشام . وهذان البيتان فى قصيدة له فى يوم بدر ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

---

(١) صلوا : ادعوا . والأخاشب : جبال مكة

(٢) القاذفات : أعالى الجبال . والمناقب : الطرق فى رءوس الجبال

(٣) الساف : الذى غطاه التراب . والحاصب : الذى أصيب بالحجارة

(٤) ملحبش : أى من الحبش . والعصائب : الجماعات .

(٥) أكبر أولاد أبى طالب وهو أسن من عقيل بعشرة أعوام . وعقيل أسن من جعفر بعشرة أعوام وجعفر أسن من على — رضى الله عنه — بعشرة أعوام . ولم يذكر أنه أسلم .

(٦) داحس : الفرس الشهيرة التى كانت حرب داحس والغبراء بسببها . والشعب : الطريق فى الجبل .

(٧) السَّرب بفتح السين المال الراعى ، وبالكسر : القطيع من البقر والظباء ، ومن النساء أيضا .

شعر أبي الصلت الثقفي . قال ابن إسحاق : وقال أبو الصلت[1] بن أبي ربيعة الثقفي في شأن الفيل ، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام . قال ابن هشام : تروى لأمية بن أبي الصلت ابن أبي ربيعة الثقفي :

إن آياتِ ربِّنا ثاقباتٌ لا يُمارِي فيهنّ إلا الكفورُ
خلق الليلَ والنهارَ فكلٌّ مُستبين حسابُهُ مقدورُ
ثم يجلو النهارَ ربٌّ رحيم بمَهاةٍ شعاعُها منشور[2]
حُبِس الفيلُ بالمغمس ، حتى ظل يحبو كأنه معقور
لازمًا حَلْقة الجِران كما قُطِّـ ـر من صخرِ كَبكَب محدُور[3]
حولَه من ملوكِ كِنْدةَ أبطا لٌ ملاويثُ في الحروب صُقور
خلّفوه ثم ابذعَرُّوا جميعاً كلُّهم عَظم ساقِه مكسور
كلُّ دينٍ يومَ القيامةِ عندَ الـ ـله إلا دينَ الحَنيفةِ بورُ[4]

شعر الفرزدق : قال ابن هشام : وقال الفرزدق – واسمه همّام بن غالب أحد بني مُجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم – يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ، ويهجو الحجاج بن يوسف ، ويذكر الفيل وجيشه :

---

(١) واسم أبي الصلت : ربيعة بن وهب بن علاج

(٢) المهاة : اسم من أسماء الشمس ؛ سميت بذلك لصفائها . والمها من الأجسام : الصافي الذي يُرى باطنه من ظاهره . والمهاة : البلورة . والمهاة : الظبية .

(٣) الجران : العنق . وقطّر : رمى على قطره وهو الجانب . وكبكب : اسم جبل . والمحدور : الذي حدر من جبل أي وقع .

(٤) الحنيفة : يريد الأمة الحنيفة أي المسلمة التي على دين إبراهيم الحنيف – صلى الله عليه وسلم – وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية ، أي : عدل عنهما . فسمي حنيفاً . أو حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه .

فلما طغى الحجاجُ حين طغى به غِنىً قال : إنى مُرتقٍ فى السلالِم[1]

فكان كما قال ابنُ نوحٍ : سأرتقى إلى جبلٍ من خَشيةِ الماءِ عاصِمِ[2]

رمى اللهُ فى جثمانه مثلَ ما رمى عن القبلةِ البيضاءِ ذاتِ المحارمِ

جنودا تسوقُ الفيلَ حتى أعادهم هباءً،وكانوا مُطْرخِمّى الطراخِم[3]

نُصرتَ كنصرِ البيتِ إذ ساقَ فيلَه إليه عظيمُ المشركين الأعاجمِ

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

شعر ابن قيس الرقيات : قال ابن هشام : وقال عبد الله بن قَيْس الرُّقَيّات ، أحد بنى عامر بن لؤى بن غالب يذكر أبرهة — وهو الأشرم — والفيل :

كاده الأشرمُ الذى جاء بالفيـ ـلِ فولى وجيشُه مهزومُ

واستهلت عليهم الطيرُ بالجنـ ـدَلِ حتى كأنه مرجوم[4]

ذاك من يغزُه من الناسِ يرجِعْ ، وهو فَلٌّ من الجيوشِ ذميم[5]

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

ولدا أبرهة : قال ابن إسحاق : فلما هلك أبرهة، ملك الحبشة ابنه يَكْسوم بن أبرهة، وبه كان يُكنى ، فلما هلك يكسوم بن أبرهة ، ملك اليمن فى الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة .

---

(١) غنى : أى استغناء .

(٢) ابن نوح : واسمه : يام . وقيل : كنعان .

(٣) المطرخم : الممتلىء كبرا . والطراخم : جمع المطرخم .

(٤) قوله : « حتى كأنه مرجوم » وهو قد رجم ، فكيف شبهه بالمرجوم وهو مرجوم بالحجارة، وهل يجوز أن يقال فى مقتول : كأنه مقتول؟ فنقول : لما ذكر استهلال الطير، وجعلها كالسحاب يستهل بالمطر ، والمطر ليس برجم، وإنما الرجم بالأكف ونحوها ، شبهه بالمرجوم الذى يرجمه الآدميون ، أو من يعقل ويتعمد الرجم من عدو ونحوه ، فعند ذلك يكون المقتول بالحجارة مرجوما على الحقيقة ، ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك ، وإنما أمطروا حجارة فمن ثم قال : كأنه مرجوم . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٨١ .

(٥) الفل : المنهزم .

خروج سيف بن ذى يزن وملك وهرز على اليمن

سيف يشكو لقيصر : فلما طال البلاء على أهل اليمن، خرج سيف بن ذى يزن الحميرى[١] وكان يكنى بأبى مُرة ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا إليه ما هم فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه، ويليهم هو ، ويبعث إليهم من شاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِه .

النعمان يشفع لسيف عند كسرى : فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر[٢] ـ وهو عامل كسرى[٣] على الحيرة ، وما يليها من أرض العراق ـ فشكا إليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى وفادة فى كل عام . فأقم حتى يكون ذلك ، ففعل ، ثم خرج معه فأدخله على كسرى، وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه، وكان تاجه مثل القَنْقَل العظيم[٤]

---

(١) وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أصبَح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمَن بن الهميسع بن العرنجج وهو : حمير بن سبأ .

(٢) النعمان : اسم منقول من النعمان الذى هو الدم .

(٣) وكسرى هذا هو : أنو شروان بن قُبَاذ ، ومعناه مجدد الملك . لأنه جمع ملك فارس بعد شتات .

(٤) القَنْقَل الذى شبه به التاج هو مكيال عظيم . قال الراجز يصف الكمأة :

مالك لا تجرفها بالقنقل　　　لا خير فى الكمأة إن لم تفعل

وفى الغريبين للهروى: القنقل: مكيال يسع ثلاثة وثلاثين منّاً ، والمن وزن رطلين ، وهذا التاج قد أتى به عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين استُلب من يزدجرد بن شهريار ، وتصيَّر إليه من قِبل جده أنو شروان المذكور ، فلما أُتى به عمر رضى الله عنه ، دعا سراقة بن مالك المُدْلِجى ، فحلاه بأسورة كسرى ، وجعل التاج على رأسه ؛ وقال له : « قل : الحمد لله الذى نزع تاج كسرى ، ملك الأملاك من رأسه ، ووضعه فى رأس أعرابى من بنى مدلج » وذلك بعز الإسلام وبركته لا بقوتنا ، وإنما خص عمر سراقة بهذا ؛ لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان قال له : « يا سُراقُ كيف بك إذا وُضع تاج كسرى على رأسك وإسواره فى يديك » أو كما قال ـ صلى الله عليه وسلم .

ـ فيابزعون ـ يُضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة، معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك، وكانت عنقه لا تحمل تاجه، إنما يُستَر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك، ثم يدخل رأسه في تاجه، فإذا استوى في مجلسه كُشفت عنه الثياب، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك، إلا برك هيبة له، فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك.

معاونة كسرى لسيف: قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة: أن سيفا لما دخل عليه طأطأ رأسه، فقال الملك: إن هذا الأحمق يدخل على من هذا الباب الطويل، ثم يطأطىء رأسه؟! فقيل ذلك لسيف، فقال: إنما فعلت هذا لهمّي، لأنه يضيق عنه كل شيء.

قال ابن إسحاق: ثم قال له: أيها الملك، غلبتنا على بلادنا الأغربة، فقال له كسرى: أي الأغربة: الحبشة أم السند؟ فقال: بل الحبشة، فجئتك لتنصرني، ويكون ملك بلادي لك، قال: بعدت بلادك مع قلة خيرها، فلم أكن لأورّط جيشا من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف، وكساه كُسوة حسنة، فلما قبض ذلك منه سيف خرج، فجعل ينثر ذلك الوَرِقَ للناس، فبلّغ ذلك الملك، فقال: إن لهذا لشأنا، ثم بعث إليه، فقال: عمدْت إلى حباء الملك تنثره للناس، فقال: وما أصنع بهذا؟ ما جبال أرضي التي جئت منها إلا ذهب وفضة ـ يرغّبه فيها ـ فجمع كسرى مَرازبته [1]، فقال لهم: ماذا ترَوْن في أمر هذا الرجل، وما جاء له؟ فقال قائل: أيها الملك، إن في سجونك رجالا قد حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم، وإن ظفروا كان ملكا ازددته، فبعث معه كسرى من كان في سجونه، وكانوا ثمانمائة رجل.

انتصار سيف: واستعمل عليهم رجلا يقال له وَهْرِز، وكان ذا سِنٍّ فيهم، وأفضلهم حسبا وبيتا، فخرجوا في ثمان سفائن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن [2]، فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه، وقال له: رِجلي مع رِجلك حتى نموت جميعاً، أو نظفر جميعاً. قال له وهرز: أنصفت. وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن، وجمع إليه جنده، فأرسل إليهم وهرز ابنا له؛ ليقاتلهم، فيختبر قتالهم، فقُتل ابن وهرز، فزاده ذلك

---

(١) مرازبته: وزراؤه.

(٢) وذكر ابن قتيبة أنهم كانوا سبعة آلاف وخمسمائة، وانضافت إليهم قبائل من العرب.

حنقا عليهم . فلما تواقف الناس على مَصَافّهم ، قال وَهْرِز : أرونى ملكهم ، فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقداً تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ؟ قال : نعم ، قالوا : ذاك ملكهم ، فقال : اتركوه ، قال : فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على الفرس ، قال : اتركوه . فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة . قال وهرز : بنت الحمار؟! ذلّ وذل ملكه ، إنى سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا ، فاثبتوا حتى أوذنكم ، فإنى قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به ، فقد أصبتُ الرجل ، فاحملوا عليهم . ثم وتّر قوسه ، وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها ، وأمر بحاجبيه ، فعُصبا له ، ثم رماه ، فصك الياقوتة التى بين عينيه ، فتغلغلت النُّشَّابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونُكِس عن دابته ، واستدارت الحبشة ولاثت به ، وحملت عليهم الفرس ، وانهزموا ، فقُتلوا وهربوا فى كل وجه ، وأقبل وهرز ، ليدخل صنعاء [1] ، حتى إذا أتى بابها ، قال : لا تدخل رايتى منكسة أبدا ، اهدموا الباب ، فهدم ، ثم دخلها ناصبا رايته .

شعر سيف بن ذى يزن فى هذه القصة : فقال سيف بن ذى يزن الحميرى :

يظن الناسُ بالملكيْـ ... ـنِ أنهما قد التأما [2]

---

(١) وإنما كانت تسمى قبل ذلك أوال بفتح الهمزة وكسرها .

قال ابن الكلبى : وسميت : صنعاء لقول وهرز حين دخلها . صَنْعة صنعة ، يريد أن الحبشة أحكمت صنعها ، قال ابن مقبل يذكر أوال :

عمد الحُداة بها لعارض قرية ... وكأنها سفن بسيف أوال

وقال جرير :

وشبهت الحدوج غداة قَوٍّ ... سفين الهند رَوَّح من أوالا

وقال الأخطل :

خوص كأن شكيمهن معلق ... بقنا ردينة ، أو جذوع أوال

وقد قيل إن صنعاء اسم الذى بناها ، وهو : صنعاء بن أوال بن عبير بن عابر بن شالخ ، فكانت تعرف تارة بأوال ، وتارة بصنعاء .

(٢) التأما : اصطلحا .

ومن يسمعْ بلأيهما فإن الخطبَ قد فَقُمَا(١)
قتلنا القَيْلَ مسروقا ووَرَّثنا الكثيبَ دَمَا(٢)
وإن القَيْلَ قيل النا س وَهْرِزَ مُقسم قسما
يذوق مُشعشعاً حتى يُفِيءَ السبيَ والنَّعَما(٣)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له . وأنشدنى خَلَّاد بن قُرَّة السَّدُوسى آخرها بيتا لأعشى بنى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له ، وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له .

شعر أبي الصلت : قال ابن إسحاق . وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى ، قال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبى الصلت :

ليطلبِ الوِترَ أمثالُ ابنِ ذى يزنٍ ريَّمَ فى البحرِ للأعداءِ أحوالا(٤)
يممَ قيصرَ لما حان رحلتُه فلم يجدْ عنده بعضَ الذى سالا
ثم انثَنى نحوَ كِسرى بعد عاشرةٍ من السنينَ يُهين النفسَ والمالا
حتى أتَى ببنى الأحرار يحملهم إنك عمرى لقد أسرعت قلقالا(٥)
لله دَرُّهمُ من عُصبةٍ خرجوا ما إن أرى لهمُ فى الناسِ أمثالا

---

(١) فقم : ازداد واشتد (٢) القيل : الملك (٣) المشعشع : الخمر الممزوجة بالماء .

(٤) ريَّم فى البحر . أى : أقام فيه ، ومنه الروايم ، وهى الأثافى ، كذلك وجدته فى حاشية الشيخ التى عارضها بكتابى (أبى الوليد الوقشى) ، وهو عندى غلط ، لأن الروايم من رأمت إذا عطفت ، وريَّم ليس من رأم ، وإنما هو من الريم ، وهو الدرج ، أو من الريم الذى هو الزيادة والفضل ، أو من رام يريم إذا برح ، كأنه يريد : غاب زمانا وأحوالا ، ثم رجع للأعداء ، وارتقى فى درجات المجد أحوالا إن كان من الرَّيم الذى هو الدرج ، ووجدته فى غير هذا الكتاب : خيَّم مكان ريم ؛ فهذا معناه : أقام . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ٨٤

(٥) عمرى . أراد : لعمرى وقد قال الطائى :

عمرى لقد نصح الزمانُ ؛ وإنه لمن العجائب ناصح لا يشفق

وأسرعت قلقالا بفتح القاف وكسرها ، وكقول الآخر : «وقلقل يبغى العز كل مقلقل» وهى شدة الحركة .

بيضاً مرازبة ، غُلْباً أساورة ... أُسداً تربَّبُ فى الغيضاتِ أشبالا(١)
يرمون عن شُدُفٍ كأنها غُبُط ... بزمْخرٍ يُعجِل المرىّ إعجالا(٢)
أرسلت أُسداً على سودِ الكلابِ فقد ... أضحى شريدُهمُ فى الأرضِ فُلَّالا
فاشربْ هنيئا عليك التاجُ مرتفقاً ... فى رأس غُمدانَ داراً منكَ محلالا(٣)
واشرب هنيئا فقد شالتْ نعامتُهم ... وأسْبِلِ اليومَ فى بُرديكَ إسبالا(٤)
تلك المكارمُ لاقعبانِ من لبن ... شِيبَا بماءٍ فعادَا بَعدُ أبوالا

قال ابن هشام : هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها ، إلا آخرها بيتا قوله :

تلك المكارم لا قعبان من لبن

فإنه للنابغة الجعدى . واسمه : حِبّان بن عبد الله بن قيس(٥) ، أحد بنى جعدة بن كعب

---

(١) غلبا : شدادا . والأساورة : الرماة . والغيضات : جمع غيضة الشجر الكثير الملتف .

(٢) « يرمون عن شُدُف كأنها غبط » الشدَف : الشخص ، ويجمع على شُدُف ، ولم يرد هنا إلا القسى ، وليس شدُف جمعا لشدَف ، وإنما هو جمع شدوف ، وهو النشيط المرح يقال : شدف ، فهو شدف ، ثم تقول : شدوف ، كما تقول مروح ، وقد يستعار المرح والنشاط للقسى لحسن تأتيها وجودة رميها وإصابتها ، فيرمون عن شدف أى : يدفعون عنها بالرمى ، ويكون الزمخر : القسى ، أو النبل . والغبط : الهوادج ، والزمخر : القصب الفارسى .

(٣) غمدان أسسه : يعرب بن قحطان ، وأكمله بعده ، واحتله : وائل بن حمير بن سبأ ، وكان ملكا متوجا كأبيه وجده .

(٤) شالت نعامتهم ، أى : هلكوا ، والنعامة : باطن القدم ، وشالت : ارتفعت ، ومن هلك ارتفعت رجلاه ، وانتكس رأسه ، فظهرت نعامة قدمه . تقول العرب : تَنَعَّمْتَ إذا مشيت حافياً ، قال الشاعر :

تنعمت لما جاءنى سوء فعلهم ... ألا إنما البأساء للمتنعم

(٥) ويروى أن اسمه : قيس بن عبد الله ، وقيل إن اسمه : حبان بن قيس بن عبد الله ابن وحْوَح ، والوحوح فى اللغة : وسط الوادى ، قاله أبو عبيد وأبو حنيفة ، وهو أحد النوابغ ، وهم ثمانية ذكرهم البكرى . والنابغة شاعر معمر عاش مائتين وأربعين سنة أكثرها فى الجاهلية ، وقدومه على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإنشاده إياه ، ودعاء النبى — صلى الله عليه وسلم — ألا يَفْضُضَّ الله فاه مشهور .

ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فى قصيدة له .

شعر عدى بن زيد : قال ابن إسحاق : وقال عدىّ بن زيد الحِميرىّ ، وكان أحد بنى تميم . قال ابن هشام : ثم أحد بنى امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، ويقال : عدى من العِباد من أهل الحيرة (١) :

ما بعد صنعاءَ كان يعمرُها ... ولاةُ مُلكٍ جَزْلٍ مواهبُها
رفعها من بنى لدى قَزَعِ الـــمُزنِ وتندَى مِسكا محاربُها (٢)
محفوفة بالجبالِ دونَ عُرَى الـــكائدِ ما ترتَقَى غواربُها (٣)
يأنس فيها صوتُ النُّهامِ إذا ... جاوبها بالعشىّ قاصبُها (٤)
ساقت إليه الأسبابُ جندَ بنى الـ ... أحرارِ فرسانُها مواكبُها

---

(١) العِباد ، وهم من عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، قيل : إنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح ، وعبد كُلال ، وعبد الله ، وعبد ياليل ، وكذلك سائرهم فى اسم كل واحد منهم : عبد ، وكانوا قدموا على ملك فتسموا له ، فقال : أنتم العباد فسموا بذلك ، وقد قيل غير هذا . وفى الحديث المسند : أبعد الناس عن الإسلام الروم والعباد ، وأحسبهم هؤلاء ؛ لأنهم تنصروا ، وهم من ربيعة ، ثم من بنى عبدالقيس ؛ والله أعلم . والذى ذكره الطبرى فى نسب عدى بن زيد أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر ابن عُصَيّة بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم . وقد دخل بنو امرىء القيس بن زيد مناة فى العباد . فلذلك ينسب عدى إليهم .

(٢) قزع المزن : السحاب المتفرق .

(٣) دون عُرى الكائد ، يريد : عرى السماء وأسبابها ، ووقع فى نسخة أخرى : عَرى بفتح العين ، وهى الناحية ، وأضافها إلى الكائد ، وهو الذى كادهم ، والبارى — سبحانه وتعالى — كيده متين .

(٤) صوت النهام ، يريد ذكر البوم ، وقاصبها : الذى يزمر فى القصب .

وفَوَّزت بالبغال توسّق بالـسحتف وتسعَى بها توالبُها(١)
حتى رآها الأقوالُ من طرفِ الـمَنْقَل مخضرةً كتائبُها(٢)
يومَ يُنادون آلَ بربرَ والـيكْسومَ لا يُفلحنّ هاربُها(٣)
وكان يوم باقى الحديثِ وزَا لتْ إمّة ثابت مراتبها(٤)
وبُدل الفيْجُ بالزرافةِ والأيا مُ جُون جَمٌّ عجائبها(٥)
بعدَ بنى تُبّعٍ نخاورةٍ قد اطمأنت بها مرازبُها(٦)

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له. وأنشدنى أبو زيد الأنصارى. ورواه لى عن المفضل الضبى، قوله:

يوم ينادون آل بربر واليكسوم

---

(١) فَوَّزَت بالبغال أى: ركبت المفاوز. تُوسق بالحتف، أى: أوسق البغال الحتوف، وتوالبها: جمع تولب، وهو ولد الحمار، والتاء فى تولب بدل من واو، كما هى فى توءم وتولج وفى توراة على أحد القولين، لأن اشتقاق التولب من الوالبة، وهى ما يولده الزرع، وجمعها: أوالب.

(٢) من طرف الـمَنْقَل أى: من أعالى حصونها، والمنقال: المخرج ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية، فكأن المنقل من هذا، والله أعلم. مخضرة كتائبها. يعنى من الحديد، ومنه الكتيبة الخضراء.

(٣) ينادون آل بربر؛ لأن البربر والحبشة من ولد حام. وقد قيل إنهم من ولد جالوت من العماليق.

وقد قيل فى جالوت إنه من الخزر، وإن أفريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بربرة، وهى اختلاط الأصوات، فقال، ما أكثر بربرتهم! فسموا بذلك، وقيل غير هذا.

(٤) الإمة: النعمة.

(٥) الفيج: المنفرد فى مشيته، والزرافة الجماعة من الناس.

(٦) النخاورة: الكرام. والمرازبة: الوزراء.

وهذا الذى عنى سطيح بقوله : « يليه إرم ذى يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن » ، والذى عنى شق بقوله : « غلام ليس بدنى ولا مُدْن ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن » .

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

مدة ملك الحبشة باليمن : قال ابن إسحاق : فأقام وهرز والفُرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس : الأبناء الذين باليمن اليوم . وكان ملك الحبشة باليمن ، فيما بين أن دخلها أرْياط إلى أن قتلت الفرس مسروقَ بن أبرهة وأخرجت الحبشة، اثنتين وسبعين سنة، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة .

أمراء الفرس باليمن : قال ابن هشام : ثم مات وهرز ، فأمّر كسرى[1] ابنه المرْزُبان بن وهرز على اليمن ، ثم مات المَرْزُبان ، فأمّر كسرى ابنه التَّيْنُجان بن المرزبان على اليمن ، ثم مات التينجان ، فأمّر كسرى ابنَ التينُجان على اليمن ، ثم عزله وأمّر باذان ، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمداً النبىّ — صلى الله عليه وسلم .

محمد (ص) ينبأ بموت كسرى : فبلغنى عن الزهرى أنه قال : كتب كسرى إلى باذان : أنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة ، يزعم أنه نبى . فسِر

---

(١) كسرى هذا هو : أبرويز بن هرمز بن أنو شروان ، ومعنى أبرويز بالعربية : المظفَّر ، وهو الذى غلب الروم حين أنزل الله : « ألم . غُلبت الروم فى أدنَى الأرضِ » ، وهو الذى عُرض على الله فى المنام ، فقال له : سلم ما فى يديك إلى صاحب الهراوة ، فلم يزل مذعوراً من ذلك ، حتى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور — النبي صلى الله عليه وسلم — بتهامة ؛ فعلم أن الأمر سيصير إليه ، حتى كان من أمره ما كان ، وهو الذى كتب إليه النبي — صلى الله عليه وسلم — وحفيده : يزدجرد بن شهريار بن أبرويز، وهو آخر ملوك الفرس ، وكان سُلِب ملكه ، وهدم سلطانه على يدىّ عمر بن الخطاب ، ثم قتل هو فى أول خلافة عثمان، وجد مستخفياً فى رحى فقتل وطرح فى قناة الرحى . وذلك بمرو من أرض فارس .

إليه فاستتبه ، فإن تاب ، وإلا فابعث إلىّ برأسه، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكتب إليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا من شهر كذا»[1] فلما أتى باذانَ الكتابُ توقف لينظر ، وقال : إن كان نبياً ، فسيكون ما قال ، فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال ابن هشام : قتل على يدى ابنه شيرويه؛ وقال خالد بن حِقّ الشيبانى :

وكسرى إذ تقسمه بنوه ... بأسيافٍ كما اقتسم اللحامُ
تمخضت المنونُ له بيومٍ ... أنَىَ ، ولِكلِّ حاملةٍ تمام[2]

إسلام باذان : قال الزهرى : فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه ، وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت الرسل من الفرس لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى من نحن يارسول الله ؟ قال : « أنتم منا وإلينا أهل البيت » .

قال ابن هشام : فبلغنى عن الزهرى أنه قال : فمن ثَمّ قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت » .

قال ابن هشام : فهو الذى عنى سطيح بقوله : « نبى زكى ، يأتيه الوحى من قبل العلى » . والذى عنى شق بقوله : « بل ينقطع برسول مُرسَل، يأتى بالحق والعدل، من أهل الدين والفضل، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل » .

---

(١) وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ، وأسلم باذان باليمن فى سنة عشر . وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبناء الفرس الذين استوطنوا اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، فمن الأبناء : وهب بن مُنَبِّه بن سَيْج ابن ذُكبار ، وطاووس وذادَوَيه وفيروز اللذان قتلا الأسودَ العنسى الكذاب ، وقد قيل فى طاووس : إنه ليس من الأبناء ، وإنه من حمير ، وقد قيل : من فارس ، واسمه : ذكوان بن كيسان؛ وهو مولى بحير بن ريسان ؛ وقد قيل : مولى الجَعْد . وكان يقال له : طاووس القراء لجماله .

(٢) تمخضت : حملت. والمنون : المنية ؛ وهو أيضاً من أسماء الدهر ، وهو من مننت الحبل إذا قطعته ، وأنَى : أى حان .

كتاب الحجر الذي في اليمن : قال ابن إسحاق : وكان في حَجَر باليمن – فيما يزعمون – كتاب بالزَّبور كتب في الزمان الأول : «لمن مُلْك ذِمار(١) ؟ لحِمْير الأخيار(٢)، لمن مُلك ذِمار؟ للحبشة الأشرار(٣)، لمن ملك ذِمار؟ لفارس الأحرار(٤)، لمن ملك ذِمار؟ لقريش التجار» .

وذمار : اليمن أو صنعاء . قال ابن هشام : ذمار : بالفتح ، فيما أخبرني يونس .

الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح : قال ابن إسحاق : وقال الأعشى — أعشى بني قيس ابن ثعلبة في وقوع ما قال سطيح وصاحبه :

ما نظرتْ ذاتُ أشفارٍ(٥) كنظرتها ... حقا كما صدّق الذئبيُّ إذ سَجَعا

وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبي؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب .

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له .

---

(١) حكى ابن هشام عن يونس ذَمار بفتح الذال، فدل على أن رواية ابن إسحاق بالكسر، فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف ؛ لأنه اسم لمدينة، والغالب عليه التأنيث، ويجوز صرفه أيضا ؛ لأنه اسم بلد ، وإذا افتحت الذال ؛ فهو مبني مثل : رقاش وحذام .

(٢) وقوله : لحمير الأخيار ؛ لأنهم كانوا أهل دين، كما تقدم في حديث فيميون وابن الثامر .

(٣) وأما قوله للحبشة الأشرار : فلما أحدثوا في اليمن من العيث والفساد وإخراب البلاد، حتى هموا بهدم بيت الله الحرام ، وسيهدمونه في آخر الزمان إذا رُفع القرآن ؛ وذهب من الصدور الإيمان. يشير بذلك إلى حديث : «اتركوا الحبشة ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة» . وقد رواه أبو داود بسند ضعيف .

(٤) وقوله : لفارس الأحرار؛ فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت، فيزعمهم إلى أن جاء الإسلام ، لم يدينوا الملك من غيرهم، ولا أدوا الإتاوة لذي سلطان من سواهم . فكانوا أحراراً لذلك .

(٥) يريد : زرقاء اليمامة ، وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام ، وقبل البيت :

قالت : أرى رجلا في كفه كتِف ... أو يخصف النعل لهفي أيّة صنعا

فكذبوها بما قالت ، فصبّحهم ... ذو آل حسان يزجي الموتَ والسلعا

قصة ملك الحضر

قال ابن هشام : وحدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي عن جناد ، أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب : أنه يقال : إن النعمان بن المنذر من ولد ساطرون[1] ملك الحضر.
والحضر : حصن عظيم كالمدينة ، كان على شاطئ الفرات ، وهو الذي ذكر عدي بن زيد في قوله :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلساً فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فبان الملك عنه فبابه مهجور

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .
والذي ذكره أبو دواد الإيادي[2] في قوله :

وأرى الموت قد تدلى من الحضر على رب أهله الساطرون[3]

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : إنها لخلف الأحمر ، ويقال : لحماد الراوية .

سابور يستولي على الحضر : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون ملك الحضر ، فحصره سنتين ، فأشرفت بنت ساطرون[4] يوماً ، فنظرت إلى سابور ، وعليه ثياب ديباج ، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلاً ، فدست إليه : أتتزوجني

---

(١) الساطرون بالسريانية : هو الملك ، واسم الساطرون : الضيزن بن معاوية . قال الطبري : هو جرمقاني ، وقال ابن الكلبي : هو قضاعي من العرب الذين تنخوا بالسواد ؛ قسموا : تنوخ ، أي : أقاموا بها ، وهم قبائل شتى . ونسبه ابن الكلبي ، فقال : هو ابن معاوية ابن عبيد ، ووجدته بخط أبي بحر : عُبيد بضم العين بن أجرم من بني سليح بن حلوان ابن الحاف بن قضاعة ، وأمه : جيهلة ، وبها كان يعرف ، وهي أيضا قضاعية من بني تزيد الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية .

(٢) واسم أبي داود : جارية بن حجاج ، وقيل : حنظلة بن شرقي .

(٣) وبعد هذا البيت :

صرعته الأيام من بعد ملك ونعيم وجوهر مكنون

(٤) وتسمى النضيرة .

لمن فتحت لك باب الحضر ؟ فقال : نعم. فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر ، وكان لايبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه ، فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب، فدخل سابور ، فقتل ساطرون ، واستباح الحضر وخربه (١) ، وسار بها معه فتزوجها ، فبينا هي نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تتململ لا تنام ، فدعا لها بشمع ، ففتش فراشها ، فوجد عليه ورقة آس ؛ فقال لها سابور : أهذا الذي أسهرك ؟! قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لى الديباج ، ويلبسنى الحرير ، ويطعمنى المخ ، ويسقينى الخمر ، قال : أفكان جزاء أبيك ما صنعت به ؟! أنت إلىّ بذلك أسرع ، ثم أمر بها ، فربطت قرون رأسها بذنب فرس ، ثم ركض الفرس ، حتى قتلها(٢) ، ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

قول أعشى قيس فى قصة الحضر :

ألم ترَ الحضرَ إذ أهلُه ... بنُعْمَى ، وهل خالد مَن نَعِم
أقام به شاهَبورُ الجنو ... دَ حولين تَضربُ فيه القُدُم(٣)

(١) وقال المسعودى: دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء إلى الحضر ، فقطع لهم الماء ، ودخلوا منه .

وقال الطبرى : دلته على طلسم كان فى الحضر ، وكان فى علمهم أنه لايفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء، وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ، ثم ترسل الحمامة . فتنزل على سور الحضر، فيقع الطلسم ، فيفتح الحضر .

(٢) قال ابن إسحاق المستبيح للحضر سابور ذو الأكتاف . وجعله غير سابور بن أزدشير ابن بابك ، وقد تقدم أن أزدشير هو أول من جمع ملك فارس، وأذل ملوك الطوائف ، حتى دان الملك له ، والضيزن : كان من ملوك الطوائف ، فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذى الأكتاف ، وهو سابور بن هرمز ، وهو ذو الأكتاف ؛ لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل ، وبينهم ملوك مسمَّون فى كتب التاريخ ، وهم : هرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام الثالث ، ونرسى بن بهرام ، وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم .

(٣) شاهبور : معناه ابن الملك .

فلما دعا ربّه دعوة أناب إليه فلم ينتقم

وهذه الأبيات في قصيدة له .

قول عدي بن زيد : وقال عدى بن زيد فى ذلك :

والحضر صابت عليه داهية من فوقه أيّدٌ مناكبها(١)
رَبيّة لم تُوَقّ والدها لحيْنها إذ أضاعَ راقبها(٢)
إذ غبقته صهباء صافيةً والخمرُ وهْلٌ يهيم شاربها(٣)
فأسلمتْ أهلها بليلتها تظنُّ أن الرئيس خاطبها
فكان حظُّ العروس إذ جشَر الصبحُ دماءً تجرى سبائبها(٤)

---

(١) أيّد : شديدة .

(٢) رَبيّة لم تُوَقّ والدها . يحتمل أن تكون فعيلة من ربيت ، إلا أن القياس فى فعيلة بمعنى مفعولة أن تكون بغير هاء . ويحتمل أنه أراد معنى الربو والنماء ، لأنها رُبت فى نعمة فتكون بمعنى فاعلة ، ويكون البناء موافقاً القياس ، وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد : ربيئة بالهمز ، وسهل الهمزة فصارت ياء ، وجعلها ربيئة ؛ لأنها كانت طليعة حيث اطلعت ، حتى رأت سابور وجنوده ، ويقال للطليعة ذكراً كان أو أنثى : ربيئة ، ويقال له : رباء على وزن فعال وأنشدوا :

رباء شماء لا يأوى لقلتها — البيت

وقوله أضاع راقبها ، أى أضاع المرباة الذى يرقبها ويحرسها ، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أى : أضاعها حافظُها .

(٣) والخمر وَهْل . يقال : وهِل الرجل وهلا ووَهَلا إذا أراد شيئاً ، فذهب وهمه إلى غيره . ويقال فيه : وهم أيضا بفتح الهاء ، وأما وهم بالكسر ، فمعناه : غلط ، وأوهم بالألف معناه : أسقط .

(٤) جشر : ظهر ووضح . سبائبها : السبائب جمع : سبيبة ، وهى كالعمامة أو نحوها ، ومنه السّب وهو : الخمار .

وخَرَّبَ الحَضْرَ ، واستُبيح ، وقد أُحرِق فى خِدرِها مَشاجِبُها(١)

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

ذكر ولد نزار بن معد

قال ابن إسحاق : فولد نزار بن معد ثلاثة نفرار : مضر(٢) بن نزار ، وربيعة بن نزار ، وأنمار بن نزار .

قال ابن هشام : وإياد بن نزار . قال الحارث بن دوس الإيادى ، ويروى لأبى دُوَاد الإيادى ، واسمه : جارية بن الحجاج :

وفُتُوٌّ حَسَنٌ أوْجُهُهُم مِن إيادِ بنِ نزارِ بنِ مَعَدّ

وهذا البيت فى أبيات له .

فأم مضر وإياد : سَوْدَة بنت عَكّ بن عدنان . وأم ربيعة وأنمار : شُقَيقة بنت عَكّ ابن عدنان ، ويقال : جُمْعة بنت عَكّ بن عدنان .

أولاد أنمار : قال ابن إسحاق : فأنمار(٣) : أبو خثعم وبجيلة . قال جرير بن عبدالله البجلى

---

(١) مشاجبها . المشاجب : جمع مشجب ، وهو ماتعلق منه الثياب .

(٢) فأما مضر فقد تقدم ذكره فى عمود نسب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكرنا أنه أول من سن حُداء الإبل ، وسببه ـ فيما ذكروا ـ أنه سقط عن بعير ، فوثبت يده ، وكان أحسن الناس صوتاً ، فكان يمشى خلف الإبل ، ويقول : وايدياه وايدياه ، يترنم بذلك فأعنقت الإبل ، وذهب كلالها ، فكان ذلك أصل الحداء عند العرب ، وذلك أنها تنشط بحدائها الإبل ، فتسرع .

(٣) وأما أنمار فسمى : بالأنمار جمع نَمِر ، كما سموا بسباع وكلاب ، وأم بنيه : بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة وله له من غيرها أفتل وهو : خثعم ، وولدت له عبقر فى خمسة عشر ، سماهم أبو الفرج ، عنهم تناسلت قبائل بجيلة وهم : وداعة وخزيمة وصهيبة والحارث ومالك وشيبة وطريفة وفهثم والغوث وسهل وعبقر وأشهل . كلهم بنو أنمار ، ويقال : إن بجيلة حبشية حضنت أولاد أنمار الذين سمينا ، ولم تحضن أفتل ، وهو : خثعم . فلم يُنتسب إليها .

وكان سيد بجيلة ، وهو الذى يقول له القائل :

لولا جريرٌ هلكت بجيلهْ نِعْمَ الفتى ، وبئستِ القبيلهْ !! (١)

وهو ينافر (٢) الفُرافِصة (٣) الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمى :

يا أقرعُ بنُ حابسٍ يا أقرعُ إنك إن تَصْرع أخاك تُصرعُ (٤)

قال :

ابنَىْ نزارٍ انصُرا أخاكا إن أبى وجدتُه أباكا

لن يُغلب اليومَ أخ وَالاَكا

وقد تيامنت ، فلحقت باليمن .

قال ابن هشام: قالت اليمن : وبجيلة : أنمار بن إراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال : إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث . ودار بجيلة وخثعم : يمانية .

---

(١) قال لما سمع هذا : ما مُدح رجل هُجى قومه : وجرير هذا هو : ابن عبد الله بن جابر ، وهو ، الشُّلَيْل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن جذيمة .

(٢) ينافر : أى يحاكم . قال قاسم بن ثابت : لفظ المنافرة مأخوذ من النَّفْر ، وكانوا إذا تنازع الرجلان ، وادعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه ، تحاكموا إلى العلاَّمة، فمن فضَّل منهما قيل : نفره عليه أى : فضَّل نفره على نفرالآخر : فمن هذا أخذت المنافرة . وقال زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نِفار أو جَلاء

(٣) الفرافصة بالضم : اسم الأسد ، وبالفتح اسم الرجل ، وقد قيل : كل فُرافصة فى العرب بالضم إلا الفَرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح .

(٤) الأشهر فى الرواية : إن يُصرع أخوك ، وإنما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط ؛ لأنه فى نية التقديم عند سيبويه . وهو على إضمار الفاء عند المبرد .

ولدا مضر : قال ابن إسحاق : فولد مضر بن نزار رجلين : الياس بن مضر ، وعَيْلان (١) ابن مضر . قال ابن هشام : وأمهما : جُرْهُمية (٢) .

أولاد الياس : قال ابن إسحاق : فولد الياس بن مضر ثلاثة نفر : مُدركة بن الياس ، وطابخة بن الياس ، وقَمَعَة بن الياس ، وأمهم : خِنْدِف (٣) ، امرأة من اليمن .

قال ابن هشام : خِنْدِف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عمراً ، وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يرعيانها ، فاقتنصا صيداً ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعَدَتْ عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : أنت مدركة . وقال لعمرو : وأنت طابخة (٤) .

---

(١) وأما عَيْلان أخو الياس، فقد قيل : إنه قيس نفسه لا أبوه . وسمى بفرس له اسمه : عيلان ، وكان يجاوره قيس كُبَّة من بجيلة عرف بكبة اسم فرسه ، فَفُرِّق بينهما بهذه الإضافة ، وقيل : عيلان اسم كلب له .

(٢) وذكر ابن إسحاق أم الياس ، وقال فيها : امرأة من جُرهم ، ولم يسمها ، وليست من جرهم ، وإنما هى الرَّباب بنت حَيْدَة بن معد بن عدنان فيما ذكر الطبرى ، وقد قدمنا ذلك فى نسب النبى — صلى الله عليه وسلم .

(٣) وخِنْدِف التى عُرف بها بنو الياس . وهى التى ضربت الأمثال بحزنها على الياس ، وذلك أنها تركت بنيها ، وساحت فى الأرض تبكيه : حتى ماتت كمداً ، وكان مات يوم خميس ، وكانت إذا جاء الخميس بكت من أول النهار إلى آخره .

قال الزبير : وإنما نسب بنو الياس لأمهم ؛ لأنها حين تركتهم شغلا لحزنها على أبيهم ، رحمهم الناس فقالوا: هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم ، وهم صغار أيتام ، حتى عرفوا ببنى خندف .

(٤) وفى الخبر زيادة ، وهو أن الياس قال لأمهم — واسمها ليلى ، وأمها : ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار التى ينسب إليها : حِمَى ضرية ، وقد أقبلت تُخَنْدِف فى مشيتها : — مالك تخندفين ؟ فسميت : خندف ، والخندفة : سرعة فى مشى ؛ وقال لمدركة :

وأما قَمَعة فيزعم نساب مضر : أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَيّ بن قمعة بن الياس .

حديث عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب

عمرو بن لحي يجر قُصْبه في النار : قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم عن أبيه قال :

حُدثت أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « رأيت عمرو بن لُحَيّ يجر قُصْبه(١) في النار فسألته عمن بيني وبينه من الناس ، فقال : هلكوا » .

قال ابن إسحاق . وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة . قال ابن هشام : واسم أبي هريرة . عبدالله بن عامر ، ويقال اسمه : عبدالرحمن ابن صخر — يقول :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعي : « يا أكثم ، رأيت عمرو بن لحي بن قَمَعَة بن خِندف يجر قُصْبه في النار ، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ، ولا بك منه . فقال أكثم : عسى أن يضرني شبهه يا رسول الله ؟ قال : لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحّر البَحيرة(٢) وسيّب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحَمَى الحامي » .

= وأنت قد أدركتَ ماطلبتا

وقال لطابخة :

وأنت قد أنضجتَ ماطبختا

وقال لقَمَعة وهو عُمير :

وأنت قد قعدْتَ فانقمعتا

(١) قُصْبه : أمعاؤه .

(٢) وقد روى أيضاً أن أول من بحر البحيرة : رجل من بني مُدلج كانت له ناقتان ، فجدع آذانهما ، وحرم ألبانهما . قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « فرأيته في النار يخبطانه =

أصل عبادة الأصنام في أرض العرب : قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن عمرو ابن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره ، فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق — وهم ولد عملاق . ويقال : عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح — رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ماهذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها ، فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : أفلا تعطونني منها صنما ، فأسير به إلى أرض العرب ، فيعبدوه ؟ فأعطوه صنما يقال له : هُبَل ، فقدم به مكة ، فنصبه ، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه(١) .

سبب عبادة الأصنام : قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم ، حين ضاقت عليهم ، والتمسوا الفُسَح في البلاد ، إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه ، فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون مااستحسنوا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خلف الخُلوف ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيرَه ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ، وفيهم على

= بأخفافهما ، ويَمَصَّانه بأفواههما . وقال عليه السلام : « قد عرفت أول من سيَّب السائبة ، ونصب النصب : عمرو بن لحي رأيته يؤذي أهل النار بريح قُصْبه » رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر مرسلا .

(١) وكان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ، ونفت جرهم عن مكة ، قد جعلته العرب ربا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ؛ لأنه كان يطعم الناس ، ويكسو في الموسم ، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة ، وكسا عشرة آلاف حلة ، حتى ليقال : إن اللاتَّ الذي يلت السويق للحجيج على صخرة معروفة تسمى : صخرة اللات ؛ ويقال إن الذي يلت كان من ثقيف ، فلما مات قال لهم عمرو ، إنه لم يمت ، ولكن دخل في الصخرة ؛ ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بيتا يسمى : اللات ؛ ويقال : دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة ؛ فلما هلك سميت تلك الصخرة : اللات مخففة التاء ، واتخذ صنما يُعبد ، وقد ذكر ابن إسحاق : أنه أول من أدخل الأصنام الحرم ، وحمل الناس على عبادتها .

ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها : من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة، والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهَدْى البُدْن ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك » . فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ، ويجعلون ملكها بيده . يقول الله تبارك وتعالى لمحمد - صلى الله عليه وسلم - « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » أى ما يوحدونني لمعرفة حق إلا جعلوا معى شريكا من خلق [1] .

أصنام قوم نوح . وقد كانت لقوم نوح أصنام قدعكفوا عليها ، قص الله — تبارك وتعالى — خبرها على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : « وقالوا : لا تَذَرُنّ آلهتكم ، ولاتذرن وَدّاً ولا سُوَاعا ، ولا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ، وقد أضلوا كثيراً [2] » .

---

(١) وكانت التلبية من عهد إبراهيم : لبيك ، لاشريك لك لبيك ، حتى كان عمرو بن لحى ، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبي معه ، فقال عمرو : لبيك لا شريك لك ، فقال الشيخ : إلا شريكا هو لك ، فأنكر ذلك عمرو ، وقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ قل : تملكه وما مَلَكَ ، فإنه لابأس بهذا ، فقالها عمرو ، فدانت بها العرب

(٢) وتلك هى الجاهلية الأولى التى ذكر الله فى القرآن فى قوله : « ولاتَبَرَّجْنَ تبرج الجاهلية الأولى » ، وكان بدء ذلك فى عهد مهلايل بن قَيْنان فيما ذكروا . وقدذكر البخارى عن ابن عباس قال : « صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعدُ ، وهى أسماء قوم صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسونها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتُنُوسِخ العلم عُبدت » . وذكر الطبرى هذا المعنى وزاد : أن سواعا كان : ابن شيث ، وأن يغوث كان : ابن سواع ، وكذلك يعوق ونسر ، كلما هلك الأول صورت صورته ، وعُظمت لموضعه من الدين ، ولما عهدوا فى دعائه من الإجابة ، فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف ، وقالوا : ما عظم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر ، واتخذوها آلهة . وهذه أسماء سريانية =

القبائل العربية وأصنامها : فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام مَن ولد إسماعيل وغيرهم، وسموا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل : هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، اتخذوا سواعا، فكان لهم برهاط [١] . وكلب بن وبرة من قضاعة ، اتخذوا وَدًّا بدُومَة الجندل [٢] .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك الأنصارى :

ونَنسى اللاتَ والعُزَّى ووَدًّا ونسلُبها القلائدَ والشُّنُوفا [٣]

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله .

قال ابن هشام : وكلب بن وَبْرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

عُبّاد يغوث : قال ابن إسحاق : وأنعُم من طيء ، وأهل جُرَش من مَذحِج اتخذوا يغوث بجرش .

قال ابن هشام . ويقال : أنعَم . وطيء بن أدَد بن مالك ، ومالك : مذحج بن أُدَد ؛ ويقال : طيء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ .

عباد يعوق : قال ابن إسحاق : وخَيْوان بطن من هَمْدان، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن .

= وقعت إلى الهند ، فسمَّوْا بها أصنامهم التى زعموا أنها صور الدرارى السبعة ، وربما كلمتهم الجن منجوفها ففتنتهم ، ثم أدخلها إلى العرب عمرو بن لحى كما ذكر أو غيره ، وعلمهم تلك الأسماء ، وألقاها الشيطان على ألسنتهم موافقة لما كانوا فى عهد نوح .

(١) رهاط : من أرض ينبع .

(٢) ودومة هذه — بضم الدال — ذكروا أنها سميت بدُوى بن إسماعيل كان نزلها ، ودُومة أخرى بضم الدال عند الكوفة ، ودَوْمة — بفتح الدال — أخرى مذكورة فى أخبار الرِّدة ، كذا وجدته للبكرى مقيدا فى أسماء هذه المواضع . راجع الروض الأنف بتحقيقنا ١ ص ١٠٣

(٣) الشنوفا : مفرده شنف ـ القرط .

قال ابن هشام : وقال مالك بن نمط الهمدانى (١) :

يَرِيشُ اللهُ فى الدنيا ويَبْرِى ولا يبرى يعوقُ ولا يَريشُ (٢)

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن هشام : اسم همدان : أَوْسَلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أَوْسلة بن الخيار بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال : أوسلة بن زيد بن أوسلة بن الخيار . ويقال : همدان ابن أوسلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

عُبَّاد نَسر : قال ابن إسحاق : وذو الكلاع من حمير ، اتخذوا نَسْرًا بأرض حمير .

عباد عُمْيانِس : وكان لخولان صنم يقال له : عُميانِس بأرض خَوْلان ، يقسمون له من أنعامهم وحُروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم ، فما دخل فى حق عُميانِس من حق الله تعالى الذى سموه له تركوه له ، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه . وهم بطن من خَوْلان ، يقال لهم : الأديم ، وفيهم أنزل الله — تبارك وتعالى — فيما يذكرون : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرْثِ والأنعامِ نصيباً ، فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصلُ إلى شركائهم ، ساءَ ما يحكمونَ » .

قال ابن هشام : خَوْلان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ويقال : خولان بن عمرو ابن مرة بن أُدَد بن زيد بن مِهْسَع بن عمرو بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال : خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مَذحِج .

---

(١) وهو : أبو ثور ، يلقب : ذا المِشْعَار ، وهو من بنى خارف ، وقد قيل : إنه من يام بن أصى ، وكلاهما من همدان .

(٢) هو من رِشتُ السهم : بريته ، استعير فى النفع والضر . قال سويد :

فَرِشْنِى بخير طالما قد بَرَيْتَنى وخيرُ الموالى من يريش ولا يبرى

غبار سعد : قال ابن إسحاق : وكان لبنى مِلْكان[١] — بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر — صنم ، يقال له : سعد : صخرة بفَلاة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل من بنى ملكان بإبل له مُؤَبَّلة ، ليقفها عليه، التماس بركته — فيما يزعم — فلما رأته الإبل وكانت مرعية لا تُركَب ، وكان يُهراق عليه الدماء نفرت منه ، فذهبت فى كل وجه ،وغضب ربها الملْكانى ، فأخذ حجراً فرماه به ، ثم قال . لا بارك الله فيك ، نفّرت علىّ إبلى ، ثم خرج فى طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعدٍ ، ليجمعَ شملَنا ... فشتتنا سعدٌ ، فلا نحن من سعدِ[٢]

وهل سعدُ إلا صخرةٌ بتَنُوفةٍ ... من الأرضِ لاتدعو لِغَىّ ولا رُشد[٣]

دوس وصنمهم : وكان فى دوس صنم لعمرو بن حُمَمة الدوْسى .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله .

ودَوْس بن عُدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك، ابن نصر بن الأسد بن الغوث . ويقال : دوس بن عبدالله بن زهران بن الأسد بن الغوث .

---

(١) مِلكان بن كنانة بكسر الميم . قال أبو جعفر بن حبيب النسابة : كل شىء فى العرب فهو ملكان بكسر الميم ساكن اللام ، غير مَلَكان فى قضاعة ، وملكان فى السَّكُون ، فإنهما بفتح الميم واللام فملكان قضاعة هو : ابن جَرْم بن زَبَّان بن حُلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة ، وملكان السكون هو : ابن عباد بن عياض بن عقبة بن السكون ابن أشرس من كندة .

(٢) ويمتنع فى العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر إلا مع تكرار : لا ، مثل : أن تقول لا زيد فى الدار ولا عمرو، وذكر سيبويه قولهم : لا نَوْلُك أن تفعل ، وقال : إنما جاز هذا ، لأن معناه معنى الفعل ، أى : لاينبغى لك أن تفعل ، وكذلك ينبغى أن يقال فى بيت الملكانى : أى : لم يقلها على جهة الخبر ، ولكن على قصد التبرى منه ، فكان معنى الكلام : فلا نتولى سعداً ، ولا ندين به ، فهذا المعنى حسَّن دخول لا على الابتداء .

(٣) بتنوفة : بأرض جرداء .

عبادهُبَل : قال ابن إسحاق : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له : هُبَـل (١) .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه إن شاء الله فى موضعه .

إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافا ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندهما ، وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جُرْهُم ـ هو : إساف بن بَغْى ونائلة بنت ديك ـ فوقع إساف على نائلة فى الكعبة : فمسخهما الله حجرين (٢) .

حديث عائشة عن إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ، عن عَمْرَة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة أنها قالت : سمعت عائشة ـ رضى الله عنها ـ تقول : ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا (٣) فى الكعبة : فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وحيثُ يُنيخ الأشعَرون ركابَهم   بمُفضَى السيولِ من إسافٍ ونائلِ (٤)

---

(١) وأما هُبل فإن عمرو بن لحى جاء به من هيت ، وهى من أرض الجزيرة حتى وضعه فى الكعبة .

(٢) وأخرجه رزين فى فضائل مكة عن بعض السلف : ما أمهلهما الله إلى أن يفجرا فيها ، ولكنه قبّلها ، فمسخا حجرين ، فأُخرجا إلى الصفا والمروة ، فنصبا عليهما ، ليكونا عبرة وموعظة ، فلما كان عمر بن لحى نقلهما إلى الكعبة ، ونصبهما على زمزم ، فطاف الناس بالكعبة وبهما ، حتى عُبدا من دون الله .

(٣) أرادت الحدث الذى هو الفجور كما قال ـ عليه السلام ـ : « من أحدث حدثاً ، أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله » وقال عمر ـ حين كانت الزلزلة بالمدينة : أحدثتم . والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم .

(٤) هو ترخيم فى غير النداء لضرورة الوزن فى البيت .

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

فعل العرب مع أصنامهم : قال ابن إسحاق : واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله رسوله محمداً — صلى الله عليه وسلم — بالتوحيد ، قالت قريش : « أجعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً ، إن هذا لشىء عُجاب » .

الطواغيت : وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدَنة وحجّاب ، وتهدى لها كما تهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها ، وتنحر عندها ، وهى تعرف فضل الكعبة عليها ؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده .

العُزَّى وسدنتها وحجابها : فكانت لقريش وبنى كنانة : العُزَّى بنخلة ، وكان سدنتها وحجّابها بنو شيْبان من سُلَيم ، حلفاء بنى هاشم .

قال ابن هشام : حلفاء بنى أبى طالب خاصة ، وسُلَيمْ : سُليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان .

قال ابن إسحاق : فقال شاعر من العرب :

لقد أُنكِحَتْ أسماءُ رأسَ بُقَيرَة ... من الأُدْم أهداها امرؤ من بنى غَنْم
رأى قَدَعاً فى عينها إذ يسوقُها ... إلى غَبْغَبِ العُزَّى فوسَّع فى القَسْم (١)

---

(١) والقدع : ضعف البصر من إدمان النظر .

وقوله فى الغبغب : وهو المنحر ومراق الدم ، كأنه سمى بحكاية صوت الدم عند انبعاثه ؛ ويجوز أن يكون مقلوباً من قولهم : بئر بُغبغ وبغيبغ إذا كانت كثيرة الماء . قال الراجز :

بُغَيبغ قصيرة الرِّشاء

ومعنى هذا البيت : الذم وتشبيه هذا المهجو برأس بقرة قد قربت أن يذهب بصرها ، فلا تصلح إلا للذبح والقَسْم .

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هديا قسموه فى من يحضرهم . والغبغب : المنحر ، ومُهراق الدماء .

قال ابن هشام : وهذان البيتان لأبى خِراش الهذلى واسمه : خُويلد بن مرة فى أبيات له .

معنى السدنة : والسدنة : الذين يقومون بأمر الكعبة . قال رؤبة بن العجاج :

فلا وربِّ الآمناتِ القُطَّنِ ... يعمرن أمناً بالحرام المأمن

بمحبِسِ الهدى وبيت المَسْدَنِ

وهذان البيتان فى أرجوزة له ، وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه .

اللات وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدنتها وحجابها بنو معتِّب من ثقيف .

قال ابن هشام : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه .

مناة وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت مناة للأوس والخزرج ، ومن دان بدينهم من أهل يثرب ، على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّل بقُدَيْد .

قال ابن هشام : وقال الكميت بن زيد أحد بنى أسد بن مدركة :

وقد آلتْ قبائلُ لا تُوَلِّى ... مَنَاةَ ظهورَها متحرِّفينا

وهذا البيت فى قصيدة له .

هدم مناة : قال ابن هشام : فبعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إليها أبا سفيان ابن حرب فهدمها ، ويقال: على بن أبى طالب .

ذو الخَلَصة وعبّاده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكان ذو الخَلَصَة لدوْس وخَثْعم وبَجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب بتَبَالَة .

قال ابن هشام : ويقال : ذو الخُلُصة . قال رجل من العرب :

لو كنتَ ياذا الخَلصِ الموتورا ... مثلى وكان شيخُك المقبورا

لم تنه عن قتل العُداة زورا

قال : وكان أبوه قُتل ، فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الخلَصَة ، فاستقسم عنده بالأزلام ، فخرج السهم بنهيه عن ذلك ، فقال هذه الأبيات . ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حُجْر الكِنْدى، فبعث إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جرير بن عبد الله البجلى ، فهدمه[١] .

فِلْسٌ وعبّاده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكانت فِلْس[٢] لطيء ومن يليها بجبلَىْ طيء ، يعنى سَلْمى وأجَأ .

قال ابن هشام : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث إليها على بن أبى طالب فهدمها، فوجد فيها سيفين ، يقال لأحدهما : الرَّسوب، وللآخر : المِخْذَم . فأتى بهما رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوهبهما له ، فهما سيفا على رضى الله عنه .

رِئام : قال ابن إسحاق : وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له : رِئام .

قال ابن هشام : قد ذكرت حديثه فيما مضى .

رُضاء وعباده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكانت رُضاء بيتا لبنى ربيعة بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ، ولها يقول المستوْغِر[١] بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها فى الإسلام :

---

(١) وذلك قبل وفاة النبى — صلى الله عليه وسلم — بشهرين أو نحوهما ، قال جرير : بعثنى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى مائة وخمسين راكباً من أحمس إلى ذى الخلصة ، فقلت : يارسول الله إنى لا أثبت على الخيل ، فدعا لى ، وقال : «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً» .

(٢) هكذا وجدته مضبوطا فى القاموس . وضبطه ابن الكلبى بفتح فسكون ، وضبطه ياقوت بضم الفاء واللام . وتروى فى بعض المراجع : فلسا ويذكر عن ابن الكلبى أو غيره أن أجأ اسم رجل بعينه، وهو : أجأ بن عبد الحى ، وكان فجر بسلمى بنت حام ، أو اتُّهم بذلك ، فصُلبا فى ذينك الجبلين ، وعندهما جبل يقال له : العوجاء ، وكانت العوجاء حاضنة سلمى — فيما ذكر — وكانت السفير بينها وبين أجأ فصُلبت فى الجبل الثالث ، فسمى بها .

(٣) واسمه : كعب . قال ابن دريد : سُمى مستوغراً لقوله :

=

ولقد شددتُ على وُضاءٍ شَدة ... فتركتها قفراً بقاعٍ أسْحَما

فقال ابن هشام: قوله:

فتركتها قفراً بقاع أسحما

عن رجل من بنى سعد.

عُمر المستوغر: ويقال: إن المستوغِر عمر ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة، وكان أطول مضر كلها عمراً، وهو الذى يقول:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها ... وعَمرت من عددِ السنين مِئينا
مائةٌ حدتْها بعدَها مِئتان لى ... وازددْتُ من عددِ الشهورِ سنينا
هل ما بقىّ إلا كما قد فاتنا ... يومٌ يمر وليلةٌ تحدُونا

وبعض الناس يروى هذه الأبيات لزهَيْر بن جَناب الكلبى (١).

ذو الكعَبات وشيء منه: قال ابن إسحاق: وكان ذو الكَعَبات لبكر وتغلب ابنى وائل وإياد بسَنْداد، وله يقول أعشى بنى قيْس بن ثعلبة:

= ينش الماء فى الربلات منه ... نشيش الرضف فى اللبن الوغير

والوغير: فعيل من وَغرة الحر وهى شدته. وذكر القتبى أن المستوغر حضر سوق عكاظ، ومعه ابن ابنه، وقد هرم، والجد يقوده. فقال له رجل: ارفق بهذا الشيخ، فقد طال ما رفق بك، فقال: ومن تراه؟ فقال: هو أبوك أو جدك، فقال: ماهو إلا ابن ابنى، فقال: مارأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة! فقال: أنا المستوغر.

(١) وهو زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة أو عُذَرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة وزهير هذا من المعمرين، وهو الذى يقول:

أبَنىّ إن أهلك فإنى ... قد بنيت لكم بَنيّه
وتركتكم أولادَ سادا ... ت زنادُهم وَرِيه
من كلّ ما نال الفتى ... قد نلته إلا التحيه

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذى الكعبات من سنداد[1]

قال ابن هشام : وهذا البيت للأسود بن يعفر النهشلى ، نهشل بن دارم بن مالك بن زيد ابن مناة بن تميم ، فى قصيدة له ، وأنشدنيه أبو محرز خلفٌ الأحمر :

أهل الخورنق والسدير وبارق والبيت ذى الشرفات من سنداد

البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى

رأى ابن إسحاق فيها : قال ابن إسحاق : فأما البحيرة فهى : بنت السائبة، والسائبة : الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر ، سُيبت فلم يُركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقت أذنها ، ثم خلى سبيلها مع أمها ، فلم يركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، كما فعل بأمها ، فهى البحيرة بنت السائبة : والوصيلة : الشاة إذا أتأمت[2] عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن ، ليس بينهن ذكر ، جعلت وصيلة . قالوا : قد وصلت ، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شىء ، فيشتركوا فى أكله ، ذكورهم وإناثهم .

قال ابن هشام : ويروى : فكان ماولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم .

---

(١) الخورنق : قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ، ليكون ولده فيه عنده ، وبناه بنيانا عجيبا لم تر العرب مثله ، واسم الذى بناه له : سنمار ، وهو الذى رُدّى من أعلاه حتى قالت العرب : جزانى جزاء سنمار ، وذلك أنه لما تم الخورنق ، وعجب الناس من حسنه ، قال سنمار : أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت ، فقال له الملك : إنك لتحسن أن تبنى أجمل من هذا ؟ وغارت نفسه أن يبنى لغيره مثله ، وأمر به فطرح من أعلاه ، وكان بناه فى عشرين سنة .

ومعنى السدير بالفارسية : بيت الملك . يقولون له : « سهدلى » أى : له ثلاث شعب ، وقال البكرى : سمى السدير ، لأن الأعراب كانوا يرفعون أبصارهم اليه . فتسدر من علوه ، يقال : سدر بصره اذا تحير ، والكعبات : المربعة ، وكل بناء مربع فهو كعبة .

(٢) أتأمت : جاءت باثنين فى بطن واحد .

قال ابن إسحاق : والحامى : الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر ، حمى ظهره فلم يركب . ولم يُجز وبره ، وخُلِّىَ فى إبله يضرب فيها ، لا ينتفع منه بغير ذلك .

ابن هشام يخالف ابن إسحاق : قال ابن هشام : وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامى ، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق . فالبحيرة عندهم : الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها ، ولا يجز وبرها ، ولا يشرب لبنها إلا ضيف ، أو يتصدق به . وتهمل لآلهتهم . والسائبة : التى ينذر الرجل أن يسيّبها إن برىء من مرضه أو إن أصاب أمراً يطلبه . فإذا كان أساب ناقة من إبله . أو جملا لبعض آلهتهم ، فسابت فرعت لا ينتفع بها . والوصيلة : التى تلد أمها اثنين فى كل بطن . فيجعل صاحبهما لآلهته الإناث منها ، ولنفسه الذكور : فتلدها أمها ومعها ذكر فى بطن ، فيقولون : وصلت أخاها ؛ فيسيب أخوها معها ، فلا ينتفع به .

قال ابن هشام : حدثنى به يونس بن حبيب النحوى وغيره . روى بعضٌ ما لم يَرْوِ بعض .

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمداً — صلى الله عليه وسلم — أنزل عليه : « ما جعلَ اللهُ من بَحِيرَةٍ ، ولا سائبةٍ ، ولا وصيلةٍ ، ولا حامٍ ، ولكن الذينَ كفرُوا يَفترُون على اللهِ الكذبَ ، وأكثرُهم لا يعقلونَ » .

وأنزل الله تعالى : « وقالوا : ما فى بطونِ هذه الأنعامِ خالصةٌ لذكورِنا ، ومُحَرَّمٌ على أزواجِنا ، وإن يكنْ ميتةً فهم فيه شركاءُ ، سيجزيهم وصفَهم ، إنه حكيمٌ عليمٌ » .

وأنزل عليه : « قل : أرأيتم ما أنزلَ اللهُ لكم من رزقٍ فجعلتم منه حراماً وحلالاً . قل : آللهُ أذنَ لكم أم على اللهِ تفترون » .

وأنزل عليه : « ثمانيةُ أزواجٍ من الضأنِ اثنين ، ومن المعزِ اثنين . قل : آلذكرَيْنِ حرَّم ، أم الأنثيَيْنِ ، أمّا اشتملتْ عليه أرحامُ الأنثيين . نبئونى بعلمٍ إن كنتم صادقين . ومن الإبلِ اثنين ، ومن البقرِ اثنين . قل : آلذكرَيْنِ حرَّم أم الأنثيين . أمّا اشتملت عليه أرحامُ الأنثيين ، أم كنتم شهداءَ إذ وصَّاكم اللهُ بهذا . فمن أظلمُ ممن افترى على اللهِ كذباً ليضلَّ الناسَ بغيرِ علمٍ إن اللهَ لا يهدى القومَ الظالمين » .

البحيرة والوصيلة والحامى لغة : قال ابن هشام : قال الشاعر :

حَوْلُ الوصائلِ فى شُرَيْفٍ حِقَّة   والحاماتُ ظهورَها والسُّيَّبُ

وقال تميم بن أُبَىّ بن مُقْبل أحد بنى عامر بن صعصعة :

فيه من الأَخْرَجِ المِرباعِ قَرْقَرة   هَدْرَ الدِّيافِىّ وسْطَ الهجْمَةِ البُحُرِ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمع بحيرة : بحائر وبُحُر . وجمع وصيلة : وصائل ووُصُل . وجمع سائبة الأكثر : سوائب وسُيَّب ، وجمع حام الأكثر : حَوَامٍ .

عَوْد إلى النسب

نسب خزاعة : قال ابن إسحاق : وخُزاعة تقول : نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن .

قال ابن هشام : وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ابن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسْد بن الغَوْث ، وخِنْدِفُ أمنا ، فيما حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم . ويقال : خزاعة : بنو حارثة بن عمرو بن عامر . وإنما

---

(١) يصف فى هذا البيت حمار وحش يقول : فيه من الأخرج ، وهو : الظليم الذى فيه بياض وسواد . والمرباع : هو الفحل الذى يبكر بالإلقاح ، أى : فيه منه قَرْقَرَةٌ أى صوت وهدر مثل هدر الدّيافى أى : الفحل المنسوب إلى دياف بلد بالشام ، والهجمة من الإبل : دون المائة . وجعلها بُحراً لأنها تأمن من الغارات ، يصفها بالمنعة والحماية ، كما تأمن البحيرة من أن تذبح أو تنحر . ورأيت فى شعر ابن مقبل : من الأخرج المرياع بالياء أخت الواو ، وفسره فى الشرح من راع يريع إذا أسرع الإجابة ، كما قال طرفة : « تريع إلى صوت المهيب وتتقى » وقبل البيت فى وصف روض :

بمازب النبت يرتاح الفؤاد له   رأد النهار لأصوات من النُّغَر

وبعد البيت الواقع فى السيرة :

والأزرق الأخضر السربال منتصب   قيد العصا فوق ذيّال من الزهر

سميت خزاعة ، لأنهم تخزّعوا (١) من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمرّ الظّهْران ، فأقاموا بها . قال عوف بن أيوب الأنصارى أحد بنى عمرو بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلِمة بن الخزرج فى الإسلام :

فلما هبطنا بطن مَرٍّ (٢) تخزعت خزاعةُ منا فى خيولٍ كَرَاكِرِ (٣)
حَمتْ كلّ وادٍ من تِهامةَ واحتمت بصُمّ القنا والمرهَفاتِ البواترِ

وهذان البيتان فى قصيدة له .

وقال أبو المطهّر إسماعيل بن رافع الأنصارى ، أحد بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس :

فلما هبطنا بطنَ مكّةَ أحمدَت خُزاعةُ دارَ الآكلِ المتحاملِ
فحلَّت أكاريساً ، وشتَّت قنابلاً على كلّ حىٍّ بين نجدٍ وساحلِ
نفَوْا جُرهماً عن بطن مكة، واحتبَوْا بعزٍّ خُزاعىٍّ شديدِ الكواهلِ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له، وأنا إن شاء الله أذكر نفيها جرهما فى موضعه .

أولاد مدركة وخزيمة : قال ابن إسحاق : فولد مدركة بن الياس رجلين : خُزَيمة ابن مدركة ، وهُذَيْل بن مدركة ، وأمهما : امرأة من قُضاعة . فولد خزيمة بن مدركة أربعة نفر : كنانة بن خزيمة ، وأَسَد بن خزيمة، وأَسَدَة بن خزيمة، والهُون بن خزيمة . فأم كنانة : عُوانة بنت سعد بن قيس بن عَيْلان بن مضر .

قال ابن هشام : ويقال الهوْن بن خزيمة .

أولاد كنانة وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر : النضر

---

(١) تخزعوا ، تأخروا وانقطعوا .

(٢) يريد : مرّ الظهران ، وسمى : مرا لأن فى عرق من الوادى من غير لون الأرض شبه (الميم) المعوجة، وبعدها (را) خلقت كذلك ،ويذكر عن كثير أنه قال : سميت : مرا لمرارتها .

(٣) الخيول الكراكر : المجتمعة .

ابن كنانة ، ومالك بن كنانة ، وعبد مناة بن كنانة، ومِلْكان بن كنانة[1] . فأم النضر : بَرّة بنت مر بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر ، وسائر بنيه لامرأة أخرى .

قال ابن هشام : أم النضر ومالك وملكان : بَرّة بنت مر، وأم عبدمناة : هالة بنت سُوَيد ابن الغطريف من أزْدِ شَنُوءة . وشنوءة : عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر ابن الأسد بن الغَوْث ، وإنما سموا شنوءة ، لشنآن كان بينهم . والشنآن : البغض .

من يطلق عليه لقب قرشي : قال ابن هشام : النضر : قريش ، فن كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . قال جرير بن عطية أحد بنى كُلَيب ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

فما الأمُّ التى ولدت قريشا بمُقرِفةِ النِّجارِ ولا عقيمِ[2]
وما قَرْم بأنجبَ من أبيكم وما خال بأكرمَ من تميمِ[3]

يعنى : بَرّة بنت مر ، أخت تميم بن مر ، أم النضر . وهذان البيتان فى قصيدة له .

ويقال : فِهر بن مالك : قريش ، فن كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي ، وإنما سميت قريش قريشا من التقرش ، والتقرش : التجارة والاكتساب . قال رؤبة بن العَجّاج :

قد كان يغنيهم عن الشُّغُوش وَالخَشْل من تَساقُطِ القُرُوش
شحم ومحض ليسَ بالمنشوش

قال ابن هشام : والشُّغُوش : قمح يسمى : الشغوش . والخشل : رءوس الخلاخيل والأسورة ونحوه [4] . والقروش : التجارة والاكتساب ، يقول : قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومحض ، والمحض : اللبن الحليب الخالص .

---

(١) وزاد الطبرى فى ولد كنانة : عامراً والحارث والنضير وغَنْمًا وسعداً وعوفاً وجرول والحدال وغَزْوان . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ١١٥ .

(٢) المقرفة : اللئيمة . والنجار : الأصل (٣) القرم هنا : السيد من الرجال .

(٤) ويقال الخشل : حل شجر الدوم . والقروش : ماتساقط من حتاته وتقشر منه .

وهذه الأبيات فى أرجوزة له: وقال أبو جِلْدة اليَشْكُرى، وَيَشْكُر: بن بكر بن وائل:

إخوة قَرَّشوا الذنوبَ علينا   فى حديثٍ من عمرِنا وقديمِ

وهذا البيت فى أبيات له.

قال ابن إسحاق: ويقال: إنما سميت قريش قريشا: لتجمعها من بعد تفرقها.
ويقال للتجمع: التقرش [١].

أولاد النضر وأمهاتهم: فولد النضر بن كنانة رجلين: مالكَ بن النضر، ومَخْلُد بن النضر، فأم مالك: عاتكة بنت عَدوان بن عمرو بن قيس بن عَيْلان، ولا أدرى أهى أم مخلد أم لا.

قال ابن هشام: والصلت بن النضر ـ فيما قال أبو عمرو المدنى ـ وأمهم جميعا: بنت سعد ابن ظرب العَدْوانى. وعَدْوان: بن عمرو بن قيس بن عيلان. قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن ـ وهو كثير عزّة أحد بنى مُلَيْح بن عمرو، من خزاعة:

أليسَ أبى بالصَّلتِ أمْ ليس إخوتى   لكلِّ هِجانٍ من بنى النضرِ أزهرا [٢]
رأيتُ ثيابَ العَصْبِ مختلطَ السَّدَى   بنا وبهم والحضرمىَّ المُخَصَّرا [٣]
فإن لم تكونوا من بنى النضْرِ، فاتركوا   أرا كأ بأذنابِ الفوائجِ أخضرا [٤]

قال: وهذه الأبيات فى قصيدة له.

والذين يُعْزَوْن إلى الصَّلت بن النضر من خزاعة: بنو مُلَيْح بن عمرو، رهط كُثَيِّر عزة.

---

(١) انظر ما قيل فى قريش مفصلا فى الروض الأنف بتحقيقنا ج١ من صفحة ١١٥ — ١١٧
(٢) الهجان: الكريم. والأزهر: المشهور.
(٣) العَصب: برود اليمن، لأنها تصبغ بالعصب، ولا ينبت العصب ولا الورس إلا باليمن، يريد: إن قدودنا من قدودهم، فسدى أثوابنا، مختلط بسدى أثوابهم. والحضرمى: النعال المخصرة التى تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين.
(٤) الفوائج: رؤوس الأودية.

أولاد مالك وفهر وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد مالك بن النضر : فهر بن مالك وأمه : جَنْدَلة بنت الحارث بن مِضاض الجرهمي .

قال ابن هشام : وليس بابن مضاض الأكبر .

قال ابن إسحاق : فولد فِهْر بن مالك أربعة نفر : غالب بن فهر ، ومحارب بن فهر والحارث بن فهر ، وأَسَد بن فهر ، وأمهم : ليلى بنت سعد بن هُذَيل بن مدركة .

قال ابن هشام : وجَندلة بنت فهر ، وهى أم يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة ابن تميم . وأمها : ليلى بنت سعد . قال جرير بن عطية بن الخَطَفى . واسم الخطفى : حذيفة بن بدر ابن سلَمة بن عوف بن كُلَيب بن يربوع بن حنظلة .

وإذا غضبتُ رمى ورائى بالحصى أبناء جندَلة كخيرِ الجندلِ

وهذا البيت فى قصيدة له .

أولاد غالب وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد غالب بن فهر رجلين : لؤى بن غالب ، وتَيْم بن غالب ، وأمهما : سلمَى بنت عمرو الخزاعى — وتَيْم بن غالب الذين يقال لهم : بنو الأدْرَم (١) .

قال ابن هشام : وقيس بن غالب ، وأمه : سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعى ، وهى أم لؤى وتيم ابنى غالب .

---

(١) الأدرم : المدفون الكعبين من اللحم ، يقال : امرأة درماء وكعب أدرم . قال الراجز :

قامت تريه خشية أن تُصرما ساقاً بَخَنْداة وكعباً أدرما

وكَفَلا مثل النّقا أو أعظما

والأدرم أيضاً : المنقوص الذقن ، وكان تيم بن غالب كذلك ، فسمى : الأدرم ، قاله الزبير . وبنو الأدرم هؤلاء هم : أعراب مكة ، وهم من قريش الظواهر (النازلون بظهر مكة) ، لا من قريش البطاح ، (قبائل عبد مناف) وكذلك بنو محارب من فهر ، وبنو معيص بن عامر .

أولاد لؤى وأمهاتهم : قال ابن إسحاق: فولد لؤى بن غالب أربعة نفر : كعب بن لؤى، وعامر بن لؤى، وسامة بن لؤى، وعوف بن لؤى، فأم كعب وعامر وسامة : ماوِيَّة[1] بنت كعب بن القَيْن بن جَسْر ، من قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال : والحارث بن لؤى ، وهم : جُشَم بن الحارث ، فى هِزّان من ربيعة . قال جرير :

بنى جُشَم لستم لِهِزَّانَ ، فانتَمُوا ... لأعلَى الروابى من لُؤَىّ بنِ غالبِ
ولا تُنْكِحوا فى آلِ ضَوْرٍ نساءَكم ... ولا فى شُكَيْسٍ بئس مثوَى الغرائبِ[2]

وسعد بن لؤى ، وهم بُنَانة : فى شيبان بن ثعلبة بن عُكَابة بن صعب بن على بن بكر ابن وائل ، من ربيعة .

وبُنانة : حاضنة لهم من بنى القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله، ويقال : سَيْم الله ، ابن الأسد ابن وَبْرة بن ثعلبة بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة . ويقال : بنت النَّمِر بن قاسط ، من ربيعة . ويقال : بنت جَرْم بن رَبّان بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

وخزيمة بن لؤى بن غالب ، وهم عائذة فى شيبان بن ثعلبة ، وعائذة امرأة من اليمن[3] ، وهى أم بنى عبيدة بن خُزيمة بن لؤى .

وأم بنى لؤى كلهم — إلا عامر بن لؤى : ماوِيَّة بنت كعب بن القين بن جَسْر . وأم عامر ابن لؤى : مَخْشِيَّة بنت شَيْبان بن محارب بن فِهْر، ويقال: ليلى بنت شيبان بن محارب بن فِهْر .

---

(١) سميت بالماوية، وهى : المرآة، كأنها نسبت إلى الماء لصفائها، وقلبت همزة الماء واوا .

(٢) يقال إنهم أعطوا جريرا على هذا الشعر ألف عير رُبّى ، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة فما انتسبوا بعد إلا لقريش .

(٣) وقال غيره : هى بنت الخِمس بن قحافة من خثعم ولدت لعبيد بن خزيمة مالكا وحارثا ، فهم بنو خزيمة عائذة، ومن بنى خزيمة أيضا : بنو حرب بن خزيمة ، قتلتهم المسَوِّدة فى قريتهم بالشام ، وهم يحسبونهم بنى حرب بن أمية .

أمر سامة بن لؤى

هروبه من أخيه وموته: قال ابن إسحاق : فأما سامة بن لؤى فخرج إلى عمان، وكان بها . ويزعمون أن عامر بن لؤى أخرجه ، وذلك أنه كان بينهما شىء ، ففقأ سامة عين عامر ، فأخافه عامر ، فخرج إلى عُمان . فيزعمون أن سامة بن لؤى بينا هو يسير على ناقته ، إذ وضعت رأسها ترتع ، فأخذت حية بمشفرها ، فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقها ، ثم نهشت سامة فقتلته . فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون :

عينُ فابكى لسامةَ بْنِ لؤىٍّ ... عَلِقت ما بسامة العلاّقه

لا أرى مثلَ سامةَ بنِ لؤى ... يومَ حلوا به قتيلا لِناقه

بلِّغا عامراً وكعباً رسولا ... أن نفسى إليهما مُشتاقه[1]

إن تكن فى عُمانَ دارى ، فإنى ... غالبىٌّ ، خرجت من غير فاقه

رُب كأسٍ هرقتَ يا ابن لؤى ... حذرَ الموتِ لم تكن مُهراقه

رُمت دفعَ الحتوفِ يا ابنَ لؤى ... ما لمن رامَ ذاك بالحتفِ طاقه

وخَرُوسِ السُّرَى تركتَ رديا ... بعد جِدٍّ وجِدة ورشاقه[2]

قال ابن هشام : وبلغنى أن بعض ولده أتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فانتسب إلى سامة بن لؤى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آ لشاعر ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

---

(١) بلِّغَا عامراً وكعباً رسولا : يجوز أن يكون «رسولا» مفعولا: ببلغا إذا جعلت الرسول بمعنى : الرسالة ، كما قال الشاعر :

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بليلى ؛ ولا أرسلتهم برسول

أى : برسالة ، وإنما سموا الرسالة : رسولا إذا كانت كتابا ، أو ما يقوم مقام الكتاب من شعر منظوم .

(٢) قوله : وخَروسِ السُّرى تركت رديا . يريد : ناقة صموتا صبوراً على السرى ، لا تضجر منه . فسراها كالأخرس . والردى التى سقطت من الأعياء .

رب كأس هرقت يا ابن لؤى   حذر الموت لم تكن مهراقه

قال : أجل .

أمر عوف بن لؤى ونقلته

سبب انتمائه إلى غطفان : قال ابن إسحاق : وأما عوف بن لؤى فإنه خرج — فيما يزعمون — فى ركب من قريش ، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، أبطئ به ، فانطلق من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبة بن سعد ، وهو أخوه فى نسب بنى ذبيان — ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . وعوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ابن ريث بن غطفان — فحبسه وزوجه والتاطه[1] وآخاه ، فشاع نسبه فى بنى ذبيان . وثعلبة — فيما يزعمون — الذى يقول لعوف حين أبطئ به ، فتركه قومه :

احبس علىّ ابن لؤىّ جملك   تركك القومُ ولامترَكَ لكْ

مكانة مُرّة : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن حُصَين ، أن عمر بن الخطاب قال : لو كنت مدعيا حيا من العرب ، أو ملحقهم بنا ، لادعيت بنى مُرّة بن عوْف ، إنا لنعرف فيهم الأشباه مع مانعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعنى : عوف بن لؤى .

نسب مُرّة : قال ابن إسحاق : فهو فى نسب غطفان : مرة بن عوف بن سعد بن ذُبْيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان . وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب : ماننكره ، ، مانجحده ، وإنه لأحب النسب إلينا .

وقال الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع — قال ابن هشام : أحد بنى مرة بن عوف حين — هرب من النعمان بن المنذر ، فلحق بقريش :

---

(١) التاطه : ألصقه به وألحقه بنسبه .

فما قومي بثعلبةَ بنِ سعدٍ ... ولا بفَزَارةَ الشُّعْرِ الرِّقابا
وقومي - إن سألتَ - بنو لؤيٍّ ... بمكة علَّموا مُضَرَ الضِّرابا
سَفِهنا باتباعِ بنى بَغيضٍ ... وتركِ الأقربينَ لنا انتِسابا
سفاهةَ مُخْلِفٍ لَمَّا تروَّى ... هراقَ الماءَ، واتبعَ السَّرابا(١)
فلو طُووِعْتُ - عَمْرَكَ - كنتُ فيهم ... وما أُلْفيتُ أنتجعُ السحابا(٢)
وخَشَّ رواحةُ القرشيُّ رحلى ... بناجيةٍ ولم يطلبْ ثوابا(٣)

قال ابن هشام، هذا ما أنشدنى أبو عبيدة منها.

قال ابن إسحاق: فقال الحُصين بن الحُمام المُرِّى، ثم أحدبنى سهم بن مرة يرد على الحارث ابن ظالم، وينتمى إلى غطفان:

ألا لستمُ منا، ولسنا إليكمُ ... برئنا إليكم من لؤىِّ بنِ غالبِ
أقمنا على عزِّ الحجازِ، وأنتمُ ... بمُعتلجِ البطحاءِ بينَ الأخاشبِ(٤)

يعنى: قريشا. ثم ندم الحصين على ما قال، وعرف ما قال الحارث بن ظالم، فانتمى إلى قريش، وأكذب نفسه، فقال:

ندمتُ على قولٍ مضى كنت قلتُهُ ... تبينْتُ فيه أنه قولُ كاذبِ

---

(١) المخلف: المستقى الماء.

(٢) وما ألفيت انتجع السحابا. أى: كانوا يغنونى بحسبهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب، وارتياد المراعى فى البلاد.

(٣) وخَشَّ رَوَاحة القرشى رحلى بناجية. أى: بناقة سريعة يقال: خش السهم بالريش، إذا راشه به، فأراد: راشنى وأصلح رحلى بناجية، ولم يطلب ثوابا بمدحه بذلك. ورواحة هذا: هو رواحة بن مَنقذ بن مَعيص بن عامر كان قد ربع فى الجاهلية أى: رأس، وأخذ ربع الغنيمة.

(٤) بمعتلج البطحا.: أى حيث تعتلج السيول، والاعتلاج عمل بقوة. والأخاشب: جبال مكة، وقد يقال لكل جبل: أخشب.

فليت لسانى كان نصفين منهما ... بكيم، ونصفٌ عند مجرى الكواكب
أبونا كنانىٌّ بمكةَ قبرُه ... بمعتلجِ البطحاءِ بينَ الأخاشبِ
لنا الرُّبع من بيتِ الحرامِ وِراثةٌ ... وربعُ البطاحِ عندَ دارِ ابنِ حاطبِ[١]

أى أن بنى لؤى كانوا أربعة : كعبا ، وعامراً ، وسامة ، وعوفا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجال من بنى مرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا إليه .

أشراف مرة : قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافا فى غطفان ، هم سادتهم وقادتهم . منهم : هَرِم بن سِنان بن أبى حارثة، وخارجة[٢] بن سِنان بن أبى حارثة، والحارث بن عَوْف، والحُصين بن الحُمام ، وهاشم بن حرملة الذى يقول له القائل :

أحيا أباه هاشمُ بنُ حرملهْ[٣]
يومَ الهَبَاءاتِ ويومَ اليَعْمَلَهْ
ترى الملوكَ عندَه مغرَبَلهْ[٤]
يقتُل ذا الذنبِ ، ومن لا ذنبَ لهْ

---

(١) قوله : لنا الربع بضم الراء ، يريد : أن بنى لؤى كانوا أربعة : أحدهم : أبوهم وهو عوف ، وبنو لؤى هم : أهل الحرم ، ولهم وراثة البيت .

(٢) خارجة بن سنان الذى تزعم قيس أن الجن اختطفته لتستفحله نساؤها لبراعته ونجدته ونجابة نسله .

(٣) هاشم بن حرملة هو : جد منظور بن زبّان بن يسار الذى كانت بنته زجلة عند ابن الزبير ، فهو جد منظور لأمه ، واسمها : قهْطِم بنت هاشم . كانت قهطم قد حملت بمنظور أربع سنين ، وولدته بأضراسه ، فسمى منظورا لطول انتظارهم إياه .

(٤) قيل معناه : منتفخة ، وذكروا أنه يقال : غربل القتيل إذا انتفخ، وهذا غير معروف، وإن كان أبو عبيد قد ذكره فى الغريب المصنف، وأيضا : فإن الرواية بفتح الباء مغربَلة ،وقال بعضهم : معناه : يتخير الملوك فيقتلهم، والذى أراه فى ذلك أنه يريد بالغربلة استقصاءهم وتتبعهم .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة هذه الأبيات لعامر الخَصَفى : خَصَفة بن قيس بن عيلان :

أحيا أباه هاشمُ بنُ حرملهْ
يومَ الهَباءات ويومَ اليَعْمَلهْ
ترى الملوكَ عندَه مُغَرْبَله
يقتُل ذا الذنبِ ، ومن لا ذنبَ له !!
ورمحُه للوالداتِ مَثْكلة

وحدثنى أن هاشما قال لعامر : قل فىَّ بيتا جيدا أثبك عليه ، فقال عامر البيت الأول ، فلم يعجب هاشما ، ثم قال الثانى ، فلم يعجبه ، ثم قال الثالث ، فلم يعجبه ، فلما قال الرابع :

يقتل ذا الذنب ، ومن لاذنب له !!

اعجبه ، فأثابه عليه (١) .

قال ابن هشام : وذلك الذى أراد الكُمَيْت بن زيد فى قوله :

وهاشمُ مُرّةُ المفنى ملوكا   بلا ذنبٍ إليه ومُذنبينا

وهذا البيت فى قصيدة له . وقول عامر : يوم الهباءات . عن غير أبى عُبيدة

قال ابن إسحاق : قوم لهم صيت وذكر فى غَطَفان وقَيْس كلها ، فأقاموا على نسبهم ، وفيهم كان البَسْل (٢) .

أمر البَسْل

تعريف البسل : والبَسْل — فيما يزعمون — نسيئهم ثمانية أشهر حُرُم ، لهم من كل

---

(١) إنما أعجب هاشما هذا البيت ؛ لأنه وصفه فيه بالعز والامتناع . وأنه لايخاف حاكما يُعْدِى عليه ، ولا تِرَة من طالب ثأر .

(٢) البَسْل وهو الحرام . والبسل أيضا:الحلال، فهو من الأضداد ومنه : بُسْلة الراقى، أى مايحل له أن يأخذه على الرقية ، وبسل فى الدعاء بمعنى : آمين : قال الراجز :

لا خاب من نفعك من رجاكَ   بَسْلا ، وعادَى اللهُ من عاداكَ

وكان عمر بن الخطاب يقول فى أثر الدعاء : آمين وبسلا ، أى : استجابة .

سنة من بين العرب ، قد عرفت ذلك لهم العرب لا يُنكرونه ، ولا يدفعونه ، يسيرون به إلى أى بلاد العرب شاءوا ، لا يخافون منهم شيئا . قال زُهَير بن أبى سُلْمى، يَعنى بنى مرّة .

نسب زُهَير بن أبى سُلْمى : قال ابن هشام : زهير أحد بنى مُزَيْنَة بن أُدّ بن طابخة ابن إلياس بن مضر . ويقال : زهير بن أبى سلمى من غطفان . ويقال : حليف فى غطفان .

تأمّل، فإن تُقْوِ الـمَرَوْرَاة⁽¹⁾ منهم ودارتُها لا تُقْوِ منهم إذاً نَخْلُ
بلادٌ بها نادمتهم وألِفتهم فإن تُقْويا منهم فإنهمُ بَسْل

أى : حرام . يقول : ساروا فى حرمهم .

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

أجارتُكم بَسْلٌ علينا مُحرّم وجارتُنا حِلٌّ لكم وحليلُها

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له .

أولاد كعب وأمهم : قال ابن إسحاق : فولد كعب بن لؤى ثلاثة نفر : مُرة بن كعب، وعَدِى بن كعب ، وهُصَيْص بن كعب . وأمهم : وَحْشِية بنت شَيْبان بن محارب بن فِهْر ابن مالك بن النضر .

أولاد مرة وأمهاتهم : فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر : كلاب بن مرة ، وتَيْم ابن مرة ، ويَقَظَة⁽²⁾ بن مرة .

---

(1) وقع فى بعض النسخ المرورات بتاء ممدودة ، كأنه جمع مرْوَر ، وليس فى الكلام مثل هذا البناء ، وإنما هو المروراة بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام ، فهو فَعَلْعَلَة مثل صمحمحة ، والألف فيه منقلبة عن واو أصلية، وهذا قول سيبويه جعله مثل : شَجَوْجاة . والمروراة اسم مكان كان فيه هذا اليوم .

(2) يقظة بن مرة بفتح القاف ، وقد وجدته بسكون القاف فى أشعار مُدح بها خالد بن الوليد ، فنها قول الشاعر :

فأم كلاب : هند بنت سُرَيْر بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن كنانة بن خزيمة . ولم يقظة : البارقية ، امرأة من بارق ، من الأسد من اليمن. ويقال : هى أم تيم . ويقال : تيم هند بنت سُرَيْر أم كلاب .

نسب بارق : قال ابن هشام : بارق(١) : بنو عَدِى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ، وهم فى شَنُوءة . قال الكُميت ابن زيد(٢) :

وأزْد شنوءةَ اندرءوا علينا ... بجُمٍّ يحسبون لها قرونا(٣)
فما قلنا لبارقَ : قد أسأتم ... وما قلْنا لبارقَ : أعتِبونا

قال : وهذان البيتان فى قصيدة له . وإنما سموا ببارق ؛ لأنهم تبعوا البرق .

ولدا كلاب وأمهما : قال ابن إسحاق : فولد كلاب بن مرة رجلين : قُصَىّ بن كلاب ، وزُهرة بن كلاب . وأمهما : فاطمة بنت سعد بن سَيَل أحد بنى الجَدَرَة ، من جُعْثُمة الأزْد ، من اليمن ، حلفاء فى بنى الدِّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

نسب جعثمة : قال ابن هشام : ويقال : جُعْشُمة الأسد ، وجعثمة الأزْد ، وهو جعثمة ابن يشكر بن مُبَشِّر بن صعب بن دُهْمان بن نصر بن زَهران بن الحارث بن نصب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث . ويقال : جعثمة بن يشكر بن مُبشّر بن صعب ابن نصر بن زَهران بن الأسد بن الغوث .

= وأنت لمخزوم بن يقظة جَنْدَلة ... كلا اسميك فيها ماجدٌ وابنُ ماجدِ

وأم مخزوم بن يقظة جد بنى مخزوم : كلبة بنت عامر بن لؤى .

(١) سمُّوا : بارق ؛ لأنهم اتبعوا البرق ، وقد قيل : إنهم نزلوا عند جبل يقال له : بارق، فسموا به .

(٢) هو ابن زيد أبو المستهل من بنى أسد .

(٣) أى: يناطحون بلا شدة ولا قوة كالكباش الجماء التى لا قرون لها، ويحسبون أن لهم قوة

وإنما سُمّوا الجَدَرَة ، لأن عامر بن عمرو بن جُعْشَبة[(١)] زوج بنت الحارث بن مُضاض الجرهمي . وكانت جرهم أصحاب الكعبة . فبنى للكعبة جداراً ، فسمى عامر بذلك : الجادر ، فقيل لولده : الجَدَرة لذلك[(٢)]

قال ابن إسحاق : ولسعد بن سَيَل يقول الشاعر :

ما نرى في الناس شخصاً واحداً ... من عَلِمناه كسعدِ بنِ سَيَلْ
فارساً أضْبَطَ ، فيه عُسْرَةٌ ... وإذا ما واقفَ القِرْنَ نزل[(٣)]
فارساً يستدرجُ الخيلَ كما اسـ ... ـتدرج الحرُّ القَطَامِيُّ الحَجَل[(٤)]

قال ابن هشام : قوله : كما استدرج الحر ، عن بعض أهل العلم بالشعر

نُعْم بنت كلاب وأمها وولدها : قال ابن هشام : ونُعْم بنت كلاب ، وهى أم سعد وسعيد ابنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى ، وأمها : فاطمة بنت سعد بن سَيَل .

أولاد قصى وأمهم : قال ابن إسحاق : فولد قصى بن كلاب أربعة نفر وامرأتين : عبد مناف بن قصى ، وعبد الدار بن قصى ، وعبد العُزَّى بن قصى ، وعبد قصى بن قصى ، وتَخْمُر بنت قصى ، وبَرَّة بنت قصى ، وأمهم : حُبَّى بنت حُلَيل بن حَبَشية بن سَلول بن كعب ابن عمرو الخزاعى .

قال ابن هشام : ويقال : حُبْشِيَة بن سلول .

أولاد عبد مناف وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد عبد مناف — واسمه : المغيرة بن قصى — أربعة نفر : هاشم بن عبد مناف ، وعبد شمس[(٥)] بن عبد مناف ، والمطلب

(١) بعض النسخ زيادة جرعة خطأ ، إنما هو : عمرو بن جشمة .

(٢) يروى أن السيل ذات مرة دخل الكعبة ، وصدع بنيانها ، ففزعت لذلك قريش ، وخافوا انهدادها إن جاء سيل آخر ، وأن يذهب شرفهم ودينهم ، فبنى عامر لها جدراً .

(٣) الأضبط الذى يعمل بكلتا يديه ، والعسرة : الشدة . والقرن : الشديد فى الحرب .

(٤) الحر القطامى : الصقر .

(٥) وكان تلوا لهاشم ، ويقال : كانا توأمين ، فولد هاشم ، ورجله فى جبهة عبد شمس ملتصقة ، فلم يقدر على نزعها إلا بدم ، فكانوا يقولون : سيكون بين ولدهما دماء ، فكانت تلك الدماء ما وقع بين بنى هاشم ، وبين بنى أمية بن عبد شمس .

ابن عبد مناف ، وأمهم : عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة ابن سُلَيم بن منصور بن عِكرمة ، ونَوْفل بن عبد مناف ، وأمه : واقِدة بنت عمرو المازنية . مازن : بن منصور بن عكرمة .

قال ابن هشام : فبهذا النسب خالفهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نُسَيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة .

قال ابن هشام : وأبو عمرو ، وتماضر ، وقلابة ، وحَيَّة ، ورَيْطة ، وأم الأخثم ، وأم سفيان : بنو عبد مناف .

فأم أبي عمرو : رَيْطة ، امرأة من ثقيف ، وأم سائر النساء : عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف ، وأمها صفية بنت حَوْزة بن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وأم صفية : بنت عبد الله بن سعد العشيرة (١) بن مَذْحج .

أولاد هاشم وأمهاتهم : قال ابن هشام : فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر ، وخمس نسوة : عبد المطلب بن هاشم ، وأسد بن هاشم ، وأبا صَيْفيّ بن هاشم ، ونضلة بن هاشم ، والشِّفاء ، وخالدة ، وضعيفة ، ورقية ، وحية . فأم عبد المطلب ورقيّة : سلمى (٢) بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن النجار . واسم النجار : تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

وأمها : عُمَيْرة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار . وأم عُمَيْرة : سلمى بنت عبد الأشهل النجّارية . وأم أسد : قَيْلة بنت عامر بن مالك الخزاعي . وأم أبي صيفي وحَيَّة : هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية . وأم نَضْلة والشِّفاء : امرأة من قضاعة . وأم خالدة وضعيفة : واقدة بنت أبي عدي المازنية .

(١) في هذا الكلام وهم لأن سعد العشيرة بن مذحج هو أبو القبائل المنسوبة إلى مذحج إلا أقلها ، فيستحيل أن يكون في عصر هاشم من هو ابن له لصلبه ، ولكن هكذا رواه البرقي عن ابن هشام ورواه غيره : بنت عبد الله من سعد العشيرة ، وهي رواية الغساني .

(٢) وأمها : عُمَيرة بنت صَخْر المازنية ، وابنها : عمرو بن أُحَيْحة بن الجلاح ، وأخوه : معبد ، ولدتهما لأحيحة .

أولاد عبد المطلب بن هاشم

أولاد عبد المطلب وأمهاتهم : قال ابن هشام : فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر ، وست نسوة : العباس ، وحمزة ، وعبدالله ، وأبا طالب — واسمه . عبد مناف(١) والزُّبير (٢) ، والحارث ، وجَحْلا (٣) ، والمقوِّم (٤) ، وضِرَارا ، وأبا لهب(٥) — واسمه عبد العُزى — وصفية ، وأم حكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأميمة ، وأروَى ، وبَرَّة

---

(١) وله يقول عبد المطلب :

أوصيك يا عبد مناف بعدى بموتم بعد أبيه فرد
مات أبوه وهو حلف المهد

(٢) الزبير ، وهو أكبر أعمام النبي — صلى الله عليه وسلم — وهو الذى كان يُرقِّص النبي — صلى الله عليه وسلم — وهو طفل . ويقول :

محمد بن عَبْدَمِ عشت بعيش أنعم
فى دولة ومغنم دام سجيس الأزلم

وبنته : ضباعة كانت تحت المقداد . وعبد الله ابنه : مذكور فى الصحابة — رضى الله عنهم — وكان الزبير — رضى الله عنه — يُكنى أبا الطاهر بابنه : الطاهر ، وكان من أظرف فتيان قريش ، وبه سمى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ابنه الطاهر . وأخبر الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات ، فقال : بأى عقوبة كان موته ؟ فقيل : مات حتف أنفه ، فقال : وإن ، فلا بد من يوم ينصف الله فيه المظلومين ، ففى هذا دليل على إقراره بالبعث .

(٣) جَحْلا : بتقديم الجيم على الحاء ، هكذا رواية الكتاب . وقال الدارقطنى هو : حجْل بتقديم الحاء .

(٤) المقوم لم يعقب إلا بنتا اسمها : هند .

(٥) واسمه : عبد العُزَّى ، وكنى : أبا لهب لإشراق وجهه . وكان تكْنِدمة من الله تعالى — لما صار إليه من اللهب ، وأمه : لبنى بنت هاجر بكسر الجيم من بنى ضاطرة بن حبشية .

فأم العباس وضرار : نُتَيْلة بنت جَناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيدمَناة ابن عامر — وهو الضَّحيان — بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب ابن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويقال : أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة .

وأم حمزة والمقوَّم وجَحْل — وكان يلقب بالغَيْداق لكثرة خيره ، وسعة ماله — وصفية : هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

وأم عبد الله ، وأبي طالب ، والزبير ، وجميع النساء غير صفية : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأمها : صَخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم صخرة : تَخْمُر بنت عبد بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم الحارث بن عبد المطلب : سمراء بنت جُندب بن جُحَير بن رئاب بن حُبَيِّب بن سُوَاءة بن عامر بن صَعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة .

وأم أبي لهب : لُبْنَى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضَاطِر بن حُبْشِية بن سلول بن كعب ابن عمرو الخزاعى .

أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهاتها : قال ابن هشام فولد عبدُ الله بن عبد المطلب : رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — سيدَ ولد آدم . محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله .

وأمه : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة[1] بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

---

(1) فى المعارف لابن قتيبة : أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة ، وهذا منكر غير معروف . وإنما هو اسم جدهم — كما قال ابن إسحاق : والزهرة فى اللغة : إشراق فى اللون ، أىّ لون كان من بياض أو غيره .

وأمها : بَرَّة بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم برة : أم حبيب بنت أسد بن عبد العزّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم أم حبيب : بَرَّة(١) بنت عوف بن عُبيد بن عُويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر .

قال ابن هشام : فرسول الله — صلى الله عليه وسلم — أشرف ولد آدم حسبا ، وأفضلهم نسبا من قِبل أبيه ، وأمه — صلى الله عليه وسلم .

حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

احتفار زمزم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : وكان من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبي : بينا عبد المطلب بن هاشم نائم فى الحِجْر ، إذ أُتى ، فأُمر بحفر زمزم ، وهى دفن بين صنمَيْ قريش : إساف ونائلة ، عند منحَرِ قريش . وكانت جُرْهُمُ دفنتها حين ظعنوا من مكة ، وهى : بئر إسماعيل بن إبراهيم — عليهما السلام — التى سقاه الله حين ظَمِئ وهو صغير ، فالتمست له أمه ماء فلم تجده ، فقامت إلى الصفا تدعو الله ، وتستغيثه لإسماعيل ، ثم أتت

---

(١) ذكر فى آخر أمهاته صلى الله عليه وسلم : بَرة بنت عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدى وهن كلهن قرشيات ، ولذلك وقف فى بَرَّة ، وإن كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا : أم برة ، وأم أمها ، وأم أم الأم ، ولكنهن من غير قريش ، قال محمد بن حبيب : وأم برة : قلابة بنت الحارث بن مالك بن طابخة بن صعصعة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل ، وأم قلابة : أميمة بنت مالك بن غَنْم بن لحيان بن غادية بن كعب ، وأم أميمة : دبَّة بنت الحارث بن لحيان بن غادية ، وأمها : بنت كهف الظلم من ثقيف ، وذكر الزبير قلابة بنت الحارث ، وزعم أن أباها الحارث كان يكنى : أبا قلابة ، وأنه أقدم شعراء هُذيل .

المروة ففعلت مثل ذلك . وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام ، فهمز له بعقبه(١) في الأرض، فظهر الماء ، وسمعت أمه أصوات السباع فخافتها عليه ، فجاءت تشتد نحوه ، فوجدته يفحص بيده عن الماء من تحت خده ويشرب ، فجعلته حسيا(٢)

أمر جرهم ودفن زمزم

ولاة البيت من ولد إسماعيل : قال ابن هشام : وكان من حديث جرهم ، ودفنها زمزم ، وخروجها من مكة ، ومن ولى أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبد المطلب زمزم ، ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي ، قال : لما توفى إسماعيل بن إبراهيم ولى البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل — ما شاء الله أن يليه — ثم ولى البيت بعده : مُضاض بن عمرو الجُرهمي

قال ابن هشام : ويقال مِضاض بن عمرو الجرهمي .

---

(١) ولذلك زمزم تسمى : هَمْزَة جبريل بتقديم الميم على الزاى ، ويقال فيها أيضاً : هزمة جبريل ، لأنها هَزْمَة (أى نقرة) فى الأرض ، وحكى فى اسمها : زُمَازِمُ وزمزم . حكى ذلك عن المطرز . وتسمى أيضاً : طعام طُعْم ، وشفاء سُقْم . وقال الحَرْبِي : سميت زمزم ، بزمزمة الماء ، وهى صوته . وقال المسعودى : سميت زمزم ؛ لأن الفُرْس كانت تحج إليها فى الزمن الأول ، فزمزمت عليها . والزمزمة : صوت تخرجه الفُرس من خياشيمها عند شرب الماء ؛ وقد كتب عمر — رضى الله عنه — إلى عماله : أن انهوا الفرس عن الزمزمة ، وأنشد المسعودى

زمزمت الفرسُ على زمزم وذاك فى سالفها الأقدم

وذكر البرقى عن ابن عباس — رضى الله عنه — أنها سميت : زمزم لأنها زُمَّت بالتراب ؛ لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا ، ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شىء . وقال ابن هشام : والزمزمة عند العرب : الكثرة والاجتماع .

(٢) الحسو : الحفيرة الصغيرة ، أو هو ما يختفى فى الرمل ، فإذا نبش ظهر .

بغى جرهم وقاطوراء : قال ابن إسحاق : وبنو إسماعيل، وبنو نابت مع جدهم : مضاض ابن عمرو وأخوالهم من جرهم [١] ، وجرهم وقطوراء[٢] يومئذ أهل مكة ، وهما ابناعم ، وكانا ظعنا من اليمن ، فأقبلا سيارة ، وعلى جرهم : مُضاض بن عمرو ، وعلى قطوراء : السَّمَيدع[٣] رجل منهم . وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملك يقيم أمرهم . فلما نزلا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجر ، فأعجبهما فنزلا به . فنزل مُضاض بن عمرو بمن معه من جرهم بأعلى مكة بقُعَيقِعان ، فما حاز . ونزل السَّمَيْدع بقطوراء ، أسفل مكة بأجْياد ، فما حاز : فكان مضاض يَعْشِر من دخل مكة من أعلاها ، وكان السميدُع يَعْشِر من دخل مكة من أسفلها ، وكل في قومه لا يدخل واحد منهما على صاحبه . ثم إن جرهم وقطوراء بغى بعضهم على بعض ، وتنافسوا الملك بها : ومع مضاض يومئذ بنو إسماعيل وبنو نابت ، وإليه ولاية البيت دون السَّميدع . فصار بعضهم إلى بعض ، فخرج مضاض بن عمرو من قعيقعان في كتيبته سائرًا إلى السميدع ، ومع كتيبته عُدتها من الرماح والدَّرَق والسيوف والجعاب، يقعقع بذلك معه، فيقال : ما سمي قعيقعان : بقعيقعان إلا لذلك[٤] . وخرج السميدع من أجياد ، ومعه الخيل والرجال ،

(١) هو قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، ويقال : جرهم بن عابر ، وقد قيل : إنه كان مع نوح عليه السلام في السفينة ، وذلك أنه من ولد ولده ، وهم من العرب العاربة، ومنهم تعلم إسماعيل العربية. وقيل إن الله تعالى أنطقه بها إنطاقا، وهو ابن أربع عشرة سنة.

(٢) هو قطوراء : بن كَرْكَر .

(٣) هو السَّميدع بن هوثر — بثاء مثلثة — قيدها البكرى — ابن لاى بن قطورا بن كركر بن عِملاق ، ويقال : إن الزَّبّاء الملكة كانت من ذريته ، وهى بنت عمرو بن أُذَيْنَة ابن ظَرِب بن حسان ، وبين حسان وبين السميدع آباء كثيرة ، ولا يصح قول من قال : إن حسان ابنه لصلبه ، لبعد زمن الزباء من السميدع

(٤) وقيل إنما سمي بهذا الاسم حين نزل تُبَّع مكة ، ونحر عندها وأطعم ، ووضع سلاحه وأسلحة جنده بهذا المكان ، فسمى : قعيقعان بقعقعة السلاح فيه .

فيقال : ماسمى أجياد : إلا لخروج الجياد(١) من الخيل مع السّميدع منه ، فالتقوا بفاضح ، واقتتلوا قتالا شديداً،فقُتل السميدع ، وفُضحت قطوراء . فيقال : ماسمى فاضح : فاضحا إلا لذاك . ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح ،فساروا حتى نزلوا المطابخ : شعبا بأعلى مكة ،واصطلحوا به ، وأسلوا الأمر إلى مُضاض.فلما جمع إليه أمر مكة ، فصار مُلكها له نحر للناس فأطعمهم ، فاطبخ الناس وأكلوا، فيقال: ماسميت المطابخ إلا لذلك . وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت المطابخ ، لما كان تُبّع نحر بها ، وأطعم ، وكانت منزله. فكان الذى كان بين مضاض والسميدع أول بغى كان بمكة فيما يزعمون .

انتشار ولد إسماعيل : ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة . وأخوالهم من جُرهم ولاة البيت والحكام بمكة ، لاينازعهم ولد إسماعيل فى ذلك لخئولتهم وقرابتهم ، وإعظاما للحرمة أن يكون بها بغى أوقتال . فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا فى البلاد ، فلا يناوئون قوما إلا أظهرهم الله عليهم - بدينهم - فوطئوهم .

بَغى جُرْهم ونفيهم عن مكة

بنو بكر وغبشان يطردون جرهما : ثم إن جرهما بغوا بمكة ، واستحلوا خِلالا من الحرمة ، فظلموا من دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذى يُهدى لها(٢) ، ففرق

(١) لم يسم بأجياد من أجل جياد الخيل ، كما ذكر لأن جياد الخيل لايقال فيها : أجياد . وإنما أجياد : جمع جيد .

وذكر أصحاب الأخبار أن مُضاضا ضرب فى ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة . فسمى الموضع : بأجياد ، وهكذا ذكر ابن هشام فى غير هذا الكتاب ، ومن شعب أجياد تخرج دابة الأرض التى تكلم الناس قبل يوم القيامة ، كذلك روى عن صالح مولى التوأمة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٢) فن ذلك أن إبراهيم عليه السلام ، كان احتفر بئرا قريبة القعْر عند باب الكعبة ، كان يلق فيها ما يهدى إليها ، فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة ، فيذكر أن رجلا منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة ، فسقط عليه حجر من شفير البئر فحبسه فيها ، ثم =

أمرهم . فلما رأت بنو بكر بن عبد مَناة بن كنانة وغبشان من خزاعة ذلك ، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة ؛ فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بكر وغبشان ، فنفوهم من مكة . وكانت مكة في الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بَغيا ، ولا يبغى فيها أحد إلا أخرجته . فكانت تسمى : النَّاسَّة ، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه ، فقال : إنها ما سميت ببكة إلا أنها كانت تبك(١) أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا .

معنى بَكَّة : قال ابن هشام : أخبرني أبو عبيدة : أن بكة اسم لبطن مكة ، لأنهم يتباكون فيها ، أي : يزدحمون ، وأنشدني :

إذا الشَّرِيب أخذته أكَّه فخلِّه حتى يَبُكّ بَكَّه

أي : فدعه حتى يبك إبله ، أي يخليها إلى الماء ، فتزدحم عليه ، وهو موضع البيت والمسجد . وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال ابن إسحاق : فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن ، فدفنهما في زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديداً ، فقال عمرو بن الحارث بن مضاض في ذلك(٢) ، وليس بمضاض الأكبر :

= أرسلت على البئر حية لها رأس كرأس الجدى ، سوداء المتن ، بيضاء البطن ، فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة . وقامت في البئر — فيما ذكروا — نحواً من خمسمائة عام .

(١) أي تكسرهم وتقدعهم . وقيل : من التَّبَاك ، وهو : الازدحام ، ومكة من تمككت العظم ، إذا اجتذبت ما فيه من المخ ، وتمكك الفصيل ما في ضرع الناقة ، فكأنها تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الناس والأقوات التي تأتيها في المواسم .

وقيل : لما كانت في بطن واد ، فهي تمكك الماء من جبالها وأخاشبها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول . ومن أسماء مكة أيضا : الرأس ، وصَلاح ، وأم رُحْم ، وكُوثى .

(٢) وكان الحارث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هيّ بن نبت بن جرهم الجرهمي قد نزل بقنوني من أرض الحجاز ، فضلت له إبل ، فبغاها حتى أتى الحرم ، فأراد دخوله ، ليأخذ إبله ، فنادى عمرو بن لحي من وجد جرهميا ، فلم يقتله ، قطعت يده . فسمع بذلك الحارث ، وأشرف على جبل من جبال مكة ، فرأى إبله تُنحر ، ويُتوزع لحمها ، فانصرف يائساً خائفاً ذليلا ، وأبعد في الأرض ، وهي غربة الحارث بن مضاض التي تضرب بها المثل .

وقائلةٍ والدمع سَكْبٌ مُبادر ... وقد شرِقت بالدمع منها المحاجرُ
كأن لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصفا ... أنيس ولم يسمُر بمكّة سامر(١)
فقلتُ لها والقلبُ منى كأنما ... يُلجلجه بين الجناحين طائر
بلى نحن كنا أهلَها ، فأزالنا ... صروفُ الليالى ، والجُدود العواثر
وكنا ولاةَ البيتِ من بعد نابتٍ ... نطوف بذاك البيتِ ، والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت ... بعز ، فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعزّزنا فأعظمْ بملكنا ... فليس لحيٍّ غيرِنا ثَمّ فاخر
ألم تُنكحوا من خيرِ شخصٍ علمته ... فأبناؤه منا ، ونحن الأصاهر(٢)
فإن تَنْثَنِ الدنيا علينا بحالها ... فإن لها حالا ، وفيها التشاجر
فأخرجَنا منها المليك بقُدرة ... كذلك — يا للناسِ — تجرى المقادر
أقول إذا نام الخَلِىُّ ولم أنم ... : إذا العرش لايبعد سُهَيل وعامر(٣)
وبُدّلت منها أوْجُها لاأحبها ... قبائلَ منها حِميَرٌ ويُحابِر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة ... بذلك عضّتنا السنونَ الغوابر
فسحت دموع العين تبكى لبلدة ... بها حرم أمن ، وفيها المشاعر(٤)
وتبكى لبيت ليس يُؤذَى حمامه ... يظل به أمنا ، وفيه العصافر(٥)
وفيه وحوش ـ لاتُرام ـ أنيسة ... إذا خرجت منه ، فليست تغادر(٦)

قال ابن هشام : « فأبناؤه منا » ، عن غير ابن إسحاق .

(١) الحجون بفتح الحاء على فرسخ وثلث من مكة .

(٢) خير شخص : هو إسماعيل عليه السلام .

(٣) عامر : جبل من جبال مكة ، يدل على ذلك قول بلال رضى الله عنه : وهل يبدُوَن لى عامر وطَفيل .

(٤) المشاعر : أماكن التعبد فى الحج .

(٥) أراد : العصافير ، وحذف الياء ضرورة ، ورفع العصافير على المعنى ، أى : وتأمن فيه العصافير ، وتظل به أمناً ، أى : ذات أمن ، ويجوز أن يكون أمْناً جمع آمن مثل : ركْب جمع : راكب .

(٦) وبعد هذا البيت :

ولم يتربع واسطاً وجَنُوبه ... إلى السر من وادى الأراك حاضر
وأبدلنى ربى بها دار غربة ... بها الجوع باد ، والعدو المحاصر

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بكرا وغبشان ، وساكنى مكة الذين حلوا فيها بعدهم :

يا أيها الناس سيروا إن قصرّكم ... أن تُصبحوا ذات يوم لا تسيرونا [١]
حثوا المطىّ ، وأرخوا من أزمتها ... قبل الممات ، وقَضُّوا ماتُقضونا
كنا أناسا كما كنتم ، فغيَّرنا ... دهر ، فأنتم كما كنا تكونونا

قال ابن هشام : هذا ماصح له منها . وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر : أن هذه الأبيات أول شعر قيل فى العرب ، وأنها وجدت مكتوبة فى حجر باليمن [٢] ، ولم يسم لى قائلها .

---

(١) قصركم : نهايتكم .

(٢) ذكر السهيلى هذه الأبيات وقال : وألفيت فى كتاب أبى بحر سفيان بن العاصى خبرا لهذه الأبيات ، وأسنده أبو الحارث محمد بن أحمد الجعفى عن عبد الله بن عبد السلام المصرى ، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن سليمان التمار ، قال أخبرنى ثقة عن رجل من أهل اليمامة ، قال : وجد فى بئر باليمامة ثلاثة أحجار ، وهى بئر طَسْم وجَديس فى قرية يقال لها : معنّق ، بينها وبين الحجر ميل ، وهم من بقايا عاد ،غزاهم تبع ، فقتلهم ، فوجدوا فى حجر من الثلاثة الأحجار مكتوبا :

يأيها الملك الذى ... بالملك ساعده زمانه
ما أنت أول من علا ... وعلا شئون الناس شانه
أقصر عليك مراقبا ... فالدهر مخذول أمانه
كم من أشَمّ مُعَصَّب ... بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزما ... ن ، وكان ذا خَضْل جنانه
تجرى الجداول حوله ... الجند مُشْرعة جفانه
قد فاجأته منية ... لم ينجه منها اكتنانه
وتفرقت أجناده ... عنه ، وناح به قيانه
والدهر من يَعْلَق به ... يطحنه ، مفترشا جرانه
والناس شتى فى الهوى ... كالمرء مختلف بنانه
والصدق أفضل شيمة ... والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى ... ولقد يُشرّفه بيانه

ووجدفى الحجر الثانى مكتوباً أبيات :

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن غُبْشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة ، وكان الذى يليه منهم : عمرو بن الحارث الغُبْشانى ، وقريش إذ ذاك حلول وصرم ، وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيل بن حَبَشِية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى .

قال ابن هشام : يقال حُبْشِية بن سلول .

= كل عيش تَعِلَّة ليس للدهر خلّه
يوم بُؤسى ونُعْمَى واجتماع وقِلّه
حبذا العيش والبكا ثر جهل وضلّه
بينما المرء ناعم فى قصور مُظلّه
فى ظلال ونعمة ساحبا ذيل حلّه
لا يرى الشمس مُلْتَمِعًا رّة إذ زل زلّه
لم يُغلها ، وبَدَّلَتْ عِزة المرء ذِلّه
آفة العيش والنعـ ـيم كُرُور الأهلّة
وصل يوم بليلة واعتراض بِعِلّه
والمنايا جواثم كالصقور المدلّه
بالذى تكره النفـ ـوس عليها مُطلّه

وفى الحجر الثالث مكتوبا :

يأيها الناس سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حُثُّوا المَطِىَّ ، وأرخوا من أزمتها قبل الممات وقَضُّوا ما تقضونا
كنا أناساً كما كنتم فغيرنا دهر فأنتم كما كنا تكونونا

تزوج قصي بن كلاب حبى بنت حُلَيْل

أولاد قصي وحبي: قال ابن إسحاق: ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى حُليل بن حُبْشِية ابنته حُبي، فرغب فيه حليل فزوجه، فولدت له عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى، وعبدا. فلما انتشر ولد قصي، وكثر ماله، وعظم شرفه، هلك حُليل.

مساعدة رزاح لقصي في تولي أمر البيت: فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر، وأن قريشا قُرْعة[1] إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده. فكلم رجالا من قريش، وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة، فأجابوه. وكان ربيعة بن حرام من عُذْرة بن سعد بن زيد قد قدم مكة بعد ما هلك كلاب، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سَيَل، وزُهرة يومئذ رجل، وقصي فطيم، فاحتملها إلى بلاده، فحملت قصيا معها، وأقام زهرة، فولدت لربيعة رزاحا. فلما بلغ قصي، وصار رجلا أتى مكة[2]، فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أمه، رزاح بن ربيعة، يدعوه إلى نصرته، والقيام معه، فخرج رزاح بن ربيعة، ومعه إخوته: حُنّ بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجُلْهُمة بن ربيعة، وهم لغير أمه فاطمة، فيمن تبعهم من قضاعة في حاج العرب، وهم مجمعون لنصرة قصي. وخزاعة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر. وقال: أنت أولى بالكعبة، وبالقيام عليها،

---

(١) هكذا بالقاف، وهي الرواية الصحيحة، وفي بعض النسخ: فرعة بالفاء، والقرعة بالقاف هي: نخبة الشيء، وخياره، وقريع الإبل: فحلها، وقريع القبيلة: سيدها، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمّي من العرب بالأقرع.

(٢) كان قصي رضيعا حين احتملته أمه مع بعلها ربيعة، فنشأ ولا يعلم لنفسه أبا إلا ربيعة، ولا يدعى إلا له، فلما كان غلاما يَفَعَةً أو حَزَوَّرا (دون البلوغ) سابّه رجل من قضاعة، فعيره بالدعوة، وقال: لست منا، وإنما أنت فينا ملصق، فدخل على أمه، وقد وجم لذلك، فقالت له: يا بني صدق، إنك لست منهم، ولكن رهطك خير من رهطه، وآباؤك أشرف من آبائه، وإنما أنت قرشي، وأخوك وبنو عمك بمكة، وهم جيران بيت الله الحرام، فدخل في سيارة حتى أتى مكة، والمعروف أن اسمه: زيد، وإنما كان قصيا أي بعيدا عن بلده فسمي: قصيا.

وبأمر مكة من خزاعة ، فعند ذلك طلب قصيّ ما طلب[1] . ولم نسمع ذلك من غيرهم . فالله أعلم أى ذلك كان .

ما كان يليه الغوث بن مرّ من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر يلي الإجازة للناس بالحج من عرفة ، وولدُه من بعده ، وكان يقال له ولولده : صُوفة[2]

(١) وذكر المؤرخون أسبابا لانتقال ولاية البيت إلى قصى وهو أن حُلَيْلا كان يُعطى مفاتيح البيت ابنته حُبي ، حين كبر وضعف ، فكانت بيدها ، وكان قصى ربما أخذها فى بعض الأحيان، ففتح البيت للناس وأغلقه ، ولما هلك حليل أوصى بولاية البيت إلى قصى. فأبت خزاعة أن تُمضى ذلك لقصى، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة. وأرسل إلى رزاح أخيه يستنجده عليهم.

ويذكر أيضا أن أبا غُبْشَان من خزاعة ، واسمه : سليم ـ وكانت له ولاية الكعبة ـ باع مفاتيح الكعبة من قصى بزِق خمر ، فقيل : أخسر من صفقة أبى غبشان . ذكره المسعودى، والأصبهانى فى الأمثال .

وكان الأصل فى انتقال ولاية البيت من ولد مضر إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار ، وبغت فيه إياد أخرجتهم بنو مضر بن نزار ، وأجلوهم عن مكة ، فعمدوا فى الليل إلى الحجر الأسود ، فاقتلعوه ، واحتملوه على بعير فرزح البعير به . وسقط إلى الأرض ، وجعلوه على آخر ، فرزح أيضا ، وعلى الثالث ففعل مثل ذلك . فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا. فلما أصبح أهل مكة ، ولم يروْه ، وقعوا فى كرب عظيم ، وكانت امرأة من خزاعة قد بَصُرت به حين دفن . فأعلمت قومها بذلك . فحينئذ أخذت خزاعة على ولاة البيت أن يتخلّوا لهم عن ولاية البيت ، ويدلوهم على الحجر ، ففعلوا ذلك، فن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صيرها أبو غُبْشَان إلى عبد مناف ، هذا معنى قول الزبير . (عن الروض الأنف)

(٢) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئاً من غير أهله ، أو قام بشىء من خدمة البيت ، أو بشىء من أمر المناسك يقال لهم : صوفة وصوفان . قال أبو عبيدة : لأنه بمنزلة الصوف ، فهم القصير والطويل والأسود والأحمر ، ليسوا من قبيلة واحدة.

وذكر أبو عبد الله أنه حدثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى =

وإنما ولى ذلك الغوث بن مر ، لأن أمه كانت امرأة من جرهم ، وكانت لا تلد ، فنذرت لله إن هي ولدت رجلا : أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ، ويقوم عليها ، فولدت ، فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الأول مع أخواله من جرهم ، فولى الإجازة بالناس عن عرفة ، لمكانه الذى كان به من الكعبة ، وولده من بعده حتى انقرضوا . فقال مر بن أد لوفاء نذر أمه :

إنى جعلت رب من بنيه   ربيطة بمكة العليه
فباركن لى بها أليه   واجعله لى من صالح البريه

وكان الغوث بن مر - فيما زعموا - اذا دفع بالناس قال :

لاهم انى تابع تباعه   إن كان إثم فعلى قضاعة(١)

صوفة ورمى الجمار : قال ابن إسحاق: حدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال: كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة ، وتجيز بهم إذا نفروا من منى ، فإذا كان يوم النفر أتوا لرمى الجمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون حتى يرمى . فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم حتى نرمى معك ، فيقول لا والله ، حتى تميل الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون

= قال : إنما سمى الغوث بن مر : صوفة ، لأنه كان لا يعيش لأمه ولد ، فنذرت : لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ، ولتجعلنه ربيطاً للكعبة ، ففعلت فقيل له : صوفة ، ولولده من بعده، وهو : الربيط .

وحدث ابراهيم بن المنذر عن عمرو بن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرنى عقال بن شبه قال : قالت أم تميم بن مر — وولدت نسوة — فقالت : لله علىّ إن ولدت غلاما لأعبدنه للبيت ، فولدت الغوث ، وهو أكبر ولد مر ، فلما ربطته عند البيت أصابه الحر ، فمرت به — وقد سقط وذوى واسترخى فقالت : ماصار ابنى الا صوفه ، فسمى صوفة .

(١) سبب قوله : ان كان اثم فعلى قضاعة انما خص قضاعة بهذا ، لأن منهم محلين يستحلون الأشهر الحرم ، كما كانت خثعم وطىء تفعل ، وكذلك كانت النسأة تقول اذا حرمت صفراً أو غيره من الأشهر بدلا من الشهر الحرام - يقوم قائلهم : قد حرمت عليكم الدماء الا دماء المحلين

الله : ويلك ! قم فارم ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس ، قام فرمى ورمى الناس معه .

قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمى الجمار ، وأرادوا النفر من منى ، أخذت صوفة بجانبي العقبة ، فحبسوا الناس وقالوا : أجيزى صوفة ، فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا ، فإذا نفرت صوفة ومضت ، خُلى سبيل الناس ، فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك ، حتى انقرضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم بالقُعْدد ⁽¹⁾ بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بنى سعد فى آل صفوان بن الحارث بن شِجْنة .

نسب صفوان بن جناب : قال ابن هشام : صفوان بن جناب بن شِجنة : عُطارد بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

صفوان وبنوه وإجازتهم للناس بالحج : قال ابن إسحاق : وكان صفوان هو الذى يجيز الناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام ، كَرِب بن صفوان. وقال أوس بن تميم بن مَغْراء السعدى :

لايبرحُ الناس ماحجوا مُعرَّفَهم حتى يقال : أجيزوا آل صَفوانا

قال ابن هشام : هذا البيت فى قصيدة لأوس بن مَغراء .

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

ذو الأصبع يذكر هذه الإفاضة : وأما قول ذى الإصبع العدوانى ، واسمه حُرْثان بن عمرو ، وإنما سمى ذا الإصبع ؛ لأنه كان له إصبع فقطعها :

عَذيرَ الحىّ من عَدْوا نَ كانوا حَيةَ الأرضِ⁽²⁾

---

(1) أى بالقرابة ، وذلك أن سعدا هو : ابن زيد مناة بن تميم بن عامر .

(2) يقال فلان حية الأرض ، وحية الوادى ؛ إذا كان مَهيباً يُذْعَر منه ، كما قيل :

يا مُحكم بن طفيل قد أتيح لكم لله در أبيكم حية الوادى

يعنى بحية الوادى : خالد بن الوليد رضى الله عنه .

وعذير الحى من عدوان . نصب عذيراً على الفعل المتروك إظهاره ، كأنه يقول : هاتوا عذيره ، أى : من يعذره ، فيكون العذير بمعنى : العاذر ، ويكون أيضا بمعنى : العذر مصدرا كالحديث ونحوه .

بغَى بعضُهم ظلما فلَم يُرْعِ على بعضِ
ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقَرْض
ومنهم من يُجيز النا سَ بالسُّنة والفرضْ
ومنهم حَكَم يقضى فلا يُنقَضُ ما يَقضى

أبوسيارة يفيض بالناس: وهذه الأبيات فى قصيدة له — فكان الإفاضة من المزدلفة كانت فى عَدْوان — فيما حدثنى زياد بن عبدالله البكائى عن محمد بن إسحاق — يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو سيَّارة، عُمَيلة بن الأعزل.(١) ففيه يقول شاعر من العرب:

نحن دفعنا عن أبي سَيَّارة وعن مواليه بنى فَزارهْ
حتى أجاز سالما حِمارَه مستقبلَ القبلةِ يدعو جارَه

قال: وكان أبو سَيارة يدفع بالناس على أتان له؛ فلذلك يقول: «سالما حماره».(٢)

أمر عامر بن ظَرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

ابن الظرب حاكم العرب: قال ابن إسحاق: وقوله: حكم يقضى يعنى: عامر بن ظَرِب ابن عمرو بن عياذ بن يَشكر بن عدوان العدوانى. وكانت العرب لا يكون بينها نائرة (٣)،

---

(١) وقال غير ابن إسحاق: اسمه: العاصى. قاله الخطابى: واسم الأعزل: خالد، ذكره الأصبهانى.

(٢) كانت له أتان عوراء خطامها ليف. يقال: إنه دفع عليها فى الموقف أربعين سنة، وإياها يعنى الراجز فى قوله:

حتى يجيز سالما حماره

وكانت تلك الأتان سوداء، ولذلك يقول:

لا هُمّ مالى فى الحمارِ الأسود أصبحت بين العالمين أحسد
فَقِ أبا سيارة المُحَسَّد من شر كل حاسد إذ يحسد

(٣) النائرة: الكائنة الشنيعة بين القوم.

ولا مُعْضِلَة فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رضوا بما قضى فيه، فاختُصم إليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه، فى رجل خنثى، له ما للرَّجل، وله ما للمرأة، فقالوا: أنجعله رجلا أو امرأة؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه. فقال: حتى أنظر فى أمركم، فوالله مانزل بى مثل هذه منكم يامعشر العرب! فاستأخروا عنه، فبات ليلته ساهراً يقلب أمره، وينظر فى شأنه، لا يتوجه له منه وجه. وكانت لهجارية يقال لها: سُخَيْلة ترعى عليه غنمه، وكان يعاتبها إذا سرحت فيقول: صبَّحت والله ياسُخَيل! وإذا أراحت عليه، قال: مسَّيت والله ياسخيل! وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس. فلما رأت سهره وقلقه، وقلة قراره على فراشه قالت: مالك لا أبالك! ما عراك فى ليلتك هذه؟ قال: ويلك! دعيني، أمر ليس من شأنك، ثم عادت له بمثل قولها، فقال فى نفسه: عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرج، فقال: ويحك! اختصم إلىَّ فى ميراث خنثى، أأجعله رجلا أو امرأة؟ فوالله ما أدرى ما أصنع، وما يتوجه لى فيه وجه؟ قال: فقالت: سبحان الله! لا أبالك! أتبع القضاء المَبال، أقعده، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل، وإن بال من حيث تبول المرأة، فهى امرأة. قال: مَسِّى سخيل بعدها أو صبحى، فرَّجتها والله! ثم خرج على الناس حين أصبح، فقضى بالذى أشارت عليه به (١).

غلب قصى بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له

قصى يتغلب على صوفة: قال ابن إسحاق: فلما كان ذلك العام، فعلت صوفة كما كانت تفعل، وقد عرفت ذلك لها العرب، وهو دين فى أنفسهم فى عهد جرهم وخزاعة وولايتهم. فأتاهم قصى بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة، فقال: لنحن

---

(١) وهو حكم معمول به فى الشرع، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات، وله أصل فى الشريعة، قال الله سبحانه: «وجاءوا على قميصه بدم كذب»، وجه الدلالة على الكذب فى الدم أن القميص المُدَمَّى لم يكن فيه خرق ولا أثر لأنياب الذئب، وكذلك قوله: «إن كان قميصه قُدَّ من قُبُل» الآية، وقول النبى – صلى الله عليه وسلم – فى المولود: «إن جاءت به أورق جعداً جُمَّاليّاً فهو للذى رُميت به».

أولى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقتتل الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك .

قصي يقاتل خزاعة وبني بكر : وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه باداهم ، وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً ، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ، وإلى أن يحكّموا بينهم رجلا من العرب ، فحكّموا يَعْمَر بن عوف بن كعب بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فقضى بينهم بأن قصياً أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر : موضوع يَشْدَخه تحت قدميه ، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ، ففيه الدية مؤدّاة ، وأن يخلى بين قصي وبين الكعبة ومكة .

فسمي يعمر بن عوف يومئذ : الشدّاخ(1) ، لما شدخ من الدماء ووضع منها .

قصي يتولى أمر مكة : قال ابن إسحاق : فولي قصيّ البيت وأمر مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملّكوه ، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه ديناً في نفسه لا ينبغي تغييره ، فأقر آل صفوان وعَدْوان والنسأة ومُرة ابن عوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام ، فهدم الله به ذلك كله . فكان قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب مُلكاً أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة ، والسّقاية ، والرّفادة ، والنّدوة(2) ، واللواء ، فحاز شرف مكة كله ، وقطع مكة رِباعاً بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها . ويزعم الناس أن قريشاً هابوا قطع شجر الحرم في

(1) ويعمر الشداخ هو جد بني دأب الذين أخذ عنهم كثير من علم الأخبار والأنساب ، وهم : عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، وأبوه : يزيد ، وحذيفة بن دأب ، ودأب هو : ابن كرز ابن أحمر من بني يعمر بن عوف الذي شدخ دماء خزاعة ، أي : أبطلها ، وأصل الشدخ : الكسر والفضخ ، ومنه الشُّجّة الشادخة ، شبهت بالضربة الواسعة .

(2) وهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور ، ولفظها مأخوذ من لفظ النّديّ . والنادي والمنتدى : وهو مجلس القوم الذي يَندون حوله ، أي : يذهبون قريباً منه ، ثم يرجِعون =

منازلهم، فقطعها قصى بيده وأعوانه(١) فسمته قريش: مُجَمِّعًا لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره، فما تُنكح امرأة، ولا يتزوج رجل من قريش، وما يتشاورون فى أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواء الحرب قوم من غيرهم إلا فى داره، يعقده لهم بعض ولده، وما تدَّرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا فى داره، يشق عليها فيها درعها ثم تدَّرعه، ثم ينطلق بها إلى أهلها. فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته، ومن بعد موته، كالدِّين المتبع لا يُعمل بغيره. واتخذ لنفسه دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضى أمورها: قال ابن هشام: وقال الشاعر:

قُصَى لعمرِى كان يُدعى مُجَمِّعا ... به جمَّع الله القبائل من فِهر

═ إليه، والتندية فى الخيل: أن تصرف عن الورْد إلى المرعى قريباً، ثم تعاد إلى الشرب، وهو المندّى. وهذه الدار تصيرت بعد بنى عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصى، فباعها فى الإسلام بمائة ألف درهم، وذلك فى زمن معاوية، فلامه معاوية فى ذلك، وقال: أبعت مَكرُمة آبائك وشرفهم؟! فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى. والله: لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر، وقد بعتها بمائة ألف درهم، وأشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله، فأينا المغبون؟! ذكر خبر حكيم هذا: الدارقطنى فى أسماء رجال الموطأ له.

(١) قال الواقدى: الأصح فى هذا الخبر أن قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصى: كيف نصنع فى شجر الحرم، فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك، فكان أحدهم يحوف بالبنيان حول الشجرة، حتى تكون فى منزله. قال: فأول من ترخص فى قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دوراً بقعيقعان، لكنه جعل دية كل شجرة: بقرة وكذلك يروى عن عمر — رضى الله — أنه قطع دوحة كانت فى دار أسد بن عبد العزّى، كانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة، وذلك قبل أن يوسع المسجد، فقطعها عمر — رضى الله عنه — وداها بقرة، ومذهب مالك — رحمه الله — فى ذلك: ألا دية فى شجر الحرم. قال: ولم يبلغنى فى ذلك شىء. وقد أساء من فعل ذلك، وأما الشافعى — رحمه الله — فجعل فى الدوحة بقرة، وفيما دونها شاة. وقال أبو حنيفة — رحمه الله — إن كانت الشجرة التى فى الحرم مما يغرسها الناس، ويستنبتونها، فلا فدية على من قطع شيئاً منها، وإن كان من غيرها، ففيه القيمة بالغاً ما بلغت.

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الملك بن راشد عن أبيه ، قال : سمعت السائب بن خَبَّاب صاحب المقصورة يحدث ، أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب — وهو خليفة — حديثَ قصى بن كلاب ، وما جمع من أمر قومه وإخراجه خزاعة وبنى بكر من مكة ، وولايته البيت وأمر مكة ، فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره .

شعر رزاح بن ربيعة فى هذه القصة : قال ابن إسحاق : فلما فرغ قصى من حربه ، انصرف أخوه رزاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه من قومه ، وقال رزاح فى إجابته قُصيا :

لما أتى من قصى رسولُ ... فقال الرسولُ أجيبوا الخليلا
نهضنا إليه نقود الجيادَ ... ونطْرح عنا المَلول الثقيلا
نسير بها الليلَ حتى الصباحِ ... ونَكمِى النهار ، لئلا نزولا[1]
فهن سراع كوِردِ القَطا ... يُجبْن بنا من قُصىٍّ رسولا
جمعنا من السر من أشمذَيْنِ ... ومن كل حىٍّ جمعنا قبيلا[2]
فيالَكِ حَلبةَ ما ليلةٍ ... تزيد على الألف سَيْباً رسيلا[3]
فلما مررن على عَسْجرٍ ... وأسهلن من مُستناخ سبيلا[4]
وجاوزن بالركن من ورِقانٍ ... وجاوزن بالعَرْج حَيًّا حُلُولا[5]
مررن على الحِلِّ ما ذُقْنَه ... وعالجنَ من مَرَّ ليلاً طويلا[6]

(١) نكمى النهار ، أى : نكمن ونستتر ، والكَمِىُّ من الفرسان ، الذى تَكَمَّى بالحديد . وقيل : الذى يَكْمِى شجاعته ، أى : يسترها ، حتى يظهرها عند الوغى .

(٢) الأشمذان : جبلان ، ويقال : اسم قبيلتين .

(٣) الحلبة : الجماعة من الخيل . والسيب : المشى السريع . والرسيل : الذى فيه تمهل : أى تمشى سراعا ولكن فى رفق كما تزحف الحية .

(٤) عسجر : اسم موضع .

(٥) العرج : واد ناحية الطائف . وفيه جبل من أعظم الجبال ، وذكروا أن فيه أوشالا وعيونا عذابا ، وسكانه بنو أوس بن مزينة .

(٦) الحِل : هو الماء المستنقع فى بطن واد ، ووجدت فى غير أصل الكتاب روايتين ، إحداهما : مررن على الشَّحِل ، والأخرى : مررن على الحِلْى ، فأما الحل : فجمع حلة ، وهى بقلة شاكة . ذكره ابن دريد فى الجمهرة . وأما الحلى ، فيقال : إنه ثمر النَّصِىِّ وهو نبت .

تُعَدّى من العوذ أفلاءها ... إرادة أن يسترقْنَ الصّهيلا(١)
فلما انتهينا إلى مكةٍ ... أبحنا الرجالَ قبيلا قبيلا
نُعاوِرُهم ثَمَّ حدَّ السيوفِ ... وفى كلِّ أوْبٍ خلسْنا العقولا
نخبِّزُهم بصلابِ النّسو ... رِ خَبْزَ القويِّ العزيزِ الذليلا(٢)
قتلنا خُزاعةَ فى دارِها ... وبكراً قتلنا وجيلا فجيلا
نفيناهمُ من بلادِ المليكِ ... كما لا يحُلّونَ أرضا سُهولا
فأصبح سبيُهمُ فى الحديدِ ... ومن كلِّ حىٍّ شفينا الغليلا

شعر ثعلبة القضاعى فى هذه القصة: وقال ثعلبة بن عبدالله بن ذُبيان بن الحارث بن سعد بن هُذيم القضاعى فى ذلك من أمر قصى حين دعاهم فأجابوه:

جلبنا الخيلَ مُضمرةً تَغالَى ... من الأعرافِ أعرافِ الجِنابِ(٣)
إلى غَوْرَىْ تِهامة، فالتقينا ... من الفَيفاء فى قاعٍ يَبابِ
فأما صُوفةُ الخُنثَى، فخلّوْا ... منازلَهم مُحاذرةَ الضِّراب
وقام بنو علىٍّ إذ رأوْنا ... إلى الأسيافِ كالإبلِ الطِّراب(٤)

شعر قصى: وقال قصى:

أنا ابنُ العاصِمينَ بنى لُؤَىٍّ ... بمكّةَ منزلى، وبها رَبيتُ
إلى البطحاءِ قد علِمتْ مَعَدٌّ ... ومرْوتُها رَضيتُ بها رَضيت
فلستُ لغالبٍ إن لم تَأثَّلْ ... بها أولادُ قَيْذَرَ، والنَّبيت
رِزاحٌ ناصرى، وبه أُسامِى ... فلستُ أخافُ ضَيْما ما حَييتُ

---

(١) العوذ: الفرس التى لها أولاد. والأفلاء: جمع فلو المهر العظيم.

(٢) نخبِّزهم: أى: نسوقهم سوقا شديدا.

(٣) تغالى: ترتفع فى سيرها. والأعراف: الرمل المرتفع. والجناب: موضع ببلاد قضاعة.

(٤) بنو علىّ، وهم بنو كنانة، وإنما سموا ببنى على؛ لأن عبد مناة بن كنانة كان ربيبا لعلى ابن مازن من الأزد جد سطيح الكاهن، فقيل لبنى كنانة: بنو على، وأحسبه أراد فى هذا البيت بنى بكر بن عبد مناة؛ لأنهم قاموا مع خزاعة.

فلما استقر رِزاح بن ربيعة فى بلاده ، نَشره الله ونَشر حُنّا ، فهما قبيلا عُذْرة (١) اليوم .
وقد كان بين رِزاح بن ربيعة ، حين قدم بلاده ، وبين نَهْد بن زيد وحَوْتكة بن أَسْلُم (٢) ، وهما بطنان من قُضاعة شىء ، فأخافهم حتى لحقوا باليمن ، وأجلوا من بلاد قضاعة ، فهم اليوم باليمن .
فقال قصى بن كلاب ، وكان يحب قضاعة ونماءها واجتماعها ببلادها ، لما بينه وبين رِزاح من الرَّحم ، ولبلائهم عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته ، وكره ما صنع بهم رِزاح :

ألا مَن مُبْلغ عنى رِزاحا ... فإنى قد لحيْتُك فى اثنتين
لحيْتُك فى بنى نَهْدِ بنِ زيدٍ ... كما فرّقْتَ بينهمُ وبينى
وحَوْتَكةُ بنُ أَسْلُمَ إن قوما ... عَنَوْهُمْ بالمساءة قد عَنَوْنى

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبى .

قصى يفضل عبد الدار على سائر ولده : قال ابن إسحاق : فلما كبر قصى ورقّ عظمه ، وكان عبد الدار بِكْرَه ، وكان عبد مناف قد شَرُف فى زمان أبيه ، وذهب كلّ مذهب ، وعبد العُزّى وعبدٌ . قال قصى لعبد الدار : أما والله يابنى لألحقنك بالقوم ، وإن كانوا قد شرفوا عليك : لا يدخل رجل منهم الكعبة ، حتى تكون أنت تفتحها له ، ولا يُعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك ، ولا يشرب أحد بمكة إلا من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمراً من أمورها إلا فى دارك ، فأعطاه داره دار النَّدْوة ، التى لا تقضى قريش أمراً من أمورها إلا فيها ، وأعطاه الحِجابة واللواء والسِّقاية والرِّفادة .

---

(١) فى قضاعة : عُذْرَتان : عذرة بن رُفَيدة ، وهم من بنى كلب بن وبرة . وعذرة ابن سعد بن سُود بن أَسلُم بن الحاف بن قضاعة ، وأسلم هذا هو بضم اللام من ولد حن بن ربيعة أخى رزاح بن ربيعة .

(٢) وليس فى العرب أسلم بضم اللام إلا ثلاثة . اثنان منها فى قضاعة ، وهما : أسلم بن الحاف هذا ، وأسلم بن تَدُول بن تَيْم اللات بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كلب ، والثالث فى عك : أسلم بن القيافة بن غافق بن الشاهد بن عك ، وما عدا هؤلاء فأسلم بفتح اللام . ذكره ابن حبيب فى المؤتلف والمختلف . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ١٥٣ .

الرفادة : وكانت الرفادة خَرْجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها إلى قصى ابن كلاب ، فيصنع به طعاما للحاجّ ، فيأكله من لم يكن له سَعَة ولا زاد ، وذلك أن قصيا فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : يامعشر قريش ، إنكم جيران الله ، وأهل بيته ، وأهل الحرم ، وإن الحاجّ ضيفُ الله وزوارُ بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج ، حتى يَصْدروا عنكم ، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خَرْجاً ، فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاما للناس أيام مِنًى ، فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ، ثم جرى فى الإسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنًى للناس حتى ينقضى الحج .

قال ابن إسحاق : حدثنى بهذا من أمر قصى بن كلاب ، وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده : أبو إسحاق بن يَسار ، عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بنى عبد الدار يقال له : نُبيه بن وهب بن عامر بن عِكْرِمة بن عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَى .

قال الحسن: فجعل إليه قُصَى كل ما كان بيده من أمر قومه ، وكان قصى لا يُخالَف ، ولا يُرَدُّ عليه شىء صنعه .

ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصى وحلف المطيَّبين

النزاع بين بنى عبد الدار وبنى أعمامهم : قال ابن إسحاق : ثم إن قصى بن كلاب هلك ، فأقام أمرَه فى قومه وفى غيرهم بَنُوه من بعده ، فاختطّوا مكة رِباعا — بعد الذى كان قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها فى قومهم ، وفى غيرهم: من حلفائهم ويبيعونها . فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بنى عبد مناف بن قصى : عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفلا أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قُصَى مما كان قصى جعل إلى عبد الدار ، من الحجابة واللواء والسِّقاية والرِّفادة ، ورأَوْا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم ، فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بنى عبد مناف على رأيهم ؛

يرون أنهم أحق به من بنى عبد الدار لمكانهم فى قومهم، وكانت طائفة مع بنى عبدالدار ، يرون أن لاينزع منهم ماكان قصى جعل إليهم .

فكان صاحب أمر بنى عبد مناف : عبد شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان أسن بنى عبدمناف.

وكان صاحب أمر بنى عبد الدار : عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

حلفاء بنى عبد الدار وحلفاء بنى أعمامهم : فكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تَيْم بن مرة بن كعب ، وبنو الحارث بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر ، مع بنى عبد مناف .

وكان بنو مخزوم بن يَقَظة بن مرة ، وبنو سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب، وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ، وبنو عدى بن كعب ، مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامر بن لؤى ومحارب بن فهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسْلم بعضهم بعضاً ما بل بحرٌ صوفةً.

فأخرج بنو عبد مناف جَفْنة مملوءة طيبا ، فيزعمون أن بعض نساء بنى عبد مناف [1] ، أخرجتها لهم ، فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم، فسموا المطيَّبين.

وتعاقد بنو عبد الدار ، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حِلفا مؤكدا ، على أن لايتخاذلوا ، ولا يُسْلم بعضهم بعضا ، فسُمُّوا الأحلاف .

تقسيم القبائل فى هذه الحرب : ثم سُوِنّد[2] بين القبائل ، ولُزَّ[3] بعضها ببعض ، فعُبِّيَتْ

---

(١) وقد سماها الزبير فى موضعين من كتابه ، فقال : هى أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتوأمة أبيه .

(٢) سوند : من السناد ، وهى المقابلة فى الحرب بين كل فريق ، وما يليه من عدوه ، ومنه أخذ سناد الشعر ، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت ، فيكون قبل حرف الرَّوِى حرف مد ولين ، ويكون فى آخر البيت الثانى قبل حرف الرَّوِى حرف لين ، وهى ياء أو واو مفتوح ما قبلها .

(٣) لز : شد .

بنو عبد مناف لبنى سهم ، وَعُبِّيَتْ بنو أسد لبنى عبد الدار ، وَعُبِّيَتْ زُهرة لبنى جُمح ، وعُبيت بنو تيم لبنى مخزوم ، وعُبيت بنو الحارث بن فِهْر لبنى عدى بن كعب . ثم قالوا : لتَفْنِ كل قبيلة من أسند إليها .

تصالح القبائل : فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعَوْا إلى الصلح ، على أن يعطوا بنى عبد مناف السِّقاية والرِّفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والنَّدوة لبنى عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، وتحاجز الناس عن الحرب ، وثبت كل قوم مع من حالفوا . فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « ما كان من حِلف فى الجاهلية ، فإن الإسلام لم يَزِده إلا شدة » .

حِلف الفُضول

سبب تسميته : قال ابن هشام : وأما حِلف الفُضول[1] فحدثنى زياد بن عبدالله البَكَّائى عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حِلف ، فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن

---

(١) ذكر ابن قتيبة سبب تسمية هذا الحلف ، فقال : كان قد سبق قريشا إلى مثل هذا الحلف جرهم فى الزمن الأول ، فتحالف منهم ثلاثة هم ، ومن تبعهم ، أحدهم : الفضل بن فَضالة ، والثانى : الفضل بن وَداعة ، والثالث : فُضَيْل بن الحارث . هذا قول القتبى . وقال الزبير : الفضيل بن شَراعة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاعة ، فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجرهميين سُمِّى : حلف الفُضول ، والفضول : جمع فَضْل ، وهى أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم . وهذا الذى قاله ابن قتيبة حسن .

ولكن فى الحديث ما هو أقوى منه وأولى . روى الحُمَيْدىُّ عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابنى أبى بكر ، قالا : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لقد شهدتُ فى دار عبد الله بن جُدْعان حلفاً لو دُعيت به فى الإسلام لأجبت . تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها ، وألا يَعُزّ ظالم مظلوماً » . ورواه فى مسند الحارث بن عبد الله بن أبى أسامة التميمى ، فقد بين هذا الحديث : لم سُمِّىَ حلف الفضول .

وكان حلف الفضول بعد الفِجَار ، وذلك أن حرب الفجار كانت فى شعبان ، وكان حلف

جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة بن كعب بن لُؤَى ، لشرفه وسِنّه ، فكان حلفهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبدالعُزَّى ، وزهرة بن كلاب ، وتَيْم ابن مرة ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى تُرد عليه مظلمته ، فسمَّت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول .

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنفذ التَّيْمِي أنه سمع طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

= الفضول فى ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة .

وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمع به ، وأشرفه فى العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا إليه : الزبير بن عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زُبيد قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه العاصى بن وائل ، وكان ذا قدر بمكة وشرف ، فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف : عبد الدار ومخزوماً وجُمَح وسَهْماً وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاصى بن وائل ، وزَبَرُوه ، أى : انتهروه ، فلما رأى الزبيدى الشر ، أوفى على أبى قُبَيْس عند طلوع الشمس ، وقريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومُحرم أشعث لم يَقض عمرته يا للرجال وبين الحِجر والحَجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغُدَر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مَترك ، فاجتمعت هاشم وزُهرة وتَيْم بن مرة فى دار ابن جُدعان ، فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام قياما ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا بالله : ليكونُن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم ، حتى يؤَدّى إليه حقُّه ما بلَّ بحرٌ صوفة ، وما رسا حراء وثبير مكانهما ، وعلى التأسى فى المعاش ، فسمَّت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء فى فضل من الأمر ، ثم مشوا إلى العاصى ابن وائل ، فانتزعوا منه سلعة الزبيدى ، فدفعوها إليه .

« لقد شَهِدْتُ فى دار عبد الله بن جُدْعان (١) حِلفا ، ما أُحبُّ أن لى به حُمْرَ النَّعَم ، ولو أُدْعَى به فى الإسلام لأجبتُ » .

الحسين يهدد الوليد بالدعوة إلى إحياء الحلف : قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبدالله ابن أسامة بن الهادى اللَّيْثى أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمىّ حدثه : أنه كان بين الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان — والوليد يومئذ أمير على المدينة ، أمَّره عليها عمه معاوية بن أبى سفيان — منازعة فى مال كان بينهما بذى المروة ، فكان الوليد تحامل على الحسين فى حقه — لسلطانه — فقال له الحسين : أحلف بالله لتُنْصِفَنِّى من حقى ، أو لآخُذَنَّ سيفى ، ثم لأقومن فى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم لأدعُوَنَّ بحلف الفضول قال : فقال عبدالله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين ـ رضى الله عنه ـ ما قال : وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفى ، ثم لأقومن معه ، حتى يُنْصَف من حقه أو نموت جميعاً . قال : فبلغت المِسْوَر بن مَخْرَمة بن نَوْفل الزهرى ، فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التَّيْمى ، فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى .

خروج بنى عبد شمس وبنى نوفل من الحلف : قال ابن إسحاق وحدثنى : يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى اللَّيْثى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمى قال : قدم محمد بن

---

(١) وعبد الله بن جُدْعان هذا تَيْمى هو : ابن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم ، يكنى : أبا زُهير ابن عم عائشة — رضى الله عنها — ولذلك قالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : إن ابن جُدعان كان يطعم الطعام ، ويقرى الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا ، إنه لم يقل يوما : رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » أخرجه مسلم .

قال ابن قتيبة : وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير ، وسقط فيها صبى ، فغرق فيها . ومدحه أمية بن أبى الصلت فقال :

له داعٍ بمكة مُشْمَعِلٌّ وآخر فوق كعبتها ينادِى
إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى عليها لُبابُ البرِّ يُلْبك بالشِّهادِ

جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ـ وكان محمد بن جُبير أعلم قريش ـ فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قُتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك فلما دخل عليه قال له : يا أبا سعيد ، ألم نكن نحن وأنتم ، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف وبنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ، قال عبد الملك : لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق من ذلك ، فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، قال: صدقت .

هاشم يتولى الرفادة والسقاية : قال ابن إسحاق : فولىَ الرِّفادة والسِّقاية : هاشمُ بنُ عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلا سَفَّاراً قلَّما يقيم بمكة . وكان مُقِلاً ذا ولد ، وكان هاشم مُوسِرا فكان ـ فيما يزعمون ـ إذا حضر الحج ، قام فى قريش فقال : « يامعشر قريش ، إنكم جيران الله، وأهل بيته ، وإنه يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله وحُجاج بيته ، وهم ضَيْف الله ، وأحقُّ الضيف بالكرامة : ضَيْفُه ، فاجمعوا لهم ماتصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التى لابد لهم من الإقامة بها ، فإنه ـ والله ـ لوكان مالى يسع لذلك ما كلفتكوه ، فيخرجون لذلك خَرْجاً من أموالهم ، كل امرىء بقدر ماعنده ، فيُصنع به للحجاج طعامٌ ، حتى يصدروا منها .

أفضال هاشم على قومه : وكان هاشم ـ فيما يزعمون ـ أولَ من سَنَّ الرحلتين لقريش : رحلتى الشتاء والصيف ، وأولَ من أطعم الثَّريد للحجاج بمكة ، وإنما كان اسمه : عمراً ، فما سُمِّىَ هاشما إلا بهشْمِه الخبز بمكة لقومه[1]، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب[2]:

---

(١) سمى هاشماً لهشمه الثريد لقومه ، والمعروف فى اللغة أن يقال : ثردتُ الخبز ، فهو ثريد ومثرود ، فلم يُسَمَّ : ثارداً ، وسُمى هاشماً ، وكان القياس ـ كما لا يسمى الثريد هشيما ، بل يقال فيه : ـ ثريد ومثرود ـ أن يقال فى اسم الفاعل أيضا كذلك ، ولكن سبب هذه التسمية يحتاج إلى زيادة بيان . ذكر أصحاب الأخبار أن هاشما كان يستعين على إطعام الحاج بقريش ، فيرفدونه بأموالهم ، ويعينونه ، ثم جاءت أزمة شديدة فكره أن يكلف قريشا أمر الرِّفادة ، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله ، واشترى به أجمع كعكاً ودقيقا ، ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكعك كله هشماً ، ودقه دقاً ، ثم صنع للحجاج طعاما شبه الثريد ، فبذلك سمى هاشماً ـ لأن الكعك اليابس لا يُثْرَد ، وإنما يهشم هشماً .

(٢) هو ابن الزِّبَعْرى وسبب هذا المدح ، وهو سهمى ـ أى من بنى سعد بن سهم . لبنى عبد =

عمْرُو الذى هشَم الثريدَ لقومِه ... قومٍ بمكةَ مُسْنِتِينَ عِجَافِ
سُنَّتْ إليه الرحلتان كِلاهُمَا ... سَفَرُ الشتاءِ، ورحلةُ الإيلافِ

قال ابن هشام: أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز:

قومٌ بمكةَ مُسْنِتِين عجافِ

المطلب يلى الرِّفادة والسِّقاية: قال ابن إسحاق: ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزَّة من أرض الشام تاجراً، فولى السِّقاية والرِّفادة من بعده المطلب بن عبد مناف، وكان أصغرَ من عبد شمس وهاشم، وكان ذا شرف فى قومه وفضل؛ وكانت قريش إنما تسميه: الفَيْض، لسماحته وفضله.

زواج هاشم بن عبد مناف: وكان هاشم بن عبد مناف قدم المدينة، فتزوج سَلْمَى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار (١)، وكانت قبله عند أُحَيْحَة بن الجُلاح بن الحَرِيش (٢).

قال ابن هشام: ويقال: الحَرِيس بن جَحْجَبَى بن كُلْفَة بن عوْف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. فولدت له عمرو بن أُحَيْحَة، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، إذا كرهت رجلا فارقته.

= مناف — فيما ذكره ابن إسحاق فى رواية يونس — أنه كان قد هجا قُصيا بشعر كتبه فى أستار الكعبة، أوله:

أَلْهَى قُصَيّاً عن المجد الأساطيرُ ... ومِشْيةٌ مثل ما تمشى الشقاريرُ

فاستعدوا عليه بنى سهم، فأسلموه إليهم، فضربوه وحلقوا شعره، وربطوه إلى صخرة بالحجون. فاستغاث قومه فلم يغيثوه، فجعل يمدح قصيا ويسترضيهم، فأطلقه بنو عبد مناف منهم، وأكرموه فدحهم بهذا الشعر، وبأشعار كثيرة.

(١) ومن أجل هذا النسب قال سيف بن ذى يزن أو ابنه معدى كرب بن سيف ملك اليمن لعبد المطلب حين وفد عليه فى ركْب من قريش: مرحباً بابن أختنا، لأن سَلْمَى من الخزرج، وهم من اليمن من سبأ، وسيف من حمير بن سبأ.

(٢) قال الدارقطنى عن الزبير بن أبى بكر: إن كل ما فى الأنصار فهو: حريس بالسين غير معجمة إلا هذا.

سبب تسمية عبد المطلب باسمه : فولدت لهاشم : عبدَ المطلب ، فسمته شيبة ، فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفاً [١] أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ؛ ليقبضه ، فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سَلْمى : لست بمُرْسِلتِه معك ، فقال لها المطلب : إنى غير منصرف حتى أخرج به معى ، إن ابن أخى قد بلغ ، وهو غريب فى غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف فى قومنا ، نلى كثيراً من أمرهم ، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة فى غيرهم ، أو كما قال . وقال شيبة لعمه المطلب — فيما يزعمون — لست بمفارِقها إلا أن تأذنَ لى ، فأذنت له ، ودفعته إليه ، فاحتمله ، فدخل به مكة مُرْدِفَه معه على بعيره ، فقالت قريش : عبد المطلب ابتاعه ، فبها سُمِّيَ شيبةُ : عبدَ المطلب . فقال المطلب : ويحكم ! إنما هو ابن أخى هاشم ، قدمت به من المدينة .

وفاة المطلب : ثم هلك المطلب برَدْمانَ من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يبكيه :

قد ظَمِىءَ الحجيجُ بعدَ المطلبْ بعدَ الجِفانِ والشراب المنْثَغِبْ
ليتَ قُرَيشا بعدَه على نَصَبْ

مطرود يبكي المطلب وبنى عبد مناف : وقال مطرود بن كعب الخزاعى ، يبكى المطلب وبنى عبد مناف جميعا حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرهم هُلْكا :

يا ليلةً هيَّجْتِ ليلاتى إحدَى ليالىَّ القَسِيَّاتِ [٢]
وما أقاسى من هُموم ، وما عالجْتُ من رُزْءِ المنيَّاتِ
إذا تذكرْتُ أخِى نَوْفَلاً ذَكَّرنى بالأوَّلِيَّـاتِ
ذَكَّرنى بالأُزُرِ الحمرِ والـ أرْدِيةِ الصُّفرِ القَشِيباتِ
أربعةٌ ، كلُّهمُ سيدٌ أبناءُ ساداتٍ لساداتِ

---

(١) الوصيف : الغلام دون المراهقة .

(٢) القسيات : فعيلات من القسوة : أى : لا لين عندهن ، ولا رأفة فيهن ، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم القَسِى ، وهو الزائف ، وقد قيل فى الدرهم القسى : إنه أعجمى معرب ، وقيل : هو من القساوة لأن الدرهم الطيب ألين من الزائف ، والزائف أصلب منه . ونصب ليلة على التمييز .

ميتٌ بِرَدْمانَ وميْت بِسَلْـ ـمانَ وميْت بينَ غَزّاتِ(١)
وميّتٌ أُسكن لحداً لدى الـ ـمحجُوبِ شَرقىّ البَنِيّاتِ(٢)
أخلصهم عبدُ منافٍ فهمْ من لَوْمِ من لامَ بمَنْجاةِ
إن المُغيراتِ وأبناءها من خيرِ أحياءٍ وأمواتِ(٣)

اسم عبد مناف وترتيب أولاده موتا : وكان اسم عبد مناف : المغيرة ،وكان أول بنى عبد مناف هلكا : هاشم، بغزة من أرض الشام ، ثم عبد شمس بمكة ، ثم المطلب برَدْمان من أرض اليمن ، ثم نوفل بسَلْمان من ناحية العراق .

شعر آخر لمطرود : فقيل لمطرود ـ فيما يزعمون ـ لقد قلت فأحسنت ، ولو كان أفحل مما قلت كان أحسن ، فقال : أنظرونى ليالىَ ، فمكث أياما ، ثم قال :

ياعينُ جودى، وأذْرِى الدمعَ وانهمِرى وابكى على السِّرِّ من كعب المُغيراتِ
ياعينُ، واسحَنْفِرى بالدمع واحتفلى وابكى خبيئةَ نفسى فى المُلِمّاتِ(٤)
وابكى على كلّ فيّاضٍ أخى ثقةٍ ضخم الدَّسيعةِ وهّابِ الجزيلاتِ(٥)
محضِ الضريبةِ، عالى الهمِّ، مُخْتَلَقٍ جَلْدِ النَّحيزةِ، ناءٍ بالعظيماتِ(٦)

---

(١) بغزات . هى : غزة ، ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل ربض من البلدة اسم البلدة ، فيقولون : غزات فى غزة ، ويقولون فى بغدان : بغادين ، كما قال بعض المحدثين :

شربنا فى بغادين على تلك الميادين

(٢) البَنِيّات يعنى : البنية ، وهى : الكعبة ، وهو نحو مما تقدم فى غزات .

(٣) المغيرات : بنو المغيرة ، وهو عبد مناف ، كما قالوا : المناذرة فى بنى المنذر ، والأشعرون فى بنى أشعر بن أُدَد .

(٤) اسحنفرى : أديمى .

(٥) ضخم الدسيعة : كثير العطاء .

(٦) الضريبة: الطبيعة أى عظيم الخلق . ناء بالعظيمات . ليس قوله : ناء من النأى ، فتكون الهمزة فيه عين الفعل ، وإنما هو من ناء ينوء إذا نهض فالهمزة فيه لام الفعل ، كما هو فى جاء عند الخليل ، فإنه عنده مقلوب ، ووزنه : فالع، والياء التى بعد الهمزة هى: عين الفعل فى جاء يجىء .

صعبِ البديهةِ لا نِكْسٍ ولا وَكِلٍ ماضى العزيمةِ ، مِتْلافِ الكريماتِ(١)
صقرٍ توسّطَ من كعبٍ إذا نُسِبوا بُحبوحةَ المجدِ والشُّمِّ الرفيعاتِ
ثم اندُبى الفيضَ والفيَّاضَ مُطَّلِبا واستخرِطى بعدَ فيْضاتٍ بجمَّاتِ(٢)
أمسى بِرَدْمانَ عنا اليومَ مُغتربا يالهفَ نفسى عليه بينَ أمواتِ
وابكى - لكِ الويلُ - إمَّا كنتِ باكيةً لِعبْدِ شمسٍ بشرْقِ الثَّنِيَّاتِ
وهاشمٍ فى ضريحٍ وَسْطَ بَلْقعةٍ تَسْفِى الرياحُ عليه بين غزَّاتِ
ونوفلٍ كان دونَ القومِ خالصتى أمسَى بسَلْمانَ فى رَمْسٍ بمَوْماةِ(٣)
لم ألقَ مثلَهمُ عُجْما ولا عَرَباً إذا استقلَّتْ بهم أُدْمُ المطيَّاتِ(٤)
أمستْ ديارُهمُ منهمْ معطَّلةً وقد يكونونَ زَيْنا فى السَّرِيَّاتِ(٥)
أفناهمُ الدهرُ ، أمْ كَلَّتْ سيوفُهمُ أم كُلُّ من عاشَ أزوادُ المنيَّاتِ
أصبحتُ أرضَى من الأقوامِ بعدَهمُ بَسْطَ الوجوهِ وإلقاءَ التحياتِ
ياعينُ فابكى أبا الشُّعْثِ الشَّجيَّاتِ يَبْكينه حُسَّراً مِثْلَ البليَّاتِ(٦)

(١) النكس : الدنىء . (٢) استخرطى : استكثرى (٣) الموماة : القفر
(٤) الأدم : الإبل الكرام (٥) السريات : جمع سرية . الجماعة من الجيش
(٦) شدد الياء من الشجيات ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : ياء الشجى مخففة ، وياء الخلى مشددة ، وقد اعترض ابن قتيبة على أبى تمام الطائى فى قوله :
أيا ويح الشَّجِىِّ من الخَلىِّ وويح الدمع من إحدى بَلىِّ
واحتج بقول يعقوب فى ذلك ، فقال له الطائى : ومن أفصح عندك : ابن الجرمقانية يعقوب ، أم أبو الأسود الدؤلى حيث يقول :
ويل الشجىِّ من الخلى فإنه وَصِبُ الفؤاد بشجوه مغموم
وبيت مطرود أقوى فى الحجة من بيت أبى الأسود الدؤلى ، لأنه جاهلى محكّك ، وأبو الأسود : أول من صنع النحو ، فشعره قريب من التوليد ، ولا يمتنع فى القياس أيضاً أن يقال : شجىّ وشَجٍ ، لأنه فى معنى : حزن وحزين . وقد قيل : من شدد الياء ، فهو فعيل بمعنى مفعول . والبليات مفردها البليّة : الناقة التى كانت تُعقل عند قبر صاحبها إذا مات ، حتى تموت جوعا وعطشا .

يبكين أكرمَ من يمشي على قدمٍ ... يُعْوِلْنَه بدموعٍ بعدَ عَبَراتِ
يبكين شخصاً طويلَ الباعِ ذا فَجَرٍ ... آبى المضيمةِ ، فرّاجَ الجليلاتِ[1]
يبكين عمرو العُلا إذ حانَ مصرَعُه ... سمحَ السجيّةِ ، بسّامَ العشيّاتِ[2]
يبكينه مُستكيناتٍ على حَزَنٍ ... ياطولَ ذلكَ من حُزْنٍ وعَوْلاتِ
يبكينَ لمّا جلاهنَّ الزمانُ له ... خُضرَ الخدودِ كأمثالِ الحسِيّاتِ[3]
مُحتزماتٍ على أوساطهنّ لِما ... جرَّ الزمانُ من أحداثِ المُصيباتِ
أبيتُ ليلى أُراعى النجمَ من ألمٍ ... أبكى، وتبكى معى شَجْوى بُنَيّاتى
مافى القُرومِ لهم عِدْلٌ ولا خَطَرٌ ... ولا لمن تركوا شَرْوَى بقيّاتِ

= ويقولون : إنه يحشر راكبا عليها ، ومن لم يفعل معه هذا حُشر راجلا ، وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث ، وهم الأقل ، ومنهم زهير ، فإنه قال :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيُدَّخَرْ ... ليوم الحساب ، أو يُعجل فَيُنْقَمِ

وقال الشاعر فى البلية :

والبلايا رءوسها فى الولايا ... مانحات السَّموم حُرَّ الخُدود

والولايا : هى البراذع ، وكانوا يثقبون البرذعة ، فيجعلونها فى عنق البلية ، وهى معقولة ، حتى تموت ، وأوصى رجل ابنه عند الموت بهذا :

لا تتركن أباك يُحشر مرة ... عَدْوا يخر على اليدين ، ويَنكَبُ

(١) الفجر : الجود ، شبه بانفجار الماء . ويروى ذا فَنَعٍ ، والفَنَع : كثرة المال .

(٢) بَسّام العشيات : يعنى : أنه يضحك للأضياف ، ويبسم عند لقائهم ، كما قال الآخر ، وهو حاتم الطائى :

أُضاحك ضيفى قبل إنزال رحله ... ويَخصب عندى ، والمَحَلُّ جديب
وما الخصب للأضياف أن يَكثُر القِرَى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

(٣) كأمثال الحيات . أى : محترقات الأكباد كالبقر أو الظباء التى حميت الماء وهى عاطشة ، فحسية بمعنى محمية . لكنها جاءت بالتاء ، لأنها أجريت مجرى الأسماء كالرمية والنطيحة والطريدة

أبناؤهم خيرُ أبناءٍ ، وأنفسُهم   خيرُ النفوسِ لدَى جَهدِ الأَلِيَّاتِ
كم وهبُوا من طِمِرَّةٍ سابحٍ أرِن   ومن طِمِرَّةٍ نهبٍ فى طمرات(١)
ومن سيوفٍ من الهندىِّ مُخْلَصَةٍ   ومن رماحٍ كأشطانِ الرَّكِيَّاتِ(٢)
ومن توابعَ مما يُفضِلون بها   عندَ المسائلِ من بذلِ العطيَّاتِ
فلو حسَبْتُ وأحصَى الحاسبونَ معى   لم أقضِ أفعالَهم تلك الهنيَّاتِ
هُمُ المدِلُّون إما معشرٌ فخَرُوا   عندَ الفخارِ بأنسابٍ نقيّاتِ
زَيْنُ البيوتِ التى حلُّوا مساكِنَها   فأصبحتْ منهمُ وَحْشا خَلِيَّاتِ
أقولُ والعينُ لا ترقا مدامِعُها :   لا يُبْعِدُ اللهُ أصحابَ الرزِيَّاتِ

قال ابن هشام : الفَجَر : العطاء . قال أبو خِرَاش الهُذَلِىّ :

عجَّف أضيافى جميلُ بنُ مَعْمَرٍ   بذى فَجَرٍ تأوى إليه الأراملُ

قال ابن إسحاق : أبو الشُّعث الشجيّات : هاشم بن عبد مناف .

عبد المطلب يلي السقاية والرفادة : قال : ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السِّقاية والرِّفادة بعد عمه المطلب ، فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبلَه لقومهم من أمرهم ، وشرُف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه ، وأحبه قومه وعَظُم خطره فيهم .

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

سبب حفر زمزم : ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم فى الحِجْر إذ أُتى ، فأُمر بحفر زمزم .

قال ابن إسحاق : وكان أول ما ابتدىء به عبد المطلب من حفرها ، كما حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى عن مَرْثد بن عبد الله اليَزَنى عن عبد الله بن زُرَيْر الغافقى : أنه سمع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أُمر عبد المطلب بحفرها ، قال :

قال عبد المطلب : إنى لنائم فى الحِجْر إذ أتانى آتٍ فقال : احْفِر طَيْبة . قال : قلت : وما طَيْبة ؟ قال : ثم ذهب عنى . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمتُ فيه ، فجاءنى فقال : احْفِر بَرَّة . قال : فقلت : وما بَرَّة ؟ قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ،

---

(١) الطمر : الفرس الخفيف السريع .   (٢) أشطان الركيات : حبال الآبار .

فجاءنى فقال : احْفِر المضنونة . قال : فقلت : وما المضنونة ؟قال : ثم ذهب عنى . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احْفِر زمزم . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال لا تنزِفُ أبداً ولا تُذَمُّ ، (١) تَسقِى الحجيجَ الأعظمَ ، وهى بين الفَرْثِ والدَّمِ ، عند نُقْرة الغراب الأعْصَم ، عند قرية النمل(٢)

---

(١) لا تنزف أبدا : وهذا برهان عظيم ، لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط ، وقد وقع فيها حبشى فنُزحت من أجله ، فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين ، أقواها وأكثرها ماء : من ناحية الحجر الأسود ، وذكر هذا الحديث الدارقطنى .

وقوله : ولا تُذَم : فيه نظر ، وليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمها أحد . ولو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه ، ولتضلع منه كل من يشربه ، وقد ورد فى الحديث أنه لا يتضلع منها منافق ، فماؤها إذاً مذموم عندهم ، وقد كان خالد بن عبدالله القسرى أمير العراق يذمها ، ويسميها : أم جعلان ، واحتفر بئراً خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك ، وجعل يفضلها على زمزم ، ويحمل الناس على التبرك بها دون زمزم جرأة منه على الله ـ عز وجل ـ وقلة حياء منه ، وهو الذى يُعلن ويفصح بلعن على بن أبى طالب ـ رضوان الله عليه ـ على المنبر ، وإنما ذكرنا هذا ، أنها قد ذمت ، فقوله إذا : لا تذم ، من قول العرب : بئر ذَمَّة أى : قليلة الماء ، فهو من أذممت البئر إذا وجدتها ذمة : كما تقول : أجبنتُ الرجل : إذا وجدته جبانا ، وأكذبته إذا وجدته كاذبا ، وفى التنزيل : « فإنهم لا يكذّبونك » وقد فسر أبو عبيد فى غريب الحديث قوله حتى مررنا ببئر ذمة : وأنشد :

مُخَيَّسَةً خُزْراً كأن عيونها ذِمام الرَّكايا أنكرتها المواتح

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله : ولا تذم ؛ لأنه نفى مطلق ، وخبر صادق ـ والله أعلم ـ

(٢) فسميت طيبة ، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام وقيل له : احتفر بَرَّة ؛ وهو اسم صادق عليها أيضا ، لأنها فاضت للأبرار ، وغاضت عن الفجار ، وقيل له : احفر المضنونة . قال وهب بن منبه : سميت زمزم : المضنونة لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين ، فلا يتضلع منها منافق ، وروى الدارقطنى ما يقوى ذلك مسنداً عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « من شرب من زمزم فليتضلع ، فإنه فرق ما بيننا

قريش تنازع عبد المطلب فى زمزم : قال ابن إسحاق : فلما بُين له شأنُها ، ودُلّ على موضعها ، وعَرف أنه قد صُدق ، غدا بمعْوَله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ، ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها . فلما بدا لعبد المطلب الطَّيّ ، كبّر .

التحاكم فى بئر زمزم : فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه ، فقالوا : ياعبد المطلب ، إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها . قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دونكم ، وأُعطيته من بينكم ، فقالوا له : فأنصفنا ، فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بينى و بينكم من شئتم أحاكمكم إليه ، قالوا : كاهنة بنى سعد

= وبين المنافقين ، لا يستطيعون أن يتضلعوا منها ، أو كما قال . وفى تسميتها بالمضنونة رواية أخرى ، رواها الزبير : أن عبدالمطلب قيل له : احفر المضنونة ضنت بها على الناس إلا عليك أما الفرث والدم ، فإن ماءها طعام طُعْم ، وشفاء سُقْم ، وهو لما شربت له ، وقد تقوّت من مائها أبو ذرّ — رضى الله عنه — ثلاثين بين يوم وليلة ، فسمن حتى تكسرت عكنه

أما الغراب الأعصم ، قال القتبى : الأعصم من الغربان الذى فى جناحيه بياض فالغراب فى التأويل : فاسق ، وهو أسود ، فدلت نُقْرته عند الكعبة على نقرة الأسود الحبشى بمعوله فى أساس الكعبة يهدمها فى آخر الزمان ، فكان نقر الغراب فى ذلك المكان يؤذن بما يفعله الفاسق الأسود فى آخر الزمان بقبلة الرحمن ، وسُقيا أهل الإيمان ، وذلك عندما يُرفع القرآن ، وتحيا عبادة الأوثان ، وفى الصحيح عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ليخربن الكعبة ذو السُّوَيْقَتَيْن من الحبشة ، وفى الصحيح أيضا من صفته : أنه « أفْحَجُ » ، وهذا أيضاً ينظر إلى كون الغراب أعصم ، إذ الفحج : تباعد فى الرجلين . كما أن العَصَم اختلاف فيهما ، والاختلاف : تباعد ..

وأما قرية النمل ، ففيها من المشاكلة أيضا ، والمناسبة : أن زمزم هى عين مكة التى يردها الحجيج والعمار من كل جانب ، فيحملون إليها البر والشعير ، وغير ذلك وهى لا تُحرث ولا تُزرع ، كما قال سبحانه خبرا عن إبراهيم عليه السلام : « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع » . إلى قوله : « وارزقهم من الثمرات » وقرية النمل لا تحرث ولا تبذر ، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفى مكة قال الله سبحانه : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان » .

هُذَيمْ ، قال . نعم قال : وكانت بأشراف الشام ، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أبيه من بنى عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر . قال : والأرض إذ ذاك مَفاوِز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوِز بين الحجاز والشام ، فنى ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظمئوا حتى أيقنوا بالهَلَكة ، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش ، فأبَوْا عليهم ، وقالوا : إنا بمفازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ماصنع القوم ، ومايتخوّف على نفسه وأصحابه ، قال : ماترون ؟ قالوا مارأينا إلا تبع لرأيك فرنا بماشئت ، قال : فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بمابكم الآن من القوة ـ فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم واروه ـ حتى يكون آخركم رجلا واحدا ، فضَيْعة رجل واحد أيسر من ضَيْعة ركب جميعا قالوا : نِعْمَ ماأمرت به . فقام كل واحد منهم فحفر حفرته ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لانضرب فى الأرض ، ولانبتغى لأنفسنا ، لعجز ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، ارتحلوا ، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ماهم فاعلون ، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها . فلما انبعثت به انفجرت من تحت خُفّها عين ماء عَذْب ، فكبر عبد المطلب ، وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب ، وشرب أصحابه ، واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش ، فقال : هلمّ إلى الماء ، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقوا . ثم قالوا : قد ـ والله ـ قُضِى لك علينا ياعبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبداً ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلّوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق : فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمزم ، وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادْعُ بالماءِ الرِّوَى غيرِ الكَدِرْ   يسقِى حجيجَ اللهِ فى كلِّ مَبَرّ(١)

ليسَ يُخافُ منه شيءٌ ما عَمَرْ

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال : تعلّموا أنى قد أُمرت أن أحفر لكم

---

(١) وقوله : ماء روى بالكسر والقصر ، ورَواء بالفتح والمد . وفيه : مَبَرّ :هو مفعل من البر ، يريد : فى مناسك الحج ومواضع الطاعة .

زمزم ، فقالوا : فهل بُيِّنَ لك أين هى ؟ قال : لا . قالوا فارجع إلى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت ، فإن يك حقاً من الله يبين لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبد المطلب إلى مضجعه ، فنام فيه ، فأُتى فقيل له : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، وهى تراث من أبيك الأعظم ، لا تنزِف أبداً ولا تُذَم ، تَسْقِى الحجيجَ الأعظم ، مثل نعام جافل لم يُقْسَم ، يَنْذِر فيها ناذر لمنعِم ، تكون ميراثاً وعَقْداً محكم ، ليست كبعض ماقد تعلم ، وهى بين الفَرْثِ والدم .

قال ابن هشام : هذا الكلام ، والكلام الذى قبله ، من حديث علىّ فى حفر زمزم من قوله : « لاتنزف أبداً ولا تُذَم » إلى قوله : « عند قرية النمل » عندنا سَجْع وليس شعراً .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين قيل له ذلك ، قال : وأين هى ؟ قيل له عند قرية النمل، حيث يَنْقُرُ الغرابُ غدا . والله أعلم أى ذلك كان .

عبد المطلب يحفر زمزم : فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث ، وليس له يومئذ ولد غيره ، فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين : إسافٍ ونائلة ، اللذيْن كانتْ قريش تنحر عندهما ذبائحها . فجاء بالمِعْوَل وقام ليحفر حيث أُمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جِدَّه ، فقالوا : والله لانتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذيْن ننحر عندهما ؛ فقال عبد المطلب لابنه الحارث : ذُدْ عنى حتى أحفر ، فوالله لأمْضِيَنَّ لما أمرت به . فلما عرفوا أنه غير نازع خَلَّوْا بينه وبين الحفر ، وكَفُّوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيرا ، حتى بدا له الطَّىُّ ، فكبَّر وعَرف أنه قد صُدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالَيْن من ذهب ،وهما الغزالان اللذان دفنت جُرْهم فيها خرجت من مكة، ووجد فيها أسيافا قلعِيَّة وأدراعا فقالت له قريش: ياعبد المطلب ، لنا معك فى هذا شِرْكٌ وحق ، قال : لا ، ولكن هلم إلى أمر نَصَف بينى وبينكم ، نضرب عليها بالقداح . قالوا : وكيف تصنع قال : أجعل للكعبة قدْحين ، ولى قِدْحين ولكم قِدْحين فمن خرج له قدْحاه على شىء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلاشىء له . قالوا : أنصفت، فجعل قِدْحين أصفرين للكعبة ، وقِدْحين أسودين لعبد المطلب ، وقِدْحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا صاحب القداح الذى يضرب بها عند هبل ـ وهبل : صنم فى جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يعنى أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال : أعْلُ هُبَل أى : أظهر دينك ـ وقام عبد المطلب

يدعو الله عز وجل ، فضرب صاحب القداح ، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الأسودان فى الأسياف ، والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحا قريش . فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين من ذهب ، فكان أول ذهب حليته الكعبة — فيما يزعمون — ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج .

ذكر بئار قبائل قريش

قال ابن هشام : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئاراً بمكة[1] ، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق ، قال :

عبد شمس يحفر الطَّوِيّ : حفر عبد شمس بن عبد مناف الطَّوِىّ ، وهى البئر التى بأعلى مكة عند البيضاء ، دار محمد بن يوسف .

هاشم يحفر بَذَّرَ : وحفر هاشم بن عبد مناف بَذَّرَ[2] ، وهى البئر التى عند المُسْتَنْذَر ، خَطْم الخَنْدَمَةِ على فم شِعْبِ أبى طالب ، وزعموا أنه قال حين حفرها : لأجعلنها بلاغا للناس . قال ابن هشام : وقال الشاعر .

سقى الله أمواها عرفتُ مكانَها جُرابا ومَلْكُوما وبَذَّرَ والغَمْرا

---

(١) ذكروا أن قصيا كان يسقى الحجيج فى حياض من أدم ، وكان ينقل الماء إليها من آبار خارجة من مكة منها : بئر ميمون الحضرمى ، وكان ينبذ لهم الزبيب .

ثم احتفر قصى العَجُولَ فى دار أم هانئ بنت أبى طالب ، وهى أول سقاية احتفرت بمكة ، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا ، فقالوا :

نُروى على العَجولِ ، ثم ننطلق إن قُصيا قد وفَى وقد صدق

فلم تزل العجول قائمة حياة قصى ، وبعد موته ، حتى كبر عبدمناف بن قصى ، فسقط فيها رجل من بنى جُعَيْل ، فعطلوا العجول ، واندفنت . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج١ ص١٧٢

(٢) لفظ بذّر مأخوذ من التبذير ، وهو التفريق ، ولعل ماءها كان يخرج متفرقا من غير مكان واحد

سَجْلة والاختلاف فيمن حفرها : قال ابن إسحاق وحفر سَجْلة ، وهى بئر المطعم بن عَدِىّ بن نوفل بن عبد مناف التى يسقون عليها اليوم . ويزعم بنو نوفل ان المطعم ابتاعها من أسد بن هاشم ، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم ، فاستغنوا بها عن تلك الآبار(١).

أمية بن عبد شمس يحفر الحَفْر : وحفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه .

بنو أسد تحفر شُقَيّة : وحفرت بنو أسد بن عبد العزى : شُقَيّة ، وهى بئر بنى أسد .(٢)

بنو عبد الدار تحفر أم أحْرَاد : وحفرت بنو عبد الدار : أم أحرَاد (٣).

---

(١) ويقال أن قصى هو الذى حفرها وقال فى ذلك :

أنا قصى ، وحفرت سَجْلَه تروى الحجيج زُغلة فزُغلة

وقيل : بل حفرها هاشم ، ووهبها أسد بن هاشم لعدى بن نوفل ، وفى ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نحن وهبنا لعدى سَجْله تروى الحجيج زُغلة فزُغله

(٢) وهذه البئر تسمى أيضا شفيّة بئر بنى أسد ، فقال فيها الحويرث بن أسد :

ماء شفية كماء المزن وليس ماؤها بطرق أجن

(٣) وأما أم أحراد ، فأحراد : جمع : حِرد ، وهى قطعة من السنام . فكأنها سميت بهذا ، لأنها تنبت الشحم ، أو تُسَمِّن الإبل ، أو نحو هذا والحُرْد : القَطا الواردة للماء ، فكأنها تردها القطا والطير ، فيكون أحراد جمع : حُرْد بالضم على هذا . وقالت أمية بنت عُمَيلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار امرأة العوام بن خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أم أحراد :

نحن حفرنا البحر أم أحراد ليست كبَجْذر البرور الجاد

فأجابتها ضرتها : صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضى الله عنه :

نحن حفرنا بذَّرْ لسق الحجيج الأكبَرْ

من مُقبلٍ ومُدبِرٍ وأمُّ أحراد شَرّْ

بنو جُمَح تحفر السُّنْبُلَة . وحفرت بنو جُمَح : السُّنْبُلة ، وهى بئر خلف بن وهب . (١)

بنو سهم تحفر الغَمْر : وحفرت بنو سهم : الغَمْر ، وهى بئر بنى سهم . (٢)

أصحاب رُمّ وخم والحفرة : وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مرة بن كعب ، وكلاب بن مرة ، وكبراء قريش الأوائل منها يشربون ، وهى رُم (٣) ، ورم : بئر مرة بن كعب بن لؤى . وخم، (٤) وخم . بئر بنى كلاب ابن مرة ، والحفر . قال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى :

قال ابن هشام : وهو أبو أبى جَهْم بن حذيفة :

وقِدْما غَنِينا قبلَ ذلك حِقْبةً ولا نستقى إلا بخُمٍّ أو الحَفْرِ

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

---

(١) وأما سُنْبُلَة : بئر بنى جُمَح ، وهى بئر بنى خلف بن وهب ـ فقال فيها شاعرهم :

نحن حفرنا للحجيج سنبله صوب سحاب ذو الجلال أنزله

ثم تركناها برأس القُنْبُلَهْ تصب ماءً مثل ماء المعبله

نحن سقينا الناس قبل المسْئَلَهْ

(٢) وقال فيها بعضهم :

نحن حفرنا الغَمْرَ للحجيجِ تثجُّ ماءً أيما تجيج

(٣) رم بئر بنى كلاب بن مرة ، فمن رممت الشىء إذا جمعته وأصلحته ، ومنه الحديث : كنا أهل ثُمة ورُمة ، ومنه : الرمان فى قول سيبويه ، لأنه عنده فعلان ، وأما الأخفش فيقول فيه : فعال ، فيجعل فيه النون أصلية ، ويقول : إن سميت به رجلا صرفته . ومن قول عبد شمس بن قصى :

حفرت رُمًّا ، وحفرت خما حتى ترى المجد بها قد تمّا

(٤) وأما خم وهى بئر مرة ، فهى من خممت البيت إذا كنسته ، ويقال : فلان مخموم القلب أى : نقيه ، فكأنها سميت بذلك لنقائها .

فضل زمزم على سائر المياه : قال ابن إسحاق : فعفّت زمزم على المياه التي كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ؛ ولفضلها على ماسواها من المياه ؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

بنو عبد مناف يفخرون بزمزم : وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها ، وعلى سائر العرب ، فقال مُسافر بن أبي عمرو(١) بن أمية بن عبد مناف ، وهو يفخر على قريش بما وَلُوا عليهم من السقاية والرفادة ، وما أقاموا للناس من ذلك ، وبزمزم حين ظهرت لهم ، وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد ، شرفُ بعضهم لبعض شرفٌ ، وفضلُ بعضهم لبعض فضلٌ .

ورِثنا المجدَ من آبا ئنا فنَمَى بنا صُعُدا
ألم نسقِ الحجيجَ ونَنْـ ـحر الدلّاقةَ الرُّفُدا(٢)
ونُلْفَى عندَ تصريفِ الـ ـمنايا شُدَّداً رُفُدا(٣)
فإن نَهلِكْ ، فلم نُملَكْ ومن ذا خالد أبدا
وزمزمُ في أرومتِنا ونفقأُ عينَ من حسدا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال حُذَيفة بن غانم أخو بني عَدِيّ بن كعب بن لؤي :

وساقى الحجيجِ ، ثم للخبزِ هاشمٌ وعبدُ منافٍ ذلك السيدُ الفِهرِي
طوى زمزما عند المَقامِ ، فأصبحتْ سقايتُهُ فخراً على كلِّ ذي فخرِ

---

(١) واسم أبي عمرو : ذكوان ، وهو الذي يقول فيه أبو سفيان :

لَيْتَ شِعْرِي مسافر بن أبي عمـ ـرو ، ولَيْتٌ يقولها المحزونُ
بورِكَ الميتُ الغريبُ كما بُو رِكَ نضحُ الرمانِ والزيتونُ

في شعر يرثيه به ؛ وكان مات من حب صَعْبَة بنت الحضرمي .

(٢) الرفد : جمع رفود من الرِّفد ، وهي التي تملأ إناءين عند الحلب .

(٣) هو جمع رفود أيضا من الرِّفد وهو : العَوْن .

قال ابن هشام : يعنى عبد المطلب بن هاشم . وهذان البيتان فى قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب بن هاشم ـ فيما يزعمون والله أعلم ـ قد نذر حين لقى من قريش مالقى عند حفر زمزم : لئن وُلد له عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، لينحرن أحدهم لله عند الكعبة . فلما توافَى بنوه عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ، ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قِدْحا ثم يكتب فيه اسمه ، ثم ائتونى ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هُبَل فى جوف الكعبة ، وكان هُبَل على بئر فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها مايهدى للكعبة .

قِداح هُبَل السبعة : وكان عند هُبَل قداح سبعة ، كل قِدْح منها فيه كتاب . قِدْح فيه (العقل) . إذا اختلفوا فى العَقْل من يحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمْله . وقدح فيه (نعم) للأمر إذا أرادوه يضرب به القداح ، فإن خرج قِدْح نعم ، عملوا به . وقِدْح فيه (لا) إذا أرادوا أمراً ضربوا به فى القداح ، فان خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقِدْح فيه : (منكم) وقدح فيه (مُلصق) : وقدح فيه (من غيركم) وقِدْح فيه : (المياه) إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح ، فحيثما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما ، أو يُنكحوا مَنْكحا ، أو يدفنوا ميتا ، أو شكُّوا فى نسب أحدهم ، ذهبوا به إلى هُبَل وبمئة درهم وجزور ، فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها ، ثم قرّبوا صاحبهم الذى يريدون به مايريدون ، ثم قالوا : ياإلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحقَّ فيه . ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب : فإن خرج عليه : (منكم) كان منهم وسيطا ، وإن خرج عليه : (من غيركم) كان حليفا ، وإن خرج عليه : (مُلصق) كان على منزلته فيهم ، لانسب له ، ولا حِلف ، وإن خرج فيه شىء ، مما سوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به ، وإن خرج : (لا) أخّروه عامه ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ، ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح .

عبد المطلب يحتكم إلى القداح: فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بنيّ هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره الذى نذر، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحَه الذى فيه اسمه، وكان عبدالله بن عبد المطلب أصغر بنى أبيه(١)، كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم بن يَقَظَة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فِهْر.

قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم.(٢)

خروج القداح على عبد الله: قال ابن إسحاق: وكان عبدالله ـ فيما يزعمون ـ أحب ولد عبد المطلب إليه، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشْوَى. وهو أبو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما أخذ صاحب القداح ـ القداح ـ ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هُبَل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القِدْح على عبد الله.

عبد المطلب يحاول ذبح ابنه ومنع قريش له: فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشَّفْرَة، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه، فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً، حتى تُعْذِر فيه. لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا؟!.

---

(١) وهذا غير معروف، ولعل الرواية: أصغر بنى أمه، وإلا فحمزة كان أصغر من عبدالله، والعباس: أصغر من حمزة، وروى عن العباس ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: أذكر مولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها، فجىء بى حتى نظرت إليه، وجعل النسوة يقلن لى: قبل أخاك، قبل أخاك، فقبلته. فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الأصغر مع هذا؟! ولكن رواه البكائى كما تقدم، ولروايته وجه، وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره، ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس.

(٢) والصحيح ما قاله ابن هشام، لأن الزبيريين ذكروا أن عبداً هو أخو عائذ بن عمران. وأن بنت عبد هى: صخرة امرأة عمرو بن عائذ على قول ابن إسحاق، لأنها كانت له عمة، لا بنت عم، فقد تكرر هذا النسب فى السيرة مراراً، وفى كل ذلك يقول ابن اسحاق: عائذ بن عبد بن عمران، ويخالفه ابن هشام. وصخرة بنت عبد أم فاطمة أمها تخمر بنت عبد بن قصى، وأم تخمر سلمى بنت عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر.

وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يَقَظة ـ وكان عبد الله ابن أخت القوم: والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعْذِرَ فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه . وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل ، وانطلقْ به إلى الحجاز ، فإن به عرّافة(١) لها تابع ، فسَلْها ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته .

ما أشارت به عرّافة الحجاز : فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوها ـ فيما يزعمون ـ بخيبر. فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونَذْره فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله . فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم غَدَوْا عليها فقالت لهم : قد جاءنى الخبر ، كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل، وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرّبوا صاحبكم ، وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح ، فإن خرجت على صاحبكم ، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضى ربكم ، ونجا صاحبكم . (٢)

تنفيذ وصية العرافة ونجاة عبد الله : فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر ، قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل ، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل ! ! ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل عشرين ، وقام عبد المطلب يدعوالله عز وجل ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثلاثين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرج القِدْح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل أربعين، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل خمسين ، وقام

(١) اسمها : قطبة . ذكرها عبد الغنى فى كتاب الغوامض والمبهمات . وذكر ابن إسحاق فى رواية يونس أن اسمها : سَجاح .

(٢) ومن هنا يعلم أن الدية كانت بعشر من الإبل قبل هذه القصة : وأول من وُدِى بالمائة إذاً : عبد الله . وقد ذكر الأصبهانى عن أبى اليقظان أن أبا سَيّارة هو أول من جعل الدية مائة من الإبل ، وأما أول من وُدِى بالإبل من العرب : فزيد بن بكر بن هوازن قتله أخوه معاوية جد بنى عامر بن صعصعة .

عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله : فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ستين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل سبعين، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثمانين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرج القِدْح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل تسعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل مائة ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على الإبل ، فقالت قريش ومن حضر : قد انتهى رضا ربك ياعبد المطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على عبدالله ، وعلى الإبل ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، فخرج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القِدْح على الإبل ، فنحرت ، ثم تركت لا يُصَدّ عنها إنسان ولا يُمْنَع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سَبُع .

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر .

ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

عبد الله يرفضها :قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبدالله ، فمر به ـ فيما يزعمون ـ على امرأة من بنى أسد (١) بن عبد العُزّى بن قُصَى بن كلاب بن مرة بن كعب

---

(١) ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب حين دعته المرأة الأسدية إلى نفسها لما رأت فى وجهه من نور النبوة ، ورجت أن تحمل بهذا النبي ، فتكون أمه دون غيرها ، فقال عبد الله حينئذ فيما ذكروا :

أما الحرام فالحمام دونه والحل لا حِلَّ فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه يحمى الكريم عرضه ودينه ؟ !

واسم هذه المرأة : رُقَية بنت نَوْفل أخت ورقة بن نوفل، تكنى : أم قتال، وبهذه الكنية =

ابن لؤى بن غالب بن فِهْرٍ : وهى أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى ؛ وهى عند الكعبة . فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب ياعبدالله ؟ قال : مع أبى . قالت : لك مِثْلُ الإبل التى نُحرت عنكَ ، وقَعْ علىَّ الآن . قال : أنا مع أبى ، ولا أستطيع خلافه . ولا فراقه .

عبد الله يتزوج آمنة بنت وهب : فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زُهْرة بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فِهْرٍ ـ وهو يومئذ سيد بنى زُهْرة نسبا وشَرَفا ـ فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا .

أمهات آمنة : وهى لِبَرَّة بنت عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فِهْر . وبَرّة : لأم حبيب بنت أسد بن عبد العزَّى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم حبيب : لبَرّة بنت عَوْف بن عُبيد بن عُوَيج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فِهْر .

سبب زهد المرأة المتعرضة لعبد الله فيه : فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكَها مكانَه ، فوقع عليها ، فحملت برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التى عرضت عليه ماعرضت ، فقال لها : مالك لاتعرضين علىَّ اليوم ما كنت عرضتِ علىَّ بالأمس ؟

= وقع ذكرها فى رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكر البرقى عن هشام بن الكلبى ، قال : إنما مَرَّ على امرأة اسمها : فاطمة بنت مُر ، كانت من أجمل النساء وأعفهن ، وكانت قرأت الكتب ، رأت نور النبوة فى وجهه ، فدعته إلى نكاحها ، فأبى ، فلما أبى قالت :

إنى رأيت مُخِيلَةً نشأت ... فتلألأت بحناتم القطر
فلَمَأْتُها نوراً يضىء به ... ما حوله كإضاءة الفجر
ورأيت سُقياها حيا بلد ... وَقَعَتْ به وعِمارة القفر
ورأيته شرفا أبوء به ... ما كل قادحِ زنده يورى
لله ما زهرية سلبت ... منك الذى استَلَبتْ وما تدرى

وفى غريب ابن قتيبة : أن التى عرضت نفسها عليه هى : ليلى العدوية .

قالت له : فارقك النور الذى كان معك بالأمس ، فليس لى بك اليوم حاجة . و قد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل — وكان قد تنصّر واتبع الكتب : أنه كائن فى هذه الأمة نبى .

قصة حمل آمنة برسول الله (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار : أنه حُدِّث ، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب، وقدعمل فى طين له، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج عامدا إلى آمنة ، فمر بها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى عليها ، وعمد إلى آمنة ، فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ثم مر بامرأته تلك : فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررت بى وبين عينيك غرة بيضاء ، فدعوتك فأبيت علىّ ، ودخلت على آمنة فذهبتْ بها .

قال ابن إسحاق : فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث : أنه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس ، قالت : فدعوتُه رجاء أن تكون تلك بى ، فأبى علىّ ، ودخل على آمنة ، فأصابها ؛ فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوسط قومه نسبا ، وأعظمهم شرفا من قِبَل أبيه وأمه - صلى الله عليه وسلم .

ذكر ماقيل لآمنة عند حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

رؤيا آمنة : ويزعمون - فيما يتحدث الناس والله أعلم - أن آمنة ابنة وهب أمّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تُحدِّث :

أنها أُتيت ، حين حملتْ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض ، فقولى : أعيذُه بالواحد ، من شرِّ كل حاسد ، ثم سميه : محمدا(١)

(١) لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله — صلى الله عليه وسلم — إلا ثلاثة طمع آباؤهم — حين سمعوا بذكر محمد — صلى الله عليه وسلم — وبقرب زمانه ، وأنه يبعث فى الحجاز — أن يكون ولدا لهم . ذكرهم ابن فَوْرَك فى كتاب الفصول ، وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع ، جد جد الفرزدق الشاعر . والآخر : محمد بن أُحَيْحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كُلْفَة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، والآخر : محمد بن حُمْران=

ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بُصرَى ، من أرض الشام .

وفاة عبد الله : ثم لم يَلْبَثْ عبد الله بن عبد المطلب، أبو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن هلك ، وأم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حامل به . (١)

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن إسحاق يحدد الميلاد : قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد ابن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : ولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، عام الفيل . (٢)

= ابن ربيعة ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا ، فنذر كل واحد منهم : إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك .

وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمحمد في اللغة هو الذي يُحمد حمداً بعد حمد ، ولا يكون مُفَعَّل مثل : مضرب وممدح إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة .

(١) أكثر العلماء على أنه كان في المهد . ذكره الدُّولابي وغيره ، وقيل : ابن شهرين ، ذكره ابن أبي خيثمة ، وقيل : أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بني النجار ، ذهب ليَستَمْتَارَ لأهله تمراً ، وقد قيل : مات أبوه ، وهو ابن ثمان وعشرين شهراً .

(٢) ذكر أن مولده عليه السلام كان في ربيع الأول ، وهو المعروف وقال الزبير : كان مولده في رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به في أيام التشريق، والله أعلم .

وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم ، وأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان ، فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالغَفْر من المنازل، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين في الأبد بين الزبانا والأسد ، لأن الغفر يليه من العقرب زُباناها ، ولا ضرر في الزبانا إنما تضر العقرب بذنبها ، ويليه من الأسد أَلْيَته ، وهو السِّماك ، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخلبه ونابه .

، وولد بالشِّعب ، وقيل بالدار التي عند الصفا ، وكانت بعدُ لمحمد بن يوسف أخي الحجاج ، ثم بنتها زُبيدة مسجداً حين حجّت .

قال ابن إسحاق : وحدثنى المطلب بن عبد الله بن قيْس بن مَخْرَمة عن أبيه عن جده قيس بن مَخْرَمة . قال :

وُلدت أنا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام الفيل : فنحن لِدَتَانِ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف ، عن يحيى بن عبدالله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة الأنصارى . قال: حدثنى من شئت من رجال قومى عن حسان بن ثابت ، قال : والله إنى لغلام يفَعَة ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ما سمعت ، إذا سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أُطُمَة بيثرب : يا معشرَ يهودَ ! حتى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : ويلكَ مالَك ؟ ! قال : طلع الليلة نجم أحمد الذى وُلد به .

قال محمد بن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فقلت ، ابن كَم كان حسان بن ثابت مقْدَمَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ؟ فقال : ابن ستين ، وقدمها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسمع حسان ما سمع ، وهو ابن سبع سنين .

إعلام جده بولادته وما فعل به : قال ابن إسحاق : فلما وضعته أمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسلت إلى جده عبد المطلب : أنه قد وُلد لك غلام ، فأتِه فانظر إليه ، فأتاه فنظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمرتْ به أن تسمّيه . فيزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ، ويشكر لما أعطاه،(١)

---

(١) فى غير رواية ابن هشام أن عبد المطلب قال وهو يعوِّذه :

الحمد لله الذى أعطانى ... هذا الغلامَ الطيبَ الأرْدانِ
قد ساد فى المهدِ على الغلمانِ ... أُعيذه بالبيت ذِى الأركان
حين يكون بُلْغَةَ الفتيانِ ... حتى أراه بالغَ البنيان
أعيذه من كلِّ ذى شَنَآن ... من حاسدٍ مضطَرِبِ العِنان
ذى همة ليس له عينان ... حتى أراه رافعَ اللسان
أنت الذى سُميت فى القرآنِ ... فى كتبٍ ثابتةِ المثانى
أحمد مكتوب على البيان

ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، والتمس لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — الرُّضعاء .[١]

قال ابن هشام : المراضع . وفى كتاب الله تبارك وتعالى فى قصة موسى عليه السلام : « وحرَّمنا عليه المراضعَ » [٢] .

مرضعته حليمة : قال ابن إسحاق : فاسترضع له امرأة من بنى سعد بن بكر ، يُقال لها : حليمة ابنة أبى ذُؤَيْب .

نسب مرضعته : وأبو ذُؤَيْب : عبد الله بن الحارث بن شِجْنة بن جابر بن رِزَام بن

---

(١) وسبب دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم إلى المراضع ، فقد يكون ذلك لوجوه . أحدها : تفريغ النساء إلى الأزواج ، كما قال عمار بن ياسر لأم سلمة — رضى الله عنها — وكان أخاها من الرضاعة ، حين انتزع من حجرها زينبَ بنتَ أبى سلمة ، فقال : « دعى هذه المقبوحة المشقوحة التى آذيتِ بها رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — » ، وقد يكون ذلك منهم أيضاً لينشأ الطفل فى الأعراب ، فيكون أفصح للسانه ، وأجلد لجسمه ، وأجدر أن لا يفارق الهيئة المَعَدِّية كما قال عمر رضى الله عنه : تمعددوا وتمعززوا واخشوْشنوا . وقد قال — عليه السلام — لأبى بكر — رضى الله عنه — حين قال له : ما رأيت أفصح منك يا رسول الله ، فقال : « وما يمنعُنى ، وأنا من قريش ، وأُرضِعْتُ فى بنى سعد ؟ ! » فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء إلى المراضع الأعرابيات .

وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان كان يقول : أضر بنا حبُّ الوليد ؛ لأن الوليد كان لحَّاناً ، وكان سليمان فصيحا ؛ لأن الوليد أقام مع أمه ، وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية ، فتعربوا ، ثم أُدبوا فتأدبوا . وكان من قريش أعراب ، ومنهم حضر ، فالأعراب منهم : بنو الأدرم وبنو محارب ، وأحسب بنى عامر بن لؤى كذلك ؛ لأنهم من أهل الظواهر ، وليسوا من أهل البطاح .

(٢) الذى قاله ابن هشام ظاهر ؛ لأن المراضع جمع : مُرْضِع ، والرُّضَعَاءُ : جمع رضيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين . أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذوات الرضعاء ، والثانى : أن يكون أراد بالرضعاء : الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مُرضعة ترضعه ، فقد وجدوا له رضيعا ، يرضع معه ، فلا يبعد أن يقال : التمسوا له رضيعا ، علماً بأن الرضيع لا بد له من مرضع .

ناصرة بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة ابن قيس بن عيلان.

زوج حليمة ونسبه: واسم أبيه الذى أرضعه – صلى الله عليه وسلم – الحارث بن عبد العُزَّى بن رفاعة بن مَلَان بن ناصرة بن قصيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن[1]

قال ابن هشام ويقال: هلال بن ناصرة.

أولاد حليمة: قال ابن إسحاق: وإخوته من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، وأُنَيْسة بنت الحارث، وخِذامة[2] بنت الحارث، وهى الشَّيْمَاءُ، غلب ذلك على اسمها فلا تُعرف فى قومها إلا به. وهم لحليمة بنت أبى ذؤيب، عبد الله بن الحارث، أم رسول الله – صلى ويذكرون أن الشَّيْماء كانت تحضنه مع أمها إذ كان عندهم.

قال ابن إسحاق: وحدثنى جَهْم بن أبى جَهْم مولى الحارث بن حاطب الجُمَحِىّ، عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، أو عمن حدثه عنه قال:

---

(١) لم يذكر له إسلاما، ولا ذكره كثير ممن ألف فى الصحابة، وقد ذكره يونس بن بكير فى روايته، فقال: حدثنا ابن إسحاق قال: حدثنى والدى إسحاق بن يسار، عن رجال من بنى سعد بن بكر قال: قدم الحارث بن عبد العُزَّى، أبو رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الرضاعة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمكة حين أُنزل عليه القرآن، فقالت له قريش: ألا تسمع يا حار ما يقول ابنك هذا؟ فقال: وما يقول؟ قالوا: يزعم أن الله يبعث بعد الموت، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه، ويكرم فيهما من أطاعه، فقد شتت أمرنا، وفرق جماعتنا. فأتاه، فقال: أى بنىّ مالك ولقومك يشكونك، ويزعمون أنك تقول: إن الناس يبعثون بعد الموت، ثم يصيرون إلى جنة ونار؟! فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم: نعم أنا أزعم ذلك، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت، لقد أخذت بيدك، حتى أعرّفك حديثك اليوم، فأسلم الحارث بعد ذلك، وحسن إسلامه، وكان يقول حين أسلم: لو قد أخذ ابنى بيدى، فعرفنى ما قال، لم يرسلنى إن شاء الله حتى يدخلنى الجنة.

(٢) خِذامة بكسر الخاء المنقوطة. وقال غيره: حُذَافة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم، وكذلك ذكره يونس فى روايته عن ابن إسحاق، وكذلك ذكره أبو عمر فى كتاب النساء.

حديث حليمة : كانت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية ، أم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — التى أرضعته[1] ، تُحدِّث: أنها خرجت من بلدها معزوجها ، وابن لها صغير ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر ، تلتمس الرُّضعاء ، قالت : وذلك فى سنة شهباء ، لم تبق لنا شيئاً .قالت : فخرجت على أتان لى قَمْرَاء ، معنا شَارِف لنا ، والله ما تَبِضُّ بقطرة ، وما تنام ليلَنا أجمع من صبينا الذى معنا ، من بكائه من الجوع ، ما فى ثديىّ ما يغنيه ، وما فى شارفنا ما يغذّيه — قال ابن هشام: ويقال: يغذّبه[2] — ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى تلك ، فلقد أدَمْتُ[3] بالرَّكْب ، حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفا ، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منا امرأة إلا وقد عُرِض عليها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — فتأباه ، إذا قيل لها

---

(١) وأرضعته — عليه السلام — ثُوَيْبة قبل حليمة . أرضعته ، وعمه حمزة ، وعبد الله بن جحش ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يعرف ذلك لثُوَيْبة ، ويَصِلُها من المدينة . فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح ، فأخبر أنهما ماتا ، وسأل عن قرابتها ، فلم يجد أحداً منهم حيا . وثويبة كانت جارية لأبى لهب .

(٢) قول ابن هشام : ما يغذيه بالذال المنقوطة ، أتم فى المعنى من الاقتصار على ذكر الغذاء دون العشاء ، وليس فى أصل الشيخ رواية ثالثة ، وعند بعض الناس رواية غير هاتين وهى يُعْذِبه بعين مهملة وذال منقوطة وباء معجمة بواحدة ، ومعناها عندهم : ما يقنعه حتى يرفع رأسه ، وينقطع عن الرضاع ، يقال منه : عذبته وأعذبته : إذا قطعته عن الشرب ونحوه ، والعَذُوب : الرافع رأسه عن الماء ، وجمعه : عُذُوب بالضم ، ولا يعرف فَعُول جمع على فُعُول غيره : قاله أبو عبيد والذى فى الأصل أصح فى المعنى والنقل .

(٣) أى أطلت عليهم المسافة ، وتروى أذَمَّتْ بالركب . تريد : أنها حبستهم ، وكأنه من الماء الدائم ، وهو الواقف ، ويروى : حتى أذَمَّتْ . أى : أذمت الأتان ، أى : جاءت بما تُذم عليه ، أو يكون من قولهم : بئر ذَمَّة ، أى : قليلة الماء ، وليست هذه عند أبى الوليد ، ولا فى أصل الشيخ أبى بحر ، وقد ذكرها قاسم فى الدلائل ، ولم يذكر رواية أخرى ، وذكر تفسيرها عن أبى عبيدة : أذم بالركب: إذا أبطأ حتى حبستهم :من البئر الذَّمَّة ، وهى القليلة الماء .

يتيم ، وذلك : أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي ، (١) فكنا نقول : يتيم؟! وما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا غيري ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم ، فلآخذنه ، قال : لا عليك أن تفعلي ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . قالت : فذهبت إليه فأخذته ، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره .

الخير الذي أصاب حليمة : قالت : فلما أخذته ، رجعت به إلى رحلي فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن (٢) ، فشرب حتى رَوِيَ ، وشرب معه أخوه حتى رَوِيَ ، ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لَحَافِل ، فحلب منها ما شرب ، وشربت معه حتى انتهينا رِيّاً وشبعا ، فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا : تَعلَّمي والله يا حليمة ، لقد أخذتِ نَسَمة مباركة ، قالت : فقلت : والله إني لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبت أتاني ، وحملته عليها معي ، فوالله لقطعَتْ بالركب ما يقدر عليها شيء من حُمُرِهم ، حتى إن صواحبي ليقلنَ لي . يا ابنة أبي ذؤيب ، ويحك ! اربعي علينا ، أليست هذه أتانك التي كنتِ خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله ، إنها لهي هي ، فيقلن : والله إن لها لشأنا . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شباعا لُبَّناً . فنحلب ونشرب . وما يحلب إنسان قطرة لبن ، ولا يجدها في ضرع . حتى كانَ الحاضرون من قومنا

---

(١) والتماس الأجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر نساء العرب ، حتى جرى المثل : تجوع المرأة ولا تأكل بثديها ، وكان عند بعضهن لا بأس به ، فقد كانت حليمة وسيطة في بني سعد كريمة من كرائم قومها ، بدليل اختيار الله — تعالى — إياها لرضاع نبيه — صلى الله عليه وسلم — كما اختار له أشرف البطون والأصلاب . والرضاع كالنسب ؛ لأنه يغير الطباع.

وفي المسند عن عائشة — رضي الله عنها — [illegible] ، لا تسترضعوا الحمقى ؛ فإن اللبن يُورث ، ويحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضعاء اضطراراً للأزمة التي أصابتهم والسنة الشهباء التي اقتحمتهم .

(٢) وذكر غير ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان لا يقبل إلا على ثديها الواحد ، وكانت تعرض عليه الثدي الآخر ، فيأباه كأنه قد أشعر — عليه السلام — أن معه شريكا في لبانها ، وكان مفطوراً على العدل، مجبولا على المشاركة والفضل ـ صلى الله عليه وسلم .

يقول لرعيانهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذُؤَيْب فتروح أغنامهم جياعا ما تَبِضُّ بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعا لُبَّناً ، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته ، وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفْراً.

رجوع حليمة به إلى مكة أول مرة : قالت : فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مُكثه فينا ، لما كنا نرى من بركته ، فكلمنا أمه ، وقلت لها : لو تركت بُنَيَّ عندي حتى يغلظ ، فإني أخشى عليه وَبَأ مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى ردته معنا .

حديث الملكين اللذين شقا بطنه : قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مقدمنا بشهر مع أخيه لفي بَهْمٍ لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه، فشقا بطنه ، فهما يَسُوطانه(١) ، قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائما مُنْتَقَعا وجهُه . قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يا بُنَيَّ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاني وشقا بطني ، فالتمسا شيئاً لا أدري ما هو . قالت : فرجعنا إلى خبائنا .

حليمة ترد محمداً (ص) إلى أمه : قالت : وقال لي أبوه : يا حليمة ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظِئْرُ ، وقد كنت حريصة عليه ، وعلى مُكثه عندك ؟ قالت : فقلت : قد بلغ الله بابني وقضيت الذي عليَّ ، وتخوفت الأحداث عليه ، فأديته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا شأنك ، فاصدقيني خبرَك . قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها . قالت : أفتخوَّفْتِ عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كلا . والله ما للشيطان عليه من

---

(١) يقال : سطت اللبن أو الدم ، أو غيرهما ، أسوطه : إذا ضربت بعضه ببعض . والمِسْوَطُ : عُود يضرب به .

وفي رواية أخرى عن ابن إسحاق أنه نزل عليه كُرْكِيَّان ، فشق أحدهما بمنقاره جوفه ، ومج الآخر بمنقاره فيه ثلجاً ، أو بَرَداً ، أو نحو هذا ، وهي رواية غريبة ذكرها يونس عنه ، واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين عليه ، وهو أطول من هذا .

سبيل ، وإن ابنى لشأنا ، أفلا أخبرك خبره . قالت : قلت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به : أنه خرج منى نور أضاء قصور بُصْرَى من أرض الشام . ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخفّ ولا أيسرَ منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك ، وانطلق راشدة .

الرسول يُسأل عن نفسه وإجابته (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثنى ثَوْر بن يزيد بن عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معْدان الكَلاعىّ : أن نفراً من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قالوا له : يا رسول الله . أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم ، أنا دعوةُ أبى إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام(١) ، واستُرْضعت في بنى سعد بن بكر . فبينا أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بَهْماً لنا : إذ أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطَسْت من ذهب مملوءة ثلجا . ثم أخذانى فشقا بطنى ، واستخرجا قلبى ، فشقاه فاستخرجا منه عَلَقَة سوداء فطرحاها . ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى أنقياه(٢) ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزننى بهم فوزنتهم ،

---

(١) وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد ، حتى كانت الخلافة فيها مدة بنى أمية ، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره – صلى الله عليه وسلم – وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاصى قبل المبعث بيسير نوراً يخرج من زمزم ، حتى ظهرت له البسر فى نخيل يثرب ، فقصها على أخيه عمرو ، فقال له : إنها حفيرة عبد المطلب ، وإن هذا النور منهم ، فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام .

(٢) كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين :

الأولى : فى حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان ، وليطهر ويقدس من كل خلق ذميم ، حتى لا يتلبس بشىء مما يعاب على الرجال ، وحتى لا يكون فى قلبه شىء إلا التوحيد ، ولذلك قال : فوليا عنى ، يعنى : الملكين ، وكأنى أعاين الأمر معاينة .

والثانية : فى حال الاكتهال ، وبعد ما نُبِّىء ، وعندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة التى لا يصعد إليها إلا مقدس ، وعرج به هنالك لتفرض عليه الصلاة ، وليصلى بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة : الطهور ، فقُدِّس ظاهراً وباطنا ، وغُسل بماء زمزم .

ثم قال: زنه بمئة من أمته . فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنني بهم فوزنتهم. فقال :دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها .

رعيه (ص) الغنم وافتخاره بقرشيته : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : «ما من نبيّ إلا وقد رعى الغنمَ ، قيل : وأنت يارسولَ الله؟ قال : وأنا »(١) .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لأصحابه : «أنا أعربُكم ، أنا قرشيٌّ ، واستُرْضِعْتُ في بنى سعد بن بكر» .

افتقاد حليمة له (ص) : قال ابن إسحاق : وزعم الناس فيما يتحدثون ـ والله أعلم ـ أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلَّها في الناس ، وهى مُقبلة به نحو أهله ، فالتمسته فلم تجده ، فأتت عبد المطلب ، فقالت له : إنى قد قَدِمْتُ بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكة أضلنى ، فوالله ما أدرى أين هو ، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجده ورقةُ بن نوفل بن أسد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة ، فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه ، وهو يطوف بالكعبة يُعوّذه ويدعو له ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

سبب آخر لرجوع حليمة به (ص) إلى مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم، أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه ، مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه ، أن نفراً من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فِطامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه وقلَّبوه ، ثم قالوا لها : لنأخذن هذا الغلام ، فلنذهبن به إلى مَلِكنا وبلدنا ؛ فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره ، فزعم الذى حدثنى أنها لم تكد تَنْفَلت به منهم . (٢)

---

(١) وإنما أراد ابن إسحاق بهذا الحديث رعايته الغنم فى بنى سعد مع أخيه من الرضاعة ، وقد ثبت فى الصحيح أنه رعاها بمكة أيضا على قراريط لأهل مكة . ذكره البخارى .

(٢) وكان رد حليمة إياه إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر ، فيما ذكر أبو عمر ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين : إحداهما بعد تزويجه خديجة ـ رضى الله عنها ـ جاءته تشكو إليه السنة ، وأن قومها قد أسنتوا فكلم لها خديجة ، فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبكرات ، والمرة الثانية : يوم حنين وسيأتى ذكرها إن شاء الله .

وفاة آمنة

وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جدّه عبد المطلب بعدها

وفاة أمه (ص) : قال ابن إسحاق. وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أمه آمنة بنت وهب، وجده عبد المطلب بن هاشم فى كَلاءَة الله وحفظه ، يُنْبِتُه الله نباتا حسنا ، لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ست سنين ، توفيت أمه آمنة بنت وهب .

عمر رسول الله (ص) حين وفاة أمه : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم :

أن أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آمنة توفيت ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابن ست سنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على أخواله من بنى عدى بن النجار تُزيره إياهم ، فماتت ، وهى راجعة به إلى مكة (١) .

قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم : سَلمى بنت عمرو النجّارية ، فهذه الخئولة التى ذكرها ابن إسحاق لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيهم .

---

(١) قال القرطبي فى تذكرته : جزم أبو بكر الخطيب فى كتاب : السابق واللاحق ، وأبو حفص عمر بن شاهين فى كتاب الناسخ والمنسوخ له فى الحديث بإسناديهما عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : حج بنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حجة الوداع ، فمر على قبر أمه ، وهو باكٍ حزين مغتم ، فبكيت لبكائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم إنه نزل فقال : يا حُمَيْراءُ استمسكى ، فاستندت إلى جنب البعير ، فمكث عنى طويلا مليا ، ثم إنه عاد إلىّ ، وهو فرح متبسم ، فقلت له : بأبى أنت وأمى يا رسول الله نزلت من عندى ، وأنت باكٍ حزين مغتم ، فبكيت لبكائك ، ثم عدت إلىّ ، وأنت فَرِح مبتسم ، فَمِمَّ ذا يا رسول الله ، فقال : ذهبت لقبر آمنة أمى ، فسألت أن يحييها ، فأحياها فآمنت بى ، أو قال : فآمنت . وردها الله عز وجل .

إجلال عبد المطلب له (ص) : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك ، حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له ، قال : فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأتى ، وهو غلام جَفْر ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ، ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابنى ، فوالله إن له لشأنا ، ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ، ويَسُرُّه ما يراه يصنع .

وفاة عبد المطلب وما رُثى به من الشعر

فلما بلغ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثمانى سنين هلك عبد المطلب بن هاشم ، وذلك بعد الفيل بثمانى سنين .

قال ابن إسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبَد بن عباس ، عن بعض أهله : أن عبد المطلب توفى ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابن ثمانى سنين .

عبد المطلب يطلب من بناته أن يرثينه : قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن سعيد بن المسيِّب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة ، وعُرف أنه ميت جمع بناته ، وكن ست نِسْوة : صفية ، وبَرَّة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأُمَيْمة ، وأرْوَى ، فقال لهن : ابكين علىَّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت .

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب ، كتبناه .

رثاء صفية بنت عبد المطلب لأبيها : فقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أباها :

أرِقْتُ لصوتِ نائحةٍ بليلٍ ... على رَجلٍ بقارعةِ الصَّعيدِ
ففاضت عندَ ذلكمُ دموعى ... علىَ خدِّى كَمُنحدِرِ الفَرِيدِ(١)

(١) يروى : كمنحدر بكسر الدال أى : كالدر المنحدر ، ومنحدر بفتح الدال فيكون التشبيه راجعاً للفيض ، فعلى رواية الكسر : شبهت الدمع بالدر الفريد ، وعلى رواية الفتح شبهته الفيض بالانحدار .

على رَجلٍ كريمٍ غيرِ وَغْلٍ ... له الفضلُ المُبين على العبيدِ
على الفياضِ شَيْبَةَ ذى المعالى ... أبيكِ الخيرِ وارثِ كلِّ جُودِ (١)
صدوقٍ فى المواطنِ غيرِ نِكْسٍ ... ولا شَخْتِ المقامِ ولا سَنِيدِ (٢)
طويلِ الباعِ، أروعَ شَيْظَمِيٍّ ... مُطاعٍ فى عشيرتِهِ حَمِيدِ
رفيعِ البيتِ أبلجَ ذى فُضولٍ ... وغيثِ الناسِ فى الزمنِ الحَرُودِ
كريمِ الجدِّ ليس بذى وُصُومٍ ... يروق على المُسوَّدِ والمَسُودِ
عظيمِ الحلمِ من نفرٍ كرامٍ ... خَضارِمةٍ مَلاوِثةٍ أُسودِ (٣)
فلو خَلَدَ امرؤٌ لقديمِ مجدٍ ... ولكن لا سبيلَ إلى الخُلودِ
لكان مخلَّداً أخرى الليالى ... لفضلِ المجدِ والحسبِ التليدِ

رثاء بَرَّة بنت عبد المطلب لأبيها: وقالت بَرَّة بنت عبد المطلب تبكى أباها:

أعَيْنَىَّ جودا بدمعٍ دُرَرْ ... على طيِّبِ الخِيمِ والمعتَصَرْ
على ماجدِ الجدِّ وارِى الزِّنادِ ... جميلِ المُحَيَّا عظيمِ الخطرْ
على شَيْبَةِ الحمدِ ذى المَكْرُماتِ ... وذى المجدِ والعزِّ والمفتَخَرْ
وذى الحلمِ والفضلِ فى النائباتِ ... كثيرِ المكارمِ، جَمِّ الفَجَرْ
له فضلُ مجدٍ على قومِهِ ... منيرٌ، يلوحُ كضوْءِ القمرْ
أتته المنايا، فلم تُشْوِهِ ... بصرْفِ الليالى، ورَيْبِ القدرْ (٤)

(١) قولها: أبيك الخيْر. أرادت: الخيِّر فخففت، كما يقال: هيْن وهيِّن، وفى التنزيل: «خيْرات حسان».

(٢) الشخت: ضد الضخم، تقول: ليس كذلك، ولكنه ضخم المقام ظاهره. والسنيد: الضعيف الذى لا يستقل بنفسه، حتى يسند رأيه إلى غيره.

(٣) ملاوثة: جمع ملواث من اللوثة، وهى القوة، كما قال المُكَعْبَر:

عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا

وقد قيل: إن اسم الليث منه أخذ، إلا أن واوه انقلبت ياء؛ لأنه فيعل، فخفف.

(٤) لم تشوه: أى: لم تصب الشوى، بل أصابت المقتل، وقد تقدم فى حديث عبد المطلب وضربه بالقداح على عبد الله، وكان يرى أن السهم إذا خرج على غيره أنه قد أشوى، =

رثاء عاتكة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أباها :

أعَيْنَيَّ جودا ، ولا تبخلا ... بدمعكما بعد نوم النيام
أعينيّ واسحنفرا واسكبا ... وشوبا بكاءكما بالتدام
أعيني ، واستخرطا واسجما ... على رجلٍ غير نكسٍ كَهام
على الجحفل الغمر في النائبات ... كريم المساعي ، وفيِّ الذمام (١)
على شَيْبة الحمد ، وارِي الزناد ... وذي مَصْدَقٍ بعدُ ثَبْتِ المقام
وسيفٍ لدى الحربِ صَمْصامةٍ ... ومُرْدي المُخاصِمِ عندَ الخصام (٢)
وسهلِ الخليقة طلقِ اليدين ... وَفٍ عُدْمُلِيٍّ صميمٍ لُهام (٣)
تَبَنَّكَ في باذخٍ بيتُه ... رفيعُ الذؤابة صعبُ المَرام

رثاء أم حكيم بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكي أباها :

ألا يا عينُ جودي واستهلّي ... وبَكِّي ذا الندى والمكرُماتِ
ألا يا عينُ ويحكِ أسعفيني ... بدمعٍ من دموعٍ هاطلاتِ
وبكّي خيرَ من رَكِب المطايا ... أباكِ الخيرَ تيارَ الفُراتِ

= أي : قد أخطأ مقتله ، أي : مقتل عبد المطلب وابنه ، ومن رواه : أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذي أشوى وأخطأ ، وبكلا الضبطين وجدته ، ويقال أيضاً : أشوى الزرع : إذا أفرك فالأول من الشوى ، وهذا من الشي بالنار ، قاله أبو حنيفة .

(١) على الجحفل . جعلته كالجحفل ، أي : يقوم وحده مقامه ، والجحفل : لفظ منحوت من أصلين ، من : جحف وجفل ، وذلك أنه يجحف ما يمر عليه أي : يقشره ، ويجفل : أي يقلع ونظيره نهشل الذئب ، هو عندهم منحوت من أصلين أيضا ، من نهشت اللحم ونشلته .

(٢) المردي : مُفْعَل من الردى ، وهو الحجر الذي يقتل من أصيب به ، وفي المثل : « كل ضب عنده مِرْداته » .

(٣) قولها : وَفٍ . أي : وَفِيّ ، وخفف للضرورة ، وقولها : عُدْمُلِيّ . العدملي : الشديد . واللهام : فعال من لهمت الشيء . ألهمه : إذا ابتلعته ، قال الراجز :

كالحوت لا يرويه شيء يلهمهْ ... يصبحُ عطشاناً وفي البحر فمُهْ

ومنه سمي الجيش : لُهاماً .

طويلَ الباعِ شيبةَ ذا المعالى ... كريمَ الخِيمِ محمودَ الهِباتِ
وَصُولا للقرابةِ هِبْرِزِيّاً ... وغيثا فى السنين المُمْحِلات
وليثا حين تشتَجِرُ العوالى ... تَرُوقُ له عيونُ الناظراتِ
عقيلُ بنى كنانة والمُرَجَّى ... إذا ما الدهرُ أقبلَ بالهَنَاتِ
ومَفْزَعُها إذا ما هاجَ هَيْجٌ ... بداهيةٍ ، وخَصْمُ المعضِلات
فبكّيه ولا تَسَمى بحُزنٍ ... وبَكِّى ، ما بَقِيتِ ، الباكيات

رثاء أميمة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكى أباها :

ألا هلك الراعى العشيرةَ ذو الفَقْدِ ... وساقى الحجيجِ ، والمحامى عن المجدِ
ومن يُؤْلِفُ الضيفَ الغريبَ بيوتَه ... إذا ما سماءُ الناسِ تبخلُ بالرعْدِ
كسبتَ وليداً خيرَ ما يكسبُ الفتى ... فلم تَنْفَكِكْ تزدادُ يا شَيْبَةَ الحمدِ
أبو الحارثِ الفياضُ ، خلّى مكانَه ... فلا تبعَدَنْ ، فكلُّ حَيٍّ إلى بُعْدِ
فإنى لَبَاكٍ — ما بَقِيتُ — ومُوجَعٌ ... وكان له أهلا لِمَا كان من وَجْدِى
سقاك وَلِىُّ الناسِ فى القبرِ مُطراً ... فسوف أُبكّيه ، وإن كان فى اللحدِ
فقد كان زيْنا للعشيرةِ كلِّها ... وكان حميداً حيثُ ما كان من حَمْدِ

رثاء أروى بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أروى بنت عبد المطلب تبكى أباها :

بكت عينى ، وحُقَّ لها البُكاءُ ... على سَمْحٍ ، سجيتُه الحياءُ
على سَهْلِ الخليقةِ أبطحِىٍّ ... كريمِ الخِيمِ ، نيتُه العَلاءُ
على الفياضِ شَيْبَةَ ذى المعالى ... أبيكِ الخيرِ ليس له كِفاءُ
طويلِ الباعِ أملسَ ، شَيْظَمِىٍّ ... أغرَّ كأن غُرّتَه ضياءُ
أقَبِّ الكشحِ ، أروعَ ذى فُضُولٍ ... له المجدُ المقدّمُ والسَّناءُ
أبِىِّ الضيمِ ، أبلجَ هِبْرِزِىٍّ ... قديمِ المجدِ ليس له خَفاءُ
ومَعْقِلِ مالكٍ ، وربيعِ فِهْرٍ ... وفاصِلِها إذا التُمِسَ القضاءُ (١)

(١) : ومَعْقِل مالك وربيع فهر . تريد : بنى مالك بن النضر بن كنانة .

وكانَ هوَ الفتى كَرَماً وجُوداً ... وبأساً حِينَ تنسكِبُ الدماءُ
إذا هاب الكُماةُ الموتَ حتى ... كأن قلوبَ أكثرِهم هواء
مضى قُدُماً بذى رُبَدٍ خَشيبٍ ... عليه — حين تُبصِرُه — البَهاء(١)

إشارة عبد المطلب بالرثاء : قال ابن إسحاق : فزعم لى محمد بن سعيد بن المسيّب أنه أشار برأسه ، وقد أصْمَتَ : أن هكذا فابكينَنى .

نسب المسيب بن حزن : قال ابن هشام : المسيّب بن حَزْن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .

رثاء حذيفة بن غانم لعبد المطلب : قال ابن إسحاق : وقال حذيفة (٢) بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى يبكى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويذكر فضله ، وفضل قُصى على قريش ، وفضل ولده من بعده عليهم ، وذلك أنه أُخِذ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة ، فوقف بها فمر به أبو لهب عبد العُزَّى بن عبد المطلب ، فافتَكَّهُ :

أعينىَّ جودا بالدموعِ على الصدرِ ... ولا تسأما أُسْقِيتُما سَبَلَ القَطْرِ
وجودا بدمعٍ ، واسفحا كلَّ شارقٍ ... بكاءَ امرىءٍ لم يُشْوِه نائبُ الدهرِ
وسُحَّا ، وجُمَّا ، واسجما ما بقيتُما ... على ذِى حياءٍ من قريشٍ ، وذى سِتْرِ

---

(١) قولها : بذى رُبَد . تريد : سيفاً ذا طرائق . والربد : الطرائق . وقال صخر الغَىّ :

وصارم أُخلصت خشيبته ... أبيض مَهْو فى متنه ربد

(٢) وهو والد أبى جَهْم بن حُذيفة ، واسم أبى جهم : عُبَيد ، وهو الذى أهدى الخميصة لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فنظر إلى علمها . الحديث . وقد روى أيضاً هذا الحديث على وجه آخر ، وهو أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أُتى بخميصتين ، فأعطى إحداهما أبا جهم ، وأمسك الأخرى ، وفيها علم ، فلما نظر إلى علمها فى الصلاة أرسلها إلى أبى جهم ، وأخذ الأخرى بدلا منها ، هكذا رواه الزبير : وأم أبى جهم : يُسَيْرة بنت عبد الله بن أذاة ابن رياح ، وابن أذاة : هو خال أبى قحافة ، وسيأتى نسب أمه ، وقد قيل : إن الشعر لحذافة بن غانم ، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافة .

على رجالٍ تجاوزوا الشُّوَى ، ذى خَبيئَةٍ ... جميل المُحَيَّا غير نِكْسٍ ولا هَذْرِ(١)
على الماجد البُهلول ذى الباع والنَّهَى ... ربيع لؤىٍّ فى القُحُوطِ وفى العُسْرِ
على خير حافٍ من مَعَدٍّ وناعلٍ ... كريم المساعى ، طيِّب الخِيمِ والنَّجْرِ
وخيرهمُ أصلا وفرعاً ومَعْدِنا ... وأحظاهمُ بالمكرُماتِ وبالذِّكْرِ
وأَوْلاهمُ بالمجد والحلم والنُّهَى ... وبالفضل عند المُجْحِفاتِ من الغُبْرِ
على شَيْبَةِ الحَمْدِ الذى كان وجهُه ... يُضىءُ سوادَ الليل كالقمر البدرِ
وساقى الحَجيجِ ثم للخيرِ هاشمٌ ... وعبد منافٍ ، ذلك السيدُ الفِهْرى
طَوَى زمزما عند المَقام ، فأصبحتْ ... سِقايتُه فخراً على كلِّ ذى فخرِ
ليَبْكِ عليه كلُّ عانٍ بكُرْبةٍ ... وآلُ قُصَىٍّ من مُقِلٍّ وذى وَفْرِ
بَنُوه سَرَاةٌ ، كهلُهم وشبابُهم ... تَفَلَّقَ عنهم بيضةُ الطائر الصقرِ
قُصَىٌّ الذى عادَى كنانةَ كلَّها ... ورابطَ بيتَ الله فى العسر واليسرِ
فإنْ تكُ غالتْه المنايا وصرفُها ... فقد عاش ميمونَ النقيبة والأمرِ
وأبقى رجالا سادةً غيرَ عُزَّلٍ ... مصاليتَ أمثالَ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
أبو عُتبةَ المُلْقِى إلىَّ حِباءه ... أغرُّ هِجانُ اللونِ من نفرٍ غُرِّ
وحمزةُ مثلُ البدر ، يهتزُّ للندى ... نقىُّ الثيابِ والذِّمامِ من الغدرِ
وعبدُ منافٍ ماجدٌ ذو حَفيظةٍ ... وَصُولٌ لذى القربى رحيمٌ بذى الصِّهْرِ
كهولُهمُ خيرُ الكهولِ ، ونسلُهم ... كنسل الملوكِ ، لا تَبُورُ ولا تَحْرَى(٢)
متى ما تُلاقِ منهم الدهرَ ناشئا ... تجده بإجْرِيّا أوائله يجرى
هُمُ ملئوا البَطْحاءَ مجداً وعزةً ... إذا استُبِقَ الخيراتُ فى سالف العصرِ
وفيهم بُناةٌ للعلا وعِمارةٌ ... وعبدُ منافٍ جَدُّهم ، جابرُ الكسرِ

---

(١) النِّكسُ من السهام : الذى نُكِس فى الكنانة ليميزه الرامى ، فلا يأخذه لرداءته . وقيل : الذى انكسر أعلاه ، فنُكِس ورُد أعلاه أسفله ، وهو غير جيد للرمى .

(٢) لا تبور ولا تحرى ، أى : لا تهلك ولا تنقص ، ويقال للأفعى : حارية لرقتها وفى الحديث : ما زال جسم أبى بكر يحرى حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى : ينقص لحمه ، حتى مات .

بإنكاحِ عَوْفٍ بنتَه ليُجيرَنا ... من اعدائنا إذْ أسلمَتنا بنو فِهرِ
فسرنا تهامِيَّ البلادِ ونجدَها ... بأمنِه حتى خاضتِ العيرُ في البحرِ
وهم حضروا والناسُ بادٍ فريقُهم ... وليس بها إلا شيوخُ بني عمرو (١)
بَنَوْها دياراً جَمَّةً، وطَوَوْا بها ... بئاراً تُسَحُّ الماءَ من ثَبَجِ البحرِ
لكي يشربَ الحُجاجُ منها، وغيرُهم ... إذا ابتدروها صبحَ تابعةِ النحرِ
ثلاثةَ أيامٍ تَظَلُّ ركابُهم ... مُخيَّسةً بينَ الأخاشبِ والحِجْرِ
وقِدْماً غَنينا قبلَ ذلك حِقبةً ... ولا نستقي إلا بخُمٍّ أو الحفرِ
وهم يغفرونَ الذنبَ يُنقَم دونَه ... ويعفون عن قولِ السفاهةِ والهُجْرِ
وهم جمعوا حلفَ الأحابيشِ كلَّها ... وهم نكَّلوا عنا غُواةَ بني بكرِ
فخارجَ إما أهلِكنَّ، فلا تزلْ ... لهم شاكراً حتى تُغيَّبَ في القبرِ
ولا تنسَ ما أسدى ابنُ لُبنَى؛ فإنه ... قد اسدى يداً محقوقةً منكَ بالشكرِ
وأنت ابنُ لُبنَى من قُصَيٍّ إذا انتموا ... بحيثُ انتهى قصدُ الفؤادِ من الصدرِ
وأنت تناولتَ العُلا، فجمعتَها ... إلى مَحْتِدٍ للمجدِ ذي ثَبَجٍ جَسْرِ
سبقتَ وفُتَّ القومَ بذلاً ونائلاً ... وسُدْتَ وليداً كلَّ ذي سُؤددٍ غَمْرِ
وأمُّك سِرٌّ من خُزاعةَ جوهرٌ ... إذا حصَّلَ الأنسابَ يوماً ذوو الخُبْرِ
إلى سبأ الأبطالِ تُنمَى، وتنتمي ... فأكرمْ بها منسوبةً في ذُرا الزُّهرِ
أبو شَمِرٍ منهم، وعمرُو بنُ مالكٍ ... وذو جَدَنٍ من قومِها وأبو الجَبْرِ (٢)
وأسعدُ قادَ الناسَ عشرين حِجّةً ... يُؤيَّدُ في تلك المواطنِ بالنصرِ (٣)

(١) يريد : بني هاشم ؛ لأن اسمه عمرو .

(٢) أبو شَمِر ، وهو شمر الذي بنى سمرقند ، وأبوه : مالك ، يقال له : الأملوك ، ويحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغساني والد الحارث بن أبي شمر .

وعمرو بن مالك الذي ذكر : أحسبه عمراً ذا الأذعار ، وقد تقدم في التبابعة ، وهو من ملوك اليمن ، وإنما جعلهم مفخراً لأبي لهب ؛ لأن أمه خزاعية من سبأ ، والتبابعة كلهم من حمير بن سبأ .

وأبو جبر الذي ذكره في هذا الشعر : ملك من ملوك اليمن ، ذكر القتبي أن سمية أم زياد ، كانت لأبي جبر ملك من ملوك اليمن ، دفعها إلى الحارث بن كلدة المتطبب في طب طبه .

(٣) أسعد أبو حسان بن أسعد ، وقد تقدم في التبابعة .

قال ابن هشام : « أمك سر من خزاعة » ، يعنى : أبا لهب ، أمه : لبنى بنت هاجر الخزاعى . وقوله : « بإجشريًّا أباه » ، عن غير ابن إسحاق .

رثاء مطرود الخزاعى لعبد المطلب : قال ابن إسحاق : وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكى عبد المطلب وبنى عبد مناف :

يا أيها الرّجلُ المُحَوِّلُ رحلَه ... هَلاّ سألت عن آلِ عبدِ منافِ
هبلَتْكَ أمُّك ، لو حللت بدارِهم ... ضَمِنوكَ من جُرمٍ ومن إقْرافِ (١)
الخالطينَ غنيَّهم بفقيرِهم ... حتى يعودَ فقيرُهم كالكَافى
المنعمينَ إذا النجومُ تغيّرتْ ... والظاعنينَ لِرحْلةِ الإيلافِ
والمُطْعِمين إذا الرياحُ تناوحتْ ... حتى تغيبَ الشمسُ فى الرَّجّافِ (٢)
إمّا هلكت أبا الفعالِ فما جَرَى ... من فوقِ مثلِك عقْدُ ذاتِ نطافِ (٣)
إلا أبيكَ أخى المكارمِ وحْدَه ... والفيضِ مُطّلبٍ أبى الأضيافِ (٤)

قال ابن إسحاق : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى زمزم والسِّقاية عليها بعده العباس

---

(١) أى : منعوك من أن تُنكح بناتك أو أخواتك من لئيم ، فيكون الابن مقرفاً لؤم أبيه ، وكرم أمه ، فيلحقك وصْم من ذلك ، ونحو منه قول مهلهل :

أنكحها فقدُها الأراقم فى ... جنب ، وكان الحباء من أدم

أى : أنكحت لغربتها من غير كفء .

(٢) يعنى : البحر لأنه يرجف . ومن أسمائه أيضاً : خضارَة ، والدأماء ، وأبو خالد .

(٣) النطف : اللؤلؤ الصافى . ووصيفة منطفة أى : مقرطة بتوأمتين والنطف فى غير هذا : التلطخ بالعيب ، وكلاهما من أصل واحد ، وإن كانا فى الظاهر متضادين فى المعنى ؛ لأن النطفة هى الماء القليل ، وقد يكون الكثير ، وكأن اللؤلؤ الصافى أخذ من صفاء النطفة . والنطف الذى هو العيب : أخذ من نطفة الإنسان ، وهى ماؤه ، أى : كأنه لطخ بها .

(٤) والفيض مطلب أبى الأضياف . يريد : أنه كان لأضيافه كالأب . والعرب تقول لكل جواد : أبو الأضياف . كما قال مرة بن محكان :

أدعى أباهم ، ولم أقرف بأمهم ... وقد عَمِرْت ولم أعرف لهم نسبا

ابن عبد المطلب ، وهو يومئذ من أحدث إخوته سناً(١) ، فلم تزل إليه ، حتى قام الإسلام وهي بيده . فأقرها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ له على ما مضى من ولايته ، فهي إلى آل العباس ، بولاية العباس إياها ، إلى اليوم .

كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب ، وكان عبد المطلب ـ فيما يزعمون ـ يوصي به عمه أبا طالب ، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبا طالب أخوان لأب وأم . أمهما : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم .

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد جده ، فكان إليه ومعه .

اللهبي العائف : قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه : أن رجلا من لهب ـ قال ابن هشام : ولهب : من أزد شنوءة (٢) ـ كان عائفاً ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ، ويَعْتافُ (٣) لهم فيهم . قال . فأتى به

---

(١) يقول السهيلي عما منعه النحويون أن يقال: زيد أفضل إخوته. وليس بممتنع ، وهو موجود في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وغيره ، وحسن ، لأن المعنى : زيد يفضل إخوته ، أو يفضل قومه ؛ ولذلك ساغ فيه التنكير ، وإنما الذي يمتنع بإجماع : إضافة أفعل إلى التثنية مثل أن تقول : هو أكرم أخويه ، إلا أن تقول : الأخوين ، بغير إضافة .

(٢) وقال غيره : وهو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك ابن نصر بن الأزد . وهي القبيلة التي تعرف بالعيافة والزجر .

(٣) : يعتاف لهم : هو يفتعل من العيف . يقال : عِفْتُ الطير . واعْتَفْتُها عيافة واعتيافاً : وعفت الطعام أعافه عَيْفاً . وعافت الطير الماءَ عيافاً .

أبو طالب ، وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال : الغلامَ . عليَّ به ، فلما رأى أبو طالب حرصَه عليه غيَّبه عنه ، فجعل يقول : ويلكم ! ردوا عليَّ الغلامَ الذى رأيت آنفاً ، فوالله ليكونَنَّ له شأن . قال: فانطلق أبو طالب .

قصة بحـــيرى

محمد (ص) يخرج مع عمه إلى الشام : قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج فى ركب تاجراً إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسيرَ صَبَّ [1] به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يزعمون ـ فرقَّ له ، وقال : والله لأخرجن به معى ، ولا يفارقنى ، ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال . فخرج به معه . [2]

بحيرى يحتفى بتجار قريش : فلما نزل الركب بُصْرَى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له ، بَحِيرَى [3] فى صومعة له ، وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها ـ فيما يزعمون ـ يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى ، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك ، فلا يكلمهم ، ولا يعرض لهم ،

---

(١) الصبابة : رقة الشوق ، يقال : صَبِبْتُ ــ بكسر الباء ــ أصَبّ ، ويذكر عن بعض السلف أنه قرأ : « أصبب إليهن وأكن من الجاهلين » ، وفى غير رواية أبى بحر : ضَبِثَ به رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أى : لزمه. قال الشاعر :

كأن فؤادى فى يد ضَبِثَتْ به ... مُحاذرة أن يَقضب الحبل قاضبه

(٢) كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ ذاك ابن تسع سنين فيما ذكر بعض من ألف فى السير ، وقال الطبرى : ابن ثنتى عشرة سنة .

(٣) وقع فى سير الزهرى أن بَحِيرَى كان حَبْراً من يهود تيماء ، وفى المسعودى : أنه كان من عبد القيس . واسمه : سَرْجِس ، وفى المعارف لابن قتيبة ، قال : سُمِع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة: بحيرى ، ورِباب بن البراء الشَّنِّىّ ، والثالث : المنتظر ، فكان الثالث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال القتبى : وكان قبر رباب الشنى ، وقبر ولده من بعده ، لا يزال يرى عليها طَشّ ، والطش : المطر الضعيف .

حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك - فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا ، وغمامة تظله من بين القوم . قال : ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتهصّرت أغصان الشجرة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصُنع ، ثم أرسل إليهم ، فقال : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، صغيرُكم وكبيرُكم ، وعبدُكم وحركم ، فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً ، فما شأنك اليوم ؟! قال له بحيرى : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم ، وأصنع لكم طعاما ، فتأكلوا منه كلكم . فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بين القوم ، لحداثة سنه ، في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده ، فقال : يامعشر قريش ! لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي ، قالوا له : يا بحيرى ، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سنا ، فتخلف في رحالهم ، فقال : لا تفعلوا ، ادعوه ، فليحضر هذا الطعام معكم . قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللات والعزّى ، إن كان لَلُؤْمٌ بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه ، وأجلسه مع القوم .

بحيرى يتثبت من محمد (ص) : فلما رآه بحيرى ، جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرى ، فقال : يا غلام . أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، وإنما قال له بحيرى ذلك ؛ لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: لا تسألني باللات والعزى شيئاً ، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما ، فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، فقال له : سلني عما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه وهيئته وأموره ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر إلى ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده ،

قال ابن هشام : وكان مثل أثر المحجم .(١)

بحيرى يوصى أبا طالب بمحمد (ص) : قال ابن إسحاق : فلما فرغ ، أقبل على عمه أبى طالب ، فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى . قال له بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ، قال : فإنه ابن أخى ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال: مات وأمه حُبلى به ، قال : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهودَ ، فوالله لئن رأوْه ، وعَرَفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّه شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسْرِعْ به إلى بلاده .

بعضهم من أهل الكتاب يريدون بمحمد (ص) الشر : فخرج به عمه أبو طالب سريعا ، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس : أن زُرَيْراً وتَمَّاما ودَرِيسا ـ وهم نفر من أهل الكتاب ـ قد كانوا رأوا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل ما رآه بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب ، فأرادوه ، فردهم عنه بحيرى ، وذكرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه .

محمد (ص) يشب على مكارم الأخلاق : فشب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ؛ حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خُلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفُحْش والأخلاق التى تدنس الرجال ، تنزُّها وتكرُّما ، حتى ما اسمه فى قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

رسول الله (ص) يحدث عن حفظ الله له : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما ذُكر لى يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته ، أنه قال :

---

(١) يعنى : أثر المحجمة القابضة على اللحم ، حتى يكون ناتئاً . وفى الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود . وفى صفته أيضا أنه كان كالتفاحة، وكزر الحجلة .وفى حديث آخر : كان كبيضة الحمامة ،وفى حديث عَبَّاد بن عبد عمرو : قال ، رأيت خاتم النبوة ،وكان كركبة العنز .

لقد رأيتَنى فى غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قد تعرَّى ، وأخذ إزاره ، فجعله على رقبته ، يحمل عليه الحجارة ، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر ، إذ لكمنى لا كم ما أراه ، لكمة وجيعة ثم قال : شُدَّ عليك إزارك . قال : فأخذته وشددته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى علىَّ من بين أصحابى . (١)

حرب الفِجَار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أربع عشرة سنة ، أو خمس عشرة سنة — فيما حدثنى أبو عُبَيْدة النحوى ، عن أبى عَمرو بن العلاء — هاجت حرب الفِجَار (٢) بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قَيْس عَيْلان .

---

(١) وهذه القصة إنما وردت فى الحديث الصحيح فى حين بنيان الكعبة ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينقل الحجارة مع قومه إليها ، وكانوا يجعلون أُزُرَهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحملها على عاتقه ، وإزاره مشدود به ، فقال له العباس رضى الله عنه : يا بن أخى ! لو جعلت إزارك على عاتقك ، ففعل فسقط مغشياً عليه ، ثم قال : إزارى إزارى ! فشد عليه إزاره ، وقام يحمل الحجارة ، وفى حديث آخر : أنه لما سقط ، ضمه العباس إلى نفسه ، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودى من السماء : أن اشدد عليك إزارك يا محمد ، قال: وإنه لأول ما نُودِىَ ، وحديث ابن إسحاق إن صح أنه كان فى حال صغره إذ كان يلعب مع الغلمان فحمله أن هذا الأمر كان مرتين ، مرة فى حال صغره ومرة فى أول اكتهاله عند بنيان الكعبة . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(٢) الفِجَار بكسر الفاء بمعنى : المُفَاجَرة كالقِتال والمقاتلة ، وذلك أنه كان قتالا فى الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعاً ، فسمى : الفِجَار .

- فجارات العرب : وكانت للعرب فجارات أربع ، ذكرها المسعودى ، آخرها : فجار البراض المذكور فى السيرة وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة : يوم شَمْطة ، ويوم العبلاء ، وهما عند عكاظ ، ويوم الشَّرِب ، وهو أعظمها يوما ، وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان =

سببها : وكان الذى هاجها أن عُروة الرَّحَّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن هوازن ، أجار لَطِيمة(١) النعمان بن المنذر ، فقال له البرّاض ابن قيس ، أحد بنى ضَمْرَة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة : أتجيرها على كنانة ؟ قال : نعم . وعلى الخلق ، فخرج فيها عروة الرحّال ، وخرج البراض يطلب غفلته ، حتى إذا كان بتَيْمَنَ ذى طَلاَّل بالعالية ، غفل عروة ، فوثب عليه البراض ، فقتله فى الشهر الحرام ، فلذلك سمى : الفِجَار . وقال البراض فى ذلك :

وداهيةٍ تُهِمُّ الناسَ قبلى ... شددتُ لها ـ بنى بكرٍ ـ ضلوعى
هدَمتُ بها بيوتَ بنى كلابٍ ... وأرضعتُ الموالىَ بالضُّروع(٢)
رفعتُ له بذى طلاَّلَ كفِّى ... فخر يميدُ كالجِذْعِ الصريع(٣)

= وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كى لا يفروا ، فسموا : العنابس ، ويوم الحريرة عند نخلة ، ويوم الشرب انهزمت قيس إلا بنى نضر منهم ، فإنهم ثبتوا ، ولم يقاتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أعمامه ، وكان ينبل عليهم ، وقد كان بلغ سن القتال ، لأنها كانت حرب فجار ، وكانوا أيضاً كلهم كفاراً ، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هى العليا .

(١) اللطيمة : عير تحمل البز والعطر .

(٢) الضروع ، جمع ضرع ، هو فى معنى قولهم : لئيم راضع ، أى : ألحقت الموالى بمنزلتهم من اللؤم ورَضاع الضُّرُوع ، وأظهرت رذالتهم وهتكتُ بيوت أشراف بنى كلاب وصرحائهم .

(٣) قول البراض: رفعت له بذى طَلاَّلَ كفى . فلم يصرفه ، يجوز أن يكون جعله اسم بقعة ، فترك إجراء الاسم للتأنيث والتعريف ، فإن قلت : كان يجب أن يقول : بذات طلال . أى : ذات هذا الاسم للمؤنث ، كما قالوا : ذو عمرو أى : صاحب هذا الاسم ، ولو كانت أنثى ، لقالوا : ذات هند (مثلا) ، فالجواب : أن قوله : بذى يجوز أن يكون وصفا لطريق ، أو جانب مضاف إلى طلال اسم البقعة . وأحسن من هذا كله أن يكون طلال اسماً مذكراً علماً ، والاسم العلم يجوز ترك صرفه فى الشعر كثيراً . ووقع فى شعر البراض مشدداً . وفى شعر لبيد الذى بعد هذا مخففاً ؛ نقول : إن لبيداً خففه للضرورة ، ولم نقل : إنه شدد للضرورة ، وإن الأصل فيه التخفيف ، لأنه فَعَّال من الطلّ ، كأنه موضع يكثر فيه الطل . فطلال بالتخفيف لا معنى له ، وأيضاً ؛ فإنا وجدناه فى الكلام المنثور مشدداً .

وقال لبيد بن مالك بن جعفر بن كلاب :

أبلغْ - إن عرضْتَ - بنى كلابٍ　　　وعامرَ والخطوبُ لها موالى
وبلغْ - إن عرضْتَ - بنى نُمَيْرٍ　　　وأخوالَ القتيلِ بنى هلالِ
بأن الوافدَ الرَّحَّالَ أمسى　　　مُقيما عند تَيْمَنَ ذى طلالِ

وهذه الأبيات فى أبيات له فيما ذكر ابن هشام .

قتال هوازن لقريش : قال ابن هشام : فأتى آت قريشا ، فقال : إن البراض قد قتل عروة ، وهم فى الشهر الحرام بعكاظ ، وهوازن لاتشعر ، ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن ، ثم التقوا بعدهذا اليوم أياما ، والقوم متساندون ، على كل قَبِيلٍ من قريش وكنانة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

الرسول صلى الله عليه وسلم يشهد القتال وهو صغير: وشهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعض أيامهم ، أخرجه أعمامه معهم ، وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : كنت أُنَبِّل على أعمامى ، أى : أرد عنهم ، نَبْل عدوهم ، إذا رمَوهم بها .

سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى هذه الحرب : قال ابن إسحاق : هاجت حرب الفِجَار ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن عشرين سنة .

سبب تسمية هذا اليوم بالفجار: وإنما سمى يوم الفجار ، بما استحل هذان الحيان : كنانة وقيس عيلان فيه من المحارم بينهم .

قائد قريش وكنانة : وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس . وكان الظفر فى أول النهار لقيس على كنانة ، حتى إذا كان فى وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس .

قال ابن هشام : وحديث الفِجَار أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه قطعه حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم[1] .

---

(١) وكان آخر أمر الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا العام القابل بعكاظ فجاءوا للوعد . وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة ، وكان عتبة بن ربيعة يتيما فى حجره ، فضنّ به حرب ، وأشفق من خروجه معه، فخرج عتبة بغير إذنه ، فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين=

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

سنه - صلى الله عليه وسلم - حين زواجه : قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمساً وعشرين سنة(٢)، تزوج خديجة(٣) بنت خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزَّى ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم عن أبى عمرو المدنى .

خروجه (ص) إلى التجارة بمال خديجة : قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها ، وتضاربهم إياه ، بشىء تجعله لهم ، وكانت قريش قوماً تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما بلغها : من

= الصفين ينادى : يا معشر مضر ، علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ فقال : الصلح ؛ على أن ندفع إليكم دية قتلاكم ، ونعفو عن دمائنا . قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع إليكم رهناً منا ، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال : أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فرضوا ورضيت كنانة . ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلا . فيهم : حكيم بن حزام ، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم ، عفَوْا من الدماء ، ، أطلقوهم وانقضت حرب الفجار ، وكان يقال : لم يَسُدْ من قريش مُمْلِق إلا عتبة وأبو طالب ، فإنهما سادا بغير مال .

(٢) وقيل كانت سنه - صلى الله عليه وسلم - إحدى وعشرين سنة وقيل ثلاثين .

(٣) خديجة بنت خويلد تسمى : الطاهرة فى الجاهلية والإسلام ، وفى سير التيمى : أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش . وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم . عند هند بن زرارة وكانت قبله عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ولدت له عبد مناف ابن عتيق ، وقال الزبير : ولدت لعتيق جارية اسمها : هند ، وولدت لهند : ابناً اسمه : هند أيضاً ، مات بالطاعون : طاعون البصرة ، ولخديجة من هند ابنان غير هذا ، اسم أحدهما : الطاهر ، واسم الآخر : هالة .

صدق حديثه ، وعِظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مالٍ لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له : مَيْسَرَةُ ، فقبله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامُها مَيْسَرَةُ ، حتى قدم الشام .

حديثه (ص) مع الراهب : فنزل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان . فاطَّلَع الراهب إلى ميسرة ، فقال له : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي(١) .

ثم باع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلعتَه التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشترِيَ ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ، ومعه ميسرة ، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة ، واشتد الحر ، يرى ملَكين يُظلانِه من الشمس - وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به ، فأَضْعَف أو قريبا . وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملَكين إياه .

خديجة ترغب في الزواج منه (ص) : وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله

---

(١) ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي . يريد : ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي ، ولم يرد : ما نزل تحتها قط إلا نبي ؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك ، وإن كان في لفظ الخبر : قط ، فقد تكلم بها على جهة التوكيد ، والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى ، أو غيره من الأنبياء - عليهم السلام - ويبعد في العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد ، حتى يجيء نبي ، إلا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث : لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم - عليه السلام - وهي رواية عن غير ابن إسحاق ، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم . وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نسطورا وليس هو بحيرا المتقدم ذكره .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت له فيما يزعمون : يا ابن عمّ ، إنى قد رغبت فيك لقرابتك ، وسِطَتِك(١) فى قومك وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك. ثم عرضتْ عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً ، وأكثرهن مالا ، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه .

نسب خديجة رضى الله عنها : وهى خديجة بنت خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصى بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤى بن غالب بن فِهْر . وأمها : فاطمة بنت زائدة بن الأصم

---

(١) السِّطَةُ : من الوسط ، مصدر كالعِدة والزِّنة ، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل ، ولكن فى مقامين : فى ذكر النسب . وفى ذكر الشهادة . أما النسب ، فلأن أوسط القبيلة أعرفها ، وأولاها بالصميم وأبعدها عن الأطراف ، وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوة ، لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب ، فكان الوسط من أجل هذا مدحاً فى النسب بهذا السبب . وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه : « قال أوسطهم » ، وقوله : « وكذلك جعلناكم أُمَّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » فكان هذا مدحا فى الشهادة ، لأنها غاية العدالة فى الشاهد أن يكون وسطا كالميزان ، لا يميل مع أحد ، بل يصمم على الحق تصميما ، لا يجذبه هوى ، ولا يميل به رغبة ، ولا رهبة ، من هاهنا ، ولا من هاهنا ، فكان وصفه بالوسط غاية فى التزكية والتعديل . وظن كثير من الناس أن معنى الأوسط : الأفضل على الإطلاق ، وقالوا : معنى الصلاة الوسطى : الفُضْلى ، وليس كذلك ، بل هو فى جميع الأوصاف لا مدح ولا ذم ، كما يقتضى لفظ التوسط ، فإذا كان وسطاً فى السِّمَن ، فهى بين المُمِخَّة والعجفاء ، والوسط فى الجمال بين الحسناء والشَّوْهاء ، إلى غير ذلك من الأوصاف ، لا يعطى مدحاً ، ولا ذما ، غير أنهم قد قالوا فى المثل : ثقل من مُغَنٍّ وسط على النم ، لأن المغنى إن كان مجيدا جدا أمتع وأطرب ، وإن كان بارداً جداً أضحك وألهى ، وذلك أيضاً مما يُمْتع . قال الجاحظ : وإنما الكرب الذى يجثُمُ على القلوب ، ويأخذ بالأنفاس ، الغناء الفاتر الوسط الذى لا يمتع بحسن ، ولا يضحك بهو ، وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو : أوسط الناس ، ى : أفضلهم ، ولا يوصف بأنه وسط فى العلم ، ولا فى الجود ، ولا فى غير ذلك إلا فى النسب الشهادة ، كما تقدم ، والحمد لله ، والله المحمود . عن الروض الأنف بتحقيقنا ج١ ص ٢١٢ — ٢١٣

ابن رَوَاحة بن حَجَر بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فِهْر . وأم فاطمة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن مُنقذ بن عمرو بن مَعيص بن عامر بن لؤى ابن غالب بن فِهر . وأم هالة : قِلابة بنت سُعَيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فِهْر .

الرسول (ص) يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه : فلما قالت ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكر ذلك لأعمامه : فخرج معه عمه حمزة[1] بن عبد المطلب ـ رحمه الله ـ حتى دخل على خُوَيلد[2] بن أسد فخطبها إليه ، فتزوجها .

صداق خديجة : قال ابن هشام : وأصدقها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشرين بكْرة ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت ، رضى الله عنها .

أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة : قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم : القاسم ، وبه كان يُكنى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر والطيب[3] ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام .

---

(١) ويقال : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان مما قاله فى تلك الخطبة : « أما بعد : فإن محمداً ممن لا يُوازَن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونُبْلا وفضلا وعقلا ، وإن كان فى المال قلّ ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مُسْترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » .

(٢) وعن ابن عباس ، وعن عائشة — رضى الله عنهم كلهم — قال : إن عمرو بن أسد هو الذى أنكح خديجة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأن خويلداً كان قد هلك قبل الفِجَار .

(٣) الطاهر والطيب لقبان للقاسم ، سُمّى بالطاهر والطيب ، لأنه ولد بعد النبوة ، واسمه الذى سمى به أوّلُ هو : عبد الله ، وبلغ القاسم المشى ، غير أن رضاعته لم تكن كملت

ترتيب ولادتهم : قال ابن هشام : أكبر بنيه : القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته : رقية ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال ابن إسحاق : فأما القاسم ، والطيب ، والطاهر فهلكوا فى الجاهلية .

وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام ، فأسلمن وهاجرن معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

إبراهيم وأمه : قال ابن هشام : وأما إبراهيم فأمه : مارية القبطية . حدثنا عبدالله ابن وهب عن ابن لهيعة ، قال : أم إبراهيم : مارية سرية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى أهداها إليه المقوقس من حَفْن كُورَة أنْصِنَا .

ورقة يتنبأ له (ص) بالنبوة قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة[1] بن نوفل بن أسد بن عبد العزى — وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تتبّع الكتب ، وعلم من علم الناس — ماذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وماكان يرى منه إذكان الملكان يُظلانه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً ياخديجة ، ان محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُنتظر ، هذا زمانه ، أو كما قال .

شعر لورقة : فجعل ورقة يستبطىء الأمر ويقول : حتى متى ؟ فقال ورقة فى ذلك :

لجِجتُ وكنت فى الذكرى لجوجا   لهم طالما بعث النشيجا

= وقد وقع فى مسند الفريابى أن خديجة دخل عليها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد موت القاسم ، وهى تبكى : فقالت : يارسول الله دَرّت لُبَيْنَة القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعة لهوّن عليّ ، فقال : ان له مرضعا فى الجنة تستكمل رضاعته ، فقالت : لو أعلم ذلك لهون علي ، فقال : ان شئت أسمعتك صوته فى الجنة ، فقالت : بل أصدق الله ورسوله .

(١) وأم ورقة : هند بنت أبى كبير بن عبد بن قصى ، ولا عقب له ، وهو أحد من آمن وأسلم ـ قبل البعث . راجع الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

ووصف من خديجة بعد وصفٍ ... فقد طال انتظارى يا خديجا
ببطن المكتين على رجائى ... حديثَك أن أرَى منه خُروجا(١)
بما خبرْتنا من قولِ قسٍّ ... من الرهبانِ أكره أن يَعوجا
بأن محمداً سيسودُ فينا ... ويخصِم من يكون له حَجيجا

(١) ثنى مكة ، وهى واحدة ، لأن لها بطاحاً وظواهر ، على أن للعرب مذهباً فى أشعارها فى تثنية البقعة الواحدة ، وجمعها ، نحو قوله : وميت بغزات ، يريد : بغزة ، وبغادين فى بغداد ، وأما التثنية فكثير نحو قوله :

بالرقتين له أجر وأعراس ... والحمتين سقاك الله من دار

وقول زهير « ودار لها بالرقتين » وقول ورقة من هذا : ببطن المكتين . لا معنى لإدخال الظواهر تحت هذا اللفظ ، وقد أضاف إليها البطن ، كما أضافه المبرق حين قال :

ببطن مكة مقهور ومفتون

وإنما يقصد العرب فى هذا الإشارة إلى جانبى كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى ، وقد قالوا : صدنا بقنوين ، وهو هنا اسم جبل ، وقال عنترة .

شربَت بماء الدُّحْرضَين

وهو من هذا الباب فى أصح القولين ، وقال عنترة أيضاً :

بعُنَيْزَتَيْن وأهلنا بالعَيْلم

وعنيزة اسم موضع ، وقال الفرزدق :

عشية سال المِرْبَدان كلاهما

وإنما هو مربد البصرة ، وقولهم :

تسألنى برامَتَيْن سَلْجَمَا

وإنما هو رامة . وهذا كثير . وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت فى ذكر جنة وبستان ، فتسميها جنتين فى فصيح الكلام ، إشعاراً بأن لها وجهين ، وأنك إذا دخلتها ، ونظرت إليها يميناً وشمالاً رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قرة ، وصدرك مسرة ، وفى التنزيل : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية : جنتان عن يمين وشمال » إلى قوله سبحانه : « وبدلناهم بجنتيهم جنتين » وفيه : « جعلنا لأحدهما جنتين » الآية . وفى آخرها : « ودخل جنته

ويظهرُ فى البلادِ ضياءُ نورٍ ... يُقيمُ به البريةَ أن تَمُوجا(١)

فيلقَى من يحاربُه خساراً ... ويلقَى من يُسالمُهُ فُلُوجا

فياليتى إذا ما كانَ ذاكُمْ ... شهدْتُ فكنْتُ أولَهم وُلوجا

ولوجاً فى الذى كرهتْ قريش ... ولو عجَّتْ بمكتِها عَجيجا

أرجِّى بالذى كرِهوا جميعاً ... إلى ذى العرشِ إن سَفَلوا عُروجا

وهل أمرُ السَّفالةِ غيرُ كفرٍ ... بمَنْ يختارُ مَنْ سَمَكَ البروجا

فإن يبقَوْا وأبقَ تكن أمورٌ ... يَضِجُّ الكافرونَ لها ضَجيجا

وإن أهلِكْ فكلُّ فتىً سيلقَى ... من الأقدارِ مَتْلَفَةً حَرُوجا

= فأفرد بعد ما ثنى ، وهى هى ، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » والقول فى هذه الآية يتسع .

وفى البيت : حديثك أن أرى منه خروجا . قوله منه : الهاء راجعة على الحديث ، وحرف الجر متعلق بالخروج ، وإن كره النحويون ذلك ؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم ، فلا يتقدم عليه ؛ لأن المصدر مقدر بأن والفعل ، فما يعمل فيه هو من صلة أنْ ، فلا يتقدم ، فمن أطلق القول فى هذا الأصل ، ولم يخصص مصدراً من مصدر ، فقد أخطأ المَفْصِل ، وتاه فى تضلل ؛ ففى التنزيل : « أكان الناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم ، ومعناه : أكان عجباً للناس أن أوحينا ، ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب ؛ لأنها ليست فى موضع صفة ، ولا موضع حال لعدم العامل فيها . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠

(١) هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء ، وأن الضياء هو المنتشر عن النور ، وأن النور هو الأصل للضوء ، ومنه مبدؤه ، وعنه يصدر ، وفى التنزيل : «فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » ، وفيه : « جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً » لأن نور القمر لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس ، ولا سيما فى طرفى الشهر . وفى الصحيح : «الصلاة نور ، والصبر ضياء » وذلك أن الصلاة هى عمود الإسلام ، وهى ذكر وقرآن ، وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات هو : الضياء الصادر عن هذا النور الذى هو القرآن ، والذكر . وفى أسماء البارى سبحانه « الله نور السموات والأرض » ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه ـ سبحانه

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين قريش فى وضع الحجر

سبب هذا البنيان : قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة(١) ، وكانوا يهمون بذلك ، ليسقفوها ويهابون هدمها ، وإنما كانت رضما(٢) فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك أن نفراً سرقوا كنزاً الكعبة ، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة ، وكان الذى وجد عنده الكنز دويكا مولى لبنى مليح بن عمرو من خزاعة . قال ابن هشام : فقطعت قريش يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك ، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار

---

(١) وكان بناؤها فى الدهر خمس مرات . الأولى : حين بناها شيث بن آدم ، والثانية : حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة : حين احترقت فى عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبى قبيس ، فوقعت فى أستارها ، فاحترقت ، وقيل إن امرأة أرادت أن تجمرها ، فطارت شرارة من المجمر فى أستارها . فلما قام عبد الملك بن مروان ، قال : لسنا من تخليط أبى خبيب بشىء ، فهدمها وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم ـ وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب ، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة ، وألصقوا دورهم بها ، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ، ولابد للبيت من فناء ، فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها ، وبنى المسجد المحيط بها ، ثم كان عثمان ، فاشترى دورا أخرى ، وأغلى فى ثمنها ، وزاد فى سعة المسجد ، فلما كان ابن الزبير زاد فى إتقانه ، لا فى سعته ، وجعل فيه عمداً من الرخام ، وزاد فى أبوابه ، وحسنها ، فلما كان عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع حائط المسجد ، وحمل إليه السوارى فى البحر إلى جدة .

(٢) الرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط كما قال :

دُرْتُهم فى ساعة جرعتهم كئوس المنايا تحت صخر مُرَضَّم

الروم ، فتحطمت ، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قبطى نجار(١) ، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها ، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كان يُطرح فيها ما يهدى لها كل يوم ، فتَتَشَرَّقُ(٢) على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَأَلَّتْ وَكَشَّتْ(٣) ، وفتحت فاها ، وكانوا يهابونها ، فبينا هى ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع ، بعث الله إليها طائراً فاختطفها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية .

أبو وهب — خال أبى رسول الله — وما حدث له عند بناء الكعبة : فلما أجمعوا أمرهم فى هدمها وبنائها ، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم .

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم . فتناول من الكعبة حجراً ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال : يامعشر قريش ، لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيباً ، لا يدخل فيها مهرُ بَغِيٍّ ، ولا بيعُ ربا ، ولا مَظلِمة أحد من الناس . والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكى أنه حُدِّث عن عبد الله بن صفوان ابن أمية بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى ، أنه رأى ابنا لجعدة بن هُبَيْرة بن أبى وهب بن عمرو يطوف بالبيت ، فسأل عنه ، فقيل : هذا ابن لجعدة بن هُبَيرة ، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك : جَدُّ هذا ، يعنى : أبا وهب الذى أخذ حجراً من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يامعشر قريش : لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا . لا تدخلوا فيها مهر بَغِيٍّ ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس .

---

(١) وذكر غيره أنه كان علجاً فى السفينة التى حبسها الريح إلى الشُّعَيْبة ، وأن اسم ذلك النجار : باقوم ، وكذلك روى أيضا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من طَرْفاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم .

(٢) تتشرق : تبرز للشمس .

(٣) احْزَأَلَّت ، أى : رفعت ذنبها ، وكشت ، أى : صوتت .

شعر فى أبى وهب : قال ابن إسحاق : وأبو وهب: خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان شريفا ، وله يقول شاعر من العرب :

ولو بأبى وهبٍ أنختُ مَطيتى غَدتْ من نَداه رحلُها غيرُ خائبِ
بأبيضَ من فَرْعَىْ لؤىِّ بنِ غالبٍ إذا حُصِّلَت أنسابُها فى الذوائبِ
أبِىٍّ لأخذِ الضيمِ يرتاحُ للندَى توسَّطَ جَدَّاه فروعَ الأطايبِ
عظيمِ رَمادِ القِدْرِ يملأ جفانَه من الخبزِ يعلوهُنَّ مثلُ السَّبائبِ

نصيب قبائل قريش فى تجزئة الكعبة : ثم إن قريشا تجزأت الكعبة ، فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم ، وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وسهم ، ابنى عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى . وكان شقُّ الحِجْر لبنى عبد الدار بن قصى ، ولبنى أسد بن العُزَّى بن قصى ، ولبنى عَدِىِّ بن كعب بن لؤى وهو الحطيم .

الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة : ثم إن الناس هابوا هدمها وفَرِقُوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم فى هدمها ، فأخذ المعول ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهمّ لم تُرَعْ[1] - قال ابن هشام : ويقال : لم نزغ - اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شىء ، فقد رضى الله صنعنا ، فهدمنا !! فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس : أساس إبراهيم عليه السلام أفضَوْا إلى حجارة خضر كالأسنمة[2] آخذٍ بعضها بعضا .

---

(١) اللهم لم تُرَعْ ، وهى كلمة تقال عند تسكين الرَّوع ، وإظهار اللين والبر فى القول ، ولا روع فى هذا الموطن فيُنْفَى ، ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها ، وعلى هذا يجوز التكلم بها فى الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الروع الذى هو محال فى حق البارى تعالى ، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا ، جاز النطق بها .

(٢) وليست هذه رواية السيرة الأصلية : إنما الصحيح فى الكتاب : كالأسنة وهو وهم من بعض النقلة عن ابن إسحاق والله أعلم ؛ فإنه لا يوجد فى غير هذا الكتاب بهذا اللفظ =

امتناع قريش عن هدم الأساس وسببه : قال ابن إسحاق : فحدثني بعض من يروي الحديث : أن رجلا من قريش ، ممن كان يهدمها ، أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها ، فانتهوا عن ذلك الأساس .

الكتاب الذي وجد في الركن : قال ابن إسحاق : وحُدثتُ أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية ، فلم يدروا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : « أنا الله ذو بكة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشباها ، مبارك لأهلها في الماء واللبن[1] » .

قال ابن هشام : أخشباها : جبلاها .

الكتاب الذي وجد في المقام : قال ابن إسحاق : وحُدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : « مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يُحلها أوّلُ مَنْ أهلها[2] » .

= لا عند الواقدي ولا غيره ، وقد ذكر البخاري في بنيان الكعبة هذا الخبر ، فقال فيه عن يزيد بن رومان : فنظرت إليها ، فإذا هي كأسنمة الإبل ، وتشبيهها بالأسنة لا يشبه إلا في الزُّرقة ، وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى ، لعظمها .

(١) روى مَعْمَرُ بن راشد في الجامع عن الزهري أنه قال : بلغني أن قريشا حين بَنَوا الكعبة ، وجدوا فيها حجرا ، وفيه ثلاثة صُفُوح ، في الصفح الأول : أنا الله ذو بكة صُغْتها يوم صغت الشمس والقمر إلى آخر كلام ابن إسحاق ، وفي الصفح الثاني : أنا الله ذو بكة ، خلقت الرَّحِم ، واشتققت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بَتَتُّه ، وفي الصفح الثالث : أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه .

(٢) لا يُحِلُّها أولُ من أهلها ، يريد - والله أعلم - ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير ، وحُصَيْن بن نُمَيْر ، ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن أبي ربيعة :

ألا مَن لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ   بِحُبِّ المُحِلَّة أخت المُحِلّ

يعني بالمحل : عبد الله بن الزبير ، لقتاله في الحرم .

حجر الكعبة المكتوب عليه العظة : قال ابن إسحاق: وزعم ليث بن أبى سُلَيْم أنهم وجدوا حجراً فى الكعبة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة — إن كان ما ذكر حقاً — مكتوباً فيه : « من يَزْرعْ خيراً ، يَحصِدْ غِبْطة ، ومن يزرعْ شراً ، يَحصِدْ ندامةً. تعملون السيئات ، وتُجْزَوْن الحسنات ؟! أجل ، كما لا يجتنى من الشوك العنب » .

الاختلاف بين قريش فى وضع الحجر : قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حِدة ، ثم بنَوْها ، حتى بلغ البنيان موضع الركن ، فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا وتحالفوا ، وأعدوا للقتال .

لَعَقَة الدم : فقربت بنو عبد الدار جَفْنة مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب ابن لؤى على الموت، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة ، فسموا : لَعَقَة الدم، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا .

أبو أمية بن المغيرة يجد حلا : فزعم بعض أهل الرواية : أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان عامئذ أسنَّ قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ! اجعلوا بينكم — فيما تختلفون فيه — أولَ من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا .

الرسول (ص) يضع الحجر : فكان أول داخل عليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما رأوْه قالوا : هذا الأمين، رضينا ،هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال — صلى الله عليه وسلم — : هَلُمَّ إلىَّ ثوبا ، فأُتى به ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا : حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه(١).

---

(١) وذكر غيره أن إبليس كان معهم فى صورة شيخ نجدى ، وأنه صاح بأعلى صوته : يا معشر قريش : أرضيتم أن يضع هذا الركن — وهو شرفكم — غلام يتيم دون ذوى أسنانكم ؟ فكاد يثير شرا فيما بينهم ، ثم سكنوا ذلك .

وكانت قريش تسمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن ينزل عليه الوحى : الأمين .

شعر الزبير فى الحية التى كانت تمنع قريشًا من بنيان الكعبة : فلما فرغوا من البنيان ، وبنَوْها على ما أرادوا ، قال الزبير بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها :

عجبتُ لِما تَصَوَّبتِ العُقَابُ ... إلى الثعبانِ وهْىَ لها اضطرابُ
وقد كانت يكون لها كَشيشٌ ... وأحياناً يكونُ لها وِثابُ
إذا قمنا إلى التأسيسِ شدتْ ... تُهيِّبُنا البناءَ وقد تُهاب
فلما أن خشينا الرِّجزَ جاءت ... عقابٌ تَتْلَئِبُّ لها انصبابُ(١)
فضمتها إليها ثم خَلَّتْ ... لنا البنيانَ ليسَ له حجابُ
فقمنا حاشدين إلى بناءٍ ... لنا منه القواعدُ والترابُ
غداةَ نُرَفِّعُ التأسيسَ منه ... وليس على مُسَوِّينا ثيابُ(٢)
أعز به المليكُ بنى لؤىٍّ ... فليس لأصله منهم ذهابُ
وقد حشدتْ هناكَ بنو عَدِىٍّ ... ومُرَّةُ قد تَقَدَّمَها كلابُ
فَبَوَّأنا المليكُ بذاكَ عِزّاً ... وعندَ اللهِ يُلتمسُ الثوابُ

= وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة فى أيام ابن الزبير ، فوضعه فى الموضع الذى هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وأبوه يصلى بالناس فى المسجد ، اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافس فى ذلك ، وخاف الخلاف ، فأقره أبوه .

(١) تتلئب ، يقال : اتلأب على طريقه إذا لم يُعَرِّج يَمْنَة ولا يَسْرة ، وكأنه منحوت من أصلين ، من تلا : إذا تبع ، وألب : إذا أقام .

(٢) أى : مُسَوِّى البنيان . وهو فى معنى الحديث الصحيح فى نقلانهم الحجارة إلى الكعبة أنهم كانوا ينقلونها عراة ، ويرون ذلك دِيناً ، وأنه من باب التشمير والجد فى الطاعة .

قال ابن هشام : ويروى :

وليس على مَساوِينا ثيابُ (١)

ارتفاع الكعبة وكسوتها : وكانت الكعبة على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثمانى عشرة ذراعاً ، وكانت تُكسى القَباطِىّ ، ثم كُسيت البُرود . وأول من كساها الديباج : الحجاج بن يوسف .

حديث الحُمْس

قريش تبتدع الحُمْس : قال ابن إسحاق : وقد كانت قريش ـ لا أدرى أقبلَ الفيل أم بعده ـ ابتدعت رأى الحُمْس (٢) رأيا رأوه وأداروه ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحرمة ، وولاة البيت ، وقُطّان مكة وساكنها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم . فتركوا الوقوف على عرفة ، والإفاضة منها ، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويَرَوْن لسائر العرب أن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهل الحرم ، فليس ينبغى لنا أن نخرج من الحُرْمة ، ولا نعظّم غيرها ، كما نعظمها نحن الحُمْس ، والحمس : أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن وَلدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم ، بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم .

---

(١) وقول ابن هشام : ويروى : على مساوينا ، يريد : السوءات ، فهو جمع مساءة ، مفعلة من السَّوْءَة والأصل مساوىء ، فسهلت الهمزة .

(٢) والتحمس : التشدد ، وكانوا قد ذهبوا فى ذلك مذهب التزهد والتأله ، فكانت نساؤهم لا ينسجن الشعر ولا الوبر ، وكانوا لا يَسْلَئُون السمن ، وسلأ السمن أن يُطبخ الزبد ، حتى يصير سمناً ، قال أبرهة :

إن لنا صِرْمَةً مُخَيَّسَةً نشربُ ألبانَها ونسلؤُها

القبائل التى آمنت مع قريش بالحمس : وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة النحوى : أن بنى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم فى ذلك ، وأنشدنى لعمرو بن مَعْدِ يكَرِب :

أعباسُ لو كانتْ شِيَاراً جِيادُنا ... بِتَثْلِيثَ ما ناصَيْتَ بعدى الأحامِسا

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم . والشيار : الحسان . يعنى بالأحامس : بنى عامر بن صعصعة . وبعباس : عباس بن مِرْداس السُّلَمى ، وكان أغار على بنى زُبَيد بتثليث .

وهذا البيت فى قصيدة لعمرو .

وأنشدنى لَقِيط بن زُرَارة الدَّارِمى فى يوم جَبَلَة(١) :

أَجْذِمْ إليكَ إنَّها بنو عَبْس ... المَعْشَرُ الجِلَّةُ فى القَوْمِ الحُمْسِ(٢)

لأن بنى عبس كانوا يوم جَبَلة حلفاء فى بنى عامر بن صعصعة .

يوم جبلة : ويوم جبلة : يوم كان بين بنى حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم ، وبين بنى عامر بن صعصعة ، فكان الظفر فيه لبنى عامر بن صعصعة على بنى حنظلة ، وقُتل يومئذ لَقِيط بن زُرارة بن عُدُس ، وأُسر حاجب بن زُرَارة بن عُدُس(٣) ، وانهزم عمرو بن عمرو ابن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دَارِم بن مالك بن حنظلة . ففيه يقول جرير للفرزدق :

كأنك لم تَشْهَدْ لَقِيطا وحاجباً ... وعمرو بن عمرو إذْ دَعَوا : يالَدارِمِ

وهذا البيت فى قصيدة له :

---

(١) وجبلة هضبة عالية ، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم ، وكان معهم فى ذلك اليوم رئيس نجران ، وهو ابن الجون الكِنْدِى ، وأخ النعمان بن المنذر ، اسمه : حسان بن وبرة ، وهو أخو النعمان لأمه ، وفى أيام جبلة كان مولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

(٢) أجْذِمَ : زَجْرٌ معروف الخيل وكذلك : أرحب ، وهب ، وهِقِط ، وهِقَط ، وهقَبْ .

(٣) هو : عُدُس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة ، فإنه كان يفتح الدال منه ، وكل عدس فى العرب سواه فإنه مفتوح الدال .

يوم ذى نجب : ثم التقوا يوم ذى نجب فكان الظفر لحنظلة على بنى عامر ، وقُتل يومئذ حسان بن معاوية الكِنْدِىُّ ، وهو أبو كُبَيْشة . وأُسر يزيد بن الصَّعِق الكِلابىّ ، وانهزم الطُّفَيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أبو عامر بن الطفيل . ففيه يقول الفرزدق :

ومِنهنّ إذْ نجّى طُفَيلُ بنُ مالكٍ ... على قُرْزُلٍ رَجْلا رَكوضَ الهزائمِ(١)

ونحنُ ضربْنا هامةَ ابنِ خُوَيْلد ... يَزيدُ على أمِّ الفِراخِ الجواثمِ(٢)

وهذان البيتان فى قصيدة له :

فقال جرير :

ونحن خضبْنا لابنِ كبْشةَ تاجَهُ ... ولاقَى امرءاً فى ضَمّةِ الخيلِ مِصْقَعا(٣)

وهذا البيت فى قصيدة له .

وحديث يوم جَبَلة ، ويوم ذى نَجَب أطول مما ذكرنا . وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرتُ فى حديثِ يوم الفجار .

ما زادته قريش فى الحُمْس : قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا فى ذلك أموراً لم تكن لهم ، حتى قالوا : لا ينبغى للحُمْس أن يَأْتَقِطوا الأقِطَ ، ولا يَسْلَئوا السمنَ وهم حُرُم ، ولا يدخلوا بيتاً من شَعَرٍ ، ولا يستظلوا — إن استظلوا — إلا فى بيوت الأَدَم ما كانوا حُرُما ، ثم رفعوا فى ذلك ، فقالوا : لا ينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم ،

---

(١) قُرْزُل : اسم فرسه ، وكان طفيل يسمى : فارس قرزل ، وقرزل : القيد سمى الفرس به ، كأنه يُقيِّد ما يسابقه ، كما قال امرؤ القيس :

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوابِدِ هَيْكَلِ

(٢) على أم الفراخ الجواثم . يعنى : الهامة ، وهى البوم ، وكانوا يعتقدون أن الرجل إذا قتل خرجت من رأسه هامة تصيح : اسقونى اسقونى ، حتى يُؤخذ بثأره . قال ذو الإصبع العدوانى :

أَضْرِبْكَ حتى تقولَ الهامةُ : اسقونى

(٣) المعروف فى اللغة أن المِصْقَع : الخطيب البليغ ، وليس هذا موضعه ، لكن يقال فى اللغة : صقعه : إذا ضربه على شىء مصمت يابس ، قاله الأصمعى .

من الحِلّ إلى الحرم إذا جاءوا حُجاجا أو عُمّارا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا فى ثياب الحمس . فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عُراة .

اللَّقَى عند الحمس : فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ، ولم يجد ثياب الحمس ، فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم يُنتفع بها ، ولم يمسها هو ، ولا أحد غيره أبدا .

وكانت العرب تسمى تلك الثياب : اللَّقَى ، فحملوا على ذلك العرب . فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عراة ، أما الرجال فيطوفون عراة . وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلّها إلا دِرعا مُفَرَّجا عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب[١] ، وهى كذلك تطوف بالبيت :

اليومَ يَبْدو بَعْضُهُ ، أو كُلُّهُ   وما بَدَا مِنْهُ فلا أُحِلُّهُ

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحل ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره . فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه ، فلا يقربه — وهو يحبه :

كَفَى حَزناً كَرِّى عليها كأنَّها   لَقىً بينَ أيدِى الطائفينِ حَرِيمُ

يقول : لا تُمس[٢] .

---

(١) هذه المرأة هى : ضُباعة بنت عامر بن صعصعة ، ثم من بنى سلمة بن قشير .

وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خطبها ، فذكرت له عنها كِبرة ، فتركها ، فقيل : إنها ماتت كمدا وحزنا على ذلك . قال ابن حبيب : إن كان صح هذا ، فما أخرها عن أن تكون أما للمؤمنين ، وزوجا لرسول رب العالمين إلا قولها : اليومَ يبدُو بعضُه أو كلُّه . تكرِمة من الله لنبيه وعلماً منه بغَيْرَتِه ، والله أغير منه .

(٢) ومن اللَّقَى : حديث فاختة أم حكيم بن حزام ، وكانت دخلت الكعبة وهى حامل مُتِمّ بحكيم بن حزام ، فأجاءها المخاض ، فلم تستطع الخروج من الكعبة ، فوضعته فيها ، فلفت فى الأنطاع هى وجنينها ، وطرح مثبرها وثيابها التى كانت عليها ، فجعلت لَقى لا تُقرب .

ولم يذكر الطلْسَ من العرب ، وهم صنف ثالث غير الحلة والحمس ، كانوا يأتون من أقصى اليمن طلْساً من الغبار ، فيطوفون بالبيت فى تلك الثياب الطلس ، فسُموا بذلك . ذكره محمد بن حبيب .

الإسلام يبطل عادات الحمس : فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنزل عليه حين أحكم له دينه ، وشرع له سُنَن حجّه : « ثم أَفِيضُوا مِنْ حيثُ أفاضَ الناسُ واستغفِرُوا اللهَ . إن اللهَ غفورٌ رحيمٌ » يعنى قريشاً ، والناس : العرب ، فرفعهم فى سنة الحج إلى عرفات ، والوقوف عليها والإفاضة منها .

وأنزل الله عليه فيما كانوا حرّموا على الناس من طعامهم ولُبوسهم عند البيت، حين طافوا عُراةً ، وحرّموا ما جاءوا به من الحل من الطعام : « يا بَنِى آدمَ خُذوا زينتَكم عندَ كلِّ مسجدٍ ، وكُلوا واشرَبوا ولا تُسْرِفوا . إنه لا يُحِبُّ المسرفينَ . قلْ : مَنْ حرَّمَ زينةَ اللهِ التى أخرجَ لعبادِهِ والطّيباتِ من الرزْقِ . قُلْ : هى للذينَ آمنُوا فى الحياةِ الدنيا خالصةً يومَ القيامةِ . كذلك نُفَصِّلُ الآياتِ لقومٍ يعلمونَ »(١) ، فوضع الله تعالى أمر الحُمْس ـ وما كانت قريش ابتدعت منه ـ عن الناس بالإسلام ، حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

الرسول (ص) يخالف الحمس قبل الرسالة : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عثمان بن أبى سليمان بن جُبير بن مُطْعِم ، عن عمه نافع بن جُبَير عن أبيه جُبَير بن مُطعِم . قال : لقد رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن ينزل عليه الوحى ، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقاً من الله له ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً(٢)

---

(١) قوله : وكلوا واشربوا إشارة إلى ما كانت الحُمْس حرمته من طعام الحج إلا طعامَ أحْمَس ، وخذوا زينتكم : يعنى اللباس ، ولا تتعروا ، ولذلك افتتح بقوله : يا بنى آدم ، بعد أن قص خبر آدم وزوجه ، إذ يخصفان عليهما من ورق الجنة ، أى : إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم ، فآدم أبوكم ، ودينه : ستر العورة .

(٢) حتى لا يفوته ثواب الحج ، والوقوف بعرفة . قال جبير بن مطعم حين رآه واقفاً بعرفة مع الناس : هذا رجل أحمس ، فما باله لا يقف مع الحمس حيث يقفون ؟ !

إخبار الكهان من العرب، والأحبار من يهود والرهبان من النصارى

الكهان والأحبار والرهبان يتحدثون بمبعثه: قال ابن إسحاق: وكانت الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل مبعثه، لما تقارب من زمانه.

أما الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، فعمّا وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه. وأما الكهان من العرب: فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع إذ كانت هى لا تُحجَب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكرُ بعض أموره، لا تُلقِى العرب لذلك فيه بالاً، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون، فعرفوها.

قذف الجن بالشهب دلالة على مبعثه (ص): فلما تقارب أمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحضر مبعثه. حُجبت الشياطين عن السمع، وحِيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرُمُوا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله فى العباد[1] يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — حين بعثه، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حُجبوا عن السمع، فعرفوا ما عرفوا، وما أنكروا من ذلك حين رَأوا ما رَأوا: «قل: أُوحِىَ إلىّ أنه استمع نفرٌ من الجنّ[2]. فقالوا: إنا سمعنا قرآناً

---

(١) رُوى فى مأثور الأخبار أن إبليس كان يخترق السموات قبل عيسى، فلما بُعث عيسى، أو وُلد، حُجب عن ثلاث سموات، فلما وُلد محمد حُجب عنها كلها، وقُذفت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش حين كثر القذف بالنجوم: قامت الساعة، فقال عُتبة بن ربيعة: انظروا إلى العيوق فإن كان رُمى به، فقد آن قيام الساعة، وإلا فلا، وممن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبى بكر.

(٢) وفى الحديث أنهم كانوا من جن نصيبين. وفى التفسير أنهم كانوا يهوداً، ولذلك قالوا: من بعد موسى، ولم يقولوا من بعد عيسى، ذكره ابن سلام. وكانوا سبعة، قد

عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ، فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ، مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ، وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا » . . إلى قوله : « وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا . وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا » .

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما مُنعت من السمع قبل ذلك ، لئلا يُشْكل الوحي بشيء من خبر السماء ، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ، لوقوع الحجة ، وقطع الشبهة(١) . فآمنوا وصدقوا ، ثم : « وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا : يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ، وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ » ... الآية .

وكان قول الجن : « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا » . أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم إذا سافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه ، قال : إني أعوذ بعزيز هذا الوادي من الجن الليلة من شر ما فيه .

= ذُكروا بأسمائهم في التفاسير والمسندات ، وهم : شاصر ، وماصر ، ومنشى ، ولاشى ، والأحقاب ، وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دُرَيد . وسرق وعمرو .

(١) الذي يظهر من كلامه أن القذف بالنجوم — وجد بظهور الإسلام ، لكن القذف بالنجوم قد كان قديما ، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية . منهم : عَوف بن الجزْع ، وأوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم ، وكلهم جاهلي ، وقد وصفوا الرمي بالنجوم ، وأبياتهم في ذلك مذكورة في مشكل ابن قتيبة في تفسير سورة الجن ، وذكر عبد الرزّاق في تفسيره عن مَعْمَر عن ابن شهاب أنه سُئل عن هذا الرمي بالنجوم : أكان في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنه إذ جاء الإسلام غُلّظ وشُدّد ، وفي قول الله سبحانه : « وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا » ولم يقل : حُرست دليل على أنه قد كان منه شيء ، فلما بُعث النبي — صلى الله عليه وسلم — مُلئت حرسا شديدا وشهبا ، وذلك لينحسم أمرُ الشياطين ، وتخليطهم ، ولتكون الآية أبين ، والحجة أقطع .

قال ابن هشام : الرَّهَق : الطغيان والسَّفه . قال رؤبة بن العجّاج .

إذْ تَسْتَبِي الهَيَّامَةَ المُرَهَّقَا

وهذا البيت في أرجوزة له . والرَّهَق أيضاً : طلبك الشيء حتى تدنو منه ، فتأخذه ، أو لا تأخذه . قال رؤبة بن العجّاج يصف حمير وحش :

بصبصْنَ واقشعررْنَ مِنْ خوفِ الرَّهَقْ

وهذا البيت في أرجوزة له . والرهق أيضاً : مصدر لقول الرجل : رَهِقت الإثم أو العُسْرَ الذي أرهقتني رَهَقا شديداً ، أي : حملت الإثم أو العسرالذي حَمَّلتني حملا شديداً ، وفي كتاب الله تعالى : « فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغيانا وكُفراً » . وقوله : « ولا تُرْهِقْنِي من أَمرِي عُسْراً » .

ثقيف أول من فزعت برمي الجن : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث أن أول العرب فزع للرمْي بالنجوم — حين رُمي بها — هذا الحيّ من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بني عِلاَج — قال : وكان أدهى العرب وأنكرَها رأيا — فقالوا له : يا عمرو : ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم . قال : بلَى فانظروا ، فإن كانت معالم النجوم التي يُهتدَى بها في البر والبحر ، وتُعرف بها الأنواءُ من الصيف والشتاء لِمَا يُصلح الناس في معايشهم ، هي التي يُرمَى بها ، فهو والله طي الدنيا ، وهلاك هذا الخلق الذي فيها ، وإن كانت نجوماً غيرَها ، وهي ثابتة على حالها ، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق ، فما هو(1) ؟

الرسول يسأل الأنصار عن قولهم في رجم الجن بالشهب وتوضيح الأمر :

قال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مُسلم بن شِهاب الزُّهْرِي ، عن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، عن عبد الله بن العباس ، عن نفر من الأنصار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : « ماذا كنتم تقولون في هذا النَّجْم الذي يُرمَى به قالوا : يا نبي الله كنا نقول حين رأيناها يُرمَى بها : مات مَلك ، مُلِّك مَلكٌ ، وُلد مولود ، مات مولود ،

---

(1) وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لِهْبٍ عند فزعهم للرمي بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خطر ، فبين لهم الخبر ، وما حدث من أمر النبوة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلكَ كذلكَ ، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى فى خلقه أمرا سمعه حملةُ العرشِ ، فسبحوا ، فسبحَ مَن تحتَهم ، فسبح لتسبيحهم مَن تحتَ ذلك ، فلا يزال التسبيحُ يهبط حتى ينتهى إلى السماءِ الدنيا ، فيسبِّحوا ثم يقول بعضُهم لبعض : ممّ سبحتم ؟ فيقولون : سبحَ مَن فوقَنا فسبحنا لتسبيحهم ، فيقولون : ألا تسألون من فوقكم : ممّ سبحوا ؟ فيقولون مثلَ ذلك ، حتى ينتهوا إلى حملةِ العرشِ ، فيقال لهم : مم سبحتم ؟ فيقولون : قضى اللهُ فى خلقِه كذا وكذا ، للأمرِ الذى كان ، فيهبطُ به الخبرُ من سماءٍ إلى سماءٍ حتى ينتهىَ إلى السماءِ الدنيا ، فيتحدّثوا به ، فتسترِقه الشياطينُ بالسمعِ ، على توهُّمٍ واختلافٍ ، ثم يأتوا به الكهانَ من أهلِ الأرضِ فيحدثوهم به فيخطِئونَ ويُصيبون ، فيتحدثُ به الكهانُ فيصيبون بعضا ويخطِئون بعضا . ثم إن الله عزَّ وجلَّ حجَبَ الشياطينَ بهذه النجومِ التى يُقذفون بها ، فانقطعت الكهانةُ اليومَ ، فلا كِهانةَ(١) » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن أبى جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة ، عن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم بمثلِ حديث ابن شهاب عنه .

الغَيْطَلَةَ وصاحبها : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن امرأة من بنى سهم يقال لها الغَيْطَلَة كانت كاهنة فى الجاهلية ، فلما جاءها صاحبها فى ليلة من الليالى ، فأنقَضَ تحتَها ، ثم قال : أدْرِ ما أدْرِ ، يوم عَقْرٍ ونحرٍ ، فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فأنقَضَ تحتها ، ثم قال : شُعوبٌ ، ما شُعوب ، تُصرع فيه كَعْبٌ لجُنُوب : فلما بلغ ذلك قريشا ، قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمرٍ هو كائن ، فانظروا

---

(١) والذى انقطع اليوم، وإلى يوم القيامة ، أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه فى الجاهلية الجهلاء ، وعند تمكنها من سماع أخبار السماء ، ومايوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبر منهم عما يَرَوْنه فى الأرض ، مما لا نراه نحن كسرقة سارق ، أو خبيئة فى مكان خفى ، أو نحو ذلك ، وإن أخبروا بما سيكون كان تخرّصاً وتظنّياً ، فيصيبون قليلا ، ويخطئون كثيرا . وذلك القليل الذى يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة فى العَنان ، كما فى حديث البخارى ، فيُطرَدُون بالنجوم ، فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة .

ما هو ؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشِّعب ، فعرفوا أنه الذى كان جاء به إلى صاحبته .

نسب الغيطلة : قال ابن هشام : الغَيْطَلَةُ : من بنى مرة بن عبد مناة بن كنانة ، إخوة مُدْلِج بن مُرة(١) ، وهى أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب فى قوله :

لقد سَفُهَتْ أحلامُ قومٍ تبدّلوا	بَنِى خَلَفٍ قَيْضاً بنا والغَيَاطِلِ

فقيل لولدها : الغياطل ، وهم من بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص . وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

كاهن جنب يذكر خبر الرسول (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثنى على بن نافع الجُرَشِىّ : أن جَنْبا(٢) بطناً من اليمن ، كان لهم كاهن فى الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانتشر فى العرب ، قالت له جَنْب : انظر لنا فى أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له فى أسفل جبله ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلا ، ثم جعل يَنْزُو ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومُكثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتد فى جبله راجعا من حيث جاء .

---

(١) يقال فى نسبها : الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصَّعِيق بن شنوق بن مرة ، وشنوق أخو مدلج .

وذكر قولها : شُعُوب وما شُعُوب ، تُصرَع فيها كَعْبٌ لجُنُوب . كعب هاهنا هو : كعب بن لُؤَى ، والذين صرعوا لجنوبهم ببدر وأحد من أشراف قريش ، معظمهم من كعب بن لؤى ، وشعوب هاهنا بضم الشين ، وكأنه جمع شعب ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال : فلم يَدْرِ ما قالت ، حتى قُتل من قُتل ببدر وأحد بالشِّعب .

(٢) جُنْب هم من مَذْحِج ، وهم : عُبَيْد الله ، وأنس الله ، وزيد الله ، وأوس الله ، وجُعْفى ، والحكم ، وجِرْوة ، بنو سعد العشيرة بن مذحج ، ومذحج هو : مالك بن أُدَد ، وسموا : جنباً لأنهم جانبوا بنى عمهم صُدَاء ويزيد ابنى سعد العشيرة بن مذحج .

سواد بن قارب يحدث عمر بن الخطاب عن صاحبه من الجن : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفان ، أنه حُدِّث : أن عمر بن الخطاب ، بينا هو جالس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل (١) من العرب داخلا المسجد ، يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه ، قال : إن هذا الرجل لَعَلَى شِرْكه ما فارقه بعد ، و لقد كان كاهنا فى الجاهلية . فسلم عليه الرجل ، ثم جلس ، فقال له عمر رضى الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهنا فى الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحانَ الله يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتَ فِىَّ (٢) ، واستقبلتنى بأمر ما أراك قُلْتَه لأحد من رعيتك منذ وَلِيتَ ما وَلِيتَ ، فقال عمر : اللهم غَفْراً ، قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا ، نعبد الأصنام ، ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام ، قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهنا فى الجاهلية ، قال : فأخبِرْنى ما جاءك به صاحبك ، قال : جاءنى قبل الإسلام بشهر أو شَيْعِه (٣) ، فقال : ألم ترَ إلى الجن وإبلاسها ، وإياسها من دينها ، ولحوقها بالقِلاصِ وأحلاسها .

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

قال عبد الله بن كعب : فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس : والله إنى لعند وثن من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش ، قد ذَبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن ننتظر قَسْمَه

---

(١) هو سواد بن قارب الدوسى فى قول ابن الكلبى ، وقال غيره : هو سدوسى .

(٢) خِلْتَ فِىَّ : هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خلت وظننت ، كقولهم فى المثل : من يسمعْ يَخِلْ ، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر ، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر ، فإذا حذفت الجملة كلها جاز ؛ لأن حكمهما حكم المفعول ، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد ، ففى قولهم : من يسمعْ يَخِلْ دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع ، وفى قوله ، خلت فِىَّ دليل أيضاً ، وهو قوله : فِىَّ ، كأنه قال : خِلْتَ الشرَّ فِىَّ أو نحو هذا . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ٢٤٢ .

(٣) شَيْعه أى : دونه بقليل ، وشيع كل شىء : ما هو تبع له ، وهو من الشِّياع ، وهى : حطب صغار تجعل مع الكبار تبعا لها ، ومنه : المُشَيِّعة ، وهى : الشاة تتبع الغنم ، لأنها دونها فى القوة .

ليقسم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أنفذ منه ، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شيعه ، يقول : يا ذريح [1] ، أمر نجيح ، رجل يصيح ، يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال : رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يقول : لا إله إلا الله . وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

عجبتُ للجنّ وإبلاسِها ... وشدِّها العيسَ بأحلاسِها

تهوي إلى مكّة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجنّ كأنجاسِها

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من الكهان من العرب .

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

اليهود – لعنهم الله – يعرفونه ويكفرون به : قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه ، لما كنا نسمع من رجال يهود ، كنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا : إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم .

فلما بعث الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – أجبناه ، حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنا به ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة : « ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدِّقٌ لما معهم ، وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنةُ الله على الكافرين » .

---

(١) ويروى أن الصوت الذي سمعه عمر من العجل : يا جليح : وهو اسم شيطان ؛ والجليح في اللغة : ما تطاير من رءوس النبات وخف ، نحو القطن وشبهه ، والواحدة : جليحة ، والذي وقع في السيرة : يا ذريح ، وكأنه نداء للعجل المذبوح لقولهم : أحمر ذريحي ، أي : شديد الحمرة ، فصار وصفا للعجل الذبيح من أجل الدم : ومن رواه : يا جليح ، فمآله إلى هذا المعنى ؛ لأن العجل قد جلح أي : كشف عنه الجلد .

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضا : يتحاكمون ، وفى كتاب الله تعالى : « ربَّنا افتحْ بيننا وبينَ قومِنا بالحقِّ ، وأنتَ خيرُ الفاتحين » .

سلمة يذكر حديث اليهودى الذى أنذر بالرسول (ص) : قال ابن إسحاق . وحدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لَبِيد أخى بنى عبد الأشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش (١) — وكان سلمة من أصحاب بدر — قال : كان لنا جار من يَهُود فى بنى عبد الأشهل، قال : فخرج علينا يوما من بيته ،حتى وقف على بنى عبد الأشهل — قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سِنّاً ، علىَّ بُرْدةٌ لى ، مضطجع فيها بفناء أهلى — فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ،لا يَرَوْن أن بعثاً كائن بعدَ الموت ، فقالوا له : ويْحَكَ يا فلان ! ! أَوَترى هذا كائنا ، أن الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يُجْزَوْنَ فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذى يُحلَف به ، ويَوَدُّ أن له بحظِّه من تلك النار أعظم تَنُّورٍ فى الدار ، يُحمونه ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه، بأن يَنْجوَ من تلك النار غدا ، فقالوا له : ويحك يا فلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد — وأشار بيده إلى مكة واليمن — فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلىَّ، وأنا من أحدثهم سنا ، فقال : إن يَستنفِدْ هذا الغلامُ عمرَه يُدرِكْه . قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث اللهُ محمدا رسولَه — صلى الله عليه وسلم — وهو حى بين أظهرنا ، فآمنا به ، وكفر به بغياً وحسداً . قال : فقلنا له . ويحك يا فلان ! ! ألستَ الذى قلتَ لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى، ولـكن ليس به .

ابن الهيبان اليهودى يتسبب فى إسلام ثعلبة وأُسيد ابنى سعية وأَسد بن عبيد . قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قُرَيظة قال : قال لى : هل تدرى عَمَّ كان إسلام ثعلبة بن سَعْية وأَسِيد بن سعية (٢) وأسد بن عبيد نفر من بنى هَدْل ، إخوة

(١) وقش بتحريك القاف وتسكينها ، والوقش : الحركة .

(٢) قال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدنى ، عن ابن إسحاق ، وهو أحد رواة المغازى عنه: أُسيدبن سعية بضم الألف ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، وهو قول الواقدى . وغيره:أَسيدبفتحها قال الدارقطنى: وهذا هو الصواب ، ولا يصح ما قاله=

بنى قريظة ، كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم فى الإسلام . قال : قلت : لا ، قال : فإن رجلا من يهود من أهل الشام ، يقال له : ابن الهَيَّبَان (١) ، قدم علينا قبيل الإسلام بسنين ، فحلَّ بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قَحَطَ عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيّبان فاستسق لنا ، فيقول : لا والله، حتى تُقَدِّموا بين يدى مخرجكم صدقة ، فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعا من تمر ، أو مُدَّيْنِ من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا ، فيستسقى الله لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه ، حتى تمر السحابة وتُسقى ، قد فعل ذلك غير مرةٍ ولا مرتين ولا ثلاثٍ . قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت ، قال : يامعشر يهود ، ماترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إنك أعلم ، قال : فإنى إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظلَّ زمانُه ، وهذه البلدة مُهاجَرُه ، فكنت أرجو أن يُبعث ، فأتبعه ، وقد أظلَّكم زمانُه ، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يامعشرَ يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء ، وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بُعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحاصر بنى قُرَيْظة ، قال هؤلاء الفتية ، وكانوا شبابا أحداثا : يابنى قريظة ، والله إنه للنبى الذى كان عهد إليكم فيه ابن الهيّبان ، قالوا : ليس به ، قالوا : بلى والله ، إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم .

قال ابن إسحاق : فهذا مابلغنا عن أخبار يهود .

= إبراهيم عن ابن إسحاق ، وبنو سعية هؤلاء فيهم أنزل الله عزوجل : « من أهلِ الكتاب أمة قائمة » الآية ، وسَعْية أبوهم يقال له : ابن العريض ، وهو بالسين المهملة ، والياء المنقوطة باثنتين .

(١) والهيبان من المسمين بالصفات ، يقال : قُطْن هَيَّبان أى : منتفش، وأنشد أبوحنيفة :

تطيرُ اللُّغَامُ الهَيَّبان ، كأنه جَنَى عُشَرٍ تنفيه أشداقها الهُدْلُ

والهَيَّبَان أيضا : الجبان .

حديث إسلام سلمان رضى الله عنه

سلمان – رضى الله عنه – يتشوف إلى النصرانية بعد المجوسية: قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثنى سلمان الفارسى من فيه قال : كنت رجلا فارسيا من أهل إصبهان (١) من أهل قرية يقال لها : جىّ ، وكان أبى دهقانُ قريته ، وكنت أحبَّ خلق الله إليه ، لم يزل به حبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تُحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قَطَنَ النار الذى يوقدها لايتركها تخبو ساعة . قال : وكانت لأبى ضيعة عظيمة ، قال : فشُغل فى بنيان له يوماً ، فقال لى : يابُنَىّ ، إنى قد شُغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضَيْعتى فاذهب إليها ، فاطّلعها — وأمرنى فيها ببعض مايريد — ثم قال لى : ولا تحتبس عنى ؛ فإنك إن احتبست عنى كنتَ أهمّ إلىّ من ضيعتى ، وشغلتنى عن كل شىء من أمرى . قال : فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدرى ماأمر الناس ، لحبس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم ، انظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم ، أعجبتنى صلاتهم ، ورغبت فى أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غَرَبَت الشمس ، وتركت ضَيْعة أبى فلم آتها ، ثم قلت لهم : أين أصْل هذا الدين؟ قالوا : بالشام، فرجعت إلى أبى ، وقد بعث فى طلبى ، وشغلتُه عن عمله كلّه ، فلما جئته قال : أى بُنَىّ أين كنتَ ؟ أو لم أكن عَهِدْتُ إليك ماعهدتُ ؟ قال : قلت له : ياأبت ، مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم ، فأعجبنى مارأيت من دينهم ، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس ، قال : أى بُنَىّ، ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، قال : قلت له : كلا والله ، إنه لخير من ديننا . قال : فخافنى ، فجعل فى رجلىّ قيداً ، ثم حبسنى فى بيته .

سلمان يهرب إلى الشام : قال : وبعثتُ إلىّ النصارى فقلت لهم : إذا قدِم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم . قال : فقَدِم عليهم ركب من الشام تُجار من النصارى ، فأخبرونى بهم

(١) إصبهان : هكذا قيده البكرى فى كتاب المعجم بالكسر فى الهمزة ، وإصْبَهْ بالعربية : فرس ، وقيل : هو العسكر ، فمعنى الكلمة : موضع العسكر أو الخيل ، أو نحو هذا .

فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرَّجْعة إلى بلادهم ، فآذِنونى بهم ؛ قال : فلما أرادوا الرَّجْعة إلى بلادهم ، أخبرونى بهم ، فألقيت الحديد من رجلىّ ، ثم خرجت معهم ، حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين علما ؟ قالوا : الأسْقُفُّ فى الكنيسة .

سلمان مع أسْقُفّ النصارى السيء : قال : فجئته ، فقلت له : إنى قد رغبت فى هذا الدين ، فأحببت أن أكون معك ، وأخدمك فى كنيستك ، فأتعلم منك ، وأصلى معك ، قال : ادخل ، فدخلت معه . قال : وكان رجل سوء ، يأمرهم بالصدقة ، ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ، ولم يعطِهِ المساكينَ ، حتى جمع سبعَ قلال من ذهب ووَرِق . قال . فأبغضته بغضا شديدا ، لِمَا رأيته يصنع ، ثم مات ، فاجتمعت إليه النصارى ، ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجل سَوْءٍ ، يأمركم بالصدقة ، ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها ، اكتنزها لنفسه ، ولم يعطِ المساكين منها شيئا . قال : فقالوا لى : وما عِلْمُك بذلك ؟ قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كَنزه ، قالوا : فدلنا عليه ، قال : فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا سَبْعَ قِلالٍ مملوءة ذهبا وَوَرِقاً . قال : فلما رأوها قالوا : والله لاندفنه أبداً . قال : فصلبوه ، ورجموه بالحجارة ، مجاءوا برجل آخر ، فجعلوه مكانه .

سلمان مع أسْقُفّ النصارى الصالح : قال : يقول سَلمان : فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس ، أرى أنه كان أفضل منه ، وأزهد فى الدنيا ، ولا أرغب فى الآخرة ، ولا أدأب ليلا ولانهاراً منه . قال : فأحببته حبا لم أحبه شيئا قبله مثله . قال : فأقمت معه زمانا ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يافلان ، إنى قد كنت معك ، وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك ، وقد حضرك ماترى من أمر الله تعالى ، فإلى من تُوصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : أى بُنَىَّ ، والله ماأعلم اليوم أحداً على ماكنتُ عليه ، فقد هلك الناسُ ، وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلا بالمَوْصِل ، وهو على ما كنت عليه فالحق به .

سلمان يلحق بأسْقُفّ الموْصِل : فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب المَوْصِل ، فقلت له : يافلان ، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك ، وأخبرنى أنك على أمره ، قال : فقال لى : أقم عندى ، فأقمت عنده ، فوجدته خيرَ رجل على أمرِ صاحبه ، فلم يلبث أن مات . فلما حضرته الوفاة ، قلت له يافلان : إن فلانا أوصى بى إليك ، وأمرنى باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر

الله ما ترى ، فإلى من تُوصِي بي ؟ وبِمَ تأمرني ؟ قال : يابُنَيّ ، والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه ، إلا رجلا بنَصِيبِينَ ، وهو فلان ، فالحق به .

سلمان يلحق بأسقف نَصِيبِينَ : فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب نَصِيبِينَ ، فأخبرته خبري ، وما أمرني به صاحباي ، فقال : أقم عندي ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حُضِر ، قلت له : يافلان ! إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يابُنَيّ ، والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعَمُّورِيَّةَ من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فأته ، فإنه على أمرنا .

سلمان يلحق بصاحب عَمُّورِيَّةَ : فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب عَمُّورِيَّةَ ، فأخبرته خبري ، فقال : أقم عندي ، فأقمت عند خير رجل ، على هَدْيِ أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت حتى كانت لي بقراتٌ وغُنَيْمة . قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حُضِر ، قلت له : يافلان ، إني كنت مع فلان ، فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من تُوصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : أي بُنَيّ ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبي ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مُهاجَره إلى أرضٍ بين حَرَّتَيْنِ ، بينهما نخل ، به علامات لاتخفى ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كتفيه خاتَم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

سلمان يذهب إلى وادي القُرى : قال : ثم مات وغُيِّب ، ومكثت بعَمُّورِيَّةَ ماشاء الله أن أمكث ، ثم مر بي نفر من كَلْبٍ تُجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه ، قالوا : نعم فأعطيتُهُمُوها ، وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني ، فباعوني من رجل يهودي عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوته أن يكون البلد الذي وَصَفَ لي صاحبي ، ولم يَحِق في نفسي .

سلمان يذهب إلى المدينة : فبينا أنا عنده ، إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها ، فعرفتها بصفة صاحبي ،

فأقت بها ، وبُعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرِّقّ ، ثم هاجر إلى المدينة .

سلمان يسمع بهجرة النبى (ص) إلى المدينة : فوالله إنى لفى رأس عَذْق لسيدى أعمل له فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى ، إذ أقبل ابن عم له ، حتى وقف عليه ، فقال : يافلان ، قاتل الله بنى قَيْلة ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقُبَاء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبى .

نسب قَيْلة : قال ابن هشام : قَيْلة : بنت كاهل بن عُذْرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سَوْد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، أم الأوس والخزرج .

قال النعمان بن بَشير الأنصارى يمدح الأوس والخزرج :

بهاليل من أولاد قَيْلة لم يجدْ ... عليهم خليطٌ فى مخالطةٍ عَتْباً
مساميحُ أبطالٌ يُراحُونَ للنَّدَى ... يَرَوْنَ عليهم فعلَ آبائهم نَحْبا

وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال سلمان : فلما سمعتها أخذتنى العُرَوَاءُ . قال ابن هشام : العُرَوَاء : الرِّعْدَةُ من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عرق فهى الرُّحَضاء ، وكلاهما ممدود — حتى ظننت أنى سأسقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ فغضب سيدى ، فلكمنى لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبلْ على عملك ، قال : قلت : لاشىء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال .

سلمان يستوثق من رسالة محمد (ص) : قال : وقد كان عندى شىء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو بقُباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شىء كان عندى للصدقة ، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده ، فلم يأكل . قال : فقلت فى نفسى : هذه واحدة . قال : ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئا ، وتحول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى

المدينة ، ثم جئته به ، فقلت له : إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها .
قال : فأكل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها ، وأمر أصحابه ، فأكلوا معه . قال : فقلت في نفسى : هاتان ثِنْتَانِ ، قال : ثم جئت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ببقيع الغَرْقَدِ ، قد تَبِعَ جنازةَ رجل من أصحابه ، عليَّ شَمْلَتانِ لى ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى ، فلما رآنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استدبرته ، عرف أنى أستثبت فى شىء وُصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبله ، وأبكى ، فقال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : تحوَّلْ ، فتحولتُ فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثى ، كما حدثتك يا ابن عباس ، فأعجب رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أن يسمع ذلك أصحابه . ثم شغل سلمان الرِّق حتى فاته مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدرٌ وأُحُد .

سلمان يفتكُّ نفسه من الرقِّ بأمر رسولِ الله ومساعدتِهِ (ص): قال سلمان : ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كاتِبْ يا سلمان ، فكاتبتُ صاحبى على ثلثمائة نخلة أُحْييها له بالفَقِير (١) ، وأربعين أوقية . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فأعانونى بالنخل ، الرجل بثلاثين وَدِيَّة (٢) ، والرجل بعشرين وَدِيَّة ، والرجل بخمس عشرة وديَّة ، والرجل بعشر ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لى ثلثمائة وَدِيَّة ، فقال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : اذهب يا سلمان فَفَقِّرْ لها ، فإذا فرغتَ فأتنى ، أكن أنا أضعها بيدى . قال : ففقَّرتُ ، وأعاننى أصحابى ، حتى إذا فرغت جئته ، فأخبرته ، فخرج

---

(١) الوجه . التفقير للنخلة . يقال لها فى الكَرْمَة : حبيبة ، وجمعها : حبايا ، وهى الحفيرة ، وإذا خرجت النخلة من النواة فهى : عَرِيسة ، ثم يقال لها : وَدِيَّة ، ثم فَسيلة ، ثم أشَاءَة ، فإذا فاتت اليد فهى : جَبَّارَة ، وهى العضيد ، والكتيلة ، ويقال التى لم تخرج من النواة ، لكنها اجتثت من جنب أمها : قلعة وجثيثة ، وهى الجثائث والجراء ، ويقال النخلة الطويلة : عَوَانة بلغة عمان ، وعَيْدَانة بلغة غيرهم ، وهى فَيْعالة من عَدن بالمكان ، واختلف فيها قول صاحب كتاب العين ، فجعلها تارة : فَيْعالة من عدن ، ثم جعلها فى بابه المعتل العين فَعْلانة .

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معى إليها ، فجعلنا نُقرِّب إليه الوَدِىَّ ، ويضعه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده ، حتى فرغنا . فوالذى نفس سلْمان بيده ، ما ماتت منها وَدِيّةٌ واحدة [١] .

قال : فأديت النخل ، وبقى علىّ المال ، فأُتِىَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب ، من بعض المعادن ، فقال : ما فعل الفارسى المُكاتَب ؟ قال : فدُعيت له ، فقال : خذ هذه ، فأدِّها مما عليك يا سَلمان . قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما علىّ ؟ فقال : خذها ، فإن الله سيؤدى بها عنك . قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها ـ والذى نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم منها ، وعتق سلمان . فشهدت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الخندق حراً ، ثم لم يفتنى معه مشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن رجل من عبد القيس عن سَلْمان : أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذى علىّ يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلبها على لسانه ، ثم قال : خُذْها فأوفِهِمْ منها ، فأخذتها ، فأوفيتهم منها حقهم كله ، أربعين أوقية .

حديث سَلْمان مع الرجل الذي بعَمُّورِيَّة : قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة ، قال : حدثنى من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، قال : حُدِّثْتُ عن سَلْمان الفارسىّ : أنه قال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أخبره خبره : إن صاحب عَمُّورِيَّة قال له : ائت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلا [٢] بين غَيْضَتَيْنِ ، يخرج فى كل سنة

---

(١) وذكر البخارى حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق . غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده وَدِيّة واحدة ، وغرس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سائرها ، فعاشت كلها إلا التى غرس سلمان .

(٢) ذكر داود بن الحصين قال : حدثنى من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز قال : قال سَلْمان للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر خبر الرجل الذى كان يخرج مستجيزاً من غيضة إلى غيضة ، ويلقاه الناس بمرضاهم ، فلا يدعو لمريض إلا شفى ، وأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إن كنت صدقتنى ياسَلمان ، فقد رأيت عيسى ابن مريم . إسناد هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال : إن ذلك : الرجل هو الحسن بن عمارة ، وهو ضعيف بإجماع منهم .

من هذه الغَيْضة إلى هذه الغَيْضة مستجيزاً ، يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحدهم إلا شُفِى ، فاسأله عن هذا الدين الذى تبتغى ، فهو يخبرك عنه ، قال سلمان : فخرجت حتى أتيت حيث وُصف لى ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغَيْضَتَيْن إلى الأخرى ، فغشيه الناس بمرضاهم ، لا يدعو لمريض إلا شفى ، وغلبونى عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغَيْضة التى يريد أن يدخل ، إلا مَنْكبه . قال : فتناولته . فقال : من هذا ؟ والتفت إلى ، فقلت : يرحمك الله ، أخبرنى عن الحَنيفيَّة دين إبراهيم . قال : إنك لتسألنى عن شىء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلَّكَ زمان نبى يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فأته فهو يحملك عليه . قال : ثم دخل . قال : فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسلمان : لئن كنت صدقتنى يا سلمان ، لقد لقيت عيسى ابن مريم على نبينا وعليه السلام .

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعبيد الله ابن جحش وعثمان بن الحُوَيْرث وزيد بن عمرو بن نفيل

تشككهم فى الوثنية : قال ابن إسحاق : واجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكِفُون عنده ، ويديرون به ، وكان ذلك عيداً لهم ، فى كل سنة يوما ، فخلص منهم أربعة نفر نَجِيّاً ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليَكْتُمْ بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهم : وَرَقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى . وعُبيد الله بن جحش بن رِئاب بن يَعمَر بن صَبِرة بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خزيمة ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب . وعثمان بن الحُوَيْرث بن أسد بن عبد العزَّى بن قصى . وزيد[1] بن

---

(١) وأم زيد هى : الحيداء بنت خالد الفَهْمية ، وهى امرأة جده نُفيل ، ولدت له الخطاب فهو أخو الخطاب لأمه ، وابن أخيه ، وكان ذلك مباحا فى الجاهلية بشرع متقدم ، لأنه أمر كان فى عمود نسب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكنانة تزوج امرأة أبيه خزيمة ، وهى برة بنت مر ، فولدت له النضر بن كنانة ، وهاشم أيضا قد تزوج امرأة أبيه واقدة =

عمرو بن نُفَيْل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بن رِزَاح بن عدى بن كعب بن لؤى(١) . فقال بعضهم لبعض : تعلَّموا والله ما قومكم على شىء ! لقد أخطئوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجرٌ نُطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ؟ ! يا قوم التمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شىء ، فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين إبراهيم .

تنصر ورقة وابن جحش : فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علمًا من أهل الكتاب . وأما عُبَيْدالله بن جَحْش ، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مسلمة ، فلما قدمها تنصَّر ، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نصرانيا .

ابن جحش يغرى مهاجرى الحبشة على التنصر : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر ابن الزبير ، قال : كان عبيد الله بن جحش ـ حين تنصر ـ يمر بأصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم هنالك من أرض الحبشة فيقول : فقَّحْنا وصَأْصَأْتُمْ ، أى : أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تبصروا بعد ، وذلك أن ولد الكلب ، إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر ، صأصأ ، لينظر . وقوله : فقح : فتح عينيه .

= فولدت له حنيفة ، ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنهالم تلد جدا له ، أعنى : واقدة ، وقد قال عليه السلام : أنا من نكاح لا من سفاح ، ولذلك قال سبحانه : « ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف » أى : إلا ماسلف من تحليل ذلك قبل الإسلام .

(١) والمعروف فى نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب : نفيل بن رياح بن عبدالله ابن قرط بن رزاح بتقديم رياح على عبدالله ، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر ، وزعم الدارقطنى أنه رزاح بالفتح ، وإنما رزاح بالكسر : رزاح بن ربيعة أخو قصى لأمه الذى تقدّم ذكره .

رسول الله (ص) يخلف على زوجة ابن جحش بعد وفاته : قال ابن إسحاق : وتخلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن علي بن حسين : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث فيها إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ، فخطبها عليه النجاشي ، فزوجه إياها ، وأصدقها عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعمائة دينار . فقال محمد بن علي : ما نرى عبد الملك ابن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار إلا عن ذلك . وكان الذي أملكها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالد بن سعيد بن العاص .

تنصر ابن الحويرث وقدومه على قيصر : قال ابن إسحاق : وأما عثمان بن الحويرث ، فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر ، وحسنت منزلته عنده . قال ابن هشام : ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث ، منعني من ذكره ما ذكرت في حديث حرب الفجار[1] .

زيد يتوقف عن جميع الأديان : قال ابن إسحاق : وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف ، فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان[2] .

---

(١) ويذكر أن قيصر كان قد توج عثمان ، وولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا لملك ، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى : ألا إن مكة حي لقاح لا تدين لملك . فلم يتم له مراده ، قال : وكان يقال له : البطريق ، ولاعقب له ، ومات بالشام مسموما ، سمه عمرو بن جفنة الغساني الملك .

(٢) روى البخاري عن محمد بن أبي بكر ، قال : أخبرنا فضيل بن سليمان ، قال : أخبرنا موسى ، قال : حدثني سالم بن عبدالله ، عن عبدالله بن عمر : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي ـ عليه السلام ـ الوحي ، فقدمت إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ، سفرة أو قدمها إليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل ما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسم

ونهى عن قتل الموءودة[1] ، وقال : أعبدرب إبراهيم ،ويبادى قومه بعيب ما هم عليه .
قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه ، عن أمه أسماء بنت أبى بكر رضى

= الله عليه ، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض الكلأ ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ؟ إنكاراً لذلك ، وإعظاما له .

وفيه سؤال يقال : كيف وفق الله زيداً إلى ترك أكل ماذبح على النصب، ومالم يذكر اسم الله عليه، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية لما ثبت الله له ؟ فالجواب من وجهين ، أحدهما : أنه ليس فى الحديث حين لقيه ببلدح ، فقدمت إليه السفرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكل منها، وإنما فى الحديث أن زيداً قال حين قدمت السفرة : لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه . الجواب الثانى : أن زيداً إنما فعل ذلك برأى رآه ، لا بشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة ، لا بتحريم ماذبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك فى الإسلام ، وبعض الأصوليين يقولون: و الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة ، فإن قلنا بهذا وقلنا : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأكل مما ذبح على النصب ، فإنما فعل أمراً مباحا، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال ، وإن قلنا أيضاً : إنها ليست على الإباحة ، ولا على التحريم، وهو الصحيح، فالذبائح خاصة لها أصل فى تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير ، ونحو ذلك ، مما أحله الله تعالى فى دين من كان قبلنا ، ولم يقدح فى ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعوه ، حتى جاء الإسلام ، وأنزل الله سبحانه : « ولا تأكلوا مما لم يُذْكر اسمُ اللهِ عليه » ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ، ولم يقدح فى التحليل ما أحدثوه من الكفر ، وعبادة الصلبان ، فكذلك كان ماذبحه أهل الأوثان مُحللا بالشرع المتقدم ، حتى خصه القرآن بالتحريم .

(١) وقد كان صعصعة بن معاوية جد الفرزدق رحمه الله يفعل مثل ذلك ، ولما أسلم سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : هل لى فى ذلك من أجر ؟ فقال فى أصح الروايتين : لك أجره إذ منّ الله عليك بالإسلام . وهذا الحديث أخرجه البخارى ، والموءودة مفعولة من وأده إذا أثقله . قال الفرزدق :

ومنّا الذى منعَ الوائدا ت ، وأحيا الوئيدَ ، فلم يُوأدِ =

الله عنهما ، قال : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفَيل شيخا كبيرا مسنداً ظهره إلى الكعبة ، وهو يقول : يا معشر قريش ، والذى نفس زيد بن عمرو بيده : ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : اللهم لو أنى أعلم أىّ الوجوه أحب إليك عَبَدتُك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته .

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل وعمر بن الخطاب ، وهو ابن عمه ، قالا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : أنستغفر لزيد بن عمرو ؟ قال : نعم ، فإنه يُبعث أمة وحده .

شعر زيد فى فراق الوثنية : وقال زيد بن عمرو بن نُفَيل فى فراق دين قومه ، وما كان لقى منهم فى ذلك :

أرَبّاً واحداً ، أم ألفَ ربٍّ   أدينُ إذا تُقسِّمتِ الأمورُ
عَزَلتُ اللاتَ والعزّى جميعاً   كذلكَ يفعلُ الجَلدُ الصَّبورُ (١)

= يعنى : جده صَعْصَعَة بن معاوية بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع .

وقد قيل : كانوا يفعلون ذلك غيرة على البنات ، وماقاله الله فى القرآن هو الحق من قوله من خشية إملاق ، وذكر النقاش فى التفسير : أنهم كانوا يئدون من البنات ، ما كان منهن زرقاء أو بَرْشاءَ أو شَيْماءَ أو كشحاء تشاؤما منهم بهذه الصفات قال الله تعالى : « وإذا الموءودة سُئِلَت بأى ذنب قُتِلَت » .

(١) ذكرت اللات فيما تقدم . أما العزّى فكانت نخلات مجتمعة ، وكان عمرو بن لحى قد أخبرهم أن الرب يَشْتّى عند اللات ، ويُصَيِّف بالعزى ، فعظموها وبنوا لها بيتاً ، وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة ، وهى التى بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالد بن الوليد ليكسرها ، فقال له سادنها : ياخالد احذرها ، فإنها تجذع وتكنع ، فهدمها خالد وترك منها جذمها وأساسها ، فقال قيّمها : والله لتعودن ولتنتقمن ممن فعل بها هذا ، فذُكر ـ والله أعلم ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لخالد : هل رأيت فيها شيئاً ؟ فقال : لا ، فأمره أن يرجع ، ويستأصل بقيتها بالهدم ، فرجع خالد ، فأخرج أساسها ، فوجد فيها امرأة سوداء منتفشة الشعر تخدش وجهها ، فقتلها ، وهرب القيم ، وهو يقول : لاتُعبد العزّى بعد اليوم . هذا معنى ماذكر أبو سعيد النيسابورى فى المبعث . وذكره الأزرقى أيضاً ورزين .

فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صَنَمَىْ بنى عمرو أزور
ولا هُبلا أدين ، وكان ربا لنا فى الدهر إذ حلمى يسير
عجبت وفى الليالى مُعْجَبات وفى الأيام يعرفها البصير
بأن الله قد أفنى رجالا كثيراً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببرّ قوم فَيَربُلُ منهمُ الطفل الصغير[1]
وبيْنا المرء يعثر ثاب يوما كما يَتروّح الغصن المطير[2]
ولكنْ أعبد الرحمن ربى ليغفر ذنبى الرب الغفور
فتقوى الله ربّكم احفظوها متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرارَ دارُهم جِنان وللكفار حامِيَة سعير
وخزْى فى الحياة وإن يموتوا يلاقوا ماتضيق به الصدور

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً — قال ابن هشام : هى لأمية بن أبى الصلت فى قصيدة له . إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا . وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق :

الى الله أهْدِى مِدحتى وثنائيا وقولا رصينا لايَنى الدهر باقيا
إلى الملكِ الأعلى الذى ليس فوقه إله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الإنسان إياك والردى فإنك لاتخفى من الله خافيا[3]
وإياك لاتجعل مع الله غيره فإن سبيل الرشد أصبح باديا

---

(١) ربل الطفل يربل إذا شب وعظم . يرلبل بفتح الباء أى يكبر وينبت ، ومنه أخذ تربيل الأرض .

يتروح الغصن : أى : ينبت ورقه بعد سقوطه .

(٢) إياك والردى : تحذير من الردى والردى هو الموت ، فظاهر اللفظ متروك وانما هو تحذير مما يأتى به الموت ، ويبديه ويكشفه من جزاء الأعمال ، ولذلك قال : فإنك لاتخفى من الله خافياً .

حَنانَيكَ إنّ الجنَّ كانتْ رجاءَهم ... وأنتَ إلهى ربُّنا ورَجائيا(١)

رَضِيتُ بك - اللهمَّ - ربّاً فلن أرَى ... أدينُ إلهاً غيرَكَ اللهُ ثانيا(٢)

وأنتَ الذى مِنْ فَضْلِ مَنٍّ ورَحمةٍ ... بعثتَ إلى موسى رسولاً مُناديا

فقلتَ له يا اذْهَبْ وهارونَ فادْعُوَا ... إلى اللهِ فرعونَ الذى كانَ طاغيا(٣)

وقُولاَ له: آأنتَ سَوَّيتَ هذه ... بلا وَتَدٍ، حتى اطمأنّتْ كما هيا(٤)

---

(١) حنانَيْكَ بلفظ التثنية، قال النحويون: يريد حناناً بعد حنان، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد. ويجوز أن يريد حنانا فى الدنيا، وحنانا فى الآخرة، وإذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طَرَفَة:

أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضَنا ... حَنانَيْكَ بعض الشر أهْوَنُ من بعضِ

فإنما يريد: حنان دَفْعٍ، وحنان نفْعٍ؛ لأن كل من أمَّلَ مَلِكا، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضيرا، أو ليجلب إليه خيرا.

(٢) أدين إلها، أى: أدين لإله، وحذف اللام وعدى الفعل؛ لأنه فى معنى: أعبد إلها. وقوله: غيرك اللهُ برفع الهاء، أراد: يا ألله، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام، إلا أن حكم الألف واللام فى هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها فى سائر الأسماء، ألا ترى أنك تقول: يا أيها الرجل، ولا ينادى اسم الله بيأيها، وتقطع همزته فى النداء، فتقول: يا ألله، ولا يكون ذلك فى اسم غيره، إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعرفة.

(٣) ألا يا اذهب على حذف المنادى. كأنه قال: ألا يا هذا اذهب، كما قرىء: ألا يا اسجدوا، يريد: ياقوم اسجدوا، وكما قال غَيْلان:

ألَا يا اسْلَمِى يا دارَ مَىَّ على البِلَى

وفيه: اذهب وهارون، عطفا على الضمير فى اذهب، وهو قبيح إذا لم يؤكد، ولو نصبه على المفعول معه لكان جيداً.

(٤) اطمأنت، وزنه افلعلت، لأن الميم أصلها أن تكون بعد الألف، لأنه من تطامن أى: تطأطأ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التى هى عين الفعل من همزة الوصل، =

وقولا له : أأنت رفعت هذه — بلا عمد ، أرفق - إذا - بك بانيا (١)
وقولا له : أأنت سويت وسطها — منيراً ، إذ ما جنه الليل هاديا
وقولا له : من يرسل الشمس غدوة — فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا
وقولا له : من ينبت الحب فى الثرى — فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه فى رءوسه — وفى ذاك آيات لمن كان واعيا
وأنت بفضل منك نجيت يونسا — وقد بات فى أضعاف حوت لياليا
وإنى لو سبحت باسمك ربنا — لأكثر - إلا ما غفرت - خطاييا (٢)
فرب العباد ألق سيبا ورحمة — على ، وبارك فى بنى وماليا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمى :

نسب الحضرمي : قال ابن هشام : واسم الحضرمى : عبد الله بن عباد أحد الصدف ؛ واسم الصدف : عمرو بن مالك أحد السكون بن أشرس بن كندى ، ويقال : كندة

فتكون أخف عليهم فى اللفظ ، كما فعلوا فى أشياء حين قلبوها فى قول الخليل وسيبويه فرارا من تقارب الهمزتين ، كما هيا . ما : زائدة لتكف الكاف عن العمل ، وتهيئها للدخول على الجمل ، وهى : اسم مبتدأ ، والخبر محذوف ، التقدير : كما هى عليه ، والكاف فى موضع نصب على الحال من المصدر الذى دل عليه ، اطمأن ، كما تقول : سرت مثل سير زيد ؛ فمثل حال من سيرك الذى سرته

(١) أرفق : تعجب ، وبك فى موضع رفع لأن المعنى : رفقت ، وبانيا تميز ، لأنه يصلح أن يجر بمن ، كما تقول : أحسن بزيد من رجل ، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب ؛ إذ قد علم أنك متعجب منه .

(٢) معنى البيت : إنى لأكثر من هذا الثناء الذى هو باسمك ربنا إلا ما غفرت ، وما بعد إلا زائدة ، وإن سبحت : اعتراض بين اسم إن وخبرها ، كما تقول : إنى لأكثر من هذا الدعاء الذى هو باسمك ربنا إلا والله يغفر لى لأفعل كذا ، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة ، أى : لا أعتد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياى .

ابن ثور بن مُرتّع بن عُفَيْر بن عدى بن الحارث بن مرة بن أُدَدَ بن زيد بن مِهْسع ابن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويقال : مُرتِع بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ .

زيد يعاتب زوجته لمنعها له عن البحث فى الحنيفية : قال ابن إسحاق : وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة ، ليضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكانت صفية بنت الحضرمى كلما رأته قد تهيأ للخروج ، وأراده ، آذنت به الخطاب بن نُفَيْل ، وكان الخطاب بن نُفيل عمّه وأخاه لأمه ، وكان يعاتبه على فراق دين قومه ، وكان الخطاب قد وكّل صفية به . وقال : إذا رأيتيه قد هم بأمر فآذنيني به ـ فقال زيد :

لا تحبسيني فى الهوا … نِ صَفِيُّ ما دابى ودابُهْ
إنى إذا خفتُ الهوا … نَ مُشَيَّعٌ ذُلُلٌ رِكابُه
دُعْموصُ أبوابِ الملو … كِ وجائبٌ للخَرْقِ نابُه(١)
قَطّاعُ أسبابٍ تَذِلُّ … بغيرِ أقرانٍ صعابُه
وإنما أخذَ الهوا … نَ العَيْرُ إذ يُوهى إهابُه
ويقولُ : إنى لا أذِلُّ … بصَكِّ جَنْبيْه صِلابُه(٢)
وأخى ابنُ أمى ، ثم عمـ … ـمى لا يُواتينى خطابُه
وإذا يُعاتبنى بسُو … ءٍ قلتُ : أعيانى جوابُه
ولو أشاءُ لقلتُ : ما … عندى مفاتِحُه وبابُه

(١) دُعْموص أبواب الملوك . يريد : ولاَّجاً فى أبواب الملوك ، وأصل الدُّعموص : سمكة صغيرة كَحَيَّة الماء ، فاستعاره هنا ، وكذلك جاء فى حديث أبى هريرة يرفعه : صغاركم دعاميص الجنة .

(٢) إنى لا أذِلُّ أى : يقول العير ذلك بِصَكِّ جَنْبَيْه صِلابُه ، أى : صلابه ما يوضع عليه ، وأضافها إلى العير لأنها عِبْؤُه وحمله .

قول زيد حين يستقبل الكعبة : قال ابن إسحاق : وحدثت عن بعض أهل زيد ابن عمرو بن نفيل أن : زيداً كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد ، قال : لبيك حقا حقا ، تعبداً ورقاً .

عذت بما عاذ به إبراهيم مستقبلَ القبلة ، وهو قائم

إذا قال :

أنفى لك اللهم عانٍ راغمْ مهما تُجشمنى فإنى جاشم

البر أبغى لا الخال ، ليس مُهَجِّر كمن قال[1]

قال ابن هشام : ويقال البر أبقى لا الخال ، ليس مهجّر كمن قال . قال وقوله : «مستقبل الكعبة » عن بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت له الأرض تحمل صخراً ثقالا

دحاها فلما رآها استوت على الماء ، أرسى عليها الجبالا

وأسلمت وجهى لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا

إذا هى سيقت إلى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا

الخطاب يؤذى زيدا ويحاصره : وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حراء مقابل مكة ، ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سراً منهم ، فإذا علموا بذلك ، آذنوا به الخطاب ، فأخرجوه ، وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على فراقه . فقال ــ وهو يعظم حرمته على من استحل منه ما استحل من قومه :

لا هُمَّ إنى محرم لا حِلَّهْ وإن بيتى أوسط المَحِلَّه

عند الصفا ليس بذى مَضَلَّهْ

(١) الخال : الخُيَلاء والكبر .

ليس مهجر كمن قال ، أى ليس من هجّر وتكيّس ، كمن آثر القائلة والنوم ، فهو من : قال يقيل .

زيد يرحل إلى الشام وموته : ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأحبار ، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل لجال الشام كله ، حتى انتهى إلى راهب بميفعة[1] من أرض البلقاء ، كان ينتهى إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال : إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحق بها ، فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شامّ اليهوديةَ والنصرانية ، فلم يرض شيئاً منهما ، فخرج سريعاً ، حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسط بلاد لخم ، عدَوْا عليه فقتلوه .

ورقة يرثى زيداً : فقال ورَقة بن نوْفل بن أسد يبكيه :

رَشِدتَ، وأنعمتَ ابنَ عمرو ، وإنما ... تجنّبتَ تَنُّوراً من النار حاميا[2]
بدينِكَ ربّاً ليس ربٌّ كمِثْلِهِ ... وتَركِكَ أوثان الطواغِى كما هيا
وإدراكِكَ الدينَ الذى قد طلبتَهُ ... ولم تَكُ عن توحيدِ ربِّك ساهيا
فأصبحتَ فى دارٍ كريمٍ مُقامُها ... تُعَلَّلُ فيها بالكرامةِ لاهِيا
تُلاقى خليلَ الله فيها ، ولم تَكنْ ... من الناسِ جباراً إلى النارِ هاويا
وقد تدرِكُ الإنسانَ رحمةُ ربِّه ... ولو كان تحتَ الأرضِ سبعينَ واديا[3]

(١) فى الأصل بكسر الميم من ميفعة ، والقياس فيها : الفتح ؛ لأنه اسم لموضع أخذ من اليَفَاع ، وهو المرتفع من الأرض .

(٢) رَشِدت وأنعمت ابن عمرو ، أى : رَشِدت وبالغت فى الرشد ، كما يقال : أمعنت النظر وأنعمته .

(٣) قوله: ولو كان تحت الأرض سبعين واديا ، بالنصب . نصب سبعين على الحال ، لأنه قد يكون صفة للنكرة ، كما قيل: « فلو كنت فى جب ثمانين قامة » وما أصله صفة النكرة يكون حالا من المعرفة ، وهو هنا حال من البعد ، كأنه قال : ولو بَعُد تحت الأرض سبعين . كما تقول : بَعُد طويلا ، أى : بُعداً طويلا ، وإذا حذفت المصدر ، وأقمت الصفة مقامه لم يكن إلا حالا .

قال ابن هشام : يروى لأمية بن أبي الصلت البيتان الأولان منها ، وآخرها بيتا في قصيدة له . وقوله : « أوثان الطواغى » عن غير ابن اسحاق .

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

يحنس الحوارى يثبت بعثة الرسول (ص) من الإنجيل: قال ابن إسحاق : وقد كان فيما بلغنى عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما أثبت يُحَنِّس الحوارى لهم ، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ، ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بَطِرُوا وظنوا أنهم يَعُزُّوننى ، وأيضا الرب ، ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التي في الناموس : أنهم أبغضونى مجانا (١) ، أى : باطلا . فلو قد جاء المُنْحَمَنَّا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب ، وروح القدس هذا الذى من عند الرب خرج ، فهو شهيد علىّ وأنتم أيضا ، لأنكم قديما كنتم معى في هذا ، قلت لكم : لكيما لا تشكوا .

والمُنْحَمَنَّا بالسريانية : محمد : وهو بالرومية : البَرَقْلِيطِس ، صلى الله عليه وآله وسلم .

مبعث النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

أخذ الله الميثاق على الرسل بالإيمان به (ص) : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال : فلما بلغ

---

(١) أى : باطلا ، وكذلك جاء في الحكمة : يا ابن آدم علّم مجاناً ، كما عُلِّمت مجاناً ، أى : بلا ثمن ، وفى وصايا الحكماء : شاور ذوى الأسنان والعقول يعطوك من رأيهم مجاناً ما أخذوه بالثمن ، أى بطول التجارب

محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعين سنة بعثه الله تعالى(١) رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيراً، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به، والتصديق له والنصر له على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم، فأدّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه. يقول الله تعالى لمحمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ «وإذ أخذ اللهُ ميثاقَ النبيين لمَا آتيتُكم من كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مصدِّقٌ لما معكم، لتؤمِنُنَّ به ولتنصُرُنَّه، قالَ: أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصْرِي، أي ثِقَل ما حمّلتكم من عهدي: «قالوا أقررنا، قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين» فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له، والنصر له ممن خالفه، وأدّوا ذلك إلى من آمن بهم، وصدقهم من أهل هذين الكتابين.

الرؤيا الصادقة أول ما بُدئ به رسول الله (ص) قال ابن إسحاق: فذكر الزهري عن عُرْوة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدثته: أن أول ما بُدئ به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النبوة، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به: الرؤيا الصادقة، لا يرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رؤيا في نومه إلا جاءت كفلَق الصبح. قالت: وحَبَّب الله تعالى إليه الخَلْوَة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلوَ وحده

سلام الحجر والشجر عليه (ص): قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الملك بن عُبَيْد الله

---

(١) ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام، وهذا مروي عن ابن عباس، وجُبَيْر بن مُطْعِم وقَبَاث بن أشْيَم، وعطاء وسعيد بن المسيب، وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السِّيَر والعلم بالأثر.

وقد روي أنه نبيء لأربعين وشهرين من مولده، وقيل لقَبَاث بن أشْيَم: من أكبر، أنت، أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم؟ فقال: رسول الله أكبر مني، وأنا أسَنّ منه، وولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام الفيل، ووقفت بي أمي على رَوْث الفيل، ويروى: خَزْق الطير، فرأيته أخضر مُحِيلاً، أي: قد أتى عليه حَوْل، وفي غير رواية البكائي من هذا الكتاب أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لبلال: لا يفتك صيام يوم الاثنين فإني قد وُلدت فيه، وبُعثت فيه، وأموت فيه. الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٦٥.

ابن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، وكان واعية ، عن بعض أهل العلم :

أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين أراده الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسّر عنه البيوت ، ويُفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بحجر ولا شجر ، إلا قال : السلام عليك يا رسول الله (١). قال : فيلتفت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حوله ، وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة . فمكث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام (٢) بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء في شهر رمضان .

---

(١) وفي مصنف الترمذي ومسلم به أيضاً أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن يُتنزّل عليّ » . وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذي كان يسلم عليه هو الحجر الأسود ، وهذا التسليم : الأظهر فيه أن يكون حقيقة ، وأن يكون الله أنطقه إنطاقا كما خلق الحنين في الجذع ، ولكن ليس من شرط الكلام الذي هو صوت وحرف : الحياة والعلم والإرادة ، لأنه صوت كسائر الأصوات ، والصوت عَرَض في قول الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النظّام ، فإنه زعم أنه جسم ، وجعله الأشعري اصطكاكا في الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفس الاصطكاك ، ولكنه معنى زائد عليه ، وللاحتجاج على القولين لها موضع غير هذا ، ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر ، والصوت عبارة عنه ، لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ، والله أعلم أي ذلك كان ، أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمنا ، أو كان صوتا مجردا غير مقترن بحياة ؟ وفي كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة ، وأما حنين الجذع فقد سمي حنينا ، وحقيقة الحنين يقتضي شرط الحياة ، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافا في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، ويعمرونها ، فيكون مجازا من قوله تعالى : « واسئل القرية » ، والأول أظهر ، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها فهي علم على نبوته – عليه السلام – غير أنه لا يُسمّى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدّى به الخلق فعجزوا عن معارضته . الروض الأنف ج ١ ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

(٢) اسم جبريل سرياني ، ومعناه : عبد الرحمن ، أو عبد العزيز . هكذا جاء عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا أيضاً ، والوقف أصله . وأكثر الناس على أن آخر الإسم منه هو

نزول جبريل عليه (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثنى وهب بن كَيْسان ، مولى آل الزبير قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعُبَيد بن عُمَير بن قتادة الليثى : حدِّثنا يا عُبيد ، كيف كان بدء ما ابتُدئ به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النبوة ، حين جاءه جبريل عليه السلام ؟ قال : فقال عُبيد ــ وأنا حاضر يُحدِّث عبدَ الله بن الزبير ، ومَن عنده من الناس : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور فى حِرَاءَ من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تَحَنَّث به قريش فى الجاهلية . والتحنُّث : التبرُّر[1] .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وثَوْرٍ ومن أرسَى ثَبِيراً مكانَه ... وراقٍ ليرقَى فى حِراءَ ونازِلِ

التحنث والتحنف : قال ابن هشام : تقول العرب : التحنث والتحنف ، يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جدف وجدث ، يريدون : القبر . قال رؤبة بن العَجَّاج :

= اسم الله ، وهو : إيل ، وكان مذهب طائفة من أهل العلم فى أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة وكذلك الإضافة فى كلام العجم ، يقولون فى غلام زيد : زيد غلام ، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد ، ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى ، ألا ترى كيف قال جبريل وميكائيل ، كما تقول : عبدالله وعبد الرحمن ، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد ، والأسماء ألفاظها مختلفة .

واتفق فى اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه ، وإن كان عجميا ؛ فإن الجبر هو إصلاح ماوهى وجبريل موكل بالوحى ، وفى الوحى جبر ما وَهَى من الدين .

(١) التبرر تفعل من البر ، وتفعل : يقتضى الدخول فى الفعل ، وهو الأكثر فيها مثل : تَدَخَّلَ وتعبد وتنسك ، وقد جاءت فى ألفاظ يسيرة تعطى الخروج عن الشىء واطراحه ، كالتأثم والتحرج . والتحنث بالثاء المثلثة ، لأنه من الحنث وهو الحمل الثقيل ، وكذلك التقذر ، إنما هو تباعد عن القذر ، وأما التحنف بالفاء ، فهو من باب التبرر ؛ لأنه من الحنيفية دين إبراهيم وإن كان الفاء مُبدلة من الثاء ، فهو من باب التقذر والتأثم ، وهو قول ابن هشام ، واحتج بجدف وجدث . الروض الأنف جـ ١ ص ٢٦٧ .

لو كانَ أحجارِى مع الأجدافِ(١)

يريد : الأجداث : وهذا البيت فى أرجوزة له . وبيت أبى طالب فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول : فُمّ ، فى موضع : ثُمّ ، يبدلون الفاء من الثاء .

قال ابن إسحاق : حدثنى وهب بن كَيْسان قال : قال عُبيد : فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور (٢) ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جوارَه ، من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به ـ إذا انصرف من جواره ـ الكعبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التى بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر : شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ إلى حِراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العبادَ بها ، جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ بأمر الله تعالى .

---

(١) وفى بيت رؤبة هذا شاهد ورد على ابن جنى حيث زعم فى سر الصناعة أن جدف بالفاء لا يجمع على أجداف ، واحتج بهذا لمذهبه فى أن الثاء هى الأصل ، وقول رؤبة رد عليه ، والذى نذهب إليه أن الفاء هى الأصل فى هذا الحرف ، لأنه من الجدف وهو القطع ، ومنه مجداف السفينة ، وفى حديث عمر فى وصف الجن : شرابهم الجَدَفُ وهى الرَّغْوَةَ ، لأنها تُجْدَفُ عن الماء ، وقيل : هى نبات يقطع ويؤكل . وقيل : كل إناء كشف عنه غطاؤه : جدف ، والجدف : القبر من هذا ، فله مادة وأصل فى الاشتقاق ، فأجدر بأن تكون الفاء هى الأصل والثاء داخلة عليها .

(٢) الجوار بالكسر فى معنى المجاورة وهى الاعتكاف إلا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد ، والجوار قد يكون خارج المسجد ، كذلك قال ابن عبد البر ، ولذلك لم يُسَمِّ جواره بحراء اعتكافا ، لأن حراء ليس من المسجد ، ولكنه من جبال الحرم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءنى جبريل ، وأنا نائم[١] ، بنمط من ديباج[٢] فيه

(١) قال فى الحديث : فأتانى وأنا نائم ، وقال فى آخره : فهببت من نومى ، فكأنما كتبت فى قلبى كتابا ، وليس ذكر النوم فى حديث عائشة ولا غيرها ، بل فى حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ ، كان فى اليقظة ، لأنها قالت فى أول الحديث : أول ما بدىء به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الرؤيا الصادقة ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب الله إليه الخلاء — إلى قولها — حتى جاءه الحق ، وهو بغار حراء ، فجاء جبريل ، فذكرت فى هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبى — عليه السلام — بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبى — صلى الله عليه وسلم — جاءه جبريل فى المنام قبل أن يأتيه فى اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعبؤها ثقيل ، والبشر ضعيف ، وسيأتى فى حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكل به إسرافيل ، فكان يتراءى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحى والشىء ، ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحى ، فعلى هذا كان نزول الوحى عليه — صلى الله عليه وسلم — فى أحوال مختلفة ، فمنها : النوم كما فى حديث ابن إسحاق .

ومنها : أن يَنْفثَ فى روعه الكلام نفثاً ، كما قال عليه السلام : « إن روح القدس نفث فى رُوعى أن نفساً لن تموت ، حتى تستكمل أجلها ورزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

ومنها أن يأتيه الوحى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه ، وقيل : إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة ، فيكون أوعى لما يسمع ، وألقن لما يلقى .

ومنها : أن يتمثل له الملك رجلا ، فقد كان يأتيه فى صورة دِحية بن خليفة .

ومنها : أن يتراءى له جبريل فى صورته التى خلقه الله فيها ، له ستمائة جناح ، ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت .

ومنها : أن يكلمه الله من وراء حجاب : إما فى اليقظة كما كلمه فى ليلة الإسراء ، وإما فى النوم ، كما قال فى حديث معاذ الذى رواه الترمذى ، قال : « أتانى ربى فى أحسن صورة . »

(٢) فيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم ، ويسلبونهم

كتاب ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ(١) ؟ قال فغتّنى به (٢) ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قال . قلت : ما أقرأ ؟ قال :فغتّنى به، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال :اقرأ ، قال : قلت : ماذا أقرأ ؟ قال : فغتنى به ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى ، فقال: « اقرأ باسمِ ربِّكَ الذى خلقَ . خلقَ الإنسانَ من عَلَقٍ . اقرأ وَرَبُّكَ الأكرمُ . الذى علَّمَ بالقلمِ . علم الإنسانَ ما لم يعلمْ » . قال : فقرأتها ، ثم انتهى ، فانصرف عنى ، وهببْتُ من نومى ، فكأنما كُتبتْ فى قلبى كتابا . قال : فخرجتُ حتى إذا كنتُ فى وسطٍ من الجبلِ سمعتُ صوتا من السماءِ يقولُ : يا محمدُ أنتَ رسولُ اللهِ ، وأنا جبريلُ ، قال : فرفعتُ رأسى إلى السماءِ أنظرُ ، فإذا جبريلُ فى صورةِ رجلٍ صافٌّ قدميْه(٣) فى أفقِ السماءِ يقول : يا محمدُ ، أنت رسولُ الله وأنا جبريلُ . قال: فوقفت أنظرُ إليه فما أتقدمُ وما أتأخرُ ، وجعلتُ أصرِفُ وجهى عنه فى آفاقِ السماءِ ، قال:فلا أنظر فى ناحيةٍ منها إلا رأيتُه كذلك ، فمازلتُ واقفا ما أتقدمُ أمامى، وما أرجعُ ورائى ، حتى بعثتْ خديجةُ رُسلَها فى طلبى ، فبلغوا أعلى مكةَ ، ورجعوا إليها ، وأنا واقفٌ فى مكانى ذلك ، ثم انصرفَ عنى .

الرسول (ص) يخبر خديجة (رضى) بنزول جبريل عليه : وانصرفتُ راجعا إلى أهلى ، حتى أتيت خديجةَ ، فجلستُ إلى فخذِها مُضيفا إليها ، فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنتَ ؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا لى ، ثم حدثتها بالذى رأيتُ ، فقالت : أبشر يا ابن عم واثبتْ فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة .

= الديباج والحرير الذى كان زِيَّهم وزينتهم ، وبه أيضا ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج .

(١) وفى رواية: ما أنا بقارىء ، أى : إنى أمى ، فلا أقرأ الكتب ، قالها ثلاثا فقيل له : اقرأ باسم ربك ، أى : إنك لاتقرؤه بحولك ، ولابصفة نفسك ، ولا بمعرفتك ، ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك مستعينا به ،فهو يعلمك كما خلقك .

أما على رواية ماأقرأ ، يحتمل أن تكون ما استفهاما ، يريد أى شىء أقرأ ؟ ويحتمل أن تكون نفيا ، ورواية البخارى ومسلم تدل على أنه أراد النفى ، أىما أحسن أن أقرأ ، كما تقدم.

(٢) ويروى : فسأبنى ، ويروى : سأتنى ، وأحسبه أيضا يروى : فذعتنى وكلها بمعنى واحد ، وهو الخنق والغم .

(٣) وفى حديث جابر أنه رآه على رفرف بين السماء والأرض ، ويروى : على عرش =

خديجة (رض) تخبر ورقة بن نوفل : ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قصى ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر ، وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قدوس قدوس ، والذى نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتينى ياخديجة لقد جاءه الناموس (١) الأكبر الذى كان يأتى موسى (٢) ، وإنه لنبى هذه الأمة ، فقولى له : فليثبُتْ .

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف ، صنع كما كان يصنع : بدأ بالكعبة ، فطاف بها ، فلقيه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة . والذى نفسى بيده ، إنك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، وَلتُكَذَّبنّهْ ، ولَتُؤذَيَنّهْ ، ولتُخرجَنّهْ ، ولتُقاتَلَنّهْ (٣) ، ولئن أنا أدركت (٤) ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخة ، ثم انصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى منزله .

= بين السماء والأرض ، وفى حديث البخارى الذى ذكره فى آخر الجامع أنه حين فتر عنه الوحى ، كان يأتى شواهق الجبال يهم بأن يلقى نفسة منها ، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض ، يقول أنت رسول الله ، وأنا جبريل .

(١) الناموس : صاحب سر الملك ، وقال بعضهم . هو صاحب سر الخير ، والجاسوس : هو صاحب سر الشر .

(٢) ذكر موسى ولم يذكر عيسى ـ وهو أقرب ـ لأن ورقة كان معتنقا النصرانية وقتها . والنصارى لايقولون فى عيسى : إنه نبى يأتيه جبريل إنما يقولون فيه : إن أقنوما من الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح واتحد به ، على اختلاف بينهم فى ذلك الحلول ، وهو أقنوم الكلمة ، والكلمة عندهم : عبارة عن العلم ، فلذلك كان المسيح عندهم ، يعلمهم الغيب ، ويخبر بما فى غد .

(٣) الهاءات الأربعة لاينطق بها إلا ساكنة فإنها هاءات سكت وليست بضمائر .

(٤) فى الحديث : إن يدركنى يومك . . . ، وهو القياس ، لأن ورقة سابق بالوجود ، والسابق هو الذى من يأتى يدركه بعده

تثبت خديجة (صـه) من الوحي : قال ابن إسحاق: وحدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير : أنه حُدث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى ابن عمّ ، أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرنى به . فجاءه جبريل عليه السلام ، كما كان يصنع . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لخديجة : يا خديجة ، هذا جبريل قد جاءنى ، قالت : قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى ، قال : فقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول ، فاجلس على فخذى اليمنى . قالت : فتحول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجلس على فخذها اليمنى ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحول فاجلس فى حجرى ، قالت : فتحول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجلس فى حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قال : فتحسّرت وألقت خمارها ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالس فى حجرها ، ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا ، قالت يا ابن عم ، اثبت وأبشر ، فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان .

قال ابن إسحاق : وقد حَدَّثْتُ عبد الله بن حسن (١) هذا الحديث ، فقال : قد سمعت أمى فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول : أدخلتْ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل ، فقالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : إن هذا لملك ، وما هو بشيطان .

---

(١) عبد الله هذا هو : عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، وأمه : فاطمة بنت الحسين أخت سُكَيْنة ، واسمها : آمنة ، وسكينة لقب لها ، التى كانت ذات دعابة ومزح ، وفى سكينة وأمها الرباب يقول الحسين بن على ـ رضى الله عن جميعهم :

كأنّ الليلَ موصولٌ بليلٍ إذا زارتْ سكينةُ والربابُ

أى : زارت قومها ، وهم : بنو عُلَيْم بن جناب ، من كلب ، ثم من بنى كعب بن عليم ، ويعرف بنو كعب ابن عليم ببنى زيد غير مصروف ؛ لأنه اسم أمهم ، وعبدالله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بنى العباس ، وهم : محمد ويحيى وإدريس ، مات إدريس بإفريقية فارا من الرشيد ، مسموماً فى دلاعة (نوع من الحار) أكلها .

ابتداء تنزيل القرآن

متى نزل القرآن : قال ابن إسحاق : فابتدئ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتنزيل في شهر رمضان ، بقول الله عز وجل : « شهرُ رمضانَ الذى أُنزلَ فيه القرآنُ هُدًى للناسِ وبيِّناتٍ من الهدى والفرقانِ » وقال الله تعالى : « إنا أنزلناهُ في ليلةِ القدرِ . وما أدراكَ ما ليلةُ القدرِ . ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ . تنزَّلُ الملائكةُ والروحُ فيها بإذنِ ربِّهم من كلِّ أمرٍ سلامٌ هيَ حتى مطلعِ الفجرِ » . وقال الله تعالى : « حم . والكتابِ المبينِ . إنا أنزلناهُ في ليلةٍ مباركةٍ إنا كنا مُنذرينَ . فيها يُفرَقُ كلُّ أمرٍ حكيمٍ . أمراً من عندِنا إنا كنا مُرسلينَ » . وقال تعالى : « إن كنتمْ آمنتمْ باللهِ وما أنزلنا على عبدِنا يومَ الفرقانِ يومَ التقى الجمعانِ » . وذلك مُلتقَى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمشركين ببدر .

تاريخ وقعة بدر : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو جعفر محمد بن على بن حُسَين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة ، صبيحة سبع عشرة من رمضان .

قال ابن إسحاق : ثم تتَامَّ الوحى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحمل منه ما حَمَّلَه على رضا العباد وسخطهم ، والنبوة أثقال ومؤنة ، لا يحملها ، ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يَلقَوْن من الناس ، وما يُرَدّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال : فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى .

إسلام خديجة بنت خويلد

وقوفها بجانبه (صلعم) : وآمنت به خديجة بنت خُوَيلد ، وصدَّقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدَّق بما جاء منه ، فخفف الله بذلك عن نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رَدّ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها ، تثبته وتخفف عليه ، وتصدقه وتهوّن عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

تبشير خديجة ببيت من قصب : قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُمرت أن أبشر خديجة ببيتٍ من قَصَبٍ ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ(١) .

قال ابن هشام : القصب : اللؤلؤ المجوَّف .

جبريل يقرئ خديجة السلام من ربها : قال ابن هشام : وحدثني من أثق به ، أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أقرِئ خديجة السلام من ربِّها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريل يُقرئك السلامَ من ربِّكِ ، فقالت خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام .

فترة الوحي ونزول سورة الضحى : قال ابن إسحاق : ثم فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترةً من ذلك ، حتى شق ذلك عليه فأحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يقسم له ربه ، وهو الذي أكرمه بما أكرمه به ، ما ودَّعه وما قَلاه ، فقال تعالى : « والضحى . والليل إذا سَجَى . ما ودَّعك ربُّك وما قَلَى » ، يقول : ما صرمك فتركك ، وما أبغضك منذ أحبك . « وللآخرةُ خيرٌ لك من الأولى » : أي لما عندي من مرجعك إليَّ ، خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا . « ولسوف يُعطيك ربُّك فترضى » من الفَلْج في الدنيا ، والثواب في الآخرة . « ألم يجدْك يتيماً فآوى . ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى » يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ، ومَنّه عليه في يُتمه وعَيْلته وضلاله ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته(٢) .

تفسير مفردات سورة الضحى : قال ابن هشام : سَجَى : سكن . قال أمية بن أبي الصَّلْت الثقفي :

إذ أتى مَوْهِناً وقد نام صَحْبي ... وسَجَا الليلُ بالظلامِ البهيمِ(٣)

---

(١) حديثه مرسل ، ورواه مسلم متصلاً عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . انظر الحديث بتمامه في الروض الأنف بتحقيقنا حـ ١ ص ٢٧٧

(٢) كانت فترة الوحي سنتين ونصفاً .

(٣) سجا : دام وسكن .

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال العين إذا سكن طرفها : ساجية ، وسجا طرفها .
قال جرير :

ولقد رمينك حين رُحْن بأعين   يَقْتُلنَ من خَلَلِ الستورِ سواجى

وهذا البيت فى قصيدة له . والعائل : الفقير . قال أبو خِراش الهذلى :

إلى بيته يأوى الضَّريكُ إذا شتا   ومُستنبِحٌ بالِى الدَّريسَيْنِ عائل(١)

وجمعه : عالة وعُيَّل . وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله : والعائل أيضا : الذى يعول العيال . والعائل أيضا : الخائف . وفى كتاب الله تعالى : « ذلك أدنى ألا تعولوا » . وقال أبو طالب :

بميزانِ قسطٍ لايُخِسُّ شعيرةً   له شاهدٌ من نفسِه غيرُ عائِلِ

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها ان شاء الله فى موضعها . والعائل أيضا الشىء المُثقِل المعيى . يقول الرجل : قد عالنى هذا الأمر : أى أثقلنى وأعيانى . قال الفرزدق :

ترى الغُرَّ الجحاجِحَ من قريشٍ   إذا ما الأمرُ فى الحِدثانِ عالا(٢)

وهذا البيت فى قصيدة له .

« فأما اليتيمَ فلا تقهرْ . وأما السائلَ فلا تنهرْ » : أى لا تكن جباراً ولا متكبراً ، ولا تحاشا فَظًّا على الضعفاء من عباد الله . « وأما بنعمةِ ربِّك فحدثْ » : أى بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث ، أى اذكرها وادع إليها ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله .

---

(١) الضريك : الضعيف . والمستنبح : الذى يضل الطريق فينبح فتجاوبه الكلاب فيعرف مكان العمران . والدريس : الثوب الخلق .

(٢) الغر : المشهورون ، والجحاجيح : السادة وحذف الياء لإقامة الوزن . والحدثان حوادث الدهر .

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها

وافترضت الصلاة عليه فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته .

افترضت الصلاة ركعتين ثم زيدت: قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : افتُرضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افتُرضت عليه ركعتين ركعتين ، كل صلاة ؛ ثم إن الله تعالى أتمها في الحَضَر أربعاً وأقرها في السفر على فرضها الأوّل ركعتين(١) .

جبريل يعلم الرسول (ص) الوضوء والصلاة : قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهَمَزَ له بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبريل عليه السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، ليريه كيف الطُّهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ؛ ثم قام به جبريل فصلى به ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام .

الرسول (ص) يعلم خديجة الوضوء والصلاة : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، فتوضأ لها ليريها كيف الطُّهور للصلاة كما أراه جبريل ، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام كما صلى به جبريل فصلت بصلاته(٢) :

---

(١) ذكر المزنى أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل طلوع الشمس وأخرى بعد الغروب . وقال ابن سلام : فرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام فيحتمل قول عائشة (ض) « فزيد في صلاة الحضر » أي زيد فيها حين أكملت خمسا ، فتكون الزيادة في الركعات وفي عدد الصلوات ويكون قولها « فرضت الصلاة ركعتين » أي قبل الإسراء .

(٢) الحديث مقطوع في السيرة ومثله لا يكون أصلا في الأحكام الشرعية ولكنه رُوى =

جبريل يعيّن للرسول (ص) أوقات الصلاة : قال ابن إسحاق : وحدثنى عتبة بن مسلم مولى بنى تيم ، عن نافع بن جُبير بن مُطْعِم ، وكان نافع كثير الرواية ، عن ابن عباسّ، قال : لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام ، فصلى به الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصر حين كان ظلّه مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ، ثم جاءه فصلى به الظهر من غدٍ حين كان ظله مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول ، ثم صلى به الصبح مُسْفِراً غير مشرق ، ثم قال : يا محمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس(١)

ذكر أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أول ذكر أسلم

قال ابن إسحق : ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معه وصدّق بما جاءه من الله تعالى : علىّ بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، رضوان الله وسلامه عليه ، وهو يومئذ ابن عشر سنين .

نعمة الله على علىّ بنشأته فى كنف الرسول : وكان مما أنعم الله به على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، أنه كان فى حِجْر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

سبب هذه النشأة : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد بن جبر ابن أبى الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على علىّ بن أبى طالب ، ومما صنع الله له ، وأراده

= مسنداً إلى زيد بن حارثة يرفعه، غير أنه يدور أيضا على ابن لهيعة وقد ضعف فلم يخرج له البخارى ومسلم ، أما مالك فكان يحسن فيه القول . انظر تمام القول فى الروض الأنف ج ١ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(١) هذا الحديث لم يكن ينبغى له أن يذكره فى هذا الموضع؛ لأن أهل الصحيح متفقون على أن هذه القصة ، كانت فى الغدمن ليلة الإسراء، وذلك بعدما نبىء عليه الصلاة والسلام بخمسة أعوام ، وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف ، وقيل : بعام ، فذكره ابن اسحاق فى بدء نزول الوحى ، وأول أحوال الصلاة . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٢٨٤ .

به من الخير ، أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه ، وكان من أيسر بني هاشم . ياعباس : إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه ، فلنخفف عنه من عياله : آخذ من بنيه رجلا ، وتأخذ أنت رجلا ، فنكلهما عنه ؛ فقال العباس : نعم . فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ؛ فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما — قال ابن هشام : ويقال : عقيلا وطالبا[1] .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ، فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه ، فلم يزل علىّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا ، فاتبعه علىّ رضى الله عنه ، وآمن به وصدقه ؛ ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه .

الرسول (ص) وعلي يخرجان إلى الصلاة في شعب مكة واكتشاف أبي طالب لهما :

قال ابن إسحاق : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرته الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا . فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يابن أخي ! ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟ قال : أى عمّ ! هذا دين الله ودين ملائكته ، ودين رسله ، ودين أبينا إبراهيم — أو كما قال صلى الله عليه وسلم — بعثني الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أى عمّ ، أحقّ من بذلتُ له النصيحة ، ودعوتُه إلى الهدى ، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه ، أو كما قال ؛ فقـــال أبو طالب : أى ابن أخي ! إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يُخلَص[2] إليك بشيء تكرهه ما بقيتُ .

---

(١) وكان علي أصغر من جعفر بعشر سنين وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين ، وكلهم أسلم إلا طالبا الذى يقول عنه السهيلي أنه اختطفته الجن فلم يُعلم إسلامه .

(٢) لا يخلص : لا يوصل .

وذكروا أنه قال لعلى : أى بُنَىَّ ! ما هذا الدين الذى أنت عليه ؟ فقال : يا أبتِ ، آمنت بالله وبرسول الله ، وصدقته بما جاء به وصليت معه لله واتبعته . فزعموا أنه قال له : أمّا إنه لم يَدْعُك إلا إلى خير فالزمه .

إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابنُ إسحاق : ثم أسلم زيد بن حارثة بن شُرَحْبيل بن كعب بن عبد العزّى بن امرىء القيس الكلبي ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أول ذكر أسلم ، وصلى بعد علىّ ابن أبى طالب .

نسب زيد : قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شُراحيل بن كعب بن عبد العُزّى ابن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف ابن عُذْرة بن زيد اللات بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبْرة . وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق ، فيهم زيد بن حارثة[1] وصيف . فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد وهى يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : اختارى ياعمة أى هؤلاء الغلمان شئت فهو لك ، فاختارت زيداً فأخذته ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، فاستوهبه منها ، فوهبته له ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه ، وذلك قبل أن يُوحى إليه .

شعر حارثة أبى زيد عندما فقده : وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بكيتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فعلْ ... أحَىٌّ فيُرجَى أم أتى دونَه الأجلْ

فواللهِ ما أدرى وإنى لسائلٌ ... أغالَكَ بعدى السهلُ أمْ غالَكَ الجبلْ

وياليتَ شِعْرِى هل لك الدهرَ أوبةٌ ... فحسبى من الدنيا رجوعُك لى بَجَلْ[2] ؟

---

(١) لأن أم زيد : سعدى بنت ثعلبة من بنى معن من طيىء ، وكانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها ، فأصابته خيل من بنى القَيْن بن جسر ، فباعوه بسوق حُباشة ، وهو من أسوق العرب ، وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام ، ثم كان من حديثه ما ذكر ابن إسحاق .

(٢) بجل : حسبى .

تُذَكِّرُنيه الشمسُ عند طلوعها ... وتَعرِضُ ذكراه إذا غَرْبُها أَفَلْ
وإن هبتِ الأرواحُ هَيَّجْن ذكره ... فيا طولَ ماحزنى عليه وماوَجَلْ(١)
سأعمِلُ نَصَّ العِيسِ فى الأرض جاهداً ... ولاأسأمُ التَّطْوافَ أو تسأمُ الإبلْ(٢)
حياتِىَ أو تأتِى علىَّ منيتى ... فكلُّ امرىءٍ فانٍ وإن غره الأملْ(٣)

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شئت فأقم عندى، وإن شئت فانطلق مع أبيك، فقال: بل أقيم عندك. فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم، وصلى معه؛ فلما أنزل الله عز وجل: «ادعوهم لآبائهم». قال: أنا زيد بن حارثة.

إسلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه وشأنه

نسبه: قال ابن إسحاق: ثم أسلم أبو بكر بن أبى قحافة، واسمه عتيق، واسم أبى قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر.

اسمه ولقبه: قال ابن هشام: واسم أبى بكر: عبد الله، وعتيق: لقب لحسن وجهه وعتقه.

إسلامه: قال ابن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه: أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله.

---

(١) الأرواح: جمع ريح. (٢) النص: السير السريع.
(٣) زاد السهيلى بعد هذا البيت قوله:

فأوصى به قيسا وعمرا كليهما ... وأوصى يزيداً ثم أوصى به جبل

ولما بلغ زيداً قول أبيه قال بحيث يسمعه الركبان:

أحنُّ إلى أهلى وإن كنتُ نائيا ... بأنى قعيدُ البيتِ عند المشاعرِ
فكفوا من الوجد الذى قد شجاكمُ ... ولا تعملوا فى الأرض نصَّ الأباعرِ
فإنى بحمد الله فى خير أسرةٍ ... كرامِ معد كابرا بعد كابرِ

انظر تمام الموضوع فى الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٢٨٦ — ٢٨٧.

إيلاف قريش له ودعوته للاسلام وكان أبو بكر(١) رجلا مألفا لقومه ، محبّبا سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ؛ وكان رجلا تاجراً ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر : لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ، ممن يغشاه ويجلس إليه .

ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنه

عثمان قال فأسلم بدعائه — فيما بلغني — عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب .

الزبير : والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي بن كلاب بن مره ابن كعب بن لؤي .

عبد الرحمن بن عوف : وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

سعد بن أبي وقاص : وسعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ... بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

طلحة : وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي ، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلوا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، فيما بلغني : ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة(٢) ، ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ما عكم عنه حين ذكرته له ، وما تردد فيه .

---

(١) ويسمى أيضاً عتيقا لعتاقة وجهه وهو الحسن . وكان يسمى عبد الكعبة حتى أسلم وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو بنت عم أبي قحافة ، وأما أم أبيه قيلة بنت أذاه بن رياح بن عبد الله ، وامرأته قتلة بنت عبد العزى .

(٢) الكبوة : التأخر وعدم الإجابة .

قال ابن هشام : قوله : « بدعائه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : قوله : عكم : تلبث . قال رؤبة بن العجاج

والصاع وثّاب بها وما عكم(١)

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا وصدّقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

إسلام أبي عبيدة : ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ابن هلال بن أُهَيب بن ضبة بن الحارث بن فهر .

إسلام أبي سلمة : وأبو سلمة ، واسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مرة بن كعب بن لؤى .

إسلام الأرقم : والأرقم بن أبي الأرقم . واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد — وكان أسد يكنى أبا جندب — بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مرة بن كعب بن لؤى .

إسلام عثمان بن مظعون وأخويه : وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى . وأخواه قُدامة وعبد الله ابنا مظعون ابن حبيب .

إسلام عبيدة بن الحارث : وعُبَيْدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى .

إسلام سعيد بن زيد وامرأته : وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العزى بن عبد الله ابن قُرْط بن رياح بن رَزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ؛ وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نُفَيل ابن عبد العزى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رَزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، أخت عمر ابن الخطاب .

---

(١) الصاع : ذهب .

إسلام أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر وخَبّاب بن الأرَتّ : وأسماء بنت أبي بكر . وعائشة بنت أبي بكر ، وهى يومئذ صغيرة . وخَبّاب بن الأرَتّ ، حليف بني زُهْرة .

قال ابن هشام . خباب بن الأرت من بني تميم ، ويقال : هو من خزاعة .

إسلام عمير وابن مسعود وابن القارى : قال ابن إسحاق : وعمير بن أبي وقاص ، أخو سعد بن أبي وقاص . وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل . ومسعود بن القارِيّ ، وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حَمالة بن غالب بن مُحَلِّم بن عائذة بن سبيع بن الهُون بن خزيمة من القارة .

قال ابن هشام : والقارة . لقب ، ولهم يقال :

قد أنصفَ القارةَ من راماها .

وكانوا قوما رُماة(١) .

إسلام سليط وأخيه ، وعياش وامرأته ، وخنيس ، وعامر : قال ابن إسحاق : وسَليط ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر؛ وأخوه حاطب بن عمرو وعَيّاش بن ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن

---

(١) وسُمى بنو الهون بن خزيمة قارة لقول الشاعر منهم فى بعض الحروب :

دعـــونا قارة لاتُنْفِروناً ... فنجفل مثلَ إجفال الظليم

حكذا أنشده أبو عبيد فى كتاب الأنساب ، وأنشده قاسم فى الدلائل :

دعـــونا قارة لاتذعرونا ... فنَنْبَتك القرابة والذمام

وكانوا رماة الحدق ، فن راماهم فقد أنصفهم ، والقارة . أرض كثيرة الحجارة ، وجمعها قور ، فكأن معنى المثل عنـــدهم : أن القارة لاتنفد حجارتها إذ رمى بها ، فن راماها فقد أنصف .

يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخرِّبة التيمية . وخُنيس بن حذافة بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى . وعامر بن ربيعة ، من عنْز بن وائل ، حليف آل الخطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى .

قال ابن هشام عَنْز بن وائل أخو بَكر بن وائل ، من ربيعة بن نزار .

إسلام ابنى جحش ، وجعفر وامرأته ، وحاطب وأخوته ونسائهم ، والسائب والمطلب وامرأته : قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جَحْش بن رئاب بن يَعْمَر ابن صَبِرة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزَيمة . وأخوه أبو أحمد بن جَحْش ، حليفا بنى أميّة بن عبد شمس . وجعفر بن أبى طالب ؛ وامرأته أسماء بنت عُمَيس بن النعمان بن كَعب بن مالك بن قحافة ، من خَثْعَم . وحاطب بن الحارث ابن مَعْمَر بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ابن لؤى ، وامرأته فاطمة بنت المجلّل بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد وُد بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فِهْر وأخوه حطّاب بن الحارث ؛ وامرأته فُكَيهة بنت يَسار . ومَعْمَر بن الحارث بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ابن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى . والسائب بن عثمان بن مَظْعون بن حَبيب ابن وَهْب . والمطّلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وامرأته : رَمْلة بنت أبى عَوف بن صُبَيْرة بن سُعَيد بن سَهْم ابن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤى .

إسلام نُعَيم : والنَّحّام ، واسمه نُعَيم عبد بن الله بن أسد ، خو بنى كعب بن لؤى .

نسب نعيم : قال ابن هشام : هو نُعَيم بن عبد الله بن أَسِيد بن عبد عوف بن عبيد بن عويج ابن عدى بن كعب بن لؤى ، وإنما سمى النّحّام ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لقد سمعت نَحْمَهُ فى الجنة .

قال ابن هشام نحمه : صوته . أو حسه .

إسلام عامر بن فُهَيرة : قال ابن اسحاق : وعامر بن فُهَيرة ، مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

فيه : قال ابن هشام : عامر بن فُهَيرة مُوَلَّد من مُوَلَّدِي الأسْد، أسود اشتراه أبو بكر رضي الله عنه منهم

إسلام خالد بن سعيد ونسبه وإسلام امرأته : قال ابن إسحاق : وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن مرة بن كعب بن لؤي ؛ وامرأته أُمَينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بَيَاضة بن سُبَيْع بن جُعْثُمة بن سعد بن مُلَيح بن عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : هُمَيْنة بنت خلف .

إسلام حاطب وأبي حذيفة : قال ابن إسحاق : وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فِهْر . وأبو حذيفة ، واسمه مِهْشَم — فيما قال ابن هشام — بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي .

إسلام واقد وشيء من خبره : وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرين بن ثعلبة بن يربوع بن حَنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم ، حليف بني عدي بن كعب .

قال ابن هشام : جاءت به باهلة ، فباعوه من الخطاب بن نفيل ، فتبناه . فلما أنزل الله تعالى : « ادعوهم لآبائهم » قال : أنا واقد بن عبد الله ، فيما قال أبو عمرو المدني .

إسلام بني البُكَير : قال ابن إسحاق : وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البُكَير بن عبد يا ليل بن ناشب بن غِيَرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بني عدي ابن كعب .

إسلام عمار : بن ياسر ، حليف بني مخزوم بن يقظة .

قال ابن هشام : عمار بن ياسر عَنْسي من مَذْحِج .

إسلام صُهَيب : قال ابن إسحاق : صُهَيب بن سِنان ، أحد النَّمِر بن قاسط ، حليف بني تيم بن مرة .

نسب صُهَيب : قال ابن هشام : النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار ، ويقال : أفصى بن دُعْمِي بن جديلة بن أسد ؛ ويقال : صُهَيب : مولى عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .

ويقال : إنه رومي . فقال بعض من ذكر أنه من النَّمِر بن قاسط ، إنما كان أسيرا في

أرض الروم، فاشْتُرِىَ منهم. وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم: «صُهَيْب سابقُ الرومِ (١)».

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه، وما كان منهم

أمر الله له صلى الله عليه وسلم بمباداة قومه: قال ابن إسحاق: ثم دخل الناس فى الإسلام أرْسالا من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، وتُحدث به. ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادئ الناس بأمره، وأن يدعوَ إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين ـ فيما بلغنى ـ من مبعثه؛ ثم قال الله تعالى له: «فاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ، وأعرِضْ عن المشركين»(٢). وقال تعالى: «وأنْذِرْ عشيرتك الأقربين. واخْفِضْ جَناحَكَ لمن اتَّبَعَكَ من المؤمنين، وقل إنى أنا النذيرُ المبينُ».

معنى «اصدع بما تؤمر»: قال ابن هشام: اصدع: افرق بين الحق والباطل. قال أبو ذؤيب الهذلى، واسمه خُوَيْلد بن خالد، يصف أُتُنَ(٣) وحش وفحلها:

وكأنهن رِبابَةٌ وكأنه يَسَرٌ يَفيضُ على القداحِ ويَصْدَعُ(٤)

أى يفرق على القداح ويبين أنصباءها. وهذا البيت فى قصيدة له. وقال رؤبة بن العجاج:

أنتَ الحليمُ والأميرُ المنتقمْ تصدعُ بالحقِّ وتَنفى مَنْ ظَلَمْ

---

(١) انظر زيادة فى نسب هؤلاء وأبحاثا كثيرة عنهم فى الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٨٦ : ٢٩٤.

(٢) المعنى: اصدع بالذى تؤمر به، ولكنه لما عدّى الفعل إلى الهاء حسن حذفها هنا أحسن من ذكرها؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه الذى وقولهم: (ما) مع الفعل بتأويل المصدر، راجع إلى معنى الذى إذا تأمله، وذلك أن (الذى) تصلح فى كل موضع تصلح فيه (ما) المصدرية نحو قول الشاعر:

عسى الأيام أن يرجعـ ـنَ يوماً كالذى كانوا

انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ٦.

(٣) الأتن مفردها أتان وهى أنثى الحمر.

(٤) الربابة: جلدة تلف فيها قداح الميسر، واليسر الذى يدخل فى الميسر. والقداح مفردها قدح وهو السهم.

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه للصلاة فى الشعب : قال ابن إسحاق : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّوا ، ذهبوا فى الشّعاب ، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلَحْى بعير(١) فشجه ، فكان أول دم هريق فى الإسلام .

عداوة قومه ومساندة أبى طالب له : قال ابن إسحاق : فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه - فيما بلغنى - حتى ذكر آلهتهم وعابها ؛ فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفون ، وحدِب(٢) على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، مظهراً لأمره ، لا يرده عنه شىء . فلما رأت قريش ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتِبهم(٣) من شىء أنكروه عليه ، من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حَدِب عليه ، وقام دونه ، فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب ، عُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، وأبو سفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبى سفيان صخر .

---

(١) لحى البعير : العظم الذى على الخد .

(٢) أصل الحدب : انحناء فى الظهر ، ثم استعير فيمن عطف على غيره ، ورق له ، كما قال النابغة :

حدبت علىّ بطونُ ضبّة كلُّها إن ظالما فيهم ، وإن مظلوما

روض جـ ٢ ص ٧ .

(٣) لا يعتبهم : لا يرضيهم .

قال ابن إسحاق : وأبو البَخْتَرِى ، واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

قال ابن هشام : أبو البَخْتَرِى : العاص بن هاشم(١) .

قال ابن إسحاق : والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى من كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى . وأبو جهل ـ واسمه عَمْرو ، وكان يُكنى أبا الحكم ـ بن هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مرة بن كعب بن لؤى . والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مرة بن كعب بن لؤى . ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى . والعاص بن وائل .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى .

وفد قريش يعاتب أبا طالب : قال ابن إسحاق : أو من مشى منهم . فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أحلامنا ، وضلل آباءنا ؛ فإما أن تَكُفّه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فإنك على مِثْل ما نحن عليه من خِلافه ، فنكفيكه . فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا ، وردهم ردا جميلا ، فانصرفوا عنه .

الرسول (ص) يستمر فى دعوته : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يُظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ثم شَرِىَ(٢) الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا(٣) ، وأكثرت قريش ذكرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، فتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه(٤) .

---

(١) الذى قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكلبى ، والذى قال ابن هشام هو قول الزبير بن أبى بكر وقول مصعب . وهكذا وجدت فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر ، سفيان بن العاصى . انظر الروض جـ ٢ ص ١٠ .

(٢) شرى : اشتد . (٣) تضاغنوا : تعادوا .

(٤) تذامروا حض بعضهم بعضا ، والعطف للتفسير .

رجوع الوفد إلى أبي طالب مرة ثانية : ثم إنهم مَشَوْا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سِنّاً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهَه عنا ، وإنا والله لانصبر على هذا من شَتْم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعَيْب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك فى ذلك ، حتى يَهلك أحد الفريقين ـ أو كما قالوا له ـ ثم انصرفوا عنه ، فعظُم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يَطِب نفسا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خِذْلانه .

ما دار بين الرسول (ص) وأبي طالب : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث : أن قريشا حين قالوا لأبى طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا ابن أخى ، إن قومك قد جاءونى ، فقالوا لى كذا وكذا ، للذى كانوا قالوا له ، فأبق علىّ وعلى نفسك ، ولا تحمِّلنى من الأمر مالا أطيق؛ قال : فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بَداء(١) أنه خاذله ومُسْلمه ، وأنه قد ضعف عن نُصرته والقيام معه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمّ ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمرَ فى يسارى(٢) على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته . قال : ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ثم قام ؛ فلما ولّى ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا بن أخى ؛ قال : فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذهب يا بن أخى ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أُسلمك لشىء أبداً .

قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب : قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم ، مَشَوْا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له ـ فيما بلغنى ـ يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد ، أنهد(٣) فتى فى قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا

---

(١) أى ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شىء يبدو بعد ما خفى ، والمصدر البدء هو البدو ، والاسم ، البداء ، لا يقال فى المصدر ، بدا له بدو ، كما لا يقال ظهر له ظهور بالرفع ، لأن الذى يظهر ، ويبدو هاهنا هو الاسم ، نحو البداء ، وأنشد أبو على :

لعلك والموعود حق وفاؤه   بدا لك فى تلك القلوص بداء

(٢) خص الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية الممحوة .

(٣) أنهد : أشد .

هو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل؛ فقال: والله لبئس ما تسومونني، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون أبدا. قال: فقال المطعم ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا؛ فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي، فاصنع ما بدا لك، أو كما قال. فحقب الأمر (١)، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، وبادى بعضهم بعضا.

شعر أبي طالب في المطعم ومن خذله: فقال أبو طالب عند ذلك، يعرض بالمطعم بن عدي، ويعم من خذله من بني عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه، وما تباعد من أمرهم:

ألا قلْ لعمرٍو والوليدِ ومُطعِمٍ ... ألا ليتَ حظي من حياطتِكم بَكْرُ (٢)
من الخُورِ حَبْحابٌ كثيرٌ رُغاؤه ... يُرَشُّ على الساقين من بوله قَطْرُ (٣)
تخلَّفَ خلفَ الوِرْدِ ليس بلاحقٍ ... إذا ما علا الفَيْفاءَ قيلَ له وَبْرُ (٤)
أرى أخوَيْنا من أبينا وأمِّنا ... إذا سُئلا قالا إلى غيرنا الأمرُ
بلى لهما أمرٌ ولكنْ تَجَرْجَما ... كما جُرْجِمَتْ من رأسِ ذي عَلَقٍ صخرُ (٥)
أخُصُّ خصوصاً عبدَ شمسٍ ونَوْفَلاً ... هما نَبَذانا مثلَ ما يُنبَذُ الجمرُ
هما أغمَزا للقومِ في أخوَيْهما ... فقد أصبحا منهمْ أكفُّهما صِفْرُ (٦)

---

(١) حقب: اشتد.

(٢) يريد أن يقول إن بكرا من الإبل أنفع لي منكم، فليته لي بدلا من حياطتكم. وذلك كما قال طرفة في عمرو بن هند:

فليتَ لنا مكانَ الملكِ عمرٍو ... رَغُوثاً حولَ قُبَّتِنا تَخورُ

(٣) الخور: الضعاف. والحبحاب: الصغير.

(٤) الوبر: دويبة صغيرة تشبه الهرة شبهه بها لصغره.

(٥) تجرجم: انحدر، وذو علق: جبل في ديار بني أسد.

(٦) أغمز: استضعف. والصفر: الخالي.

هما أشركا فى المجد من لا أبا له ... من الناس إلا أن يُرَس له ذكر[1]
وتيم ومخزوم وزهرة منهم ... وكانوا لنا مولى إذا بُغى النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة ... ولا منهمُ ما كان من نسلنا شفر[2]
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم ... وكانوا كجفر بئس ماصنعت جفر

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما .

قريش تظاهر عداوتها للمسلمين : قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذامروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ، ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه أبى طالب ، وقد قام أبو طالب ، حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم وبنى المطلب ، فدعاهم إلى ماهو عليه ، من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه وأجابوه إلى مادعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لهب ، عدو الله الملعون .

شعر أبى طالب فى مدح قومه لنصرته : فلما رأى أبو طالب من قومه ماسره فى جهدهم معه وحدبهم عليه ، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم ، وليحدبوا معه على أمره ، فقال :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها[3]
وإن حُصلت أشراف عبد منافها ... ففى هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوما فإن محمدا ... هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

---

(١) يرس : يذكر .
(٢) شفر : أحد .
(٣) سرها : وسطها ، وسر الوادى وسرارته وسطه وذلك مدح فى موضعين فى وصف الشهود وفى النسب .

وكنّا قديمـا - الاتقىٰ - ظـلامة إذا ما ثنوا صُعْرَ الخدودِ نقيمُها(١)
ونحمى حماها كلّ يوم كريهةٍ ونضرب عن أحجارِها من يرومها
بنا انتعشَ العودُ الذّواء وإنما بأكنافنا تندَى وتنمى أرومُها(٢)

الوليد بن المغيرة : كيده للرسول ، وموقفه من القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضُه بعضاً ؛ قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأيا نقول به ؛ قال : بل أنتم فقولوا أسمعْ ؛ قالوا : نقول كاهن ؛ قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة(٣) الكاهن ولا سجعه ؛ قالوا : فنقول : مجنون ؛ قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ؛ قالوا : فنقول : شاعر ؛ قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رَجَزَه وهزَجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ؛ قالوا : فنقول : ساحر ؛ قال : ماهو بساحر ، لقد رأينا السُّحّار وسحرهم ، فما هو بنفْثِهم ولا عَقْدهم(٤) ؛ قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة — قال ابن هشام : ويقال لغدق(٥) — وما أنتم بقائلين من هذا شيئا

(١) ثنوا : عطفوا . وصعر خده : أماله إلى جهة مثل فعل المتكبر .
(٢) الذواء : الذى جفت رطوبته . الأروم : مفرده أرومة وهى الأصل .
(٣) زمزمة الكاهن : كلامه الخفى .
(٤) العقد والنفث : هو أن يعقد الساحر خيطا وينفث فيه بفمه .
(٥) قول الوليد : إن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة . استعارة من النخلة التى ثبت أصلها ، وقوى وطاب فرعها إذا جنى ، والنخلة هى : العذق بفتح العين ، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام ، لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ، ورواية ابن هشام : إن أصله لغدق ، وهو الماء الكثير ، ومنه يقال : غيدق الرجل إذا كثر بصاقه . وأحد أعمام النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يسمى : الغيداق لكثرة عطائه — والغيدق أيضا ولد الضب ، وهو أكبر من الحسل قاله قطرب فى كتاب الأفعال والأسماء له .

إلا عُرِف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسُبُل الناس حين قدموا للموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره . فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله : « ذَرْنِي ومن خلقتُ وحيداً ، وجعلتُ له مالا ممدوداً وبَنِينَ شُهوداً ، ومَهدتُ له تمهيداً ثم يطمعُ أن أزيدَ كلا إنه كان لآياتنا عنيداً » : أي خصيما .

قال ابن هشام : عنيد : معاند مخالف . قال رؤبة بن العجاج :

وَنحنُ ضرّابونَ رأسَ العُنَّدِ

وهذا البيت في أرجوزة له .

« سأُرْهِقُه صَعوداً ، إنه فكرَ وقَدَّرَ ، فقُتِلَ كيفَ قدَّرَ . ثم قُتِلَ كيفَ قدَّرَ . ثم نظرَ ، ثم عَبَسَ وبَسَرَ » .

قال ابن هشام : بسر : كره وجهه . قال العجاج :

مُضبَّر اللَّحيينِ بَسْراً مِنْهَسا(١)

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت في أرجوزة له .

« ثم أدبرَ واستكبرَ فقالَ إنْ هذا إلا سِحرٌ يُؤثَرُ ، إنْ هذا إلا قولُ البَشَرِ » .

رد القرآن على صحب الوليد : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى وفي النفر الذين كانوا معه يصنفون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كما أنزلنا على المقتسمين . الذين جعلوا القرآنَ عِضِينَ . فوربِّك لنسألنهمْ أجمعينَ ، عمَّا كانوا يعملونَ » .

قال ابن هشام : واحدة العضين : عِضة ، يقول : عَضَوْه : فرّقوه . قال رؤبة بن العجاج :

وليسَ دينُ اللهِ بالمعضَّى

وهذا البيت في أرجوزة له

---

(١) المضبر : الشديد . واللحيان عظمان في الوجه . والنهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان

قال ابن إسحاق : فجعل أولئك النفر يقولون ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها.

شعر ابى طالب فى معاداة خصومه : فلما خشى أبو طالب دَهْماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التى تعوَّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى ذلك من شعره أنه غير مُسْلِمٍ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ولا تاركه لشىء أبداً حتى يهلك دونه، فقال :

ولما رأيتُ القومَ لا وُدَّ فيهمُ ... وقد قطعوا كلَّ العُرَى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوةِ والأذى ... وقد طاوعوا أمرَ العدوِّ المُزايلِ
وقد حالفوا قوماً علينا أظِنَّةً ... يَعَضّون غيظاً خلفنا بالأناملِ
صبرتُ لهم نفسى بسمراءَ سمحةٍ ... وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المَقاوِلِ (١)
وأحضرتُ عندَ البيتِ رهطى وإخوتى ... وأمسكتُ من أثوابه بالوصائلِ (٢)
قياما معا مُستقبلينَ رِتاجَه ... لَدَى حيثُ يَقضِى حَلْفَهُ كلُّ نافِلِ (٣)
وحيثُ يُنيخُ الأشعرون ركابَهم ... بمُفضَى السيولِ من إسافٍ ونائلِ
موسَّمةُ الأعضادِ أو قَصَراتها ... مُخَيَّسةٌ بينَ السَّدِيسِ وبازِلِ (٤)

---

(١) أراد بالمقاول : آباءه، شبههم بالملوك، ولم يكونوا ملوكا، ولا كان فيهم من ملك بدليل حديث أبى سفيان حين قال له هرقل : هل كان فى آبائه من ملك؟ فقال : لا. ويحتمل أن يكون هذا السيف الذى ذكر أبو طالب من هبات الملوك لأبيه، فقد وهب ابن ذى يزن لعبد المطلب هبات جزلة حين وفد عليه مع قريش، يهنئونه بظفره بالحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعامين. روض ٢/٢٢

(٢) الوصائل : ثياب مخططة حمراء، كان يُكسى بها البيت الحرام.

(٣) النافل : المتبرىء.

(٤) موسَّمة : معلمة، ويقال الوسم الذى فى الأعضاد : السطاع والرقمة، والذى فى الفخذ : الخياط، وفى الكشح : الكشاح، والذى فى قصرة العنق : العلاط، والقصرات : أصول الأعناق، والمخيسة : المذللة، والسديس الذى دخل فى السنة السادسة. والبازل الذى بلغ التاسعة فخرج نابه..

تَرى الوَدْعَ فيها والرُّخامَ وزينةً بأعناقِها معقــودةً كالعثاكِلِ(١)
أعوذُ بربِّ الناسِ من كلِّ طاعنٍ علينـــا بسوءٍ أو مُلِـــحٍّ بباطلِ
ومن كاشحٍ يسعى لنـــا بمعيبـــةٍ ومن مُلحِقٍ فى الدينِ ما لم نحاول
وثَوْرٍ ومن أرسَى ثَبِـــيراً مكانَه وراقٍ ليرقَى فى حِراءٍ ونازلِ(٢)
وبالبيتِ، حقِّ البيتِ، من بطنِ مكةٍ وباللهِ إنَّ اللهَ ليس بغافلِ
وبالحجرِ المُسْوَدِّ إذ يمسحونَه إذا اكتنفوه بالضُّحى والأصائلِ
ومَوْطِىءِ إبراهيمَ فى الصخرِ رَطبةً على قدميه حافيا غـيرَ ناعلِ(٣)
وأشواطٍ بين المروتين إلى الصَّفا وما فيهما من صُورةٍ وتماثلِ(٤)
ومَن حجَّ بيتَ اللهِ من كلِّ راكبٍ ومن كل ذى نَذرٍ ومن كل راجلِ
وبالمَشْعَرِ الأقصى إذا عَمَـــدوا له إلالٍ إلى مُفضَى الشِّراجِ القوابلِ(٥)
وتَوْقافِهِــم فوقَ الجبالِ عشيَّةً يُقيمون بالأيدى صدورَ الرَّواحلِ
وليلةِ جَمْـــعٍ والمنازلِ من مِنًى وهل فوقَها من حُرمةٍ ومنازلِ(٦)

---

(١) الودع: خرزات يتحلى بها الصبيان. والعثاكل الأغصان.

(٢) ثور وثبير وحراء: جبال بمكة.

(٣) موطىء إبراهيم فى الصخر رطبة. يعنى موضع قدميه حين غسلت كنته (زوج ابنه) رأسه، وهو راكب، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليُغسل، وكانت سارة قد أخذت عليه عهدا حين استأذنها فى أن يطالع تركته بمكة، فحلف لها أنه لا ينزل عن دابته، ولا يزيد على السلام، واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر، فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمه آية. قال الله سبحانه: «فيه آيات بينات مقام إبراهيم».

(٤) الأشواط: جمع شوط الجرى من البداية إلى الغاية مرة واحده والمروتين الصفا والمروة فهو من باب التغليب كالأبوين. والتماثل التماثيل أسقط ياءها ضرورة.

(٥) المشعر: عرفة. الإلال: جبل بعرفات. والشراج: جمع شرج وهو مسيل الماء. والقوابل: المقابلة. (٦) جمع: المزدلفة.

وَجَمْعٍ إذا ما المُقرَّباتُ أجَزْنَه ... سِراعاً كما يَخرُجن من وقْعِ وابلِ(١)
وبالجمرةِ الكبرى إذا صَمَدوا لهـا ... يَؤمُّون قَذْفاً رأسَها بالجنادلِ
وكِندةَ إذ هم بالحِصابِ عشيةً ... تُجيز بهم حُجاجُ بكرِ بن وائلِ(٢)
حليفان شدَّا عَقْدَ ما احتلفا له ... وردَّا عليه عاطفاتِ الوسائلِ
وحطْمِهِمُ سُمْرَ الرماحِ وسَرْحَه ... وشِبْرِقَهُ وَخْدَ النعامِ الجوافلِ(٣)
فهل بعدَ هذا من مَعاذٍ لعائذٍ ... وهل من مُعيذٍ يتقي اللهَ عاذلِ
يُطاعُ بنا أمرُ العِدا وَدَّ أننا ... تُسدُّ بنا أبوابُ تُرْكٍ وكابلِ(٤)
كذبتم وبيتِ اللهِ نتركُ مكةً ... ونَظْعنُ إلا أمرُكم في بلابلِ(٥)
كذبتم وبيتِ اللهِ نُبْزَى محمداً ... ولمّا نطاعِنْ دونَه ونناضلِ(٦)
ونُسلِمُهُ حتى نُصَرَّعَ حولَه ... ونُذهلَ عن أبنائنا والحلائلِ
وينهضَ قومٌ في الحديدِ إليكمُ ... نهوضَ الروايا تحتَ ذاتِ الصلاصلِ(٧)
وحتى ترى ذا الضغنِ يركبُ رَدْعَه ... من الطعنِ فعلَ الأنكبِ المُتحاملِ(٨)
وإنا لعَمْرُ اللهِ إن جَدَّ ما أرى ... لتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثـــل
بكَفَّيْ فتًى مثـــلِ الشهابِ سَمَيْدَعٍ ... أخي ثقةٍ حامي الحقيقةِ باسلِ(٩) ،

---

(١) المقربات : الخيل الكريمة التي تقرب مرابطها من البيوت . الوابل : المطر الشديد .
(٢) الحصاب : مكان رمي الجمار .
(٣) الحطم الكسر : والسمر : من شجر الطلح . والسرح : الشجر العظام ، والشبرق : نبات . والوخد : السريع . والجوافل : المسرعة .
(٤) ترك وكابل : جيلان من الناس .
(٥) البلابل : وساوس الهموم .
(٦) نبزى : نُسلب ونغلب .
(٧) الروايا : الإبل تحمل الماء . والصلاصل : المزادات يسمع لها صلصلة .
(٨) الضغن : العداوة ويركب ردعه : يخر على وجهه صريعا والأنكب : المائل .
(٩) السميدع : السيد من الرجال .

شهوراً وأياماً وحولاً مُجَرَّماً   علينا وتأتى حِجَّةٌ بعد قابل(١)

وما تَرْكُ قومٍ، لا أبالك، سيداً   يحوطُ الذِّمارَ غيرَ ذَرْبٍ مُواكِل(٢)

وأبيضَ يُستسقَى الغَمامُ بوجهه   ثِمالَ اليتامى عِصمةً للأرامل(٣)

يلوذ به الهُلاكُ من آلِ هاشمٍ   فهم عنده فى رحمةٍ وفواضِلِ

لَعَمْرى لقد أجرَى أَسِيدٌ وبِكرُه   إلى بُغضِنا وجزّآنا لآكلِ

وعثمانُ لم يربَعْ علينا وقُنفُذٌ   ولكن أطاعا أمرَ تلك القبائلِ(٤)

أطاعا أُبيّاً وابنَ عبدِ يغوثِهم   ولم يَرقُبا فينا مقالةَ قائلِ

كما قد لَقِينا من سُبَيْعٍ ونوفَلٍ   وكلٌّ تولى مُعرِضاً لم يُجامِلِ

فإن يُلْقَيا أو يُمكِنِ اللهُ منهما   نَكِلْ لهما صاعاً بصاعِ المُكايِلِ

وذاك أبو عمرو أبَى غيرَ بُغضِنا   ليَظْعَنَنا فى أهلِ شاءٍ وجامِلِ(٥)

يناجِى بنا فى كل مُمْسًى ومُصبَحٍ   فناجِ أبا عمرو بنا ثم خاتِلِ

ويُؤْلِى لنا باللهِ ما إن يَغُشُّنا   بلَى قد نراه جهرةً غيرَ حائلِ(٦)

أضاقَ عليه بُغضُنا كلَّ تَلعةٍ   من الأرضِ بين أخشُبٍ فمُجادِلِ(٧)

وسائلْ أبا الوليدِ ماذا حبَوْتَنا   بسعيكَ فينا مُعرِضاً كالمُخاتِلِ

وكنتَ امرأً ممن يُعاشُ برأيه   ورحمتِه فينا ولستَ بجاهلِ

---

(١) المجرّم: الكامل.

(٢) الذمار: الحمى. والذرب: الفاحش المنطق. المواكل: من يكل أمره إلى غيره.

(٣) ثمال اليتامى: من يتولى أمرهم ويقوم بهم.

(٤) لم يربع: لم يقم. (٥) الجامل: جماعة الجمال.

(٦) يؤلى: يقسم.

(٧) التلعة: ما أشرف من الأرض. والأخشب: أراد الأخاشب وهى جبال مكة وجمعه على أخشب لأنه فى معنى أجبل، مع أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد ويصغر كذلك. والمجادل: القصور والحصون فى رؤوس الجبال. كأنه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام والعراق. والفاء فى فمجادل تعطى الاتصال بخلاف الواو كقوله: بين الدخول فحومل.

فعُتْبةُ لا تسمعْ بنا قولَ كاشحٍ حسودٍ كذوبٍ مبغضٍ ذى دغاولِ(١)

ومرّ أبو سفيانَ عنىَ مُعْرِضاً كما مر قَيْلٌ من عظامِ المقاولِ

يفر إلى نجدٍ وبَرْدِ مياهه ويزعُمُ أنى لستُ عنكم بغافلِ

ويخبرُنا فعلَ المُناصِحِ أنه شفيقٌ ويخفى عارماتِ الدواخلِ(٢)

أمُطْعِمُ لم أخذُلْك فى يومِ نجدةٍ ولا مُعظِمٍ عند الأمورِ الجلائلِ

ولا يومِ خصمٍ إذ أتوْك ألدّةً أولى جدلٍ من الخصومِ المساجلِ(٣)

أمطعِمُ إن القومَ ساموك خُطّةً وإنى متى أُوكَلْ فلستُ بوائلِ(٤)

جزى اللهُ عنا عبدَ شمسٍ ونوفلا عقوبةَ شرٍّ عاجلا غيرَ آجلِ

بميزانِ قِسطٍ لا يُخِسُّ شعيرةً له شاهدٌ من نفسِه غيرُ عائلِ(٥)

لقد سفهت أحلامُ قومٍ تبدّلوا بنى خلفٍ قَيْضاً بنا والغياطلِ(٦)

ونحن الصميمُ من ذؤابةِ هاشمٍ وآلِ قُصَىٍّ فى الخطوبِ الأوائلِ

وسهمٌ ومخزومٌ تمالَوْا وألّبوا علينا العدا من كلّ طِمْلٍ وخاملِ(٧)

فعبدَ منافٍ أنتمُ خيرُ قومِكم فلا تُشركوا فى أمركم كل واغِلِ(٨)

لعمرى لقد وَهَنتُمُ وعجزتمُ وجئتم بأمرٍ مخطىءٍ للمفاصلِ(٩)

---

(١) الدغاول : الغوائل . (٢) العارمات : الشديدات والدواخل النمائم

(٣) المساجل : من يعارض فى الخصومة

(٤) سامه خطة : كلفه بها . والوائل : الناجى .

(٥) العائل : الجائر .

(٦) القيض : العوض والغياطل : بنو سهم ، لأن أمهم الغيطلة ، وقيل : إن بنى سهم سموا بالغياطل ، لأن رجلا منهم قتل جانا، طاف بالبيت سبعاً ، ثم خرج من المسجد فقتله ، فأظلمت مكة ، حتى فزعوا من شدة الظلمة التى أصابتهم . والغيطلة : الظلمة الشديدة ، والغيطلة أيضاً الشجر الملتف ، والغيطلة : اختلاط الأصوات ، والغيطلة : البقرة الوحشية ، والغيطلة : غلبة النعاس .

(٧) الطمل : الفاحش . (٨) الواغل : الهاجم على القوم فى شرابهم ولم يُدعَ .

(٩) مخطىء المفاصل : بعيد عن الصواب .

وكنتم حديثا حطْبَ قدرٍ وأنتمُ الــآنَ حِطابُ أقْدُرٍ ومراجِلِ
ليهْنِ بنى عبد مناف عقوقُنا وخِذلانُنا وترْكُنا فى المعاقِلِ
فإن تكُ قوما تتَّئِرْ ما صنعتمُ وتحتلبوها لِقحةً غيرَ باهِلِ(١)
وسائطُ كانت فى لؤىِّ بن غالبٍ نفاهُمْ إلينا كلُّ صقرٍ حُلاحِلِ(٢)
ورهطُ نُفيلٍ شرُّ من وطِئَ الحصَى وألأمُ حافٍ من معَدٍّ وناعِلِ
فأبلغْ قُصَيًّا أن سيُنشرُ أمرُنا وبشِّرْ قُصيًّا بعدَنا بالتخاذُلِ
ولو طَرقَت ليلا قُصيًّا عظيمةٌ إذا ما لجأنا دونَهم فى المداخِلِ
ولو صدَقوا ضرْبا خِلالَ بيوتِهم لكنا أُسىً عندَ النساءِ المطافِلِ(٣)
فكلُّ صديقٍ وابنُ أختٍ نَعدُّه لعمْرى وجدْنا غِبَّهُ غيرَ طائِلِ
سوَى أن رَهْطا من كلابِ بنِ مرةٍ براءٌ إلينا من مَعقّــةِ خاذِلِ(٤)
وهَنا لهُــم حتى تبــددَ جمعُهم ويحسُر عنا كلُّ باغٍ وجاهِــلِ
وكان لنا حوْضُ السّقايةِ فيهمُ ونحن الكُدَى من غالبٍ والكواهِلِ(٥)
شبابٌ من المُطَيَّبين وهاشمٍ كبيضِ السيوفِ بين أيدى الصَّياقلِ

---

(١) تتئر : تأخذ بثأرنا. واللقحة : الناقة ذات اللبن والباهل الناقة المباحة الحلب .

(٢) الحلاحل : السيد الشجاع .

(٣) الأسى : جمع أسوة ، والمطافل : ذوات الأطفال .

(٤) يقال قوم براء بالفتح : وبراء بالكسر ، فأما براء بالكسر لجمع برىء ، مثل كريم وكرام ، وأما براء فمصدر ، مثل سلام والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل ، ويقال : رجل براء ورجلان براء ، وإذا كسرتها أو ضممتها لم يجز إلا فى الجمع ، وأما براء بضم الباء : فالأصل فيه برآء مثل كرماء فاستثقلوا اجتماع الهمزتين ، فحذفوا الأولى ، وكان وزنه فعلاء ، فلما حذفوا التى هى لام الفعل صار وزنه فعاء ، وانصرف لأنه أشبه فعالا ، والنسب إليه إذا سميت به ، براوى ، والنسب إلى الآخرين برائى وبرائى ، وزعم بعضهم إلى أن براء بضم أوله من الجمع الذى جاء على فعال ، ومثل فرير وفرار وعرن وعران .

(٥) الكدى : جمع كدية ، وهى الصخرة العظيمة والكواهل جمع كاهل : وهو سند القوم.

لما أدركوا ذحلا ولا سفكوا دماً ولا حالفوا إلا شرار القبائل
بضربٍ ترى الفتيان فيه كأنهم ضواري أسودٍ فوق لحمٍ خرادلِ (١)
بنى أمةٍ محبوبةٍ هندكيةٍ بنى جمحٍ عُبيدِ قيسِ بنِ عاقلِ (٢)
ولكننا نسلٌ كرامٌ لسادةٍ بهم نُعِىَ الأقوامُ عندَ البواطلِ
ونعمَ ابنُ أختِ القومِ غيرَ مكذَّبٍ زهيرٌ حساماً مفرداً من حمائلِ
أشمُّ من الشمِّ البهاليلِ ينتمى إلى حسبٍ فى حومةِ المجدِ فاضلِ
لعمرى لقد كلِفتُ وجداً بأحمدٍ وإخوته دأبَ المحبِّ المواصلِ
فلا زالَ فى الدنيا جمالا لأهلها وزيْناً لمن والاه ربُّ المشاكلِ
فمن مثلُه فى الناسِ أىُّ مؤمَّلٍ إذا قاسه الحكَّام عندَ التفاضُلِ
حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ يوالى إلهاً ليسَ عنه بغافلِ
فواللهِ لولا أن أجىءَ بسُبَّةٍ تجر على أشياخنا فى المحافلِ
لكنا اتبعناه على كلِّ حالةٍ من الدهرِ جِداً غيرَ قولِ التهازُلِ
لقد علِموا أن ابننا لا مكذَّبٌ لدينا ولا يُعنى بقولِ الأباطلِ
فأصبح فينا أحمدٌ فى أرومةٍ تقصِّرُ عنه سَورةُ المتطاوِلِ (٣)
حدِبتُ بنفسى دونَه وحميتُه ودافعتُ عنه بالذُّرا والكلاكلِ (٤)
فأيَّده ربُّ العبادِ بنصرِه وأظهرَ ديناً حقُّه غيرُ باطلِ
رجالٌ كرامٌ غيرُ ميلٍ نماهُمُ إلى الخيرِ آباءٌ كرامُ المحاصِلِ (٥)
فإن تكُ كعبٌ من لؤىٍّ صَقيةً فلا بدَّ يوما مرةً من تزايُلِ (٦)

---

(١) الخرادل : القطع العظيمة :
(٢) الهندكى : منسوب الى الهند .
(٣) السورة : الشدة والبطش (٤) حدبت : عطفت . والذرا جمع ذروة أعلى ظهر البعير ، والكلاكل عظام الصدور
(٥) الميل : جمع أميل وهو الذى لا يحسن الركوب .
(٦) صقية : قريبة .

قال ابن هشام : هذا ما صح لى من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها

الرسول عليه السلام يستسقى لأهل المدينة ويود لو أن أبا طالب حى ليرى ذلك :
قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به ، قال : أقحط أهل المدينة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشكوا ذلك إليه ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فستسقى[1] فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحى[2] يشكون منه الغرق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حوالينا ولا علينا[3] ، فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالإكليل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره ، فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله :

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه ... ثِمالَ اليتامَى عِصمةً للأراملِ

قال : أجل .

قال ابن هشام : وقوله ، وشبْرِقَه ، عن غير ابن إسحاق .

ذكر الأسماء التى وردت فى قصيدة أبى طالب : قال ابن إسحاق : والغياطل : من بنى سَهم بن عمرو بن هُصَيص ، وأبو سفيان بن حرب بن أمية . ومطعم بن عدى بن نَوفل بن عبد مناف . وزهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أمه عاتكة بنت عبد المطلب . قال ابن إسحاق : وأَسيد ، وبِكْرُه : عتاب بن أَسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى . وعثمان بن عبيد الله ، أخو طلحة بن عُبَيد الله التيمى . وقُنفذ بن عُمير بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وأبو الوليد عتبة بن ربيعة . وأُبَىّ الأخنس بن شريق الثقفى ، حليف بنى زهرة بن كلاب .

---

(١) حديث الاستسقاء بالمدينة حديث مروى من طرق كثيرة وبألفاظ مختلفة .

(٢) الضواحى : جمع ضاحية ، وهى الأرض البراز التى ليس فيها ما يكن من المطر ولا منجاة من السيول . وقيل : ضاحية كل بلد خارجه .

(٣) وقوله عليه السلام ، اللهم حوالينا ، ولا علينا ، كقوله فى حديث آخر ، اللهم منابت الشجر وبطون الأودية ، وظهور الآكام ، فلم يقل ، اللهم ارفعه عنا ـ هو من حسن الأدب فى الدعاء . لأنها رحمة الله ، ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته ، وكشف رحمته ، وإنما يسأل سبحانه كشف البلاء ، والمزيد من النعماء ، ففيه تعليم كيفية الاستسقاء .

قال ابن هشام : وإنما سمى الأخنس ، لأنه خنس بالقوم يوم بدر ، وإنما اسمه أبيّ ، وهو من بنى علاج ، وهو علاج بن أبى سلمة بن عوف بن عقبة . والأسود بن عبد يغوث بن وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . وسُبيع بن خالد ، أخو بلحارث بن فهر . ونوفل بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصى ، وهو ابن العدوية . وكان من شياطين قريش ، وهو الذى قرن بين أبى بكر الصديق وطلحة بن عُبيد الله رضى الله عنهما فى حبل حين أسلما ، فبذلك كانا يسميان القرينين ، قتله على بن أبى طالب عليه السلام يوم بدر وأبو عمرو بن قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . وقوم علينا أظنة : بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فهؤلاء الذين عدد أبو طالب فى شعره من العرب .

انتشار ذكر الرسول عليه السلام فى غير مكة : فلما انتشر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العرب ، وبلغ البلدان ، ذكر بالمدينة ، ولم يكن حى من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر ، وقبل أن يذكر من هذا الحى من الأوس والخزرج ، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم فى بلادهم . فلما وقع ذكره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف ، قال أبو قيس بن الأسلت[1] أخو بنى واقف .

نسب ابن الأسلت : قال ابن هشام : نسب ابن إسحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بنى واقف ونسبه فى حديث الفيل إلى خطمة ، لأن العرب قد تنسب الرجل إلى أخى جده الذى هو أشهر منه .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة : أن الحكم بن عمرو الغفارى من ولد نُعيلة أخى غفار وهو غفار بن مُليل ، ونُعيلة بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة ، وقد قالوا عتبة بن غزوان السلمى ، وهو من ولد مازن بن منصور وسُليم بن منصور .

قال ابن هشام : فأبو قيس بن الأسلت : من بنى وائل : ووائل ، وواقف ، وخطمة إخوة من الأوس .

شعر ابن الأسلت فى الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : فقال أبو قيس بن الأسلت — وكان يحب قريشا ، وكان لهم صهراً ، كانت عنده أرنب بنت

---

(1) واسم الأسلت عامر ، والأسلت شديد فطس الأنف .

أسد بن عبد العُزّى بن قصى ، وكان يقيم عندهم السنين بامرأته — قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشا فيها عن الحرب ، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكّرهم بلاء الله عندهم ، ودفعه عنهم الفيل وكيده عنهم ، فقال :

يا راكباً إمّا عرضتَ فبلّغنْ مُغلغلةً عنى لؤىّ بنَ غالبِ(١)
رسولَ امرئٍ قد راعه ذاتُ بينِكم على النأي محزونٍ بذلك ناصِبِ(٢)
وقد كان عندى للهموم مُعرَّسٌ فلم أقضِ منها حاجتى ومآربى(٣)
نُبيّتُكم شرجين كلُّ قبيلةٍ لها أزمَلٌ من بينِ مُذكٍ وحاطِبِ(٤)
أعيذكم باللهِ من شرِّ صُنعِكم وشرِّ تباغيكم ودسِّ العقاربِ
وإظهارِ أخلاقٍ ونجوى سقيمة كوخزِ الأشافى وقعُها حقُّ صائِبِ(٥)
فذكّرهم باللهِ أولَ وهلةٍ وإحلالِ أحرامِ الظِّباءِ الشّوازبِ(٦)
وقل لهمُ واللهُ يحكمُ حُكمَهُ ذَروا الحربَ تذهبْ عنكمُ فى المراحِبِ(٧)
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً هى الغولُ للأقصَيْنَ أو للأقاربِ(٨)
تُقطِّعُ أرحاما وتُهلِكُ أُمةً وتَبرى السَّديفَ من سَنامٍ وغاربِ(٩)

---

(١) المغلغلة : الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها. يريد بها الرسالة (٢) الناصب : المعى

(٣) أصل المعرس : المكان الذى ينزل فيه المسافرون ليلا للاستراحة .

(٤) شرجين : فريقين مختلفين. والأزمل الصوت. والمذكى موقد النار ، والحاطب الذى يحطب لها ، ضرب مثلا لنار الحرب كما قال الشاعر :

أرى خَلل الرمادِ وميضَ نارٍ ويوشكُ أن يكونَ لها ضِرامُ
فإن النارَ بالعودَيْن تذكَى وإن الحربَ أولُها الكلامُ

(٥) الأشافى : المخارز . (٦) أحرام الظباء : التى يحرم صيدها فى الحرام ، والشوازب الضامرة البطن .

(٧) المراحب : الأماكن المتسعة . (٨) الغول : الهلاك .

(٩) تبرى : تقطع . السديف : لحم السنام . الغارب : أعلى الظهر .

وتستبدلوا بالأتحمية بعدها   شليلا وأصداء ثياب المحارب(١)
وبالمسك والكافور غبراً سوابغا   كأن قتيرها عيون الجنادب(٢)
فإياكم والحرب لاتعلقنكم   وحوضا وخيم الماء مر المشارب
تزين للأقوام ثم يرونها   بعاقبة إذ بينت ، أم صاحب(٣)
تحرق لاتشوى ضعيفا وتنتحى   ذوى العز منكم بالحتوف الصوائب(٤)
ألم تعلموا ماكان فى حرب داحس   فتعتبروا أو كان فى حرب حاطب
وكم قد أصابت من شريف مسود   طويل العماد ضيفه غير خائب
عظيم رماد النار يحمد أمره   وذى شيمة محض كريم المضارب(٥)
وماء هريق فى الضلال كأنما   أذاعت به ريح الصبا والجنائب
يخبركم عنها امرؤ حق عالم   بأيامها والعلم علم التجارب
فبيعوا الحراب بالمحارب واذكروا   حسابكم والله خير محاسب
ولى امرىء فاختار دينا فلا يكن   عليكم رقيبا غير رب الثواقب(٦)
أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتم   لنا غاية قد يهتدى بالذوائب(٧)
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة   تؤمون ، والأحلام غير عوازب(٨)
وأنتم ، إذا ماحصل الناس ، جوهر   لكم سرة البطحاء ثم الأرانب(٩)
تصونون أجساداً كراما عتيقة   مهذبة الأنساب غير أشائب(١٠)

---

(١) الأتحمية : ثياب فاخرة تصنع باليمن . والشليل : الدرع القصيرة ، والأصداء : الحديد ..

(٢) القتير : حلق الدرع .

(٣) بينت : اتضحت . وأم صاحب : أى عجوزا كأم صاحب لك إذ لايصحب الرجل عادة إلا من كان فى سنه .

(٤) لاتشوى : لاتخطىء . وتنتحى : تقصد .

(٥) المضارب : يقصد مضارب سيوفه . (٦) الثواقب : النجوم .

(٧) الذوائب : الأعالى . (٨) الأحلام : العقول ، والعوازب : البعيدة

(٩) السرة : العلو ، والقمم المرتفعة .

(١٠) الأشائب : المختلطة ، ويريد بغير الأشائب أن نسبهم خالص لاعيب فيه .

ترى طالبَ الحاجاتِ نحوَ بيوتِكم عصائبَ هلكى تهتدى بعصائبِ
لقد علِمَ الأقوامُ أن سراتَكم على كلِّ حالٍ خيرُ أهلِ الجباجبِ[1]
وأفضلُه رأيا وأعلاه سُنَّةً وأقولُه للحقِّ وسْطَ المواكبِ
فقوموا فصلُّوا ربَّكم وتمسَّحوا بأركانِ هذا البيتِ بينَ الأخاشبِ[2]
فعندكُمُ منه بلاءٌ ومَصْدَقٌ غداةَ أبى يكسومَ هادى الكتائبِ
كتيبتُه بالسهلِ تمشى ورَجْلُه على القاذفاتِ فى رءوسِ المناقبِ[3]
فلما أتاكمْ نصرُ ذى العرشِ ردَّهمْ جنودُ المليكِ بينَ سافٍ وحاصبِ[4]
فولَّوْا سِراعا هاربينَ ولم يؤُبْ إلى أهلِه ملْحُبْشِ غيرُ عصائبِ
فإن تهلِكوا نهلِكْ وتهلِكْ مواسمٌ يُعاشُ بها، قولُ امرئٍ غيرِ كاذبِ

قال ابن هشام: أنشدنى بيته: «وماء هريق»، وبيته: «فبيعوا الحراب»، وقوله: «... على أمره المختار»، وقوله:

على القاذفات فى رءوس المناقب

أبو زيد الأنصارى وغيره.

حرب داحس والغبراء: قال ابن هشام: وأما قوله:

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس

فحدثنى أبو عبيدة النحوى: أن داحسا فرس كان لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، يقال لها: الغبراء. فدسَّ حذيفة قوما وأمرهم أن يضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقا، فجاء داحس سابقا فضربوا وجهه، وجاءت

---

(1) الجباجب: المنازل فى منى. (2) الأخاشب: جبال مكة.
(3) القاذفات: أعالى الجبال. والمناقب: الطرق التى فيها.
(4) الساف: الذى يثير التراب، والحاصب: الذى يثير الحصباء.

الغبراء . فلما جاء قرس داحس أخبر قيسا الخبر ، فوثب أخوه مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حَمَل بن بدر فلطم مالكا . ثم إن أبا الجُنَيْدِب العَبْسى لقى عوف بن حذيفة فقتله ، ثم لقى رجل من بنى فزارة مالكا فقتله ، فقال حَمَل بن بدر أخو حذيفة بن بدر :

قتلنا بعوفٍ مالكا وهو ثأرنا فإن تطلبوا منا سوى الحقِّ تندموا

وهذا البيت فى أبيات له . وقال الربيع بن زياد العبْسى :

أفبعدَ مقتلِ مالكِ بن زُهَــيرٍ ترجو النساءُ عواقبَ الأطهارِ

وهذا البيت فى قصيدة له .

فوقعت الحرب بين عَبْس وفزارة ، فقُتل حذيفة بن بدر وأخوه حَمَل بن بدر ، فقال قيس بن زهير بن جَذِيمة يرثى حذيفة ، ويجزع عليه :

كم فارسٍ يُدعَى وليس بفارسٍ وعلى الهباءةِ فارسٌ ذو مَصدَقِ (١)
فابكوا حــذيفةَ لن تُرَثّوا مثلَه حتى تبيــدَ قبائلٌ لم تُخلَقِ

وهذان البيتان فى أبيات له . وقال قيس بن زهير :

على أن الفتى حَمَــلَ بن بدرٍ بغى والظلــمُ مرتعُه وخيمُ

وهذا البيت فى أبيات له . وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير :

تركتُ على الهباءةِ غــيرَ فخرٍ حــذيفةَ عنده قِصَدُ العوالى (٢)

وهذا البيت فى أبيات له :

قال ابن هشام : ويقال : أرسل قيس داحسا والغبراء ، وأرسل حذيفة الخطّار والحنفاء ، والاول أصح الحديثين . وهو حديث طويل منعنى من استقصائه قطْعُه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حرب حاطب : قال ابن هشام : وأما قوله : « حرب حاطب » ، فيعنى حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشَة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوْف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهوديا جاراً للخزرج ، فخرج إليه يزيد بن الحارث ابن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج —

(١) الهباءة : مكان فى بلاد غطفان (٢) القصد : القطع المتكسرة والعوالى : الرماح .

، وهو الذى يقال له : ابن فسحم ، وفسحم أمه ، وهى امرأة من القين بن جسر — ليلا فى نفر من بنى الحارث بن الخزرج فقتلوه ، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكان الظفر للخزرج على الأوس ، وقتل يومئذ سويد بن صامت بن خالد بن عطية ابن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، قتله المجذر بن ذياد البلوى ، واسمه عبد الله ، حليف بنى عوف بن الخزرج . فلما كان يوم أحد خرج المجذر بن ذياد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج معه الحارث بن سويد بن صامت ، فوجد الحارث ابن سويد غرة من المجذر فقتله بأبيه . وسأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله تعالى . ثم كانت بينهم حروب منعنى من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت فى حديث حرب داحس .

شعر حكيم بن أمية فى نهى قومه عن عداوة الرسول : قال ابن إسحاق : وقال حكيم ابن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمى ، حليف بنى أمية وقد أسلم ، يورّع(١) قومه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفا مطاعا :

هل قائلٌ قولا من الحقّ قاعدٌ عليه وهل غضبانُ للرشدِ سامعُ
وهل سيــدٌ ترجو العشيرةُ نفعَه لأقصَى الموالى والأقاربِ جامعُ
تبرأتُ إلا وجهَ من يملكُ الصَّبا وأهجركم ما دامَ مدلٍ ونازعُ(٢)
وأُســلم وجهى للإلهِ ومنطقى ولو راعنى من الصَّديقِ روائعُ

ذكر مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

سفهاء قريش يؤذونه : قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم : سفهاءهم ، فكذبوه وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفى به ، مبادٍ لهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم .

---

(١) يورع : يصرف .
(٢) المدل : المرسل الدلو فى البئر ، والنازع : الجاذب لها .

أشد ما أوذى به الرسول (ص) : قال ابن إسحاق : لحدثنى يحي بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟ قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحِجْر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا : فبينا هم فى ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول . قال : فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : أتسمعون يامعشر قريش ، أما والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح [١] . قال : فأخذت القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وَصاة قبل ذلك لَيَرْفَؤُه [٢] بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا . قال: فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحِجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه . فبينماهم فى ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عَيْب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم : أنا الذى أقول ذلك . قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه . قال : فقام : أبو بكر رضى الله عنه دونه ، وهو يبكى ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربىَ الله؟ ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط .

قال ابن إسحاق ، وحدثنى بعض آل أم كلثوم بنت أبى بكر ، أنها قالت : رجع أبو بكر يومئذ وقد صَدّعوا فرق رأسه ، مما جبذوه بلحيته وكان رجلا كثير الشعر .

---

(١) يعرض صلى الله عليه وسلم بهلاكهم .   (٢) رفأه : هدأه .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حر ولا عبد ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه : « يا أيها المدثر ، قم فأنذر » .(١)

إسلام حمزة رضي الله عنه

سبب إسلامه : قال ابن اسحاق : حدثني رجل من أسلم ، كان واعية : أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا ، فآذاه ، وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ؛ فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاةٌ لعبد الله بن جُدعان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادٍ(٢) من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه ، راجعا من قنص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز فتى في قريش ، وأشد شكيمة . فلما مر بالمولاة ، وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، قالت له : يا أبا عُمارة ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام : وجده هاهنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يقف على أحد ، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به ؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ، ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه أقول مايقول؟ فرُدَّ ذلك علي إن استطعت . فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا

---

(١) قال السهيلي في الروض : في تسميته إياه بالمدثر : في هذا المقام ملاطفة وتأنيس ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو فيها : كقوله عليه السلام لحذيفة : قم يانومان ، وقوله لعلي بن أبي طالب — وقد ترب جنبه : قم أبا تراب .

(٢) أي أهل نادٍ .

أبا جهل ؛ فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمارة ، فإني والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا ، وتم حمزة رضى الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله . فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول

صلى الله عليه وسلم

قال ابن اسحاق : وحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : حُدِّثتُ أن عُتْبة بن ربيعة ، وكان سيداً ، قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده : يامعشر قريش ، إلا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ؛ فقالوا : بلَى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه ؛ فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يابن أخى ، إنك منا حيث قد علمت من السِّطَة[1] فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد ، أسمعْ ، قال : يابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به مُلكا ملكناك علينا ؛ وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيا[2] تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوَى منه أو كما قال له حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه ، قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ؛ قال : فاسمع منى ؛ قال : أفعل ؛ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم . حمٓ . تنزيلٌ من الرحمن الرحيم . كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً ، فأعرضَ أكثرُهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبُنا فى أكِنَّة مما تدعونا إليه ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عُتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ؛ ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنتَ وذاك .

---

(١) السطة : الشرف .　　(٢) الرئى : ما يظهر للناس من الجن

رأى عتبة : فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ماوراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يامعشر قريش ، أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ؛ قالوا : سحرك والله ياأبا الوليد بلسانه ؛ قال : هذا رأيى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

قريش تفتن المسلمين :قال ابن اسحاق : ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة ، كما حدثنى بعض أهل العلم عن سعيد بن جُبَيْر ، وعن عِكْرِمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال :

زعماء قريش تفاوض الرسول (ص) اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، أخو بنى عبد الدار ، وأبو البَخْتَرِى بن هشام : والأسود بن المطلب بن أسد ، وزَمَعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية ، والعاص بن وائل ، ونُبَيه ومُنَبِّه ابنا الحجاج السهميان ، وأمية بن خلف ، أو من اجتمع منهم . قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظَهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فأتهم ؛ فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس إليهم ؛ فقالوا له : يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك — أو كما قالوا له — فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسوّدك علينا ، وإن كنت تريد به مُلكا ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيا تراه قد غلب عليك — وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا — فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نُبرئك منه ، أو نُعذر فيك ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : مابى ما تقولون ، ماجئتُ بما جئتكم به أطلب

أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم . قالوا : يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً ، ولا أقل ماء ، ولا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليسيّر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصَى بن كلاب ، فإنه كان شيخ صِدْق ، فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه : ما بهذا بُعثت إليكم من الله ، إنما جئتكم من الله بما بعثني به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله تعالى ، حتى يحكم الله بيني وبينكم : قالوا : فإذ لم تفعل هذا لنا ، فخذ لنفسك ، سل ربك بأن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك وسَلْه فليجعل لك جنانا وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بُعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً — أو كما قال — فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . قالوا : فأسقط السماء علينا كِسَفاً كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل ؛ قالوا : يا محمد ، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم فيعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا ، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك ، أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهي بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو ابن عمته ، هو لعاتكة بنت عبد المطلب — فقال له : يا محمد ، عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ، ومنزلتك من الله ، فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل — أو كما قال له — فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلما ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وايم الله ، لو فعلت ذلك ماظننت أنى أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا آسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه .

أبو جهل يتوعد الرسول (ص) فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وشتم آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله — أو كما قال — فإذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه ، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . قالوا : والله لا نسلمك لشىء أبداً ، فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل ، أخذ حجرا كما وصف ، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره ، وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقبلته إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليمانى والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش ، فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ، ولا مثل قَصَرَته(١) ولا أنيابه لفحل قط ، فهمّ بى أن يأكلنى .

قال ابن إسحاق : فذُكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ذلك جبريل عليه السلام ، لو دنا لأخذه .

---

(١) قصرته : أصل عنقه .

النضر بن الحارث ينصح قريشا : فلما قال لهم ذلك أبو جهل ، قام النضرُ بن الحارث ابن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي .

قال هشام : ويقال النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : فقال : يا معشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعدُ ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ، ولا وسوسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش ، فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم .

أذى النضر للرسول (ص) وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رستم واسبنديار ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكّر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش ، أحسن حديثا منه ، فهلم إليّ ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا مني ؟

قال ابن هشام : وهو الذي قال فيما بلغني : سأنزل مثل ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول ، فيما بلغني : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قول الله عز وجل : « إذا تُتلى عليه آياتُنا قال أساطيرُ الأولين » . وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن .

قريش تسأل أحبار اليهود في شأنه عليه الصلاة والسلام : فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه ، وبعثوا معه عقبة بن أبي مُعَيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سَلاهُم عن محمد ، وصِفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس

عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفا لهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ؛ فقالت لهما أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ؛ فإنه قد كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه ، فإنه نبي ، وإن لم يفعل ، فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره مابدا لكم . فأقبل النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي حتى قدما مكة على قريش ، فقالا : يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فرُوا فيه رأيكم .

قريش تسأل والرسول يجيب : فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب ، وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هي ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبركم بما سألتم عنه غداً ، ولم يستثن، فانصرفوا عنه . فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة ، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة : ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف والروح .

الرد على قريش فيما سألوه : قال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبست عني يا جبريل حتى سُؤْت ظنا ؛ فقال له جبريل : « وما نَتَنَزَّلُ إلا بأمرِ ربِّك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان رَبُّك نَسِيّاً » . فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله ، لما أنكروه عليه من ذلك ، فقال : « الحمدُ لله الذى أنزل على عبده الكتاب » يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، إنك رسول مني : أي تحقيق لما سألوه عنه من نبوتك . « ولم يجعلْ له عِوَجاً قَيِّماً » : أي معتدلا ، لا اختلاف

(١) لم يقل إن شاء الله .

فيه . «لِيُنذِرَ بأساً شديداً من لدنه» : أى عاجل عقوبته فى الدنيا . وعذاباً أليماً فى الآخرة : أى من عند ربك الذى بعث رسولا . «ويبشرَ المؤمنين الذين يعملون الصالحاتِ أن لهم أجراً حسناً ، ماكثين فيه أبداً» أى دار الخلد . لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم : وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال . «ويُنذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً» يعنى قريشاً فى قولهم : إنا نعبد الملائكة : وهى بنات الله . «ما لهم به من علمٍ ولا لآبائهم» الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم . «كبُرَتْ كلمةً تخرجُ من أفواههم» : أى لقولهم : إن الملائكة بنات الله «إن يقولونَ إلا كذبا . فلعلك باخِعٌ نفسَك» يا محمد «على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديثِ أسفا» : أى لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى لا تفعل .

قال ابن هشام : باخع نفسك : أى مهلك نفسك : فيما حدثنى أبو عبيدة . قال ذو الرمة :

ألا أيُّهذا الباخِعُ الوجدِ نفسَه لشيءٍ نحتْه عن يديهِ المقادِرُ

وجمعه : باخعون وبخعة . وهذا البيت فى قصيدة له . وتقول العرب : قد بخعت له نصحى ونفسى : أى جهدت له . «إنا جعلنا ما على الأرضِ زينةً لها لنبلوَهُم أيُّهم أحسنُ عملا» .

قال ابن إسحاق : أى أيهم أتبع لأمرى ، وأعمل بطاعتى . «وإنا لجاعلونَ ما عليها صعيداً جُرُزا» : أى الأرض ، وإن ما عليها لفانٍ وزائل ، وإن المرجع إلىّ ، فأجزى كلا بعمله ، فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها .

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه : صعد . قال ذو الرمة يصف ظبيا صغيراً :

كأنه بالضحى ترمى الصعيدَ به دبابةٌ فى عظامِ الرأسِ خُرطومُ(١)

وهذا البيت فى قصيدة له . والصعيد : الطريق . وقد جاء فى الحديث : إياكم والقعود على الصعدات ، يريد الطرق . والجُرُز : الأرض التى لا تنبت شيئاً ، وجمعها : أجراز . ويقال سَنة جُرُز ، وسنون أجراز ، وهى التى لا يكون فيها مطر ، وتكون فيها جدوبة ويبس وشده قال ذو الرمة يصف إبلا :

طوَى النحْزُ والأجْرازُ ما فى بطونِها فما بَقِيَتْ إلا الضلوعُ الجراشِعُ(٢)

(١) الدبابة والخرطوم : الخمر . (٢) الجراشع : المنتفخة

وهذا البيت فى قصيدة له .

أهل الكهف : قال ابن إسحاق : ثم استقبل قصة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية ، فقال : « أم حسبت أن أصحاب الكهفِ والرقيمِ كانوا من آياتنا عجبا » : أى قد كان من آياتى فيما وضعت على العباد من حججى ما هو أعجب من ذلك .

قال ابن هشام : والرقيم : الكتاب الذى رقم فيه بخبرهم ، وجمعه : رُقُم . قال العجاج :

ومُسْتَقَرِّ المصحفِ المرقَّمِ

وهذا البيت فى أرجوزة له :

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « إذ أوَى الفتيةُ إلى الكهفِ فقالوا ربَّنا آتِنا من لَدُنْكَ رحمةً وهَيِّئْ لنا من أمرِنا رَشَدا . فضربْنا على آذانِهم فى الكهفِ سنين عددا . ثم بعثناهم لنعلمَ أىُّ الحزبين أحصَى لما لَبِثوا أمدا » . ثم قال تعالى : « نحنُ نقصُّ عليك نبأَهم بالحقِّ » : أى بصدق الخبر عنهم « إنهم فتيةٌ آمنوا بربِّهم وزدناهم هُدًى ، وربطْنا على قلوبِهم إذ قاموا فقالوا ربُّنا ربُّ السمواتِ والأرضِ لن ندعوَ من دونِه إلها ، لقد قلنا إذاً شَطَطا » : أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم .

قال ابن هشام : والشطط : الغلو ومجاوزة الحق . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

لا ينتهونَ ولا ينهَى ذَوِى شَطَطٍ كالطعنِ يذهبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

« هؤلاءِ قومُنا اتخذوا من دونِه آلهةً لولا يأتونَ عليهم بسلطانٍ بيِّنٍ » .

قال ابن إسحاق : أى بحجة بالغة .

« فمَنْ أظلمُ ممن افترَى على اللهِ كَذِبا . وإذ اعتزلتُموهم وما يعبدون إلا اللهَ فأْوُوا إلى الكهفِ ينشرْ لكم ربُّكم من رحمتِه ، ويهيِّئْ لكم من أمرِكم مِرفقا . وترى الشمسَ إذا طلعت تَزَاوَرُ عن كهفِهم ذاتَ اليمينِ ، وإذا غربت تقرِضُهم ذاتَ الشِّمالِ ، وهم فى فجوةٍ منه » .

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزور . وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

وإنى زعيمٌ إن رجعتُ مُمَلَّكا   بسـيرٍ ترى منه الفُرانِقَ أزْوَرا

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو الزحف الكلبى يصف بلداً .

جأْبُ المنـدَّى عن هَوانا أزْوَرُ   يُنْضِى المطايا خِمْسُه العَشَنْزَرُ[1]

وهذان البيتان[2] فى أرجوزة له . و « تقرضهم ذات الشمال » : تجاوزهم وتتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أقوازَ مُشرِفٍ   شمالا وعن أيمانهن الفوارسُ[3]

وهذا البيت فى قصيدة . له والفجوة : السعة ، وجمعها : الفِجاء . قال الشاعر :

ألبستَ قومَك مَخْزاةً ومَنقصةً   حتى أُبيحوا وخَلَّوْا فجوةَ الدارِ

« ذلك من آياتِ الله » أى فى الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم فى صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم : « من يهدِ اللهُ فهو المهتدِ ، ومن يُضلِلْ فلن تجد له وليًا مُرشِداً . وتحسبُهم أيقاظاً وهم رقودٌ ، ونقلبُهم ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ ، وكلبُهم باسطٌ ذراعيه بالوصيدِ » .

قال ابن هشام : الوصيد . الباب : قال العبسى ، واسمه عبيد بن وهب :

بأرض فَلاةٍ لايُسَدُّ وَصِيدُها   علىَّ ومعروفى بها غيرُ مُنْكَرِ

وهذا البيت فى أبيات له . والوصيد (أيضاً) الفناء ، وجمعه : وصائد، ووُصُد ، ووُصْدان وأُصُد ، وأُصْدان .

---

(١) الجأب الغليظ ، وينضى يهزل ، والعشنزر المتين الخلق .
(٢) اعتبر الشطرتين بيتين من مشطور الرجز .
(٣) الأقواز ما استدار من الرمل .

« لو اطّلعت عليهم لولّيت منهم فِراراً ، ولمُلئت منهم رُعبا » . إلى قوله : « قال الذين غلبوا على أمرهم » أهل السلطان والملك منهم : « لنتخذنّ عليهم مسجدا ، سيقولون » يعنى أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم : « ثلاثةٌ رابعُهم كلبُهم ، ويقولون خمسةٌ سادسُهم كلبُهم ، رَجْما بالغيب » : أى لا علم لهم . « ويقولون سبعةٌ وثامنُهم كلبُهم ، قل ربى أعلم بعدّتهم ما يعلمهم إلا قليلٌ ، فلا تُمارِ فيهم إلا مِراءً ظاهراً » : أى لا تكابرهم . « ولا تستفتِ فيهم منهم أحداً » فإنهم لا علم لهم بهم . « ولا تقولنّ لشىءٍ إنى فاعلٌ ذلك غـــداً إلا أن يشاءَ اللهُ ، واذكرْ ربّكَ إذا نسيتَ ، وقل عسى أن يهدينِ ربى لأقربَ من هذا رشداً » : أى ولا تقولن لشىء سألوك عنه كما قلت فى هذا : إنى مخبركم غداً . واستثن مشيئة الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربى لخير مما سألتمونى عنه رشداً فإنك لا تدرى ما أنا صانع فى ذلك . « ولبثوا فى كهفهم ثلاثَ مئةٍ سنينَ وازدادوا تِسْعا » : أى سيقولون ذلك . « قل اللهُ أعلم بما لبثوا ، له غيبُ السمواتِ والأرضِ أبصرْ به وأسمِعْ ما لهم من دونِه من وَلِىٍّ ، ولا يُشركُ فى حكمِه أحداً » أى لم يخف عليه شىء مما سألوك عنه .

ذو القرنين : وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطوّاف : « ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذِكرا . إنا مكّنّا له فى الأرضِ وآتيناه من كلِّ شىءٍ سبباً » حتى انتهى إلى آخر قصة خبره .

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى مالم يُؤتَ أحد غيره ، فمدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يطأ أرضا إلا سُلط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شىء من الخلق .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه : أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر ، اسمه مَرْزُبان بن مرذبة اليونانى ، من ولد يونان بن يافث ابن نوح .

قال ابن هشام : واسمه الإسكندر ، وهو الذى بنى الإسكندرية فنُسبت إليه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى ثَوْر بن يزيد عن خالد بن مَعْدان الكَلاعى ، وكان رجلا قد أدرك : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن ذى القرنين فقال : ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب .

وقال خالد : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول : يا ذا القرنين ، فقال عمر : اللهم غفراً ، وأما رضيتم أن تسمّوا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكة .

قال ابن إسحاق : الله أعلم أى ذلك كان ، أقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم لا ؟ فإن كان قاله ، فالحق ما قال .

أمر الروح : وقال تعالى فيما سألوه عنه من الروح : « ويسألونك عن الرُّوحِ ، قل الروحُ من أمرِ ربى ، وما أوتيتم من العلمِ إلا قليلا » .

ما أوتيتم من العلم إلا قليلا : قال ابن إسحاق : وحُدثت عن ابن عباس ، أنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، قالت أحبار يهود : يا محمد ، أرأيت قولك : « وما أُوتيتم من العلم إلا قليلا » إيانا تريد ، أم قومك ؟ قال . كلاًّ ؛ قالوا : فإنك تتلو فيما جاءك : أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شىء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها فى علم الله قليل ، وعندكم فى ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه . قال : فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك « ولو أن ما فى الأرضِ من شجرةٍ أقلامٌ ، والبحرُ يمده من بعده سبعةُ أبحرٍ ما نفِدت كلماتُ الله إن الله عزيزٌ حكيمٌ » : أى أن التوراة فى هذا من علم الله قليل .

تسيير الجبال وبعث الموتى : قال وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال ، وتقطيع الأرض ، وبعث من مضى من آبائهم من الموتى : « ولو أن قرآناً سُيّرَتْ به الجبالُ ، أو قُطِّعَتْ به الأرضُ ، أو كُلِّم به الموتى ، بل للهِ الأمرُ جميعاً » : أى لا أصنع من ذلك إلا ما شئت .

خذ لنفسك : وأنزل عليه فى قولهم : خذ لنفسك ، ما سألوه أن يأخذ لنفسه ، أن يجعل له جنانا وقصوراً وكنوزاً ، ويبعث معه مَلَكا يصدقه بما يقول ، ويرد عنه : « وقالوا مالِ هذا الرسولِ يأكلُ الطعامَ ، ويمشى فى الأسواقِ لولا أُنزلَ إليه مَلَكٌ فيكون معه نذيراً ، أو يُلقى إليه كنزٌ ، أو تكونَ له جنةٌ يأكلُ منها ، وقال الظالمون إن تتبعونَ إلا رجلا مسحوراً . انظرْ كيف ضربوا لك الأمثالَ فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ، تباركَ الذى إن شاء جعلَ لك خيراً من ذلك » : أى من أن تمشى فى الأسواق وتلتمس المعاش « جناتٍ تجرى من تحتها الأنهارُ ويجعلْ لك قُصوراً » .

وأنزل عليه فى ذلك من قولهم « وما أرسلنا قبلَك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعامَ ، ويمشونَ فى الأسواقِ ، وجعلنا بعضَكم لبعضٍ فتنةً ، أتصبرون وكان ربُّك بصيراً » — أى جعلت بعضكم لبعض بلاءلتصبروا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يُخالَفوا لفعلتُ

القرآن يرد على ابن أبي أمية . وأنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبي أمية : « وقالوا لن نؤمنَ لك حتى تَفجُرَ لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنةٌ من نخيلٍ وعنبٍ فتفجِّرَ الأنهارَ خِلالَها تفجيراً . أو تُسْقِطَ السماءَ كما زَعَمْتَ علينا كِسَفا ، أو تأتِيَ باللهِ والملائكةِ قَبِيلا . أو يكونَ لك بيتٌ من زخرفٍ أو ترقَى في السماءِ ، ولن نُؤمنَ لرُقِيِّك حتى تنزِّلَ علينا كتابا نقرؤُه ، قل سبحانَ ربي هل كنتُ إلا بَشَراً رسولا » .

قال ابن هشام : الينبوع : ما نبع من الماء من الأرض وغيرها ، وجمعه ينابيع . قال ابن هَرْمة ، واسمه إبراهيم بن علي الفهري :

وإذا هَرقتَ بكلِّ دارٍ عَبرةً   نُزِفَ الشئونُ ودمعُك الينبوعُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له . والكِسَف : القِطَع من العذاب ، وواحدته : كِسْفَة ، مثل سِدْرَة وسِدَر . وهي أيضاً : واحدة الكِسْف . والقبيل : يكون مقابلة ومعاينة ، وهو كقوله تعالى : « أو يأتيَهم العذابُ قُبُلا » : أي عيانا . وأنشدني أبو عبيدة لأعشى بني قيس بن ثعلبة :

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها   كصرخة حُبْلَى يسَّرتها قبيلُها

يعني القابلة ، لأنها تقابلها وتقبل ولدها . وهذا البيت في قصيدة له . ويقال : القبيل جمعه قُبُل ، وهي الجماعات ، وفي كتاب الله تعالى : « وحشرنا عليهم كلَّ شيءٍ قُبُلا » ، فقُبُل : جمع قبيل مثل سُبُل : جمع سبيل ، وسُرُر : جمع سرير ، وقُمُص : جمع قميص . والقبيل أيضاً : في مثلٍ من الأمثال ، وهو قولهم : ما يعرف قبيلا من دَبير : أي لا يعرف ما أقبل مما أدبر ، قال الكُمَيْت ابن زيد :

تفرقتِ الأمورُ بوجْهَتِهِمْ   فما عرفوا الدَّبِيرَ من القَبِيلِ

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا القبيل : الفَتْل ، فما فُتِل إلى الذراع فهو القبيل ، وما فتل إلى أطراف الأصابع فهو الدبير ، وهو من الإقبال والإدبار الذي ذكرت . ويقال : فتل المغزل . فإذا فتل المغزل إلى الركبة فهو القبيل ، وإذا فتل إلى الورك فهو

---

(1) الشئون : مجارى الدمع .

الدبر . والقبيل أيضاً : قوم الرجل . والزخرف : الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب . قال العجاج :

من طَلَلٍ أمسَى تخـالُ المُصْحَفا رسـومَه والمُذهَبَ المزخرفا

وهذان البيتان فى أرجوزة له ، ويقال أيضاً لكل مزين : مزخرف .

نفى القرآن أن رجلا من اليمامة يعلمه : قال ابن إسحاق : وأنزل عليه فى قولهم : إنا قد بلغنا أنك إنما يعلمك رجل باليمامة ، يقال له الرحمن ، ولن نؤمن به أبداً : «كذلك أرسلناك فى أمةٍ قد خلتْ من قبلها أممٌ لتتلوَ عليهم الذى أوحينا إليكَ وهم يكفُرون بالرحمنِ ، قل هو ربى لا إله إلا هوَ عليه توكلتُ ، وإليه متابِ» .

ما نزل فى أبى جهل : وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام ، وما همّ به «أرأيتَ الذى ينهَى عبداً إذا صلى ، أرأيتَ إن كان على الهدَى أو أمر بالتقوَى ، أرأيتَ إن كذبَ وتولّى ، ألم يعلمْ بأن الله يرَى ، كلا لئن لم ينتهِ لنسفعاً بالناصيةِ ، ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئةٍ ، فليدعُ ناديَه ، سندعُ الزبانيةَ ، كلا لاتطعه واسجدْ واقتربْ» .

قال ابن هشام : لنسفعا : لنجذبن ولنأخذن . قال الشاعر :

قوم إذا سمعوا الصراخَ رأيتَهم من بين مُلجِمِ مهرِه أو سافعِ

والنادى : المجلس الذى يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورَهم ، وفى كتاب الله تعالى : «وتأتونَ فى ناديكم المنكرَ» ، وهو النَّدِىُّ . قال عبيد بن الأبرص :

اذهبْ إليكَ فإنى من بنى أسدٍ أهلِ النَّدِىِّ وأهلِ الجود والنادِى

وفى كتاب الله تعالى : «وأحسن نديّاً» ، وجمعه : أندية . فليدع أهل ناديه . كما قال تعالى : «واسئل القرية» ، يريد أهل القرية . قال سَلامة بن جَندل ، أحد بنى سعد بن زيد مَناة بن تميم :

يَومانِ يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداءِ تأويبِ[1]

---

(١) التأويب : السير كل النهار .

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الكميت بن زيد :

لا مهاذير فى الندىّ مكاثيـ ـر ولا مُصْمِتين بالإفحامِ

وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال النادى : الجلساء . والزبانية : الغلاظ الشداد ، وهم فى هذا الموضع حزنة النار . والزبانية أيضاً فى الدنيا أعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه والواحد : زِبْنِيَة . قال ابن الزِّبَعْرَى فى ذلك :

مطاعيمُ فى المَقْرَى مطاعينُ فى الوغَى زبانيةٌ غُلْبٌ عِظامٌ حلومُها

يقول : شداد . وهذا البيت فى أبيات له . وقال صخر بن عبد الله الهُذَلى ، وهو صخر الغَىّ :

ومن كبيرٍ نفرٌ زبانيةْ

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم : « قل ما سألتُكم مِن أجرٍ فهوَ لكم ، إن أجْرِىَ إلا عَلى اللهِ ، وهو عَلَى كلِّ شىءٍ شَهيدٌ » .

استكبار قريش عن الإيمان بالرسول (ص) فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حدّث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه : فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ، ولجّوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم « لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه لعلكم تغلبون ، أى اجعلوه لغوا وباطلا ، واتخذوه هُزُواً لعلكم تغلبونه بذلك . فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم .

فقال أبو جهل يوما يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق : يا معشر قريش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم أكثر الناس عدداً ، وكثرة ، أفيعجز كل مئة رجل منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قوله : « وما جعلنا أصحابَ النارِ إلا ملائكةً ، وما جعلنا عدتَهم إلا فتنةً للذين كفروا » إلى آخر القصة ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض ، جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالقرآن وهو يصلى ، يتفرقون عنه ، ويأبَوْن أن يستمعوا له ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلى ، استرق السمعَ دونهم فَرَقاً منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خَشْيةَ أذاهم فلم يستمع ، وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ظن الذى يستمع أنهم لايستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه .

قال ابن إسحاق : حدثنى داود بن الحصين ، مولى عمرو بن عثمان ، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم : إنما أنزلت هذه الآية : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » ، من أجل أولئك النفر يقول : لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ، ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فينتفع به .

أول من جهر بالقرآن

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لها به قط ، فمن رجلٌ يُسْمِعُهُمُوه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ؛ قال : دعونى فإن الله سيمنعنى . قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى ، وقريش فى أنديتها ، حتى قام عند المقام ثم قرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم » رافعا بها صوته « الرحمن علّم القرآن » . قال : ثم استقبلها يقرؤها . قال : فتأملوه فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثّروا فى وجهه ، فقالوا له : هذا الذى خشينا عليك ؛ فقال : ما كان أعداء الله أهون علىّ منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها غداً ؛ قالوا لا ، حسبك ، قد أسمعتهم ما يكرهون .

قصة استماع قريش إلى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى أنه حُدّث : أن أبا سفيان

ابن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ، حليف بنى زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى من الليل فى بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا .

الأخنس يستفهم عما سمعه : فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته ، فقال : أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها ؛ قال الأخنس : وأنا والذى حلفت به .

، قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان ، قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء ؛ فمتى ندرك مثل هذه ، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه قال : فقام عنه الأخنس وتركه

تعنت قريش عند سماعهم القرآن وما نزل فيهم : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله : قالوا يهزءون به : « قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه ، لا نفقه ما تقول « وفى آذاننا وقر » لا نسمع ما تقول « ومن بيننا وبينك حجاب » قد حال بيننا وبينك « فاعمل » بما أنت عليه « إننا عاملون » بما نحن عليه ، إنا لا نفقه عنك شيئا ، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قولهم : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً » . . . إلى قوله « وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً » : أى كيف فهموا توحيدك ربك إن كنت جعلت على قلوبهم أكنة ، وفى

آذانهم وقراً ، وبينك وبينهم حجابا بزعمهم ؛ أى إنى لم أفعل ذلك . « نحن أعلم بما يستمعونَ إليك ، وإذ هم نجوى ، إذ يقولُ الظالمونَ إن تتبعونَ إلا رجلاً مسحوراً » : أى ذلك ما تواصَوْا به من ترك ما بعثتك به إليهم . « انظرْ كيف ضربوا لك الأمثالَ فضلُّوا فلا يستطيعونَ سبيلا » ؛ أى أخطئوا المثل الذى ضربوا لك ، فلا يصيبون به هدى ، ولا يعتدل لهم فيه قول « وقالوا أإذا كُنا عِظاما ورُفاتا أئنا لمبعُوثونَ خَلْقا جديداً » : أى قد جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عِظاما ورُفاتا ، وذلك مالا يكون . « قلْ كونوا حجارةً أو حديداً ، أو خلقاً مما يكبُرُ فى صدورِكم فسيقولون من يُعيدُنا ، قل الذى فطرَكم أولَ مرةٍ » : أى الذى خلقكم مما تعرفون ، فليس خلقكم من تراب بأعز من ذلك عليه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : سألته عن قول الله تعالى : « أو خلقا مما يكبُرُ فى صدورِكم » ما الذى أراد به الله ؟ فقال : الموت .

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عَدَوْا على من أسلم ، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يُفتن من شدة البلاء الذى يصيبه ، ومنهم من يَصْلُب لهم ، ويعصمه الله منهم .

ما لقيه بلال وتخليص أبى بكر له : وكان بلال ، مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، لبعض بنى جُمَح ، مُوَلَّدا من مولديهم ، وهو بلال بن رَبَاح ، وكان اسم أمه حَمامة ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن وهب بن حذافة بن جُمَح يُخرجه إذا حميت الظهيرة ، فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللاتَ والعزَّى ؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء : أَحدٌ أَحد .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان ورقة بن نَوْفل يمر به وهو يُعذب بذلك ، وهو يقول : أَحد أَحد ؛ فيقول : أَحد أَحد والله يا بلال ، ثم يُقبل على أمية ابن خلف ، ومن يصنع ذلك به من بنى جُمَح ، فيقول أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا

لأتخذنه حنانا (١) ، حتى مر به أبو بكر الصديق ابن أبي قحافة رضى الله عنه يوما ، وهم يصنعون ذلك به ، وكانت دار أبي بكر فى بنى جُمَح ، فقال لأمية بن خلف : ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ حتى متى ؟! قال : أنت الذى أفسدته فأنقذه مما ترى ؛ فقال أبو بكر : أفعل ، عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى ، على دينك ، أُعطيكه به ؛ قال : قد قبلت فقال : هو لك . فأعطاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه غلامه ذلك ، وأخذه فأعتقه .

من أعتقهم أبو بكر : ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب ، بلال سابعهم . عامر بن فُهَيرة ، شهد بدراً وأحداً ، وقتل يوم بئر معونة شهيداً ؛ وأم عُبَيس وزِنِّيرة ، وأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ؛ فقالت : كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان ، فرد الله بصرها .

وأعتق النَّهْدية وبنتها ، وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار ، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها ، وهى تقول : والله لا أعتقهما أبداً ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : حِل (٢) يا أم فلان ؛ فقالت : حل ، أنت أفسدتهما فأعتقهما ؛ قال : فبكم هما ؟ قالت بكذا وكذا ؛ قال : قد أخذتهما وهما حُرتان ، أرجعا إليها طحينها ، قالتا : أونفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها ؟ قال : وذلك إن شئتما .

ومر بجارية بنى مُؤَمّل ، حى من بنى كعب ، وكانت مسلمة ، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها ، حتى إذا مل قال : إنى أعتذر إليك ، إنى لم أتركك إلا ملالة ؛ فتقول : كذلك فعل الله بك . فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

أبو قحافة يلوم أبا بكر : قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن بعض أهله ، قال :

قال أبو قحافة لأبى بكر : يابنىّ ، إنى أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك إذا ما فعلت أعتقت رجالا جُلْدا يمنعونك ويقومون دونك ؟ : فقال أبو بكر رضى الله عنه : ياأبت ، إنى

---

(١) حنانا : أى إذا مات أجعل قبره مُتبركا به .

(٢) أى تحللى من يمينك .

إنما أريد ما أريد لله عز وجل . قال : فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه ، وفيما قال له أبوه : « فأما من أعطَى واتقى وصدّق بالحسنَى » . . . إلى قوله تعالى : « وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تُجزَى إلا ابتغاءَ وجهِ ربّه الأعلَى ولسوفَ يرضَى » .

تعذيب آل ياسر : قال ابن إسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر ، وبأبيه وأمه ، وكانوا أهل بيت إسلام ، إذا حَمِيَت الظهيرة ، يعذبونهم برَمْضاء [1] مكة ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ، فيما بلغنى « صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة » . فأما أمه فقتلوها ، وهى تأبى إلا الإسلام .

وكان أبو جهل الفاسق الذى يُغرى بهم فى رجال من قريش ، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومَنَعة ، أنّبه وأخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولَنُفَيِّلَنّ [2] رأيك ، ولنضعن شرفك ؛ وإن كان تاجرا قال : والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك ؛ وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به

فتنة المسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن جُبَيْر عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعذَرون به فى ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ويُجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضُّر الذى نزل به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : ألَلات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم ، حتى إن الجُعَلَ ليمر بهم ، فيقولون له : أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداء منهم مما يبلغون من جَهْده

هشام يرفض تسليم الوليد إلى قريش : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزبير بن عكاشة ابن أبى أحمد أنه حُدث أن رجالا من بنى مخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد ، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد ، وكانو قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا ، منهم : سلمة ابن هشام ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة . قال : فقالوا له وخشوا شره : إنا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذى أحدثوا ، فإنا نأمن بذلك فى غيرهم . قال : هذا ، فعليكم به ، فعاتبوه وإياكم ونفسه ، وأنشأ يقول :

ألا لا يُقتَلَنّ أخى عُيَيْشٌ ... فيبقَى بيننا أبداً تلاحِى

---

(1) الرمضاء : الرمال شديدة الحرارة . (2) لنفيلن لنقبحن .

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلا . قال : فقالوا : اللهم العنه ، من يغرر بهذا الخبيث ، فوالله لو أصيب فى أيدينا لقتل أشرفنا رجلا . قال ، فتركوه ونزعوا عنه . قال : وكان ذلك مما دفع الله به عنهم .

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ؛ فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفرارا إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام .

أوائل المهاجرين إلى الحبشة : وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر : عثمانُ بن عفان بن أبى العاص ابن أمية ، معه امرأته رُقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته : سَهْلة بنت سُهَيل بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤى ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حذيفة . ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد . ومن بنى عبد الدار ابن قصى مُصعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ومن بنى زُهْرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة . ومن بنى مخزوم ابن يقظة ابن مرة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، معه امرأته أم سَلَمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص ابن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح . ومن بنى عدى بن كعب : عامر بن ربيعة ، حليف آل الخطاب ، من عنز بن وائل — معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة ابن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عُوَيج بن عدى بن كعب . ومن بنى

عامر بن لؤى : أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر ، ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر ويقال : هو أول من قدمها . ومن بنى الحارث بن فهر : سُهَيل بن بيضاء، وهو سُهَيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث ، فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغنى .

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه .

المهاجرون من بنى هاشم : ومن بنى هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فِهْر : جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، معه امرأته أسماء بنت عُمَيْس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خَثْعم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، رجل .

المهاجرون من بنى أمية : ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان ابن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته رُقَيَّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث ابن شق بن رَقَبَة بن مُخْدج الكنانى ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته أُمَيْنَة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بَيَاضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مُلَيح بن عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال هُمَيْنَة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد ، وأَمَةَ بنت خالد ، فتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام ، فولدت له عمرو بن الزبير ، وخالد بن الزبير .

المهاجرون من بنى أسد : ومن حلفائهم ، من بنى أسد بن خزيمة : عبد الله بن جَحْش ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مُرة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد ؛ وأخوه عُبيد الله ابن جحش ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية ؛ وقَيْس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمة ، معه امرأته بركة بنت يسار ، مولاة أبى سفيان بن حرب بن

أمية ؛ ومُعيقيب بن أبي فاطمة . وهؤلاء آل سعيد بن العاص، سبعة نفر . قال ابن هشام : معيقيب من دَوْس .

المهاجرون من بني عبد شمس : قال ابن إسحاق : ومن بني عبد شمس بن عبد مناف، أبو حُذَيْفة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ وأبو موسى الأشعرى، واسمه عبد الله بن قيس ، حليف آل عتبة بن ربيعة ، رجلان .

المهاجرون من بني نَوْفل : ومن بني نوفل بن عبد مناف : عُتْبة بن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نَسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة ، بن قيس بن عَيْلان، حليف لهم ، رجل .

المهاجرون من بني أسد : ومن بني أسد بن عبد العُزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خُوَيْلد ابن أسد ، والأسود بن نَوْفل بن خويلد بن أسد ، ويزيد بن زَمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد . وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، أربعة نفر .

المهاجرون من بني عبد بن قصى : ومن بني عبد بن قصى : طُلَيْب بن عُمَيْر بن وهب بن أبي كبير بن عَبد بن قصى ، رجل .

المهاجرون من بني عبد الدار بن قصى : ومن بني عبد الدار بن قصى : مُصْعَب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وسويبط بن حَرْملة بن مالك بن عُمَيلة بن السباق بن عبد الدار ، وجَهْم بن قيس بن عبد شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، معه امرأته أم حَرْملة بنت عبد الأسود بن جُذَيمة بن أُقَيش بن عامر بن بَياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مُلَيح بن عمرو ، من خزاعة ؛ وابناه عمرو بن جَهْم وخزيمة بن جهم . وأبو الروم بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ؛ وفِرَاس بن النضر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة بن عبد مناف بن عبد الدار ، خمسة نفر .

المهاجرون من بني زُهْرة : ومن بني زُهْرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف ابن عبد بن الحارث بن زُهْرة ؛ وعامر بن أبي وقاص وأبو وقاص ، مالكُ بن أُهَيْب بن عبد مناف بن زهرة ؛ والمطلب بن أزهر بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة ، معه امرأته رَمْلة بنت أبي عوف بن ضبيرة بن سُعَيْد بن سعد بن سَهم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب .

المهاجرون من بنى هذيل : ومن حلفائهم من هُذَيل : عبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل . وأخوه : عُتبة ابن مسعود .

المهاجرون من بهراء : ومن بهراء : المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثُمامة ابن مطرود بن عمرو بن سعد بن زُهَير بن لؤى بن ثعلبة بن مالك بن الشّرِيد بن أبى أهوز بن أبى فائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أهود بن بَهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال هزل بن فاس بن ذر ، ودَهير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يَغوث بن وهب بن عبد مناف بن زُهرة ، وذلك أنه تبناه فى الجاهلية وحالفه ، ستة نفر .

المهاجرون من بنى تيم : ومن بنى تَيْم بن مرة : الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم ، معه امرأته رَيْطَة بنت الحارث بن جَبَلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث وفاطمة بنت الحارث ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، رجلان .

المهاجرون من بنى مخزوم : ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سَلَمة بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ومعه امرأته أم سَلَمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبى سلمة ، واسم أبى سلمة عبد الله ، واسم أم سلمة : هند : وشَمّاس بن عثمان بن الشّرِيد بن سُوَيد بن هَرْمى بن مخزوم .

خبر الشماس : قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سُمى شماسا ، لأن شماسا من الشمامسة ، قدم مكة فى الجاهلية ، وكان جميلا فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة ، وكان خال شماس : أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان ، فسمى شماسا فيما ذكر ابن شهاب وغيره .

قال ابن إسحاق : وهَبّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وأخوه عبد الله بن سفيان ؛ وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ؛ وسَلَمة بن

هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وعَيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم : ومن حلفائهم ، مُعَتِّب بن عوف بن عامر بن الفضل ابن عفيف بن كُلَيب بن حَبَشية بن سَلول بن كعب بن عمرو ، من خزاعة ، وهو الذي يقال له : عَيهامة ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال حُبْشِيَّة بن سلول ، وهو الذي يقال له معتِّب بن حمراء .

المهاجرون من بني جُمَح : ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ، عثمان بن مظعون ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمَح ؛ وابنه السائب بن عثمان ؛ وأخواه قُدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ؛ وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، معه امرأته فاطمة بنت المجلَّل بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما لبنت المجلَّل ؛ وأخوه حَطَّاب بن الحارث ، معه امرأته فُكَيهة بنت يسار ؛ وسفيان بن مَعْمَر بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، معه ابناه جابر بن سفيان ، وجُنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حَسَنة ، وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما شُرَحبيل ابن حَسَنة ، أحد الغوث .

قال ابن هشام : شُرَحبيل بن عبد الله أحد الغوث بن مُر ، أخى تميم بن مر .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، أحد عشر رجلا .

المهاجرون من بني سَهْم : ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ، خُنَيس بن حُذافة بن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ؛ وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم .

قال ابن إسحاق : وقَيْس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ وعبد الله بن حُذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، والحارث بن قَيس بن عدى بن سعد بن سهم ، ومَعْمَر بن الحارث بن قيس بن عدى

ابن سعد بن سهم ؛ وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له : سَعيد بن عمرو ؛ وسَعيد بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ وعُمَير بن رِئاب بن حُذيفة بن مُهَشِم بن سعد بن سهم . ومَحْمِيَة بن الجزاء ، حليف لهم ، من بنى زُبَيد ، أربعة عشر رجلا .

المهاجرون من بنى عدى : ومن بنى عدى بن كعب : مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلة بن عبد العُزّى بن حُرْثان بن عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عدى ؛ وعُرْوة بن عبد العزى بن حُرْثان ابن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ؛ وعدى بن نَضْلة بن عبد العزى بن حُرثان بن عوف ابن عبيد بن عُوَيج بن عدى ؛ وابنه النعمان بن عدى ؛ وعامر بن ربيعة ، حليف لآل الخطاب ، من عَنْز بن وائل ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم . خمسة نفر .

المهاجرون من بنى عامر : ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العزى ابن أبى قيس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، معه امرأته أم كلثوم بنت سُهَيل ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وعبد الله بن مخرمة ابن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وعبد الله بن سُهَيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وسَليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وأخوه السكران بن عمرو ، معه امرأته سَوْدة بنت زَمْعَة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ ومالك بن زَمْعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، معه امرأته عَمْرة بنت السَّعْدى بن وَقْدان بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛ وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وسعد ابن خَوْلة ، حليف لهم . ثمانية نفر .

قال ابن هشام . سعد بن خَوْلة من اليمن .

المهاجرون من بنى الحارث : قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث بن فِهْر أبو عُبَيدة ابن الجراح ، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضَبة بن الحارث بن فِهر ، وسُهَيل ابن بيضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضبة بن الحارث ، ولكن أمه غلبت على نسبه ، فهو ينسب إليها ، وهى دعد بنت جَحْدَم بن عمرو بن عائذ بن ظَرِب بن الحارث بن فِهر ، وكانت تُدعَى بيضاء ؛ وعمرو بن أبى سَرْح بن ربيعة بن

هلال بن أُهَيب بن ضَبة بن الحارث ؛ وعِياض بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال ابن أُهَيب بن ضبة بن الحارث ، ويقال : بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ؛ وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن مالك بن ضَبة بن الحارث ، وعثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضَبة بن الحارث وسعد بن عبد قَيس بن لَقيط ابن عامر بن أمية بن ظَرِب بن الحارث، والحارث بن عبـــد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظَرِب بن الحارث بن فِهر . ثمانية نفر .

عدد مهاجرى الحبشة : فكان جميع مَن لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلا ، إن كان عمار ابن ياسر فيهم ، وهو يُشك فيه .

شعر عبد الله بن الحارث فى هجرة الحبشة : وكان مما قيل من الشعر فى الحبشة أن عبد الله ابن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، حين أَمِنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جوار النجاشى وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحـــداً ، وقد أحسن النجاشى جوارهم حين نزلوا به ، قال :

يا راكباً بَلِّغَنْ عنى مُغَلْغَلةً ... من كان يرجو بلاغَ اللهِ والدينِ[1]

كلَّ امرىءٍ من عبادِ اللهِ مضطهدٍ ... ببطنِ مـــكةَ مقهورٍ ومفتونِ

أنا وجـــدنا بلادَ اللهِ واسعةً ... تُنجى من الذلِّ والمَخْزاةِ والهُونِ

فلا تُقيموا على ذلِّ الحياةِ وخِزْ ... يٍ فى المماتِ وعيبٍ غيرِ مأمونِ

إنا تَبِعنا رسولَ اللهِ واطَّرَحوا ... قولَ النبيِّ وعالُوا فى الموازينِ[2]

فاجعلْ عذابَك فى القومِ الذين بَغَوْا ... وعائذٌ بك أن يعلوا فيُطغونى

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً ، يذكر نَفْىَ قريش إياهم من بلادهم ، ويعاتب بعض قومه فى ذلك :

---

(١) المغلغلة: الرسالة

(٢) عالوا : خانوا

أبت كَبِدى، لا أكذبنّكَ، قتالَهم ... علىّ وتأباه علىّ أنامـلى
وكيف قتالى معشراً أدَّبوكمُ ... على الحقّ أن لا تأشبُوه بباطلِ(١)
نفتهم عِبادُ الجنّ من حُرّ أرضهم ... فأضحَوْا على أمرٍ شديدِ البلابلِ(٢)
فإن تكُ كانت فى عَدِىّ أمانةٌ ... عَدِىّ بنِ سعدٍ عن تُقىً أوتواصُلِ
فقد كنتُ أرجُو أن ذلك فيكمُ ... بحمدِ الذى لا يُطّبى بالجعائل(٣)
وبُدلتُ شِبلا شبلَ كلّ خبيثةٍ ... بذى فجَرٍ مأوَى الضعافِ الأراملِ(٤)

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً :

وتلكَ قريشٌ تجحَد اللهَ حقَّه ... كما جحدت عادٌ ومَدْينُ والحِجْرُ
فإن أنا لم أُبرِقْ فلا يَسَعَنى ... من الأرضِ برٌّ ذو فضاءٍ ولا بحرُ
بأرضٍ بها عَبْدُ الإلهِ محمدٌ ... أُبيّنُ ما فى النفسِ إذ بلغ النقرُ(٥)

فسمى عبد الله بن الحارث — يرحمه الله — لبيته الذى قال : « المُبرق » .

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أُمَيّة بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، وهو ابن عمه وكان يؤذيه فى إسلامه، وكان أمية شريفا فى قومه فى زمانه ذلك :

أتيْمَ بنَ عَمْرٍو للذى جاء بغضةً ... ومن دونه الشَّرْمانِ والبركُ أكتعُ(٦)
أأخرجتنى من بطنِ مكةَ آمنا ... وأسكنتنى فى صَرْحِ بيضاءَ تُقذعُ(٧)

---

(١) تأشبوه : تخلطوه .
(٢) البلابل : وساوس الأحزان .
(٣) لا يطبى بالجعائل : لا يستمال بالرشوة
(٤) الفجر : العطاء
(٥) النقر : البحث .
(٦) الشرمان : تثنية شرم وهو لجة البحر ، والبرك : الإبل الباركة .
(٧) صرح بيضاء : مدينة الحبشة . وتقذع : تكره .

قريش نِبالا لا يواتيك رَيْشُها   وتَبْرِى نِبالا رِيشُها لك أجمعُ
وحاربتَ أقواما كراما أعزةً   وأهلكتَ أقواما بهم كنت تفزَعُ
ستعلم إن نابَتْكَ يوما مُلِمَّةٌ   وأسلمَكَ الأوباشُ ما كنتَ تصنعُ(١)

وتيم بن عمرو ، الذى يدعو عثمان ، جمح ، كان اسمه تيما .

إرسال قريش إلى الحبشة فى طلب المهاجرين إليها

قال ابن إسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشى ، فيردهم عليهم ، ليفتنوهم فى دينهم ، ويخرجوهم من دارهم ، التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها ؛ فبعثوا عبد الله بن أبى ربيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته(٢) ، ثم بعثوهما إليه فيهم .

شعر أبى طالب للنجاشى : فقال أبو طالب ، حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه ، أبياتا للنجاشى يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم :

ألا ليتَ شِعرى كيف فى النَّأْيِ جعفرٌ   وعمرٌو وأعداءُ العدوِّ الأقاربُ(٣)
وهل نالت أفعالُ النجاشىِّ جعفراً   وأصحابَه أو عاقَ ذلك شاغِبُ
تعلَّم ، أبيْتَ اللعنَ ، أنك ماجدٌ   كريمٌ فلا يشقَى لديك المُجانِبُ(٤)
تعلَّمْ بأن اللهَ زادك بَسْطَةً   وأسبابَ خيرٍ كلُّها بكَ لازِبُ(٥)
وأنك فيضٌ ذو سِجالٍ غزيرةٍ   ينال الأعادِى نفعَها والأقاربُ

---

(١) الأوباش : الضعفاء .

(٢) قواده .   (٣) النأى : البعد

(٤) المجانب : الداخل فى الحمى .   (٥) لازب : لاصق

حديث أم سلمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشي : قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار النجاشي ، أَمِنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لانؤذَى ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يُستطرَف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدَم[1] ، فجمعوا له أدما كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ، ثم قدّما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دار ، عند خير جار ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ، وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضَوَى[2] إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مُبتدَع ، لانعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردَّهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلَى بهم عينا[3] ، وأعلم بما عابوا عليهم ؛ فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ، ثم كلماه فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضَوَى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشي . قالت : فقالت بطارقته حوله : صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لاهَا الله ، إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ،

---

(1) الأدم : الجلود

(2) ضوى : لجأ

(3) أي أبصر بهم من غيرهم

فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاورونى .

الحوار الذى دار بين المهاجرين والنجاشى : قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنة فى ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشى أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم، فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا فى دينى ، ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب ، فقال له : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام — قالت : فعدد عليه أمور الإسلام — فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ؛ ورغبنا فى جوارك ، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شىء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ؛ فقال له النجاشى : فاقرأه علىّ ؛ قالت : فقرأ عليه صدراً من : « كهيعص » . قالت : فبكى والله النجاشى حتى اخضلّت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ؛ ثم قال النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون .

رأى المهاجرين فى عيسى أمام النجاشى : قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبى ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا تفعل فإن لهم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا ؛ قال : والله لأخبرنه

أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد . قالت : ثم غــدا عليه من الغد فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن . قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول قالت : فضرب النجاشى يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتَ هذا العود . قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال ؛ فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضى — والشيوم[1] : الآمنون — من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم . ما أحب أن لى دبْراً من ذهب ، وأنى آذيت رجلاً منكم — قال ابن هشام : ويقال دبرى من ذهب ، ويقال : فأنتم سيوم والدبر . بلسان الحبشة : الجبل — ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخــذ الله منى الرِّشوة حين رد علىّ ملكى ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فىّ فأطيعهم فيه . قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار ، مع خير جار .

المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشى :قالت فوالله إنا لعلىّ ذلك ، إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه . قالت : فوالله ما علمْنا حَزِنّا حزنا قط كان أشدعلينا من حزن حزناه عند ذلك ، تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشى ، فيأتى رجل لايعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف منه . قالت : وسار إليه النجاشى ، وبينهما عرض النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : مَنْ رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ قالت . فقال الزبير بن العوام . أنا قالوا : فأنت . وكان من أحدث القوم سِناً . قالت فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره ، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها مُلتقَى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم . قالت : ندعوْنا الله تعالى للنجاشى بالظهور على عدوه ، والتمكين له فى

---

(١) يقول السهيلى فى الروض الأُنُف : يحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة أو تكون مشتقة من شمت السيف إذا أغمدته ؛ لأن الآمن مغمد عنه السيف جـ ٢ ص ٩٢ .

بلاده . قالت : فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن ، إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلمع بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشى ، وأهلك الله عدوه ، ومكن له فى بلاده . قالت : فوالله ما علمتُنا فرحنا فرحة قط مثلها قالت : ورجع النجاشى ، وقد أهلك الله عدوه ، ومكن له فى بلاده ، واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده فى خير منزل ، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قصة تملك النجاشى على الحبشة

قتل أبى النجاشى وتملك عمه : قال ابن إسحاق : قال الزهرى : فحدثت عروة بن الزبير حديث أبى بكر بن عبد الرحمن ، عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تدرى ما قوله : ما أخذ الله منى الرِّشوة حين رد علىّ ملكى ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فىّ فأطيع الناس فيه ؟ قال : قلت : لا ، قال : فإن عائشة أم المؤمنين حدثتنى أن أباه كان ملك قومه ، ولم يكن له ولد إلا النجاشى ، وكان للنجاشى عم ، له من صلبه اثنا عشر رجلا ، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها : لو أنا قتلنا أبا النجاشى وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثنى عشر رجلا ، فتوارثوا ملكه من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهراً ، فعدَوا على أبى النجاشى فقتلوه ، وملكوا أخاه ، فمكثوا على ذلك حينا .

الحبشة تبيع النجاشى : ونشأ النجاشى مع عمه ، وكان لبيبا حازما من الرجال ، فغلب على أمر عمه ، ونزل منه بكل منزلة ، فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها : والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه ، وإنا لنتخوف أن يملّكه علينا ، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه . فمشوا إلى عمه فقالوا : إما أن تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا ، فإنا قد خفناه على أنفسنا ؛ قال : ويلكم ! قتلت أباه بالأمس ، وأقتله اليوم ! بل أخرجه من بلادكم . قالت : فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجار بست مئة درهم ؛ فقذفه فى سفينة فانطلق به ، حتى إذا كان العشى من ذلك اليوم ، هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها ، فأصابته صاعقة فقتلته . قالت : ففزعت الحبشة إلى ولده ، فإذا هو محمق ، ليس فى ولده خير ، فرج على الحبشة أمرهم(١) .

تولية النجاشى الملك : فلما ضاق عليهم ماهم فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعض : تعلّموا

(١) مرج الأمر : اختلط .

والله أن ملككم الذى لايقيم أمركم غيره للذى بعتم غُدوة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه الآن قالت : فخرجوا فى طلبه ، وطلب الرجل الذى باعوه منه حتى أدركوه ، فأخذوه منه ؛ ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج ، وأقعدوه على سرير الملك ، فملكوه .

حديث التاجر الذى اشتراه : فجاءهم التاجر الذى كانوا باعوه منه ، فقال: إما أن تعطونى مالى ، وإما أن أكلمه فى ذلك ؟ قالوا : لانعطيك شيئا ، قال : إذن والله أكلمه ؛ قالوا : فدونك وإياه . قالت : فجاءه فجلس بين يديه ، فقال : أيها الملك ، ابتعت غلاما من قوم بالسوق بست مئة درهم ، فأسلموا إلى غلامى وأخذوا دراهمى ، حتى إذا سرت بغلامى أدركونى ، فأخذوا غلامى ، ومنعونى دراهمى . قالت : فقال لهم النجاشى : لتُعطُنَّه دراهمه ، أو ليضعن غلامه يده فى يده ، فليذهبَنّ به حيث شاء ؛ قالوا : بل نعطيه دراهمه . قالت : فلذلك يقول : ما أخذ الله منى رشوة حين رد على ملكى ، فآخذ الرِّشوة فيه ، وما أطاع الناس فىَّ فأطيع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أول ماخبر من صلابته فى دينه ، وعدله فى حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما مات النجاشى ، كان يُتحدث أنه لايزال يُرى على قبره نور .

إسلام النجاشى والصلاة عليه وخروج الحبشة عليه

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى: إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه . فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهيأ لهم سفنا ، وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ؛ ثم جعله فى قبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصفّوا له ، فقال . يا معشر الحبشة ، ألست أحق الناس بكم ؟ قالوا . بلى ؛ قال . فكيف رأيتم سيرتى فيكم ؟ قالوا . خير سيرة ؛ قال : فما لكم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبد ؛ قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله ؛ فقال النجاشى ، ووضع يده على صدره على قبائه : هو يشهد أن عيسى بن مريم ، لم يزد على هذا شيئا ، وإنما يعنى ما كتب ، فرضوا وانصرفوا(١) فبلغ ذلك النبى صلى الله

---

(١) وفيه من الفقه أنه لاينبغى للمؤمن أن يكذب كذبا صراحا ، ولا أن يعطى بلسانه الكفر وإن أكره ، ما أمكنته الحيلة ، وفى المعاريض مندوحة عن الكذب .

عليه وسلم : فلما مات النجاشي صلى عليه ، واستغفر له (١) .

إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردهما النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلا ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره ، امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى عازُّوا(٢) قريشا ، وكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة ، حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

قال البكائي ، قال : حدثني مِسْعَر بن كِدام ، عن سعد بن إبراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه .

حديث أم عبد الله بنت أبي حَثْمة عن إسلام عمر : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الرحمن ابن الحارث بن عبد الله بن عَيّاش بن أبي ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حَثْمة ، قالت :

والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا ، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليّ وهو على شِركه — قالت : وكنا نلقى منه البلاء أذًى لنا وشدة علينا — قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أم عبد الله . قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن في أرض الله ،

---

(١) وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع ، رُفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة ، فصلى عليه .

(٢) عازوا : غلبوا .

آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله مخرجا. قالت: فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه ـ فيما أرى ـ خروجنا. قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله، لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعت فى إسلامه؟ قالت: قلت: نعم؛ قال: فلا يُسلم الذى رأيتِ حتى يُسلم حمار الخطاب؛ قالت: يأسا منه، لما كان يُرى من غِلظته وقسوته عن الإسلام.

سبب إسلام عمر: قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نُعَيم بن عبد الله النحام من مكة، رجل من قومه، من بنى عدى بن كعب قد أسلم، وكان أيضا يستخفى بإسلامه فرقا من قومه، وكان خَبَّاب بن الأرتّ(١) يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب، وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق، وعلى بن أبى طالب، فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم، ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نُعَيم بن عبد الله، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً هذا الصابىء، الذى فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله؛ فقال له نُعَيم: والله لقد غرتك نفسُك من نفسك يا عمر، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأى أهل بيتى؟ قال: خَتَنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما، وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما؛ قال: فرجع عمر عامداً إلى أخته وخَتَنه، وعندهما خَبَّاب بن الأرتّ معه صحيفة، فيها: «طه» يُقرِئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيّب خباب

---

(١) وكان خباب تميميا بالنسب، كما كان خزاعيا بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعى، وكان قد وقع عليه سباء، فاشترته وأعتقته، فولاؤه لها. وكان أبوها حليفا لعوف بن عبدعوف بن عبدالحارث بن زُهْرة، فهو زهرى بالحلف. وهو ابن الأرت بن جندلة بن سعد ابن خزيمة بن كعب بن زيد مناة بن تميم، كان قَينا يعمل السيوف فى الجاهلية. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ٩٨.

فى مخدع لهم ، أو فى بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها . وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهينمة[1] التى سمعت ؟ قالا له : ماسمعت شيئا ؛ قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ؛ فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجها ؛ فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع مابدا لك . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ماصنع ، فارعوى ، وقال لأخته : أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ماهذا الذى جاء به محمد ، وكان عمر كاتبا ؛ فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ؛ قال : لاتخافى ، وحلف لها بآلهته ليردّنها إذا قرأها إليها ؛ فلما قال ذلك ، طمعت فى إسلامه ، فقالت له : يا أخى ، إنك نجس ، على شركك ، وإنه لا يمسها إلا الطاهر[2] ، فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها : « طه » . فقرأها ؛ فلما قرأ منها صدراً ، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خبّاب خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإنى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب ، فالله الله يا عمر . فقال له عند ذلك عمر : فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم ؛ فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ؛ فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزعٌ ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف ؛ فقال حمزة ابن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائذن له ، فأذن له الرجل ، ونهض إليه

---

(١) الهينمة : صوت الكلام الذى لايفهم .

(٢) قال السهيلى عند الكلام على تطهير عمر لمس القرآن وقول أخته له : « لايمسه إلا المطهرون » : والمطهرون فى هذه الآية هم الملائكة ، وهو قول مالك فى الموطأ ، واحتج بالآية الأخرى التى فى سورة عبس ولكنهم وان كانوا الملائكة ، ففى وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المس ما يقتضى ألا يمسه إلا طاهر ، اقتداء بالملائكة المطهرين ، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير ، ولكنه حكم مندوب إليه ، وليس محمولا على الفرض وإن كان الفرض فيه أبين لأنه جاء بلفظ النهى عن مسه على غير طهارة . راجع الروض جـ ٢ ص ٩٨ - ٩٩ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة ، فأخذ مُجْزَته[1] ، أو بمجمع ردائه ، ثم جبذه به جَبْذة شديدة ، وقال : ما جاء بك يابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ، فقال عمر : يا رسول الله ، جئتك لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عنداقه؛ قال : فكبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم .

فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم ، وقد عَزُّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينتصفون بهما من عدوهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم

ما رواه عطاء ومجاهد عن إسلام عمر : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكى عن أصحابه : عطاء ، ومجاهد ، أو عمن روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للإسلام مباعداً ، وكنت صاحب خمر فى الجاهلية ، أحبها وأسرّ بها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزْوَرَة ، عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومى ، قال : فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك فى مجلسهم ذلك ، قال : فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت : لو أنى جئت فلانا الخمار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلى أجد عنده خمراً فأشرب منها قال : فخرجت فجئته فلم أجده . قال : فقلت : فلو أنى جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين قال : فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشام ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين : الركن الأسود ، والركن اليمانى . قال : فقلت حين رأيته ، والله لو أنى استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت : لئن دنوت منه أستمع منه لأروّعنّه ؛ فجئت من قِبَل الحِجْر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلت أمشى رويداً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت فى قبلته مستقبلَه ، ما بينى وبينه إلا ثياب الكعبة . قال : فلما سمعت القرآن رق له قلبى فبكيت ودخلنى الإسلام ، فلم أزل قائما فى مكانى ذلك ، حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حُسَين ، وكانت طريقه ، حتى يجزع[2] المسعى ، ثم يسلك بين دار عباس بن المطلب ، وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف

---

(١) موضع شد الإزار

(٢) يجزع : يقطع .

الزهرى ، ثم على دار الأخنس بن شَرِيق ، حتى يدخل بيته . وكان مسكنه صلى الله عليه وسلم فى الدار الرقطاء[١] ، التى كانت بيدى معاوية بن أبى سفيان . قال عمر رضى الله عنه : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ، ودار ابن أزهر ، أدركته ؛ فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسى عرفنى ، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى إنما تبعته لأوذيه فنَهَمَنى[٢] ثم قال ماجاء بك يابن الخطاب هذه الساعة ؟ قال : قلت : لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله قال : فحمد اللهَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : قد هداك الله ياعمر ، ثم مسح صدرى ، ودعالى بالثبات ، ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحاق ، والله أعلم أى ذلك كان .

ثبات عمر فى إسلامه : قال ابن اسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : لما أسلم أبى عمر قال : أى قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معْمر[٣] الجمحى . قال : فغدا عليه . قال عبد الله بن عمر : فغدوت أتْبع أثَرَه ، وأنظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت ، حتى جاءه ، فقال له : أعلمت ياجميل أنى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر ، واتبعت أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، وهم فى أنديتهم حول الكعبة ، ألاَ إن عمر بن الخطاب قد صبأ . قال : يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكنى قد أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس

---

(١) الرقطاء : الملونة .

(٢) نهمنى : زجرنى .

(٣) جميل هذا هو الذى كان يقال له : ذو القلبين ، وفيه نزلت فى أحد الأقوال « ماجعلَ اللهُ لرجلٍ من قلبين فى جوفه » ، وفيه قيل :

وكيف ثوائى بالمدينةِ بعــد ما … قضَى وطرا منها جميلُ بنُ مَعْمَرِ

وهو البيت الذى تغنى به عبد الرحمن بن عوف فى منزله ، واستأذن عمر فسمعه وهو يتغنى وينشد بالركبانية وهو غناء يحدى به الركاب ، فلما دخل عمر قال له عبد الرحمن : إنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم : وقلب المبرد هذا الحديث ؛ وجعل المنشد عمر ، والمستأذن عبد الرحمن ، ورواه الزبير كما تقدم ، انظر الروض جـ ٢ ص ١٠١ .

على رءوسهم . قال : وطَلَح[1] ، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدالكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاث مئة رجل لقد تركناها لكم ، أو تركتموها لنا ؛ قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش ، عليه حُلة حبرة[2] ، وقميص مُوَشّى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبأ عمر ؛ فقال : فَمَه ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ! خَلوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشِط عنه . قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجل : الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك ؟ فقال : ذاك ، أى بنى ، العاص بن وائل السهمى .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أنه قال : يا أبت ، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك جزاه الله خيرا قال يابنى ذلك ، العاص بن وائل ، لاجزاه الله خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر ، أو بعض أهله ، قال : قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة ، تذكرت أى أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه فأخبره أنى قد أسلمت ؛ قال : قلت : أبو جهل — وكان عمر لحَنْتَمة بنت هشام بن المغيرة — قال : فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه . قال : فخرج إلى أبو جهل ، فقال : مرحباً وأهلا بابن أختى ، ما جاء بك ؟ قلت : جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ؛ قال : فضرب الباب فى وجهى وقال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به .

بعون الله وحسن توفيقه ـ انتهى الجزء الأول من سيرة ابن هشام ويليه إن شاء الله الجزء الثانى وأوله خبر الصحيفة ـ أعان الله على إتمامه .

---

(١) طلح : تعب وأعيا .
(٢) الحبرة : نوع من برود اليمن .

فهرست الجزء الأول من سيرة ابن هشام

السيرة النبوية

لابن هشام

أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

قدم لها وعلق عليها وضبطها

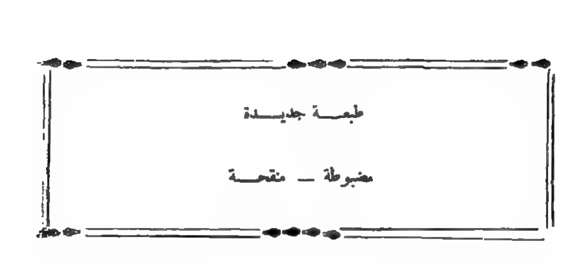
طه عبد الرءوف سعد

الجزء الثاني

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية

٩ ش الصنادقية - الأزهر


طبعة جديدة
مضبوطة ـــ منقحة

بسم الله الرحمن الرحيم

خبر الصحيفة

ائتمار قريش بالرسول: قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم، وبني المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم؛ فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عِكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ — قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث — فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَشَلّ بعضُ أصابعه.

قال ابن إسحاق: فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب، فدخلوا معه في شِعْبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب، عبدُ العزَّى ابن عبد المطلب، إلى قريش، فظاهرهم.

تهكم أبي لهب بالرسول وما نزل فيه من القرآن: قال ابن إسحاق: وحدثني حُسين ابن عبد الله: أن أبا لهب لقي هند بنت عُتبة بن ربيعة، حين فارق قومه، وظاهر عليهم قريشا فقال: يابنت عتبة؛ هل نصرتُ اللات والعزى، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما؟ قالت: نعم: فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة.

قال ابن إسحاق: وحُدثت أنه كان يقول في بعض ما يقول: يَعِدني محمد أشياء لا أراها، يزعم أنها كائنة بعد الموت، فماذا وضع في يديَّ بعد ذلك، ثم ينفخ في يديه ويقول: تباً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد. فأنزل الله تعالى فيه «تبت يدا أبي لهب وتَبَّ».

قال ابن هشام: تبت: خسرت. والتباب: الخسران. قال حبيب بن خُدْرة الخارجي: أحد بني هلال بن عامر بن صَعْصَعَة:

يا طيبَ إنا في معشرٍ ذهبت ... مَسْعاتُهم في التبارِ والتَّبَبِ

وهذا البيت في قصيدة له.

شعر أبي طالب في تظاهر قريش : قال ابن إسحاق: فلما اجتمعت على ذلك قريش، وصنعوا فيه الذى صنعوا ، قال أبو طالب :

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا ... لؤياً وخُصَّا من لؤىٍّ بنى كعبِ
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ... نبيا كموسى خُط فى أول الكُتْبِ
وأن عليه فى العباد محبةً ... ولا خيرَ ممن خصه اللهُ بالحبِّ
وأن الذى ألصقتمُ من كتابكم ... لكم كائنٌ نحسا كراغية السَّقْبِ(١)
أفيقوا أفيقوا قبل أن يُحفر الثرى ... ويصبحَ من لم يجنِ ذنْبا كذى الذنب
ولا تتبعوا أمرَ الوُشاةِ وتقطعوا ... أواصرَنا بعد المودةِ والقربِ
وتستجلبوا حرباً عَوَانا وربما ... أمرَّ على من ذاقه جلبُ الحربِ
فلسنا وربِّ البيتِ نُسلم أحمداً ... لعَزّاء من عَضِّ الزمانِ ولا كربِ(٢)
ولمَّا تبنْ منا ومنكم سوالفٌ ... وأيدٍ أُتِرَّت بالقُساسيَّةِ الشُّهْبِ(٣)
بمعترَكٍ ضيقٍ ترى كِسَر القنا ... به والنسورَ الطُّخمَ يعكفن كالشَّرْبِ(٤)
كأن مُجالَ الخيلِ فى حَجراتِه ... ومعمعةَ الأبطالِ معركةُ الحربِ(٥)
أليس أبونا هاشمٌ شدَّد أزرَه ... وأوصَى بنيه بالطعانِ وبالضربِ
ولسنا نَمل الحربَ حتى تَملنا ... ولا نشتكى ماقد ينوبُ من النَّكْبِ
ولكننا أهلُ الحفائظ والنُّهَى ... إذا طار أرواحُ الكُماةِ من الرعبِ

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا ، حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء ، إلا سراً مستخفيا به ممن أراد صلتهم من قريش .

أبو جهل يتحكم الحصار على المسلمين : وقد كان أبو جهل بن هشام — فيما يذكرون

(١) الرغاء : صوت الإبل، والسقب : ولد الناقة، والمراد به هنا ولد ناقة صالح عليه السلام .
(٢) العزاء . الشدة .
(٣) السوالف : صفحات الأعناق، وأترت : قطعت، والقساسية : سيوف تنسب إلى جبل يسمى قساس .
(٤) الطخم : سود الرءوس ، والشراب جماعة الشاربين .
(٥) الحجرات : النواحي .

— لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه في الشِّعْب ، فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لاتبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة . فجاءه أبو البَخْتَري بن هاشم بن الحارث بن أسد ، فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم : فقال أبو البَخْتَري : طعــام كان لعمته عنده بعثت إليه فيـــه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ! ؟ خل سبيل الرجل ؛ فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ أبو البَخْتَري لحى بعير فضربه به فشجه ، ووطئه وطأ شديداً وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيشمتوا بهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلا ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، مناديا بأمر الله لايتقي فيه أحداً من الناس .

ذكر مالقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه من الأذى

مانزل من القرآن في أبي لهب وامرأته : فجعلت قريش حين منعه الله منها ، وقام عمه وقومه من بني هاشم ، وبني المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به ، يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم ، وفيمن نصب لعداوته منهم ، ومنهم من سُمي لنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار ، فكان ممن سُمي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية ، حمالة الحطب ، وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب لأنها كانت — فيما بلغني — تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمر ، فأنزل الله تعالى فيهما « تَبَّتْ يدا أبي لهبٍ وتَبّ، ما أغنى عنه مالُه وما كسبَ ، سيصلى ناراً ذاتَ لهبٍ ، وامرأتُه حمالةَ الحطبِ ، في جيدِها حبلٌ من مَسَدٍ » .

قال ابن هشام : الجيد : العنق . قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

يومَ تُبدِي لنـــا قُتيلةُ عن جيـ ـدٍ أسيلٍ تَزينُه الأطواقُ

وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : أجياد . والمسد . شجر يدق كما يدق الكتان فتفتل منه حبال . قال النابغة الذبياني ، واسمه زياد بن عمرو بن معاوية :

مقذوفةٍ بدخيسِ النحضِ بازِلُها له صَريفٌ صريفَ القَعْوِ بالمسدِ (١)

(١) الدخيس . اللحم الكثير . والنحض . اللحم . والبازل : الناب : والصريف : الصوت والقعو : ماتدور فيه البكرة .

وهـــذا البيت فى قصيدة له ، وواحـــدته : مسنة .

أم جميل امرأة أبي لهب : قال ابن إسحاق : فذكر لى : أن أم جميل - حمالة الحطب ، حين سمعت ما نزل فيها ، وفى زوجها من القرآن ، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق ، وفى يدها فِهْر (١) من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر : أين صاحبك ، فقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربتُ بهذا الفِهْر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ، ثم قالت :

مُـــذَمَّمًا عصينا وأمـــره أبينا

ودينَـه قَلَيْنا

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يارسول الله أما تراها رأتك ؟ فقال : ما رأتنى : لقد أخذ الله ببصرها عنى .

قال ابن هشام : قولها « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق: وكانت قريش إنما تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما، ثم يسبُّونه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون لِمَا صرف اللهُ عنى من أذى قريش ، يسبون مُذمَّما ، وأنا محمد .

إيذاء أمية بن خلف للرسول : وأمية بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جمح ، كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه ، فأنزل الله تعالى فيه : « ويلٌ لكلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ، الذى جمع مالا وعدَّده . يحسبُ أن مالَه أخلده . كلا ليُنبذنَّ فى الحُطَمة . وما أدراك ما الحُطَمةُ ، نارُ الله الموقدة التى تطَّلعُ على الأفئدة . إنها عليهم مُؤْصدة . فى عَمدٍ مُمدَّدة » .

قال ابن هشام : الهمزة : الذى يشتم الرجل علانية ، ويكسر عينيه عليه ، ويغمز به ، قال حسان بن ثابت :

همزتُك فاختضعت لذلّ نفسٍ بقافيةٍ تأجَّجُ كالشُّواظِ(٢)

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : هُمَزات . واللُّمَزة : الذى يعيب الناس سراً ويؤذيهم .

---

(١) الفِهْر . حجر يملأ الكف . (٢) التأجج : التوقد .

قال رؤبة بن العجاج :

فى ظلّ عَصْرِىْ باطِلِى ولِزِى

وهذا البيت فى أرجوزة له ، وجمعه : لزات .

إيذاء العاص للرسول : قال ابن إسحاق : والعاص بن وائل السَّهمى ، كان خَبَّاب ابن الأَرَتّ ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قَيْنا بمكة يعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له حتى كان له مال ، فجاءه يتقاضاه فقال له يا خَبَّاب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب ، أو فضة ، أو ثياب أو خدم ! قال خباب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هناك حقك ، فوالله لاتكون أنت وأصحابك يا خباب آثرَ عند الله منى ، ولا أعظمَ حظاً فى ذلك؛ فأنزل الله تعالى فيه : «أفرأيتَ الذى كفرَ بآياتنا وقال لأُوتَيَنَّ مالا وولداً ، أَطَّلَعَ الغيبَ » إلى قوله تعالى : « ونَرِثُه ما يقول، ويأتينا فَرْداً » .

إيذاء أبى جهل للرسول : ولقى أبو جهل بن هشام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — فقال له : والله يامحمد ، لتتركَنّ سب آلهتنا ، أو لنسُبّن إلهك الذى تعبد . فأنزل الله تعالى فيه : « ولاتَسبوا الذين يدعونَ من دونِ اللهِ فيَسُبوا الله عَدْواً بغيرِ علمٍ » . فذُكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

إيذاء النضر للرسول : والنضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصى، كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا ، فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذر قريشا ما أصاب الأمم الخالية ، خَلَفه فى مجلسه إذقام، فحدثهم عن رستم السِّنديد ، وعن اسفنديار، وملوك فارس، ثم يقول والله مامحمد بأحسن حديثا منى، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها . فأنزل الله فيه : « وقالوا أساطيرُ الأولين اكتتبها فهى تُملى عليه بُكرةً وأصيلا ، قل أنزلَه الذى يعلمُ السرَّ فى السمواتِ والأرضِ ، إنه كان غفوراً رحيماً » . ونزل فيه « إذا تُتلَى عليه آياتُنا قال أساطيرُ الأولينَ » . ونزل فيه : « ويلٌ لكلِّ أفاكٍ أثيمٍ يسمعُ آياتِ اللهِ تُتلَى عليه ثم يُصِرُّ مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وَقْراً ، فبشرْه بعذابٍ أليمٍ » .

قال ابن هشام : الأفاك : الكذاب . وفى كتاب الله تعالى : « ألا إنهمْ من إفكِهم ليقولونَ ولدَ اللهُ وإنهم لكاذبونَ » .

وقال رؤبة :

ما لامرئٍ أفّكَ قولاً إفْكَا

وهذا البيت فى أرجوزة له :

قال ابن اسحاق : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما – فيما بلغنى – مع الوليد بن المغيرة فى المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم فى المجلس ، وفى المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم : « إنكم وما تعبدونَ من دونِ اللهِ حَصَبُ جهنمَ أنتم لها واردون ، لو كان هؤلاءِ آلهةً ما وردوها ، وكلٌّ فيها خالدون ، لهم فيها زفيرٌ ، وهم فيها لايسمعون » .

قال ابن هشام : حَصَب جهنم : كل ما أُوقدت به . قال أبو ذؤيب الهذلى ، واسمه خويلد ابن خالد :

فأطفئْ ولا توقِدْ ولاتكُ محصباً لنارِ العُداةِ أن تطيرَ شكاتُها

وهذا البيت فى أبيات له . ويروى « ولاتك محضاً » . قال الشاعر :

حضأتُ له نارى فأبصر ضوءها وما كان لولا حَضْأةُ النارِ يهتدى

ابن الزبعرى وما قيل فيه : قال ابن اسحاق : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَى السهمى حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ؛ فقال عبد الله بن الزبعرى : أما والله لو وجدته لخصمتُه ، فسلوا محمدا : أكل ما يُعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عُزَيْرا ، والنصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما السلام ؛ فعجب الوليد ، ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزِّبَعْرى ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزِّبعرى : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتهم بعبادته » . فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك . «إن الذين سبقتْ لهم منا الحُسنَى ، أولئك عنها مُبعدونَ ، لايسمعونَ حسيسَها، وهم فى ما اشتهت أنفسُهم خالدون » . أى عيسى ابن مريم ، وعُزَيْراً ، ومن عُبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضَوا على طاعة الله، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله .

ونزل فيما يذكرون ، أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : « وقالوا اتخذ الرحمنُ ولداً سبحانه ، بل عبادٌ مكرمون . لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون » . . . إلى قوله : « ومن يقل منهم إني إلهٌ من دونه ، فذلك نجزيه جهنمَ ، كذلك نجزي الظالمين » .

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى ابن مريم أنه يُعبد من دون الله ، وعَجَبِ الوليد ومن حضره من حجته وخصومته : « ولمّا ضُرب ابنُ مريمَ مثلا إذا قومُك منه يَصِدون » : أي يصدون عن أمرك بذلك من قولهم .

ثم ذكر عيسى ابن مريم فقال : « إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلا لبني إسرائيلَ ولو نشاءُ لجعلنا منكم ملائكةً في الأرض يخلفون ، وإنه لَعِلْمٌ للساعةِ فلا تَمترُنَّ بها واتبعونِ هذا صراطٌ مستقيم » : أي ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلا على علم الساعة ، يقول : « فلا تمترن بها واتبعونِ ، هذا صراطٌ مستقيم » .

الأخنس وما أنزل فيه : والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زُهْرة ، وكان من أشراف القوم وممن يُستمع منه ، فكان يصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرد عليه : فأنزل الله تعالى : « ولا تُطعْ كلَّ حلافٍ مَهينٍ ، همّازٍ مشاءٍ بنميم » . . . إلى قوله تعالى : « زنيم » ، ولم يقل : « زنيم » لعيب في نسبه ، لأن الله لا يعيب أحداً بنسب ، ولكنه حقق بذلك نعته ليعرف . والزنيم : العديد [1] للقوم . وقد قال الخَطيم التميمي في الجاهلية :

زنيمٌ تداعاه الرجالُ زيادةً كما زِيدَ في عرضِ الأديمِ الأكارعُ

الوليد وما أنزل فيه : والوليد بن المغيرة ، قال : أينزل على محمد وأُترك وأنا كبيرقريش وسيدها ! ويُترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين ! فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغني : « وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيم » . . . إلى قوله تعالى : « مما يجمعون » .

أُبيّ بن خلف وعقبة بن أبي معيط ، وما أنزل فيهما : وأبي بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، وعقبة بن أبي مُعَيط ، وكانا متصافيين ، حسنا ما بينهما . فكان عقبة قد جلس

---

(1) العديد من يعد في القوم وهو ليس منهم وهو الدعي ، فعيل بمعنى مفعول .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ، فبلغ ذلك أُبياً ، فأتى عقبة فقال : ألم يبلغنى أنك جالست محمداً وسمعت منه ! قال وجهى من وجهك حرام أن أكلمك — واستغلظ من اليمين — إن أنت جلست إليه أو سمعت منه ، أو لم تأته فتتفل فى وجهه . ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبى مُعَيط لعنه الله . فأنزل الله تعالى فيهما : « ويومَ يَعضُّ الظالمُ على يديه يقول ياليتنى اتخذتُ مع الرسولِ سبيلا » ... إلى قوله تعالى : « للإنسانِ خَذولا » .

ومشى أُبىُّ بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم بال قد ارْفَتَّ فقال : يامحمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرَمّ (١) ، ثم فته بيده ، ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار . فأنزل الله تعالى فيه : « وضربَ لنا مثلاً ونسىَ خلقَه قال : من يُحيى العظامَ وهىَ رميمٌ ، قل يُحييها الذى أنشأها أولَ مرةٍ وهو بكلِّ خلقٍ عليمٌ ، الذى جعلَ لكم من الشجرِ الأخضرِ ناراً ، فإذا أنتم منه تُوقِدونَ » .

سورة (الكافرون) وسبب نزولها : واعترض رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف بالكعبة — فيما بلغنى — الأسودُ بن المطلب بن أسد بن عبد العُزى ، والوليدُ بن المغيرة وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل السهمى ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد ، كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظك منه . فأنزل الله تعالى فيهما : « قُلْ يأيها الكافرون ، لا أعبدُ ماتعبدونَ . ولا أنتم عابدونَ ما أعبدُ ، ولا أنا عابد ما عبدتمْ . ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينُكم ولىَ دين » ، أى إن كنتم لا تعبدون الله ، إلا أن أعبد ما تعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم لكم دينكم جميعاً ، ولى دينى .

أبو جهل . وما نزل فيه : وأبو جهل بن هشام ، لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفاً بها لهم قال : يا معشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا ؛ قال : عجوة يثرب بالزُّبد ، والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها(٢) تزقما . فأنزل الله تعالى فيه : « إن شجرةَ الزقومِ ، طعامُ الأثيمِ ، كالمُهْلِ يغلِى فى البطونِ كغلىِ الحميمِ » : أى ليس كما يقول .

(١) أرم : بلى .
(٢) تزقم : ابتلع .

تفسير لفظ المهل : قال ابن هشام المهل : كل شيء أذبته ، من نحاس أو رصاص أو ما أشبه ذلك فيما أخبرني أبو عبيدة .

وبلغنا عن الحسن البصري أنه قال : كان عبد الله بن مسعود واليا لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يوماً بفضة فأذيبت ، فجعلت تَلَوَّن ألواناً ، فقال : هل بالباب من أحد ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فأدخلوهم ، فأُدخلوا فقال : إن أدنى ما أنتم راءون شبها بالمهل لهذا . وقال الشاعر :

يَسقيه ربي حميمَ المهل يجرعُه ... يشوى الوجوه فهو في بطنِه صَهِرُ

ويقال : إن المهل : صديد الجسد .

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي :

فمن عاشَ منهم عاشَ عبدا وإن يَمُت ... ففي النارِ يُسقَى مهلَها وصديدَهـــا

وهذا البيت في قصيدة له .

بلغنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حُضر أمر بثوبين لبيسين يُغسلان فيكفن فيهما ، فقالت عائشة : قد أغناك الله يا أبت عنهما ، فاشترى كفنا ، فقال : إنما هي ساعة حتى يصير إلى المهل ، قال الشاعر :

شابَه بالماءِ منه مُهلا كريها ... ثم عَلَّ المتونَ بعد النِّهالِ(١)

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيه : « والشجرةَ الملعونةَ في القرآنِ، ونخوِّفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً » .

ابن أم مكتوم والوليد وسورة عبس : ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وقد طمع في إسلامه ، فبينا هو في ذلك ، إذ مر به ابن أم مكتوم الأعمى ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يستقرئه القرآن ، فشق ذلك منه على رسول الله

---

(١) شاب : خلط . والعلل : الشرب بعد الشرب ، والمتون : الظهور ، والنهال : جمع نهل ، وهو الشرب الأول .

صلى الله عليه وسلم حتى أضجره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد ، وما طمع فيه من إسلامه . فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه . فأنزل الله تعالى فيه « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » . إلى قوله تعالى : « في صحف مكرّمة ، مرفوعة مطهرة » أى إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخص بك أحداً، فلا تمنعه ممن ابتغاه ، ولا تتصدين به لمن لا يريده .

قال ابن هشام : ابن أم مكتوم ، أحد بني عامر بن لؤى ، واسمه عبد الله ، ويقال : عمرو.

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ، إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا.

فكان من قدم عليه مكة منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدراً ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره ، ومن مات بمكة منهم من بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصى : عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن شمس معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وامرأته سهلة بنت سهيل .

ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش بن رئاب .

ومن بني نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان ، حليف لهم ، من قيس عيلان .

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .

ومن بني عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ؛ وسويبط بن سعد ابن حرملة .

ومن بني عبد بن قصى : طليب بن عمير بن وهب بن عبد .

ومن بني زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، والمقداد بن عمرو . حليف لهم ؛ وعبد الله بن مسعود ، حليف لهم .

ومن بني مخزوم بن يقظة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، معه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ؛ وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمى ابن عامر بن مخزوم . وسلمة بن هشام بن المغيرة ، حبسه عمه بمكة ، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق ، وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة ، هاجر معه إلى المدينة ، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل بن هشام ، والحارث بن هشام ، فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأحد والخندق .

ومن حلفائهم . عمار بن ياسر ، يشك فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا ؟ ومُعَتِّب بن عوف ابن عامر من خزاعة .

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب . عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة ابن جمح . وابنه السائب بن عثمان ؛ وقدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب . خُنَيس بن حذافة بن قيس بن عدى ، وهشام ابن العاص بن وائل ، حبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق .

ومن بنى عدى بن كعب . عامر بن ربيعة ، حليف لهم ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة ابن حذافة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤى . عبد الله بن مَخْرَمة بن عبد العزى بن أبى قيس . وعبد الله بن سُهَيل ابن عمرو ، وكان حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة ، حتى كان يوم بدر ، فانحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معه بدرا ؛ وأبو سَبْرة ابن أبى رُهْم بن عبد العزى ، معه امرأته أم كلثوم بنت سُهَيل بن عمرو ؛ والسكران بن عمرو ابن عبد شمس ، معه امرأته سَوْدة بنت زَمْعَة بن قيس ، مات بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سودة بنت زَمْعَة .

ومن حلفائهم . سعد بن خَوْلة .

ومن بنى الحارث بن فِهْر : أبو عبيدة بن الجراح ، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح ؛ وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد ؛ وسُهَيل ابن بيضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال ؛ وعمرو بن أبى سَرْح بن ربيعة بن هلال .

فجميع من قــــدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا .

فكان من دخل منهم بجوار ، فيمن سُمى لنا : عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحى ، دخل بجوار من الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، دخل بجوار من أبى طالب بن عبد المطلب وكان خاله . وأم أبى سلمة : بَرة بنت عبد المطلب .

عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد

قال ابن إسحاق : فأما عثمان بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثنى عمن حدثه عن عثمان ، قال : لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء ، وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : والله إن غُدُوى ورَوَاحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله مالا يصيبنى ، لنقص كبير فى نفسى . فمشى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شمس ، وفَتْ ذمتُك ، قد رددت إليك جوارك ؛ فقال له : يابن أخى لعله آذاك أحد من قومى ؟ قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجير بغيره ؟ قال : فانطلق إلى المسجد ، فاردد علىّ جوارى علانية كما أجرتك علانية . قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد علىّ جوارى ، قال : صدق ، قد وجدته وفيا كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره ؛ ثم انصرف عثمان ، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب فى مجلس من قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد :

ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطلُ

قال عثمان : صدقت . قال لبيد :

وكلُّ نعيمٍ لا مَحالَةَ زائلُ

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول . قال لبيد بن ربيعة : يامعشر قريش ، والله ما كان يُؤذَى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إنّ هذا سفيه فى سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجِدَن فى نفسك من قوله ؛ فرد عليه عثمان حتى شَرِىَ(١) أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضّرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله يا بن أخى كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت فى ذمة منيعة . قال : يقول عثمان : بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله ، وإنى لفى جوار من هو

(١) شَرِى : كثر وزاد .

أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس ؛ فقال له الوليد : هلم يابن أخي ، إن شئت فعد إلى جوارك ؛ فقال : لا .

أبو سلمة في جوار أبي طالب . قال ابن إسحاق : وأما أبو سلمة بن عبد الأسد ، فحدثني أبي إسحاق بنُ يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة أنه حدثه : أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب ، مشى إليه رجال من بني مخزوم ، فقالوا : يا أبا طالب ، لقد منعت منا ابن أخيك محمداً ، فمالك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال : إنه استجار بي ، وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي ؛ فقام أبو لهب فقال : يامعشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهُنَّ عنه أو لنقومنَّ معه في كل ما قام فيه ، حتى يبلغ ما أراد . قال : فقالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتبة ، وكان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبقَوا على ذلك . فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وإن امرأً أبو عُتَيبة عمُّه ... لفي روضةٍ ما إن يُسام المظالما
أقول له ، وأين منه نصيحتي ... أبا مُعْتِب ثَبِّتْ سوادك قائما(١)
ولا تقبلنَّ الدهرَ ما عشتَ خُطةً ... تُسبُّ بها إما هبطتَ المواسما
وولِّ سبيلَ العجزِ غيرَك منهمُ ... فإنك لم تُخلقْ على العجزِ لازما
وحاربْ فإن الحربَ نِصْفٌ وما ترى ... أخا الحربِ يُعطَى الخسفَ حتى يُسالما
وكيف ولم يجنُوا عليك عظيمةً ... ولم يخذُلوك غانما أو مُغارِما
جزى اللهُ عنا عبدَ شمسٍ ونوفلاً ... وتَيْماً ومخزوماً عُقوقاً ومأثما
بتفريقهم من بعد وُدٍّ وألفةٍ ... جماعتَنا كيما ينالوا المحارما
كذبتم وبيتِ الله نُبْزَى محمداً ... ولمّا تَرَوْا يوما لدى الشِّعْبِ قائما

قال ابن هشام : نبزى : نسلب . قال ابن هشام : وبقي منها بيت تركناه .

---

(١) سوادك : شخصك .

دخول أبي بكر في جوار ابن الدغنة ثم رده عليه

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه، كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجراً، حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين، لقيه ابن الدُّغُنَّة، أخو بنى عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش.

قال ابن إسحاق: والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهُون بن خزيمة ابن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة.

قال ابن هشام: تحالفوا جميعاً، فسموا الأحابيش للحلف.

ويقال: ابن الدُّغَينة.

قال ابن إسحاق: حدثنى الزهرى، عن عُروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: فقال ابن الدغنة: أين يا أبابكر؟ قال: أخرجنى قومى وآذونى، وضيقوا علىّ؛ قال: ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم [1]، ارجع فأنت فى جوارى. فرجع معه، حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدغنة فقال: يامعشر قريش، إنى قد أجرت ابن أبى قحافة، فلا يعرضن له أحد إلا بخير. قالت: فكفوا عنه.

قالت: وكان لأبى بكر مسجد عند باب داره فى بنى جُمَح، فكان يصلى فيه، وكان رجلا رقيقا، إذا قرأ القرآن استبكى. قالت: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء، يعجبون لما يرَون من هيئته. قالت: فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة، فقالوا: يابن الدغنة، إنك تجير هذا الرجل ليؤذينا! إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يَرِق ويبكى، وكانت له هيئة ونحو، فحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضَعَفتنا أن يفتنهم، فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ماشاء. قالت: فمشى ابن الدغنة إليه، فقال له: يا أبا بكر، إنى لم أجرك لتؤذى قومك، إنهم قد كرهوا مكانك الذى أنت فيه وتأذَّوْا بذلك منك، فادخل بيتك، فاصنع فيه ما أحببت قال: أوَ أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله؟ قال فاردد علىّ جوارى، قال: قد رددته عليك

(١) أى تكسب غيرك ماهو معدوم عنده.

قالت: فقام ابن الدغنة، فقال: يامعشر قريش، إن ابن أبي قحافة قد رد علىّ جوارى فشأنكم بصاحبكم.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، قال: لقيه سفيه من سفهاء قريش، وهو عامد إلى الكعبة، فحثا على رأسه ترابا. قال: فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة، أو العاص بن وائل. قال: فقال أبو بكر: ألا ترى إلى مايصنع هذا السفيه؟ قال: أنت فعلت ذلك بنفسك. قال: وهو يقول: أى ربّ، ما أحلمك! أى رب ما أحلمك! أى رب، ما أحلمك!.

حديث نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق: وبنو هاشم وبنو المطلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قريش عليهم فى الصحيفة التى كتبوها، ثم إنه قام فى نقض تلك الصحيفة التى تكاتبت فيها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب نفر من قريش، ولم يُبْلِ فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث ابن حبيب بن نصر بن جذيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى، وذلك أنه كان ابن أخى نضلة ابن هاشم بن عبد مناف لأمه، فكان هشام لبنى هاشم واصلا، وكان ذا شرف فى قومه، فكان — فيما بلغنى — يأتى بالبعير، وبنو هاشم وبنو المطلب فى الشّعب ليلا، قد أوقره طعاما حتى إذا أقبل به فم الشعب خلع خِطامه من رأسه، ثم ضرب على جنبه، فيدخل الشعب عليهم ثم يأتى به قد أوقره بزاً أو بُراً، فيفعل به مثل ذلك.

قال ابن إسحاق: ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يازهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث قد علمت، لايُباعون ولا يبتاع منهم، ولا يَنكحون ولا يُنكح إليهم؟ أما إنى أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام، ثم دعوته إلى مثل مادعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبدا، قال: ويحك يا هشام! فاذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها حتى أنقضها، قال: قد وجدت رجلا قال: فمن هو؟ قال: أنا، قال له زهير: أبغنا رجلا ثالثا.

فذهب إلى المطعِم بن عدى، فقال له: يامطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيه! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها

منكم ببراءة، قال ويحك : فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانيا ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : أبغنا ثالثا ، قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير ابن أبي أمية ، قال أبغنا رابعا .

فذهب إلى البَخْتَرى بن هشام ، فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدى ، فقال : وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، والمطعم بن عدى ، وأنا معك ، قال أبغنا خامسا .

فذهب إلى زَمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فكلمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم ؛ ثم سمى له القوم .

فاتّعدوا خَطْم الحَجون (١) ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك. فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدؤكم ، فأكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حُلة ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أنأكل الطعام ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل : وكان فى ناحية المسجد : كذبتَ والله لاتُشق ، قال زَمْعَة بن الأسود : أنت والله أكذب ، مارضينا كتابتها حيث كُتبت ، قال أبو البَخْترى . صدق زمعة ، لانرضى ما كتب فيها ، ولا نقرّ به ، قال المطعم بن عدى : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ، ومما كُتب فيها ، قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قُضِىَ بليل ، تُشُورِ فيه بغير هذا المكان . وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد ، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها ، فوجد الأرَضَة قد أكلتها ، إلا « باسمك اللهم » .

وكان كاتب الصحيفة منصور (٢) بن عكرمة . فشُلَّت يده فيما يزعمون .

---

(١) الخطم : المقدمة . والحجون : موضع بأعلى مكة .

(٢) وللنساب من قريش فى كاتب الصحيفة هو : بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد الدار ، والقول الثانى : أنه منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم من بنى عبد الدار أيضا — انظر الروض الأنف جـ ٢ ص ١٢٧ .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب ياعم ، إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان ، فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله مايدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخي . فقال القوم : رضينا . فتعاقدوا على ذلك . ثم نظروا . فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فزادهم ذلك شراً . فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ماصنعوا[1] .

قال ابن إسحاق : فلما مُزقت الصحيفة وبطل مافيها . قال أبو طالب ، فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم :

ألا هل أتى بحريّنا صنعُ ربِّنا ... على نأيهم واللهُ بالناسِ أرْوَدُ[2]
فيخبرَهم أن الصحيفةَ مُزقت ... وأنْ كلُّ ما لم يَرضه اللهُ مُفسد
تَراوحها إفكٌ وسحرٌ مُجمَّعٌ ... ولم يُلفَ سحرٌ آخرَ الدهرِ يصعد
تداعَى لها من ليس فيها بقرقرٍ ... فطائرُها في رأسها يتردد[3]
وكانت كِفاءً وقعةٌ بأثيمةٍ ... ليُقطعَ منها ساعدٌ ومُقلَّد[4]
ويظعنُ أهلُ المكتين فيهربوا ... فرائصُهم من خشيةِ الشرِّ تُرعَد
ويُترك حرّاثٌ يقلِّبُ أمرَه ... أيُتْهِمُ فيهم عند ذاك ويُنجِد[5]
وتصعدُ بين الأخشبين كتيبةٌ ... لها حُدُجٌ سهمٌ وقوسٌ ومِرْهَد[6]
فمن ينشَ من حُضّارِ مكةَ عِزه ... فعزتُنا في بطنِ مكةَ أتلد

---

(١) ويذكر في الصحيح ما أصاب المسلمين من الجهد حتى إنهم كانوا يأكلون ورق السمر والجلود اليابسة وكل ما تصل إليه أيديهم أى شيء كان .

(٢) بحرينا : يعني الذين بأرض الحبشة نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . والأرود : الأرفق .

(٣) القرقر : الذليل . (٤) المقلد : العنق .

(٥) الحراث المكتسب . (٦) الحدج : الحمل . والمرهد : الناعم أى السيف الناعم بالرى من الدماء .

نشأنا بها والناسُ فيها قلائلٌ ... فلم تنفكِكْ نزدادُ خيراً ونُحمدُ
ونُطعِمُ حتى يتركَ الناسُ فضلَهم ... إذا جعلت أيدى المفيضين تُرْعَدُ[1]
جزى الله رهطاً بالحجونِ تتابعوا ... على ملإٍ يهدى بحزمٍ ويُرشِدُ
قعوداً لدى خَطْمِ الحجونِ كأنهم ... مقاولةٌ بل هم أعزُّ وأمجدُ[2]
أعان عليها كلُّ صقرٍ كأنه ... إذا مامشى فى رَفرفِ الدرعِ أحردُ[3]
جرئٌ على جُلَّى الخطوبِ كأنه ... شهابٌ بكفَّىْ قابسٍ يتوقد[4]
من الأكرمين من لؤىّ بن غالبٍ ... إذا سِيمَ خسفاً وجهُه يتربّد
طويلُ النجادِ خارجٌ نصفُ ساقِه ... على وجهِه يُسقَى الغمامُ ويُسعَد
عظيمُ الرمادِ سيدٌ وابنُ سيدٍ ... يحُضُّ على مَقرَى الضيوفِ ويَحشُد
ويبنى لأبناءِ العشيرةِ صالحاً ... إذا نحن طُفنا فى البلادِ ويَمهد
ألظَّ بهذا الصلحِ كلُّ مبرَّإٍ ... عظيمِ اللواءِ أمرُه ثم يُحمَدُ[5]
قضَوْا ما قضَوْا فى ليلهم ثم أصبحوا ... على مَهَلٍ وسائرُ الناسِ رُقَّد
هُمُ رجعوا سهلَ ابنَ بيضاءَ راضياً ... وسُرّ أبو بكرٍ بها ومحمد
متى شُرِكَ الأقوامُ فى جُلِّ أمرِنا ... وكنا قديماً قبلها نُتَوَدَّد
وكنا قديماً لا نقرُّ ظُلامةً ... وندركُ ما شئنا ولا نتشدد
فيالَقُصَىٍّ هل لكم فى نفوسكم ... وهل لكم فيما يجىءُ به غدُ
فإنى وإياكم كما قال قائلٌ ... لديك البيانُ لو تكلمتَ أسودُ[6]

(١) المفيضون : الضاربون بقداح الميسر .
(٢) المقاولة : الملوك
(٣) رفرف الدرع : مافضل منه . والأحرد بطىء المشى لثقل ماعليه من البأس الحرب
(٤) الجلى : الأمر العظيم (٥) ألظ : ألح .
(٦) أسود اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل ، فلم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلا . روض ٢/١٢٩ .

وقال حسان بن ثابت : يبكى المطعم بن عدى حين مات ، ويذكر قيامه فى نقض الصحيفة :

أيا عينُ فابكى سيدَ القومِ واسفحى ... بدمعٍ وإن أنزفتِه فاسكبى الدما
وبكِّى عظيمَ المشعَرَين كليهما ... على الناس معروفا له ماتَكلما
فلو كان مجدٌ يُخلِدُ الدهرَ واحداً ... من الناسِ ، أبقى مجدُه اليومَ مُطعِما
أجرتَ رسولَ اللهِ منهم فأصبحوا ... عبيدَك ما لبَّى مُهِـلٌّ وأحرَما
فلو سُئِلتْ عنه معدٌّ بأسرِها ... وقحطانُ أو باقى بقيةِ جُرْهُما
لقالوا هو الموفِى بخُفرَةِ جارِه ... وذمتِه يوما إذا ما تذَمَّما[1]
فما تطلُعُ الشمسُ المنيرةُ فوقَهم ... على مثلِه فيهم أعزَّ وأعظَما
وآبَى إذا يأبَى وألينَ شيمةً ... وأنوَمَ عن جارٍ إذا الليلُ أظلما

قال ابن هشام : قوله « كليهما » عن غير ابن إسحاق :

قال ابن هشام : وأما قوله : « أجرت رسول الله منهم » ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ، ولم يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، من تصديقه ونُصرته : صار إلى حراء ، ثم بعث إلى الأخنس بن شَريق ليُجيره ، فقال : أنا حليف ، والحليف لا يجير ، فبعث إلى سهيل بن عمرو ، فقال : إن بنى عامر لا تجير على بنى كعب ، فبعث إلى المطعم بن عدى فأجابه إلى ذلك ، ثم تسلح المطعم وأهلُ بيته ، وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطاف بالبيت وصلى عنده ، ثم انصرف إلى منزله . فذلك الذى يعنى حسانُ بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا : يمدح هشام بن عمرو لقيامه فى الصحيفة :

هل يُوفِيَنّ بنو أميـةَ ذمةً ... عقداً كما أوفَى جوارُ هشامِ
من معشرٍ لايَغدِرون بجارِهم ... للحارثِ بنِ حُبَيِّبِ بنِ سُخامِ
وإذا بنو حِسْلٍ أجاروا ذمةً ... أوفَوْا وأدوا جارَهم بسلامِ

وكان هشام أحد سحام .

قال ابن هشام : ويقال : سخام

---

(١) الخفرة : العهد .

إسلام الطُّفَيل بن عمرو الدَّوسى

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على مايرى من قومه ، يبذل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه . وجعلت قريش ، حين منعه الله منهم ، يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسى يحدث : أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلا شريفا شاعراً لبيباً ، فقالوا له : يا طفيل ، إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا[1] ، وقد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمَنَّه ولا تسمعن منه شيئا .

قال : فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوت فى أذنى حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفا[2] فَرَقا من أن يبلغنى شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه . قال : فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة . قال : فقمت منه قريبا ، فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله . قال : فسمعت كلاما حسنا . قال : فقلت فى نفسى : واثُكْلَ أمى ، والله إنى لرجل لبيب شاعر مايخفَى علىَّ الحسن من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ! فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته .

قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت : يا محمد ، إن قومك قد قالوا لى كذا وكذا ، للذى قالوا ، فوالله

---

(١) أعضل : اشتد أمره

(٢) الكرسف : القطن

ما ترحوا يخوفونى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك ، فسمعته قولا حسنا ، فاعرض على أمرك . قال : فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، وتلا على القرآن ، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه . قال : فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يا نبى الله ، إنى امرؤ مطاع فى قومى وأنا راجع إليهم ، وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه فقال : اللهم اجعل له آية .

قال : فخرجت إلى قومى ، حتى إذا كنت بثنية (١) تطلعنى على الحاضر(٢) وقع نور بين عينى مثل المصباح ؛ فقلت : اللهم فى غير وجهى ، إنى أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت فى وجهى لفراق دينهم . قال : فتحول فوقع فى رأس سوطى . قال : فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلق ، وأنا أهبط إليهم من الثنية ، قال : حتى جئتهم فأصبحت فيهم .

إسلام والد الطفيل وزوجه : قال : فلما نزلت أتانى أبى ، وكان شيخا كبيرا ، قال : فقلت : إليك عنى يا أبت ، فلست منك ولست منى ؛ قال : ولم يا بنى ؟ قال : قلت : أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال : أى بنى ، فدينى دينك ؛ قال : فقلت : فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت . قال : فذهب فاغتسل ، وطهر ثيابه . قال : ثم جاء فعرضت عليه الإسلام ، فأسلم .

قال : ثم أتتنى صاحبتى ، فقلت : إليك عنى ، فلست منك ولست منى ؛ قالت : لم ؟ بأبى أنت وأمى ؛ قال : قلت : قد فرق بينى وبينك الإسلام ، وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : فدينى دينك ؛ قال : قلت : فاذهبى إلى حِنَا ذى الشرى — قال ابن هشام : ويقال : حِمَى ذى الشرى — فتطهرى منه .

قال : وكان ذو الشرى صنما لدوس ، وكان الحمى حمى حموه له ، وبه وشل(٣) من ماء يهبط من جبل .

---

(١) الثنية : ما انفرج بين الجبلين .

(٢) الحاضر : القبيلة النازلة على الماء .

(٣) الوشل : الماء القليل .

قال : فقلت بأبي أنت وأمي ، أتخشى على الصِّبْيَة من ذي الشرى شيئاً ؟ قال : قلت : لا ، أنا ضامن لذلك ، فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام ، فأسلمت .

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام ، فأبطئوا عليّ ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت له : يا نبي الله ، إنه قد غلبني على دوس الزنا[1] ، فادع الله عليهم ؛ فقال : اللهم اهد دوساً ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم . قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ، ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، فأسهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا فتح الله عليه مكة ، قال : قلت : يا رسول الله ، ابعثني إلى ذي الكَفَّين ، صنم عمرو بن حُمَمة حتى أحرقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول :

يا ذا الكَفَين لستُ من عِبادِكا ميلادُنا أقدمُ من ميلادكا[2]

إني حشوت النارَ في فؤادِكا

قال : ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم . فلما ارتدت العرب ، خرج مع المسلمين ، فسار معهم حتى فرغوا من طُلَيْحة ، ومن أرض نجد كلها . ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ، ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي ، رأيته أن رأسي حُلِق ، وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها ، وأرى ابني يطلبني حثيثاً ، ثم رأيته حُبِس عني ؛ قالوا : خيراً ؛ قال : أما أنا والله فقد أولتها ؛ قالوا : ماذا ؟ قال : أما حلق رأسي فوضعه ؛ وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي ؛ وأما المرأة التي أدخلتني فرجها فالأرض تُحفر لي ، فأغيَّب فيها ؛ وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني ، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني . فقُتل رحمه الله شهيداً باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبَلّ[3] منها ، ثم قُتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيداً .

---

(١) الزنا : لهو مع شغل القلب .

(٢) خفف الكفين لضرورة الشعر . (٣) استبل : شفي .

قصة أعشى بنى قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام حدثني خلاد بن قرة بن خالد السّدوسيّ وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم: أن أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام، فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وبتّ كما بات السليم مُسهّدا(١)

وما ذاك من عشق النساء وإنما ... تناسيت قبل اليوم خلة مَهْددا(٢)

ولكنْ أرى الدهرَ الذي هو خائنٌ ... إذا أصلحت كفّاى عاد فأفسدا

كُهولا وشبانا فقدتُ وثروةً ... فلله هذا الدهرُ كيف تردّدا

وما زلتُ أبغي المالَ مذ أنا يافعٌ ... وليداً وكهلا حين شِبْتُ وأمْرَدا

وأبتذلُ العِيسَ المراقيلَ تغتلى ... مسافةَ ما بين النُّجَيْرِ فصَرْخدا(٣)

ألا أيُّهذا السائلى أين يمّمتْ ... فإن لها فى أهل يثرب مَوْعِدا

فإن تسألى عنى فياربَّ سائلٍ ... حَفِىٍّ عن الأعشى به حيث أصعدا

أجدّت برجليها النجاءَ وراجعت ... يداها خِنافا ليّناً غير أحْرَدا(٤)

وفيها إذا ما هجّرتْ عجْرَفيّةٌ ... إذا خِلْتَ حِرباءَ الظهيرة أصيدا(٥)

فآليتُ لا أرثِى لها من كَلالةٍ ... ولا من حَفىً حتى تُلاقى محمدا(٦)

---

(١) الأرمد من يشتكى الرمد والسليم: الملدوغ. والمسهد الذى منع من النوم.

(٢) مهدد: اسم امرأة.

(٣) العيس نوع من الإبل البيض التى تخالطها حمرة. والمراقيل: السريعة وتغتلى تتسابق والنجير والصرخد مكانان بينهما.

(٤) النجاء: ضرب من السرعة والخناف: لوى يديها فى السير نشاطا والأحرد الذى يطىء فى السير.

(٥) هجرت: مشت فى الهاجرة وهى الظهيرة والعجرفية التى لاتهاب شيئاً والحرباء دويبة يدور وجهها مع الشمس أنا دارت والأصيد المائل العنق.

(٦) أرثى: أشفق.

متى ما تُناخى عند باب ابن هاشم   تُراحى وتَلْقَى من فواضله ندى

نبيا يرى ما لا تَرَوْنَ وذكره   أغارَ لَعَمْرى فى البلادِ وأنجدا

له صدقاتٌ ما تُغِبُّ ونائلٌ   وليس عطاءُ اليومِ مانعه غدا

أجِدَّك لم تسمعْ وَصاةَ محمدٍ   نبىِّ الإلهِ حيث أوصى وأشهدا

إذا أنت لم ترحلْ بزادٍ من التقى   ولاقيتَ بعد الموتِ من قد تزوّدا

ندمتَ على أن لا تكونَ كمثلِه   فتُرصِدَ للموتِ الذى كان أرصدا(١)

فإياك والميتاتِ لا تقربنها   ولا تأخُذَنْ سهما حديدا لتفصدا

ولا النُّصُبَ المنصوبَ لا تنسُكَنّه   ولا تعبدِ الأوثانَ والله فاعبُدا(٢)

ولا تقربَنْ حرةً كان سِرُّها   عليك حراما فانكِحَنْ أو تأبدا(٣)

وذا الرَّحِمِ القُربى فلا تقطعنّه   لعاقبةٍ ولا الأسيرَ المقيدا

وسبحْ على حينِ العشيّاتِ والضحى   ولا تحمدِ الشيطانَ والله فاحمدا

ولا تَسْخَرَنْ من بائسٍ ذى ضرارةٍ   ولا تحسبنّ المالَ للمرءِ مُخلِدا(٤)

نهاية الأعشى: فلما كان بمكة أو قريبا منها، اعترضه بعض المشركين من قريش، فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم، فقال له: يا أبا بصير، إنه يحرم الزنا؛ فقال الأعشى: والله إن ذلك لأمر ما لى فيه من أَرَب؛ فقال له: يا أبا بصير، فإنه يحرم الخمر؛ فقال الأعشى: أما هذه فو الله إن فى النفس منها لعلالات، ولكنى منصرف فأتروى منها عامى هذا، ثم آتيه فأسلم(٥). فانصرف فمات فى عامه ذلك، ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أرصد: أعد.

(٢) وقف على النون الخفيفة بالألف ولذلك كتبت فى الخط بالألف لأن الوقف عليها بالألف وقيل إنه لم يرد النون الخفيفة، وإنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين.

(٣) تأبد: بعد عن النساء.   (٤) ضرارة ضرورة.

(٥) قال السهيلى وهذه غفلة من ابن هشام، ومن قال بقوله: فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم تحرم إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأحد، وحرمت فى سورة المائدة، وهى من آخر ما نزل، وفى الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها، وغنته القينتان: ألا يا حمز، الشرف النواء، فبقر خواصر الشارفين، واجتب أسنمتها.

أبو جهل يذل للرسول : قال ابن إسحاق : وقد كان عدو الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله صلى الله وسلم وبغضه إياه ، وشدته عليه ، يذله الله له إذا رآه .

أبو جهل والإراشي

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي ، وكان واعية ، قال : قدم رجل من إراش — قال ابن هشام : ويقال إراشة — بإبل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها . فأقبل الإراشي حتى وقف على ناد من قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد جالس ، فقال : يامعشر قريش ، من رجلٌ يُؤدِيني(١) على أبي الحكم بن هشام فإني رجل غريب ، ابن سبيل ، وقد غلبني على حق ؟ قال : فقال له أهل ذلك المجلس : أترى ذلك الرجل الجالس — لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يهزءون به لما يعلمون مابينه وبين أبي جهل من العداوة — اذهب إليه فإنه يؤديك عليه .

فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياعبد الله إن أبا الحكم ابن هشام قد غلبني على حق لي قِبَله ، وأنا رجل غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يُؤدِيني عليه ، يأخذ لي حقي منه ، فأشاروا لي إليك ، فخذ لي حقي منه ، يرحمك الله ! قال : انطلق إليه ، وقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قام معه . قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه ، فانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه . فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فاخرج إليَّ ، فخرج إليه ، وما في وجهه من رائحة(٢) ، قد انتقع لونه ، فقال : أعط هذا الرجل حقه ؛ قال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذي له ، قال : فدخل ، فخرج إليه قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للإراشي الحق بشأنك ، فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لي حقي .

= فإن صح خبر الأعشى ، وما ذُكر له في الخمر ، فلم يكن هذا بمكة ، وإنما كان بالمدينة ، ويكون القائل له : أما علمت أنه يحرم الخمر ، من المنافقين ، أو من اليهود ، فالله أعلم : وفي القصيدة ما يدل على هذا قوله : فإن لها في أهل يثرب موعدا ، وقد ألفيت للقالي رواية عن أبي عبيدة قال : لقي الأعشى عامر بن الطفيل في بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر له أنه يحرم الخمر ، فرجع ، فهذا أولى بالصواب .

(١) يؤديني : يساعدني على استرداد حقي . (٢) ليس فيه قطرة دم .

قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجبا من العجب والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه ، فخرج إليه وما معه روحه فقال له : أعط هذا حقه فقال: نعم ، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إياه . قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا ويلك ! مالك ؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط ! قال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علىّ بابى ، وسمعت صوته ، فُملئت رعبا ، ثم خرجت إليــه ، وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ، ما رأيت مثل هامته ، ولا قَصَرته ، ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أبيت لأكلنى .

أمر رُكَانة المطلبى ومصارعته للنبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بنُ يسار ، قال : كان رُكَانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشد قريش؛ فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارُكَانة ، ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك إليــه ؟ قال : إنى لو أعلم أن الذى تقول حق لاتبعتك ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرأيت إن صرعتك ، أتعلم أن ما أقول حق ؟ قال : نعم ، قال : فقم حتى أصارعك . قال : فقام إليه ركانة يصارعه ؛ فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعه ، وهو لا يملك من نفسه شيئاً ، ثم قال : عد يا محمد ، فعاد فصرعه ، فقال ـ يا محمد والله إن هذا للعجب أتصرعنى؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه ، إن اتقيت الله واتبعت أمرى ؛ قال : ما هو ؟ قال : أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى ؛ قال : ادعها ، فدعاها ، فأقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليــه وسلم . قال : فقال لها ارجعى إلى مكانك . قال : فرجعت إلى مكانها .

قال : فذهب ركانة إلى قومه فقال : يابنى عبد مناف ، ساحروا بصاحبكم أهــل الأرض ، فوالله ما رأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع .

قدوم وفد النصارى من الحبشة

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة ، عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه فى المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ؛ فلما فرغوا من مسألة رسول الله

صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله ، وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قريش فقالوا لهم : خيبكم الله من رَكْبٍ ! بعثكم مَن وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده ، حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ، ما نعلم ركبا أحمق منكم . أو كما قالوا . فقالوا لهم : سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نألُ أنفسنا خيراً .

ويقال : إن النفر من النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم أى ذلك كان . فيقال — والله أعلم — فيهم نزلت هؤلاء الآيات « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يُتلى عليهم قالوا آمنا به ، إنه الحقُّ من ربِّنا ، إنا كنا من قبله مسلمين » . . . إلى قوله « لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم ، سلامٌ عليكم لا نبتغى الجاهلين » .

قال ابن إسحاق : وقد سألت ابن شهاب الزهرى عن هؤلاء الآيات فيمن أنزلن فقال لى : ما أسمع من علمائنا أنهن أنزلن فى النجاشى وأصحابه . والآية من سورة المائدة من قوله : « ذلك بأن منهم قِسِّيسين ورُهْبانا ، وأنهم لا يستكبرون » . . . إلى قوله : « فاكتُبْنا مع الشاهدين » .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المسجد ، جلس إليه المستضعفون من أصحابه : خَبَّاب ، وعمَّار ، وأبو فُكَيْهة يسار مولى صفوان بن أمية بن محرث وصُهَيْب ، وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون أهؤلاء منَّ اللهُ عليهم من بيننا بالهدى والحق ! لو كان ماجاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه ، وما خصهم الله به دوننا . فأنزل الله تعالى فيهم : « ولا تطْرُدِ الذين يدعون ربَّهم بالغداةِ والعَشِيِّ يريدون وجهَه ، ما عليك من حسابِهم من شيءٍ وما من حسابِك عليهم من شيءٍ فتطردَهم فتكونَ من الظالمين ، وكذلك فتنَّا بعضَهم ببعضٍ ليقولوا أهؤلاءِ منَّ اللهُ عليهم من بيننا ، أليسَ اللهُ بأعلمَ بالشاكرين . وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ، فقل سلامٌ عليكم كتب ربُّكم على نفسِه الرحمةَ أنه من عمِلَ منكم سوءاً بجهالةٍ ثم تابَ من بعدِه وأصلحَ فأنه غفورٌ رحيمٌ » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مُبَيْعة غلام نصرانى ، يقال له : جبر ، عبد لبنى الحضرمى ، فكانوا يقولون : والله ما يعلِّم محمداً كثيراً

مما يأتى به إلا جبر النصرانى ، غلام بنى الحضرمى . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشرٌ . لسانُ الذى يُلحِدونَ إليه أعجميٌّ ، وهذا لسانٌ عربىٌّ مبين » .

قال ابن هشام : يُلحدون إليه : يميلون إليه . والإلحادُ : الميل عن الحق .

قال رؤبة بن العجاج :

إذا تبِعَ الضحاكَ كلُّ مُلحِدِ

قال ابن هشام : يعنى الضحاك الخارجى ، وهذا البيت فى أرجوزة له .

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق : وكان العاص بن وائل السّهمى — فيما بلغنى — إذا ذُكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له لو مات لا نقطع ذكره واسترحتم منه ، فأنزل الله فى ذلك : « إنا أعطيناكَ الكوثَرَ » ما هو خير لك من الدنيا وما فيها . والكوثر : العظيم .

معنى الكوثر : قال ابن إسحاق : قال لبيد بن ربيعة الكلابى :

وصاحبِ ملحوبٍ فُجِعنا بيومِه　　　وعندَ الرِّداعِ بيتُ آخرَ كوثرِ

يقول : عظيم .

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له . وصاحب ملحوب : عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بملحوب . وقوله : « وعند الرداع بيت آخر كوثر » : يعنى شُرَيح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بالرداع . وكوثرُ : أراد : الكثير . ولفظه مشتق من لفظ الكثير . قال الكميت بن زيد يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

وأنتَ كثيرٌ يابنَ مروانَ طيبٌ　　　وكان أبوكَ ابنَ العقائلِ كوثَرَا

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أمية بن أبى عائذ الهذلى يصف حمار وحش :

يحامى الحقيقَ إذا ما احتدمن   وحَمْحَمْنَ فى كوثرٍ كالجلالِ[1]

يعنى بالكوثر : الغبار الكثير ، شبهه لكثرته عليه بالجلال . وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : حدثنى جعفر بن عمرو — قال ابن هشام : هو جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى — عن عبد الله بن مسلم أخى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : يارسول الله ، ما الكوثر الذى أعطاك الله ؟ قال : نهرٌ كما بين صَنْعاءَ إلى أيلةَ ، آنيته كعدد نجوم السماء ، تَرِدُه طيور لها أعناق كأعناق الإبل . قال ، يقول عمر بن الخطاب : إنها يارسول الله لناعمة ؛ قال : آكلها أنعمُ منها .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت فى هذا الحديث أو غيره أنه قال صلى الله عليه وسلم : مَن شَرِب منه لايظمأ أبداً .

نزول « وقالوا لولا أنزل عليه مَلَك »

قال ابن إسحاق : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه إلى الإسلام ، وكلمهم فأبلغ إليهم ، فقال زَمْعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، والأسود بن عبد يغوث ، وأُبىّ بن خلف والعاص بن وائل : لو جعل معك يا محمد مَلَك يُحدِّث عنك الناس ويُرَى معك ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « وقالوا لولا أُنزِلَ عليه مَلَكٌ ، ولو أنزلنا مَلَكا لقُضِىَ الأمرُ ثم لايُنظرون . ولو جعلناه مَلَكا لجعلناه رجلا ، ولَلَبَسنا عليهم ما يَلبِسون » .

نزول « ولقد استُهزِئ برسلٍ من قبلك »

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — بالوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف وبأبى جهل بن هشام ، فهمزوه واستهزءوا به ، فغاظه ذلك . فأنزل الله تعالى

---

(١) الحقيق : ما يجب أن يحميه الإنسان ويريد هنا حماية أتنه ، والاحتدام سرعة الجرى . والجلال ما تلبسه الدواب لحمايتها .

عليه فى ذلك من أمرهم : «ولقد استُهزِئ برسلٍ من قبلِك ، فحاق بالذين سَخِروا منهم ما كانوا به يستهزءون » .

ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال : ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش وفى القبائل كلها .

قال ابن إسحاق : كان من الحديث فيما بلغنى عن مَسْراه صلى الله عليه وسلم ، عن عبد الله ابن مسعود ، وأبى سعيد الخُدْرى ، وعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والحسن بن أبى الحسن البَصْرى ، وابن شهاب الزهرى ، وقَتادة وغيرهم من أهل العلم وأم هانىء بنت أبى طالب ، ما اجتمع فى هذا الحديث ، كل يُحدِّث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أسرى به صلى الله عليه وسلم ، وكان فى مَسْراه ، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص ، وأمرٌ من أمر الله عز وجل فى قدرته وسلطانه ، فيه عِبرة لأولى الألباب ، وهدًى ورحمةٌ وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليُرِيَه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التى يصنع بها ما يريد .

رواية ابن مسعود عن الإسراء : فكان عبد الله بن مسعود — فيما بلغنى عنه — يقول :

أُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبُراق — وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الأنبياء قبله ، تَضَع حافرها فى منتهى طَرْفها — فحُمل عليها ، ثم خرج به صاحبه ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلى بهم . ثم أُتى بثلاثة آنية ، إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسمعت قائلا يقول حين عُرِضت علىّ : إن أخذ الماء غرِق وغرِقت أمته ، وإن أخذ الخمر غَوِى وغَوَت أمته ، وإن أخذ اللبن هُدِىَ وهُدِيَت أمته . قال : فأخذت إناء اللبن ، فشربت منه ، فقال لى جبريل عليه السلام : هُدِيتَ وهُدِيَتْ أمتك يا محمد .

رواية الحسن : قال ابن إسحاق : وحُدثت عن الحسن أنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: بينا أنا نائم فى الحِجْر، إذ جاءنى جبريل، فهمزنى بقدمه، فجلست فلم أر شيئاً فعدت إلى مضجعى، فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه، فجلست، فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعى فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه، فجلست، فأخذ بعضدى، فقمت معه، فخرج بى إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض، بين البغل والحمار، فى فخذيه جناحان يحفِزُ⁽¹⁾ بهما رجليه، يضع يده فى منتهى طرفه، فحملنى عليه، ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته.

رواية قتادة: قال ابن إسحاق: وحُدِّثت عن قتادة أنه قال: حُدِّثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما دنوت منه لأركبه شَمَسَ⁽²⁾، فوضع جبريل يده على مَعْرفته، ثم قال: ألا تستحى يا بُراقُ⁽³⁾ مما تصنع، فوالله ماركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه. قال: فاستحيا حتى ارْفَضَّ⁽⁴⁾ عرقا، ثم قرّ حتى ركبته.

عود إلى رواية الحسن: قال الحسن فى حديثه: فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومضى جبريل عليه السلام معه، حتى انتهى به إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء، فأمّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم، ثم أُتِىَ بإناءين، فى أحدهما خمر، وفى الآخر لبن. قال: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء اللبن، فشرب منه، وترك إناء الخمر. قال: فقال له جبريل: هُدِيت الفطرة، وهُدِيَت أمتك يا محمد، وحُرِّمت عليكم الخمر. ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر. فقال أكثر الناس: هذا والله الإمْرُ⁽⁵⁾ البيِّن، والله إن العِيرَ لتُطْرَد، شهرا من مكة إلى الشام مدبرة، وشهراً مقبلة، أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة، ويرجع إلى مكة!! قال: فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبى بكر، فقالوا له: هل لك يا أبا بكر فى صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة — قال: فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه؛ فقالوا بلى، هاهو ذاك فى المسجد يُحدِّث به

---

(1) الحفز: الدفع.

(2) شمس: حرن.

(3) وإنما نفر لبعد عهد البراق بركوب الأنبياء.

(4) ارفض: سال.

(5) الإمر: العجيب.

الناس ؛ فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يانبي الله . أحدثتَ هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ؛ قال : يانبي الله ، فصِفْه لى ، فإنى قد جئته — قال الحسن : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرُفِع لى حتى نظرت إليه — فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبى بكر ، ويقول أبو بكر : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئاً ، قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى إذا انتهى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : وأنت يا أبا بكر الصديق ؛ فيومئذ سماه الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك : « وماجعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنةً للناس ، والشجرةَ الملعونةَ فى القرآنِ ، ونخوفُهم ، فما يزيدهم إلا طغيانا كبيراً » .

فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما دخل فيه من حديث قتادة .

رواية عائشة : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض آل أبى بكر : أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما فُقِد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنّ الله أسرى بروحه .

رواية معاوية : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن معاوية بن أبى سفيان ، كان إذا سُئل عن مَسرَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة .

الإسراء رؤيا : فلم ينكر ذلك من قولهما ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت فى ذلك ، قول الله تبارك وتعالى : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنةً للناسِ » ، ولقول الله تعالى فى الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه : « يا بُنيَّ إنى أرى فى المنامِ أنى أذبحُك » ، ثم مضى على ذلك . فعرفت أن الوحى من الله يأتى الأنبياء أيقاظا ونياما .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — يقول : تنام عيناى وقلبى يقظان . والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه ، وعاين فيه ما عاين ، من أمر الله ، على أى حاليه كان : نائما ، أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق .

وصف إبراهيم وموسى وعيسى : قال ابن إسحاق : وزعم الزهري عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة ، فقال : أما إبراهيم ، فلم أر رجلا أشبه قط بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ؛ وأما موسى فرجل آدمُ طويل ضَرْبٌ جَعْدٌ أقنى[1] كأنه من رجال شَنُوءة[2] ؛ وأما عيسى بن مريم ، فرجل أحمر ، بين القصير والطويل ، سَبْط الشعر ، كثير خِيلان[3] الوجه ، كأنه خرج من ديماس[4] : تخال رأسه يقطر ماء ، وليس به ماء أشبه رجالكم به عُروة بن مسعود الثقفي .

علي يصف الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن هشام وكانت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عمر مولى غُفْرة عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب قال : كان علي ابن أبي طالب عليه السلام ، إذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لم يكن بالطويل المُمَغَّط[5] ، ولا القصير المتردد ، وكان رَبْعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القَطَط[6] ولا السَّبْط : كان جعداً رَجِلا[7] : ولم يكن بالمطهَّم[8] ولا المكلثم[9] : وكان أبيض مُشربا : أدْعج[10] العينين : أهدب الأشفار[11] : جليل المُشاش والكَتَد[12] : دقيق المَسْرُبة[13] : أجرد[14] شَثْن[15] الكفين والقدمين : إذا مشى تقلّع[16] : كأنما يمشي في صَبَب : وإذا التفت التفت معا : بين كتفيه خاتم النبوة : وهو خاتم النبيين : أجود الناس كفا ، وأجرأ الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذِمة ، وألينهم عَرِيكة ، وأكرمهم عِشْرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبه ، يقول ناعته : لم أرَ قبله ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الضرب : خفيف اللحم والجعد المتكسر الشعر والأقنى المرتفع الأنف .
(٢) شنوءة : قبيلة .
(٣) الخيلان : الشامات السوداء .
(٤) الديماس : الحمام .
(٥) الممغط : الممتد .
(٦) القطط : الشديد خشونة الشعر .
(٧) رجلا مسرح الشعر .
(٨) المطهم : كثير اللحم .
(٩) المكلثم : المستدير الوجه .
(١٠) الدعج : سواد العيون .
(١١) أهدب الأشفار : طويلها .
(١٢) المشاش : عظام رءوس المفاصل والكتد ما بين الكتفين .
(١٣) المسربة : الشعر الممتد من الصدر إلى السرة .
(١٤) الجرد : قلة شعر الجسم .
(١٥) شثن : غليظ .
(١٦) تقلع لم يثبت قدميه .

رواية أم هانىء عن الاسراء : قال محمد بن إسحاق : وكان فيما بلغنى عن أم هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنها : واسمها هند : فى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنها كانت تقول : ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو فى بيتى : نائم عندى تلك الليلة فى بيتى ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قُبَيل الفجر أهبَّنا [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلما صلى الصبح وصلينا معه ، قال : يا أم هانىء ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين ، ثم قام ليخرج ، فأخذت بطرف ردائه ، فتكشف عن بطنه كأنه قُبْطية [2] مطوية ، فقلت له : يا نبى الله : لا تحدث بهذا الناس فيكذبوك ويؤذوك ؛ قال : والله لأحدِّثنهموه . قالت : فقلت لجارية لى حبشية : ويحك اتبعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسمعى ما يقول للناس ، وما يقولون له . فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس أخبرهم : فعجبوا وقالوا : ما آية ذلك يا محمد ؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قط ؛ قال آية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا : فأنفرهم حس الدابة ، فندّ لهم بعير ، فدللتهم عليه ، وأنا متوجه إلى الشام . ثم أقبلت حتى إذا كنت بضَجْنان [3] مررت بعير بنى فلان : فوجدت القوم نيام : ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء : فكشفت غطاءه وشربت ما فيه : ثم غطيت عليه كما كان : وآية ذلك أن عيرهم الآن يَصَوَّب [4] من البيضاء : ثنية التنعيم : يقدمها جمل أورق ، عليه غرارتان : إحداهما سوداء ، والأخرى برقاء . قالت : فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل(٥) كما وصف لهم : وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماء ثم غطوه ، وأنهم هبوا فوجدوه مُغطى كما غطوه ، ولم يجدوا فيه ماء . وسألوا الآخرين وهم بمكة : فقالوا : صدق والله ، لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكر ، وندّ لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه .

قصة المعراج

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لما فرغت مما كان فى بيت المقدس ، أُتى بالمعراج ، ولم أر شيئا قط أحسن منه : وهو الذى يمد إليه ميتكم عينيه إذا حُضِرَ : فأصعدنى صاحبى فيه ، حتى

(١) أيقظنا . (٢) القبطية : ثياب تنسج بمصر من الكتان .
(٣) جبل يبعد عن مكة حوالى ٥٠ كيلو متر .
(٤) يصوب : ينزل . البيضاء : مكان قرب مكة .
(٥) أى كان الجمل المذكور أول ما لقيهم .

انتهى بى إلى باب من أبواب السماء، يقال له : باب الحفظة ، عليه ملك من الملائكة ، يقال له : إسماعيل ، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك ، تحت يدى كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك — قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث بهذا الحديث : وما يعلم جنود ربك إلا هو — فلما دخل بى ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : محمد . قال : أو قد بعث ؟ قال : نعم . قال : فدعا لى بخير ، وقاله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : تلقتنى الملائكة حين دخلت السماء الدنيا ، فلم يلقنى ملك إلا ضاحكا مستبشرا ، يقول خيرا ويدعو به حتى لقينى ملك من الملائكة ، فقال مثل ما قالوا ، ودعا بمثل ما دعوا به ، إلا أنه لم يضحك ، ولم أر منه البشر مثل ما رأيت من غيره ، فقلت لجبريل يا جبريل من هذا الملك الذى قال لى كما قالت الملائكة ولم يضحك ، ولم أر منه من البشر مثل الذى رأيت من غيره ؟ قال : فقال لى جبريل : أما إنه لو ضحك إلى أحد كان قبلك ، أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك ، لضحك إليك ، ولكنه لا يضحك ، هذا مالك صاحب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت لجبريل ، وهو من الله تعالى بالمكان الذى وصف لكم « مطاع ثم أمين » ألا تأمره أن يرينى النار ؟ فقال : بلى ، يا مالك ، أر محمداً النار . قال : فكشف عنها غطاءها ، ففارت وارتفعت ، حتى ظننت لتأخذن ما أرى . قال : فقلت لجبريل : يا جبريل ، مره فليردها إلى مكانها . قال : فأمره ، فقال لها : اخبى ، فرجعت إلى مكانها الذى خرجت منه . فما شبهت رجوعها إلا وقوع الظل . حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها .

قال أبو سعيد الخدرى فى حديثه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما دخلت السماء الدنيا ، رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بنى آدم ، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيراً ويسر به ، ويقول : روح طيبة خرجت من جسد طيب ؛ ويقول لبعضها إذا عرضت عليه : أف ، ويعبس بوجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت من هذا يا جبريل ؟ قال هذا أبوك آدم ، تعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها . وقال : روح طيبة خرجت من جسد طيب . وإذا مرت به روح الكافر منهم أفف منها وكرهها ، وساءه ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

قال : ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل ، فى أيديهم قطع من نار كالأفهار ، يقذفونها فى أفواههم ، فتخرج من أدبارهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما .

قال : ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون [1] ، يمرون عليهم كالإبل المهيومة [2] حين يعرضون على النار ، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك . قال : قلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا .

قال : ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم ثمين طيب ، إلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغث المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال :هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن .

قال : ثم رأيت نساء معلقات بثديهن ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفر بن عمرو ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ، فأكل حرائبهم [3] ، واطلع على عوراتهم .

ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدرى ، قال : ثم أصعدنى إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ، قال : ثم أصعدنى إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر ؛ قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب . قال : ثم أصعدنى إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فسألته : من هو ؟ قال : هذا إدريس — قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ورفعناه مكانا عليا — قال : ثم أصعدنى إلى السماء الخامسة فاذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية ، عظيم العثنون [4] ، لم أر كهلا أجمل منه ، قال قلت : من هذا ياجبريل ؟قال : هذا المحبب فى قومه هارون بن عمران.

---

(١) وذلك أن آل فرعون أشد الناس عذابا يوم القيامة . يقول الله سبحانه وتعالى «ادخلوا آل فرعون أشد العذاب » .

(٢) المهيومة : العطاش .

(٣) الحرائب : الأموال .

(٤) عظيم اللحية .

قال ثم أصعدنى إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدم [١] طويل أقنى [٢] ، كأنه من رجال شنُوءة ؛ فقلت له : من هذا ياجبريل ؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران . ثم أصعدنى إلى السماء السابعة ، فاذا فيها كهل جالس على كرسى إلى باب البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه : قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بى الجنة ، فرأيت فيها جارية لَعْساء [٣] فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتنى حين رأيتها ؛ فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : ومن حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن فى دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمد ؛ فيقولون : أو قد بُعث إليه ؟ فيقول : نعم ؛ فيقولون : حياه الله من أخ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة فى كل يوم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأقبلت راجعا ، فلما مررت بموسى بن عمران ، ونعم الصاحب كان لكم ، سألنى كم فرض عليك من الصلاة ؟ فقلت خمسين صلاة كل يوم ؛ فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك . فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى ، فوضع عنى عشرا . ثم انصرفت فررت على موسى فقال لى مثل ذلك ؛ فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى ؛ فوضع عنى عشراً . ثم انصرفت فررت على موسى ، فقال لى مثل ذلك ؛ فرجعت فسألت ربى فوضع عنى عشراً . ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك ، كلما رجعت إليه ، قال : فارجع : فاسأل ربك ، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عنى ، إلا خمس صلوات فى كل يوم وليلة . ثم رجعت إلى موسى ، فقال لى مثل ذلك ، فقلت : قد راجعت ربى وسألته ، حتى استحييت منه ، فما أنا بفاعل .

فمن أداهن منكم إيمانا بهن ، واحتسابا لهن ، كان له أجر خمسين صلاة .

---

(١) الآدم : الأسود . (٢) الأقنى : المرتفع قصبة الأنف .

(٣) اللعساء من لها حمرة فى شفتيها تضرب إلى السواد .

المستهزئون بالرسول وكفاية الله أمرهم

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله تعالى صابرا محتسبا ، مؤديا إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى وكان عظماء المستهزئين ، كما حدثني يزيد بن رُومان عن عُروة بن الزبير ، خمسة نفر من قومهم ، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم .

من بني أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب : الأسود بن المطلب بن أسد أبو زَمْعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني — قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به فقال : اللهم أعمِ بصرَه ، وأثكله ولده .

ومن بني زهرة بن كلاب : الأسوَد بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة .

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : العاص بن وائل بن هشام .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سُعَيد بن سهم .

ومن بني خزاعة : الحارث بن الطُّلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن مَلْكان .

فلما تمادوا في الشر ، وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء ، أنزل الله تعالى عليه : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهًا آخرَ فسوف يعلمون » .

قال ابن إسحاق فحدثني يزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزبير ، أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فمر به الأسود بن المطلب ، فرمى في وجهه بورقة خضراء ، فعمِيَ ومر به الأسود بن عبد يغوث ، فأشار إلى بطنه ، فاستسقى بطنُه فمات منه حَبَنًا [1] . ومر به الوليد

---

(1) الحبن : انتفاخ من داء .

ابن المغيرة ، فأشار إلى أثر جُرْح بأسفل كعب رجله ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، وهو يجر سَبَلَه (١) ؛ وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له ، فتعلق سهم من نبله بإزاره ، فخدش فى رجله ذلك الخدش ، وليس بشىء ، فانتقض به فقتله . ومر به العاص بن وائل ، فأشار إلى أخمص رجله ، وخرج على حمار له يريد الطائف ، فربض به على شِبْرِقة (٢) ، فدخلت فى أخمص رجله شوكة فقتلته . ومر به الحارث بن الطُّلاطلة ، فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا ، فقتله .

قصة أبى أزيهر الدوسى

قال ابن إسحاق : فلما حضرت الوليد الوفاة دعا بنيه وكانوا ثلاثة : هشام بن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ، فقال لهم : أى بَنِىَّ ، أوصيكم بثلاث ، فلا تضيعوا فيهن : دمى فى خُزاعة فلا تُطِلّنه (٣) ، والله إنى لأعلم أنهم منه بُرآء ، ولكنى أخشى أن تُسَبّوا به بعد اليوم ؛ ورِبَاى فى ثقيف ، فلا تدعوه حتى تأخذوه ؛ وعُقرى عند أبى أُزَيهر ، فلا يفوتنكم به . وكان أبو أزيهر قد زوجه بنتا ، ثم أمسكها عنه ، فلم يدخلها عليه حتى مات .

فلما هلك الوليد بن المغيرة وثبت بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهم عقل الوليد ، وقالوا : إنما قتله سهم صاحبكم — وكان لبنى كعب حلف من بنى عبد المطلب بن هاشم — فأبت عليهم خزاعة ذلك ، حتى تقاولوا أشعاراً ، وغلظ بينهم الأمر — وكان الذى أصاب الوليدَ سهمُه رجلا من بنى كعب بن عمرو من خزاعة — فقال عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم .

إنى زعيمٌ أن تسيروا فتهربُوا   وأن تتركوا الظهرانَ تعوى ثعالبُهْ (٤)
وأن تتركوا ماءً بجِزْعَةِ أطرِقَا   وأن تسألوا أىُّ الأَراكِ أطايبُهْ ؟ (٥)
فإنا أناس لا تُطَــلُّ دماؤُنا   ولا يتعالَى صاعداً من نُحاربُهْ (٦)

---

(١) فضول ثيابه .   (٢) شجرة عالية .   (٣) لا تهدرنه .
(٤) الزعيم : الضامن ، والظهران : واد قريب من مكة .
(٥) الجزعة : ما انثنى من الوادى : أطرقا : اسم لموضع .
(٦) تطل : تهدر .

وكانت الظهران والأراك منازل بنى كعب ، من خزاعة . فأجابه الجوْن بن أبي الجوْن ، أخو بنى كعب بن عمرو الخزاعى ، فقال :

واللهِ لا تُؤتِي الوليـــدَ ظُلامةً ... ولما تَرَوْا يوما تزولُ كواكبُهْ
ويصرَعُ منكم مُسِينٌ بعد مسمنٍ ... وتُفتحَ بعد الموتِ قسْراً مشاربُه[1]
إذا ما أكلتم خبزكم وخزيرَكم ... فكلكمُ باكى الوليـدِ ونادبه[2]

ثم إن الناس تراذّوا وعرفوا أنما يخشى القوم الشبة فأعطتهم خزاعة بعض العقل وانصرفوا عن بعض . فلما اصطلح القوم قال الجوْن بن أبي الجوْن :

وقائلةٍ لما اصطلحنا تعجُّباً ... لِمَا قــد حملنا للوليدِ وقائلِ
ألم تُقسموا تُؤتوا الوليدَ ظُلامةً ... ولمّا تَرَوْا يوما كثيرِ البَلابِلِ[3]
فنحن خلطنا الحربَ بالسِّلمِ فاستوت ... فأمَّ هواه آمِنا كلُّ راجلِ

ثم لم ينته الجوْن بن أبى الجون حتى افتخر بقتل الوليد ، وذكر أنهم أصابوه ، وكان ذلك باطلا . فلحق بالوليد وبولده وقومه من ذلك ما حذر فقال الجوْن بن أبى الجون :

ألا زعَمَ المغيرةُ أن كعباً ... بمــكةَ منهمُ قــدرٌ كــثيرُ
فــلا تفخرْ مُغيرةُ أنْ تراها ... بها يمشى المُعَلْهَـجُ والمَهِيرُ[4]
بها آباؤنا وبها وُلدنا ... كما أرسَى بمَثبتِه ثَبِيرُ[5]

---

(١) المسمن : الشريف الظاهر بين الناس .

(٢) الخزير : نوع من الحساء .

(٣) تؤتو : يريد أن تؤتوا والمعنى أن لا تؤتوا كما قال تعالى « يبين الله لكم أن تضلوا » أى أن لا تضلوا . والبلابل : الوساوس الفكرية .

(٤) المعلهج : المتردد فى الإماء فهو منحوت من أصلين من العلج لأن الأمة علجة ، ومن الهج : كأن واطىء الأمة قد لهج بها . والمهير ابن المهيرة الحرة .

(٥) ثبير : جبل بمكة .

وما قال المغيرةُ ذاك إلا ليعلم شأننا أو يستثيرْ

فإنَّ دمُ الوليد يُطلُّ إنا نُطِلُّ دماءَ أنت بها خبيرْ

كساه الفاتكُ الميمونُ سهما زُعافا وهْوَ ممتلئٌ بَهيرُ(١)

فخرَّ ببطنِ مكةَ مُسلَحِبّاً كأنه عند وجبته بعيرُ

سيكفيني مِطالَ أبي هشامٍ صغارٌ جعدةُ الأوبارِ خُورُ

قال ابن هشام: تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه.

قال ابن إسحاق: ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أُزَيْهِر، وهو بسوق ذي المجاز وكانت عند أبي سفيان بن حرب عاتكة؛ بنت أبي أزيهر، وكان أبو أزيهر رجلا شريفا في قومه — فقتله بعُقْر الوليد الذي كان عنده، لوصية أبيه إياه، وذلك بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر، وأصيب به من أصيب من أشراف قريش من المشركين؛ فخرج يزيد بن أبي سفيان، فجمع بني عبد مناف، وأبو سفيان بذي المجاز، فقال الناس: أُخْفِر أبو سفيان في صهره، فهو ثائر به. فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد — وكان أبو سفيان رجلا حليما مُنْكراً يحب قومه حبا شديداً — انحط سريعاً إلى مكة، وخشي أن يكون بين قريش حَدَث في أبي أُزَيْهِر، فأتى ابنه وهو في الحديد، في قومه من بني عبد مناف والمطيبين، فأخذ الرمح من يده، ثم ضرب به على رأسه ضربة هدَّه منها، ثم قال له: قبحك الله! أتريد أن تضرب قريشا بعضهم ببعض في رجل من دَوْس. سنؤتيهم العَقْل إن قبلوه، وأطفأ ذلك الأمر.

فانبعث حسان بن ثابت يحرض في دم أبي أزيهر، ويعير أبا سفيان خفرته ويجبّنه، فقال:

غدا أهلُ ضَوْجَي ذي المجازِ كِلَيْهِما وجارُ ابنِ حربٍ بالمغمَّسِ ما يغدُو(٢)

ولم يمنعِ العيرُ الضَّروطُ ذمارَه(٣) وما منعتْ مخزاةَ والدِها هندُ

---

(١) البهير: منقطع النفس.

(٢) ضوجى: ما انعطف من الوادي والمغمس موضع بطريق الطائف.

(٣) الذمار: ما تجب رعايته. وهند بنت أبي سفيان.

كَسَاكَ هشامُ بنُ الوليدِ ثيابَه … فأبْلِ وأخلِفْ مثلَها جُدُداً بعدُ
قضى وَطَراً منه فأصبحَ ماجداً … وأصبحتَ رِخواً ما تَخُبُّ وما تَعدو(١)
فلو أن أشياخاً ببَدْرٍ تشاهدوا … لَبَلَّ نعالَ القومِ مُعتَبَطٌ وَرْدُ(٢)

فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال : يريد حسان أن يضرب بعضنا ببعض فى رجل من قريش ! بئس والله ما ظن !.

ولما أسلم أهل الطائف كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى ربا الوليد الذى كان فى ثقيف ، لما كان أبوه أوصاه به .

قال ابن إسحاق : فذكر لى بعض أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقى من الربا بأيدى الناس نزلن فى ذلك من طلب خالد الربا « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذَرُوا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين » إلى آخر القصة فيها .

دوس تحاول الثأر لأبى أزيهر : ولم يكن فى أبى أزيهر ثأر نعلمه ، حتى حجز الإسلام بين الناس ؛ إلا أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهرى خرج فى نفر من قريش إلى أرض دوس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان ، مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء ، وتجهز العرائس ، فأرادت دوس قتلهم بأبى أزيهر ، فقامت دونهم أم غيلان ونسوة معها ، حتى منعتهم ، فقال ضرار بن الخطاب فى ذلك :

جزى اللهُ عنا أمَّ غيلانَ صالحاً … ونِسوتَها إذ هنّ شُعْثٌ عواطلُ
فهن دفعن الموتَ بعد اقترابِه … وقد برزت للثائرين المقاتلُ
دعت دعوةً دَوْساً فسالت شِعابُها(٣) … بعزٍّ وأدّتها الشراجُ القوابلُ(٤)

---

(١) الخبب ضرب من السير .
(٢) المتبط الورد : الدم العبيط وهو الطرى .
(٣) الشعاب : جمع شعب وهو مسيل الماء فى الحرة .
(٤) الشراج : جمع شرج ؛ مسيل الماء . والقوابل : المتقابلة .

وعَمراً جزاه اللهُ خيرا فما وَنَى   وما بَرِدَتْ منــه لَدَىَّ المفاصِلُ
فجَرّدتُ سيفى ثم قمتُ بنصلِه   وعن أىّ نفسٍ بعد نفسى أقاتلُ

أم غيلان وأم جميل : قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة : أن التى قامت دون ضرار أمُّ جميل ، ويقال أم غَيلان ؛ قال ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه .

فلما قام عمر بن الخطاب أتته أم جميل ، وهى ترى أنه أخوه : فلما انتسبت له عرف القصة فقال : إنى لست بأخيه إلا فى الإسلام ، وهو غاز ، وقد عرفت مُنّتك عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سبيل .

قال الراوى : قال ابن هشام : وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد ، فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول : انْجُ يابن الخطاب لا أقتلك ؛ فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه .

وفاة أبى طالب وخديجة وما عاناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدهما

قال ابن إسحاق : وكان النفر الذين يُؤْذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته أبا لهب ، والحكم بن العاص بن أمية ، وعقبة بن أبى معيط ، وعدى بن حمراء الثقفى ، وابن الأصداء الهذلى ؛ وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبى العاص ، فكان أحدهم — فيما ذُكر لى — يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلى ، وكان أحدهم يطرحها فى بُرْمته[1] إذا نُصبت له ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً[2] يستتر به منهم إذا صلى ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى ؛ كما حدثنى عمر بن عبد الله بن عُروة ابن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، يخرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم على العود ، فيقف به على بابه ، ثم يقول : يا بنى عبد مناف ، أى جوار هذا ! ثم يلقيه فى الطريق .

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا فى عام واحد ، فتتابعت على

---

(١) البرمة : القدر من الحجر .
(٢) الحجر : كل ما حجرته من حائط ونحوه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الإسلام ، يشكو إليها ؛ وبهلك عمه أبي طالب ، وكان له عضداً وحرزاً في أمره ، ومنعة وناصرا على قومه ، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين . فلما هلك أبو طالب . نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه ترابا .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال :

لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : لاتبكي يابنية ، فإن الله مانع أباك . قال : ويقول بين ذلك : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه ، حتى مات أبو طالب .

المشركون يطلبون عهدا بينهم وبين الرسول قبل موت أبي طالب : قال ابن إسحاق ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشا ثقله ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب ، فيأخذ لنا على ابن أخيه ، وليعطه منا ، والله مانأمن أن يبتزونا[1] أمرنا .

قال ابن اسحاق : فحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : مشوا إلى أبي طالب فكلموه ؛ وهم أشراف قومه : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب ، في رجال من أشرافهم فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى ، وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه ، فخذ له منا ، وخذ لنا منه ، ليكف عنا ، ونكف عنه ، وليدعنا ودينا ، وندعه ودينه ؛ فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه ، فقال : يابن أخي : هؤلاء أشراف قومك ، قد اجتمعوا لك ، ليعطوك ، وليأخذوا منك . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . قال فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات ؛ قال : تقولون : لا إله إلا الله ، وتخلعون ماتعبدون.

---

(١) ابتزه أمره : غلبه عليه .

من دونه . قال : فصفّقوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يامحمد أن تجعل الآلهة إلها واحدا ، إن أمرك لعجب ! قال بعضهم لبعض : انه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه . قال : ثم تفرقوا .

وجاء الرسول إسلام أبي طالب : فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يابن أخي ، ما رأيتك سألتهم شططا ؛ قال : فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في إسلامه ، فجعل يقول له : أي عمّ ، فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة قال : فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ، قال : يابن أخي ، والله لولا مخافة السُّبة عليك وعلى بني أبيك من بعدي ، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسُرَّك بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموت قال : نظر العباس إليه يحرك شفتيه ، قال : فأصغى إليه بأذنه ، قال : فقال يابن أخي ، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

مانزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب : قال : وأنزل الله تعالى في الرهط الذين كانوا اجتمعوا إليه ، وقال لهم ما قال ، وردوا عليه ماردوا : «ص والقرآنِ ذي الذكرِ بلِ الذين كفروا في عِزةٍ وشِقاقٍ» . إلى قوله تعالى : «أجعلَ الآلهةَ إلها واحداً، إنَّ هذا لشيءٌ عُجابٌ . وانطلقَ الملأُ منهم أنِ امشوا واصبِروا على آلهتِكم، إنَّ هذا لشيءٌ يُراد . ما سمعنا بهذا في المِلّةِ الآخِرةِ» يعنون النصارى، لقولهم : «إن الله ثالثُ ثلاثة» — «إنْ هــــذ إلا اختلاقٌ» ثم هلك أبو طالب .

سعي الرسول إلى الطائف وموقف ثقيف منه

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، يلتمس النُّصْرَة من ثقيف ، والمنَعَة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إليهم وحده .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم .

وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو ابن عمير بن عوف بن عُقْدة بن غِيَرَة بن عوف بن ثقيف ، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح ، فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ؛ فقال له أحدهم : هو يَمْرُط[1] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ؛ وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً . لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلمك . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم — فيما ذكر لي — : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه ، فيُذْئِرَهم[2] ذلك عليه .

قال ابن هشام : قال عَبِيد بن الأبرص :

ولقد أتاني عن تميمٍ أنهم ذَئِروا لقتلَى عامرٍ وتعصبوا

فلم يفعلوا ، وأغرَوْا به سفهاءهم وعبيدهم ، يَسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجئوه إلى حائط[3] لعُتبة بن ربيعة وشَيْبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل حَبَلة[4] من عِنَب ، فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر لي — المرأة التي من بني جُمح ، فقال لها : ماذا لقينا من أحمائك ؟

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — فيما ذكر لي — : اللهم إليك أشكو ضعفَ قوتي ، وقلةَ حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحمَ الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تَكِلُني ؟ إلى بعيدٍ يتجهَّمُني[5] ؟ أم إلى عدوٍّ ملكتَه أمري ؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي ، ولكن عافيتُك هي أوسعُ لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ له الظلماتُ ، وصَلَحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرةِ من أن تُنزلَ بي غضبَك ، أو يحلّ عليَّ سَخَطُك ، لك العُتبَى حتى ترضَى ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك .

---

(١) يمرطه : ينزعه ويرمي به .
(٢) يذئرهم : يثيرهم .
(٣) الحائط : الحديقة .
(٤) حبلة : شجرة العنب .
(٥) تجهم فلانا : استقبله بوجه كريه .

قال : فلما رآه ابنا ربيعة ، عُتبة وشيبة ، وما لقى ، تحركت له رحمهما[1] ، فدعوا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عدَّاس ، فقالا له : خذ قطفا من هذا العنب ، فضعه فى هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه . ففعل عدَّاس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له : كل ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده ، قال : باسم الله ، ثم أكل ، فنظر عدَّاس فى وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أىّ البلاد أنت يا عدَّاس ، وما دينك ؟ قال : نصرانى ، وأنا رجل من أهل نينوى ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن مَتَّى ؛ فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخى ، كان نبيا وأنا نبى ، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه .

قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عداس قالا له : ويلك يا عداس ! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : ياسيدى ، ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر مايعلمه إلا نبى ؛ قالا له : ويحك يا عداس ، لايصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

وفد جن نصيبين : قال : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا إلى مكة ، حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة[2] قام من جوف الليل يصلى ، فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم — فيما ذكر لى — سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته وَلَّوْا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل « وإذ صَرَفْنا إليك نفراً من الجنّ يستمعونَ القرآنَ » .. إلى قوله تعالى « ويُجِرْكُم من عذابٍ أليم » . وقال تبارك وتعالى « قلْ أوحىَ إلىَّ أنه استمع نفرٌ من الجنّ » .. إلى آخر القصـــة من خبرهم فى هذه السورة .

---

(1) الرحم : الصلة والقرابة .

(2) هناك واديان بهذا الاسم على ليلة من مكة أحدهما نخلة الشامية والثانى نخلة اليمانية .

عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل

عرض نفسه فى المواسم: قال ابن إسحاق: ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة؛ وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلا مستضعفين، ممن آمن به. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه فى المواسم، إذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله مابعثه به.

قال ابن إسحاق: فحدثنى من أصحابنا، من لا أتهم، عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عَبّاد الدّيلي، أو من حدثه أبو الزناد عنه — قال ابن هشام: ربيعة بن عِبّاد.

قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، قال: سمعت ربيعة ابن عباد، يحدثه أبى، قال: إنى لغلام شاب مع أبى بمِنًى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بنى فلان، إنى رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بى، وتصدقوا بى، وتمنعونى، حتى أبين عن الله ما بعثنى به. قال: وخلفه رجل أحْوَل وضىء، له غديرتان(١) عليه حُلة عدنية. فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بنى فلان، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أُقَيْش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه.

قال: فقلت لأبى: يا أبت، من هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال هذا عمه عبد العزى ابن عبد المطلب، أبو لهب.

قال ابن هشام قال النابغة:

---

(١) الغديرتان. ذؤابتان من شعر.

كأنك من جمالِ بنى أُقَيْشٍ يُقعقَعُ خلفَ رجليه بِشَنّ[1]

قال ابن إسحاق : حدثنا ابن شهاب الزهرى : أنه أتى كِندة فى منازلهم ، وفيهم سيد لهم يقال : مليح ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فأبَوْا عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين : أنه أتى كَلْباً فى منازلهم ، إلى بطن منهم يقال لهم : بنو عبد الله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول لهم : يا بنى عبد الله ، إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم ، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى حنيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردا منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى أنه أتى بنى عامر بن صَعْصَعة ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجل منهم — يقال له : بَيْحرة بن فِراس . قال ابن هشام : فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة — : والله ، لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش ، لأكلتُ به العرب ، ثم قال : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء . قال : فقال له : أفَتُهدَف[2] نحورُنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك ؛ فأبوا عليه .

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ، قد كانت أدركته السن ، حتى لا يقدر أن يوافى معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم ؛ فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحد بنى عبد المطلب ، يزعم أنه نبى ، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ، ونخرج به إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال : يا بنى عامر ، هل لها من تلافٍ ، هل لذُناباها من

---

(١) الشن : القربة الخلق ويريد بالقعقعة حدوث الصوت لتفزع الإبل .

(٢) تهدف : تصير هدفا يرى عليه ، والهدف الغرض .

مَطلَب[1] ، والذى نفس فلان بيده ، ما تقولها إسماعيلىّ قط ، وإنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم .

قال ابن إسحاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرض عليهم نفسه ، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، وهو لايسمع بقادم يقدم مكة من العرب ، له اسم وشرف ، إلا تصدى له ، فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، ثم الظَّفرى عن أشياخ من قومه ، قالوا :

قدم سُوَيد بن صامت ، أخو بنى عمرو بن عوف ، مكة حاجاً أو معتمراً ، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم : الكامل ، لجلَده وشعره وشرفه ونسبه ، وهو الذى يقول :

ألا رُبَّ من تدعو صديقا ولو ترى مقالته بالغيب ساءك ما يَفرِى[2]

مقالتُه كالشهد ما كان شاهداً وبالغيب مأثورٌ على ثُغرَة النحرِ[3]

يَسُرك باديه وتحتَ أديمه نميمةُ غِشٍّ تَبترِى عَقِبَ الظهرِ[4]

تُبينُ لك العينانِ ما هو كاتمٌ من الغلّ والبغضاءِ بالنظرِ الشَّزْرِ

فرِشْنِى بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَنِى وخيرُ الموالى من يَرِيشُ ولا يَبْرِى[5]

وهو الذى يقول : ونافر رجلا من بنى سُلَيم ، ثم أحد بنى زِعْب بن مالك مئة ناقة ، إلى كاهنة من كهان العرب ، فقضت له . فانصرف عنها هو والسلمى ، ليس معهما غيرهما ، فلما فرّقت بينهما الطريق ، قال : مالى يا أخا بنى سليم قال : أبعث إليك به ؛ قال : فمن لى بذلك إذا فُتّنى به ؟ قال : كلا ، والذى نفس سويد بيده ، لاتفارقنى حتى أُوتَى بمالى ، فاتخذا فضرب به الأرض ، ثم أوثقه رباطا ، ثم انطلق به إلى دار بنى عمرو بن عوف ، فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سليم بالذى له ، فقال فى ذلك :

---

(١) مثل يضرب لما فات ، وأصله من ذنابى الطائر إذا أفلت من حباله فطلبت الأخذ بذناباه .

(٢) يفرى : يختلق .

(٣) المأثور : السيف الموشى .

(٤) تبترى ظهره : تقطع ظهره .

(٥) يريش يقوى : ويبرى يضعف .

لا تحسَبنّى يابنَ زِعْبِ بنِ مالكٍ ... كمن كنتَ تُردى بالغيوبِ وتَخْتِلُ
تحولتَ قرنا إذْ صرعتَ بغرةٍ ... كذلك إن الحازمَ المتحولُ
ضربتُ به إبْطَ الشمالِ فلم يزلْ ... على كلِّ حالٍ خدُّه هو أسفلُ

فى أشعار كثيرة كان يقولها .

فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال : مَجَلَّة لقمان(١) — يعنى حكمة لقمان — فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعرضها علىّ ، فعرضها عليه ؛ فقال له : إن هذا لكلام حسن ، والذى معى أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى علىّ ، هو هدى ونور . فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه ، وقال : إن هذا لقول حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج ، فإنْ كان رجال من قومه ليقولون : إنا لنراه قد قُتل وهو مسلم . وكان قتلُه قبل يوم بُعاث(٢) .

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبى الحيسر

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود ابن لبيد ، قال : لما قدم أبو الحَيْسَر ، أنس بن رافع ، مكة ومعه فِتية من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس بن مُعاذ ، يلتمسون الحِلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول

---

(١) مجلة لقمان ، وهى الصحيفة . وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة ، أما الجلالة فمن صفة المخلوق ، والجلال من صفة الله تعالى ، وقد أجاز بعضهم أن يقال فى المخلوق جلال وجلالة وأنشد :

فلا ذا جلال هبنه لجلالة ... ولاذا ضياع هن يتركن للفقر

ولقمان كان نوبياً من أهل أيلة وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا وابنه الذى ذكر فى القرآن هو ثاران فيما ذكر الزجاج وغيره ، وقد قيل فى اسمه غير ذلك ، وليس بلقمان ابن عاد الحميرى .

(٢) بعاث : يوم من أيام العرب كان بين الأوس والخزرج .

الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم: هل لكم فى خير مما جئتم له ؟ فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله بعثنى إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل على الكتاب : قال : ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياس ابن معاذ ، وكان غلاما حدثا : أىْ قومْ ، هذا والله خير مما جئتم له . قال : فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع ، حفنة من تراب البطحاء ، فضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دعنا منك فلعَمْرِى لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة ، وكان وقعة بُعَاث بين الأوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فأخبرنى من حضره من قومه عند موته : أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلّلُ الله تعالى ويكبره ويحمّدُه ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلما ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع .

إسلام الأنصار

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه ، وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنجاز موعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع فى كل موسم . فبينما هو عند العَقَبة لقى رَهْطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم ؛ قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : وكان مما صنع الله لهم به فى الإسلام ، أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عَزّوهم(١) ببلادهم . فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إن نبيا مبعوث الآن ، قد أظل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم . فلما كلم رسول الله

---

(١) عزوهم : غلبوهم .

صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلّموا والله إنه للنبي الذى توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ، فندعوهم إلى أمرك ، وتعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنــوا وصدقوا .

أسماء من التقوا به صلى الله عليه وسلم من الخزرج : قال ابن إسحاق : وهم - فيما ذُكر لى - : ستة نفر من الخزرج ، منهم من بنى النجار - وهو تيم الله - ثم من بنى مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر : أسعد بن زُرارة بن عُدَس ابن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمامة ؛ وعوف بن الحارث بن رفاعة ابن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عفراء .

قال ابن هشام : وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار .

قال ابن إسحاق : ومن بنى زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ابن جُشَم بن الخزرج : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق .

قال ابن هشام ويقال عامر بن الأزرق .

قال بن إسحاق : ومن بنى سَلِمَة بن سعد بن على بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سَواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة : قُطْبَة بن عامر بن حديدة بن عَمْرو بن غَنْم بن سَواد .

قال ابن هشام : عمرو بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غَنْم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة : عقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حَرَام .

ومن بنى عبيد بن عَدِى بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة : جابر بن عبد الله بن رِئاب بن النعمان ابن سنان بن عُبيد .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بيعة العقبة الأولى

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فلقوه بالعقبة . قال : وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء[١] ، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب .

منهم من بني النجار ، ثم من بني مالك بن النجار : أسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة ابن غَنْم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمامة ؛ وعوف ، ومعاذ ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد ابن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وهما ابنا عفراء .

ومن بني زُرَيق بن عامر : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق ؛ وذكوان ابن عبد قيس بن خَلَدة بن مُخلِد بن عامر بن زُرَيق .

قال ابن هشام : ذكوان ، مهاجري أنصاري .

ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وهم القواقل : عُبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غَنْم ؛ وأبو عبد الرحمن

---

(١) ذكرت بيعة النساء في القرآن الكريم في قوله تعالى « يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً » وقيل في قوله عز وجل خبرا عن بيعة النساء : « ولا يأتين ببهتان » أنه الولد تنسبه إلى بعلها وليس منه ، وقيل : هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الوطء كالقبلة والجسة ونحوها ، والأول يشبه أن يبايع عليه الرجال ، وكذلك قيل في قوله تعالى : « ولا يعصينك في معروف » أنه النوح ، وهذا أيضاً ليس من شأن الرجال ، فدل على ضعف قول من خصه بالنوح ، وخص البهتان بإلحاق الولد بالرجل ، وليس منه ، وقيل : يفترينه بين أيديهن يعني : الكذب وعيب الناس بما ليس فيهم ، وأرجلهن يعني : المشي في معصية ، ولا يعصينك في معروف ، أي : في خير تأمرهن به والمعروف اسم جامع لمكارم الأخلاق ، وما عرف حسنه ولم تنكره القلوب وهذا معنى يعم الرجال والنساء ، وذكر ابن إسحاق في رواية يونس فيما أخذه عليهن : أن قال ولا تغششن أزواجكن ، قالت : إحداهن وما غش أزواجنا فقال : أن تأخذي من ماله فتحابي به غيره .

وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة ، من بنى غصينة ، من بلى ، حليف لهم .

قال ابن هشام : وإنما قيل لهم القواقل ، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهما وقالوا له : قوقل به بيثرب حيث شئت .

قال ابن هشام : القوقلة : ضرب من المشى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بنى العجلان بن زيد بن غنم ابن سالم : العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان .

ومن بنى سلمة بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ، ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن سلمة : عقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام .

ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد .

وشهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بنى عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : أبو الهيثم بن التيهان ، واسمه مالك .

قال ابن هشام : التيهان : يخفف ويثقل ، كقوله ميت وميّت .

ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : عويم بن ساعدة .

* نص البيعة : قال ابن اسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرثد بن عبد الله اليزنى ، عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحى ، عن عبادة بن الصامت ، قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثنى عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفترض الحرب ، على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف . فإن وفيتم فلكم الجنة . وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى عن عائذ الله بن عبد الله الخولانى أبى إدريس أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ؛ فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك فأخذتم بحده فى الدنيا ، فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب ، وإن شاء غفر .

إرسال مصعب بن عمير مع وفد العقبة : قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مُصْعَب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم فى الدين ، فكان يسمَّى المقرىء بالمدينة: مصعب . وكان منزله[1] على أسعد بن زرارة بن عدس ، أبى أمامة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أنه كان يصلى بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض .

أول جمعة أقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حُنَيف ، عن أبيه أبى أمامة ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كنت قائد أبى ، كعب بن مالك ، حين ذهب بصره ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة ، فسمع الأذان بها صلى على أبى أمامة ، أسعد بن زُرارة . قال : فمكث حينا على ذلك : لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت فى نفسى والله إن هذا بى لعجز ، ألا أسأله ماله إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبى أمامة أسعد بن زرارة ؟ قال فخرجت به فى يوم جمعة كما كنت أخرج فلما سمع الأذان للجمعة صلى عليه واستغفر له . قال فقلت له : يا أبت ، مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبى أمامة ؟ : فقال أى بنىّ ، كان أول من جمع بنا بالمدينة فى هَزْم النَّبِيت ، من حرة بنى بياضة ، يقال له : نقيع الخَضِمات ، قال قلت وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلا .

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير : قال بن إسحاق : وحدثنى عُبيد الله بن المغيرة بن مُعَيقيب ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أسعد بن زُرارة خرج بمُصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل ، ودار بنى ظَفَر ، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زُرارة ، فدخل به حائطا من حوائط بنى ظَفَر .

قال ابن هشام : واسم ظَفَر : كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس — قالا : على بئر يقال لها : بئر مَرَق فجلسا فى الحائط ، واجتمع إليهما رجال من أسلم وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل ، وكلاهما مشرك

(١) المنزل هنا وفى كل ما شابهه بفتح الزاى لا غير وذلك لأنه يريد المصدر ولم يرد المكان .

على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : لا أبا لك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفِّها ضعفاءنا ، فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أن أسعد بن زُرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتى ، ولا أجد عليه مقدّما ، قال فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما ؛ فلما رآه أسعد بن زُرارة ، قال لمصعب بن عمير : هذا سيد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه ؛ قال مصعب : إن يجلسْ أكلمه . قال فوقف عليهما متشتِّما ، فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ؛ فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره ؟ قال أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ؛ فقالا : فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم فى إشراقه وتَسَهُّله ، ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تصلى . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم ؛ فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا ، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلما وقف على النادى قال له سعد : مافعلت ؟ قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما ، فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حُدثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ، ليُخفِروك⁽¹⁾ . قال : فقام سعد مغضبا مبادراً ، تخوفا للذى ذكر له من بنى حارثة ، فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً ، ثم خرج إليهما ؛ فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتما ، ثم قال لأسعد بن زُرارة : يا أبا أُمامة ، أما والله ، لولا ما بينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى ، أتغشانا فى دارينا بما نكره — وقد قال أسعد بن زُرارة لمصعب بن عمير : أى مصعب ، جاءك والله سيد من وراءه من قومه ، إن يتبعْك لا يتخلفْ عنك منهم اثنان — : قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ماتكره ؟ قال سعد : أنصفت . ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قالا : فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، لإشراقه وتَسَهُّله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلتم ودخلتم فى هذا الدين

---

(١) لينقضوا عهدك .

قالا: تغتسل فتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير.

قال: فلما رآه قومه مقبلا، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم؛ فلما وقف عليهم قال: يابنى عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة، ورجع أسعد ومُصْعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد، وخطمة ووائل وواقف، وتلك أوس الله، وهم من الأوس بن حارثة، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت، وهو صَيْفِى، وكان شاعراً لهم وقائداً يستمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، وقال فيما رأى من الإسلام، وما اختلف الناس فيه من أمره:

أربَّ الناسِ أشياء ألَمَّتْ ... يُلَفُّ الصعبُ منها بالذَّلُولِ
أربَّ الناسِ أمَّا إذ ضَلَلْنا ... فيسِّرنا لمعروفِ السبيلِ
فلولا ربُّنا كنا يهوداً ... وما دينُ اليهودِ بذى شُكُولِ(١)
ولولا ربُّنا كنا نصارى ... مع الرهبانِ فى جبلِ الجليلِ(٢)

---

(١) الشكول جمع شكل وشكل الشىء — بالفتح — هو مثله والشكل بالكسر الدل والحسن فكأنه أراد أن دين اليهود بدع، فليس له شكول أى: ليس له نظير فى الحقائق، ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول، وقد قال الطائى:

وقلت: أخى قالوا: أخ من قرابة ... فقلت لهم: إن الشكول أقارب
قريبى فى رأيى ودينى ومذهبى ... وإن باعدتنا فى الخطوب المناسب

انظر الروض جـ ٢ ص ٢٠٠

(٢) الجليل: جبل معروف فى الشام.

ولكنا خُلِقنا إذ خُلقنا   حنيفا دينُنا عن كلِّ جيل
نسوقُ الهَدْىَ ترسُفُ مذعناتٍ   مُكشّفةَ المناكب فى الجُلول(١)

قال ابن هشام: أنشدنى قوله: فلولا ربنا، وقوله: لولا ربنا، وقوله: مكشفة المناكب فى الجلول، رجل من الأنصار، أو من خزاعة.

أمر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق: ثم إن مُصعَب بن عُمَير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة، من أوسط أيام التشريق، حين أراد من كرامته، والنصر لنبيه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله.

البراء بن معرور يصلى إلى الكعبة: قال ابن إسحاق: حدثنى معبد بن كعب بن مالك بن أبى كعب ابن القين، أخو بنى سلمة، أن أخاه عبد الله بن كعب، وكان من أعلم الأنصار، حدثه أن أباه كعبا حدثه، وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، قال: خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البَرَاء بن مَعْرور، سيدنا وكبيرنا، فلما وجّهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البَرَاء لنا: يا هؤلاء، إنى قد رأيت رأيا، فوالله ما أدرى، أتوافقوننى عليه، أم لا؟ قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البَنِيّة منى بظهر، يعنى الكعبة، وأن أصلى إليها. قال: فقلنا، والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه. قال: فقال: إنى لمصل إليها. قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل، قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام، وصلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة. قال: وقد كنا عِبْنا عليه ما صنع، وأبى إلا الإقامة على ذلك. فلما قدمنا مكة قال لى: يا بن أخى، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى نسأله عما صنعت فى سفرى هذا، فإنه والله قد وقع فى نفسى منه شىء، لما رأيت من خلافكم إياى فيه. قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنا لا نعرفه، ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا؛ قال: فهل

---

(١) ترسف: تمشى مشى المقيد، والجلول: جمع جل وهو ماتلبسه الدابة لتصان به.

تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم — قال كنا نعرف العباس ، وكان لا يزال يقدم علينا تاجراً — قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس . قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا إليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور ، سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم ، قال : فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله ، إني خرجت في سفري هذا ، وقد هداني الله للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البَنِيَّة مني بظهر ، فصليت إليها ، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : كنت على قبلة لو صبرتَ (١) عليها . قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معنا إلى الشام . قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال ابن هشام : وقال عَوْن بن أيوب الأنصاري :

ومنا المصلِّي أولَ الناسِ مُقبِلا ... على كعبةِ الرحمنِ بينَ المشاعرِ

---

(١) قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فقه قوله: لو صبرت عليها : أنه لم يأمره بإعادة ما قد صلى ؛ لأنه كان متأولا .

وفي الحديث : دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس، وهو قول ابن عباس ، وقالت طائفة : ما صلى إلى بيت المقدس إلا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا ، فعلى هذا يكون في القبلة نسخان نسخ سنة بقرآن ، وقد بين حديث ابن عباس منشأ الخلاف في هذه المسألة ، فروى عنه من طرق صحاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا صلى بمكة استقبل بيت المقدس ، وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس ، فلما كان عليه السلام يتحرى القبلتين جميعا لم يبن توجهه إلى بيت المقدس للناس ، حتى خرج من مكة والله أعلم . قال الله تعالى له في الآية الناسخة : « ومن حيث خرجت فول وجهك شطرَ المسجد الحرام » أي : من أي جهة جئت إلى الصلاة ، وخرجت إليها فاستقبل الكعبة كنت مستدبرا لبيت المقدس ، أو لم تكن : لأنه كان بمكة يتحرى في استقباله بيت المقدس أن تكون الكعبة بين يديه ، وتدبر قوله تعالى : « ومن حيث خرجت فول وجهك » وقال لأمته : « وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

يعنى البراء بن معرور . وهذا البيت فى قصيدة له .

إسلام عبد الله بن عبد عمرو بن حرام : قال ابن إسحاق : حدثنى معبد بن كعب ، أن أخاه عبدالله بن كعب حدثه أن أباه كعب بن مالك حدثه ، قال كعب : ثم خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق . قال : فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيد من سادتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيد من سادتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ؛ ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا .

امرأتان فى البيعة : قال : فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا : نسيبة بنت كعب ، أم عمارة ، إحدى نساء بنى مازن بن النجار ؛ وأسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى ، إحدى نساء بنى سلمة ، وهى أم منيع .

العباس يستوثق من الأنصار : قال : فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له . فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يامعشر الخزرج — قال : وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار : الخزرج ، خزرجها وأوسها — : إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ؛ وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده . قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت فتكلم يارسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت :

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار : قال : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ورغب فى الإسلام ، ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : نعم والذى بعثك

بالحق لنمنعك مما نمنع منه أُزُرَنا [1] فبايِعْنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلْقة، ورثناها كابرا عن كابر. قال: فاعترض القولَ، والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الهيثم بن التَّيِّهان، فقال: يارسول الله: إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإنا قاطعوها — يعنى اليهود — فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدَعنا؟ قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: بل الدَّمُ الدمُ، والهَدْمُ الهدْمُ [2]، أنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم.

قال ابن هشام: ويقال: الهَدَم الهَدَم: يعنى الحرمة. أى ذمتى ذمتكم، وحرمتى حرمتكم.

قال كعب بن مالك: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخرجوا إلىَّ منكم اثنى عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

---

(١) العرب تكنى عن المرأة بالإزار وتكنى أيضا بالإزار عن النفس، وتجعل الثوب عبارة عن لابسه كما قال:

رموها بأثواب خفاف فلا ترى ... لها شبهاً إلا النعام المنفرا

أى: بأبدان خفاف، فقوله مما نمنع أزرنا يحتمل الوجهين جميعا.

(٢) قال ابن قتيبة: كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمى دمك وهدمى هدمك، أى: ما هدمت من الدماء هدمته أنا، ويقال أيضا: بل اللدم اللدم والهدم الهدم وأنشد:

ثم الحقى بهدمى ولدمى

فاللدم: جمع لادم، وهم أهله الذين يلتدمون عليه إذا مات، وهو من لدمت صدره: إذا ضربته. والهدم قال ابن هشام: الحرمة، وإنما كنى عن حرمة الرجل وأهله بالهدم، لأنهم كانوا أهل نجعة وارتحال. ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم فكلما ظعنوا هدموها، والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض، ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى، ثم قال: هدى هدمك أى: رحلى مع رحلك أى لا أظعن وأدعك، وأنشد يعقوب:

تعفى إذا زجرت عن سوأة قدماً ... كأنها هدم فى الجفر منقاض

أسماء النقباء الاثنى عشر

نقباء الخزرج: قال ابن هشام: من الخزرج ـ فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائى، عن محمد ابن إسحاق المطلبي ـ أبو أمامة أسعد بن زُرارة بن عُدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج؛ وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. وعبد الله بن رَوَاحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جُشم بن الخزرج؛ والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سَلِمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشم بن الخزرج؛ وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب ابن سَلِمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشم بن الخزرج؛ وعُبادة بن الصامت ابن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج.

قال ابن هشام: هو غَنْم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: وسعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة بن أبى خَزِيمة بن ثعلبة بن طريف ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج؛ والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لَوْذان ابن عبدودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ـ قال ابن هشام: ويقال: ابن خنيش.

نقباء الأوس: ومن الأوس: أُسَيد بن حُضَير بن سماك بن عَتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل؛ وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحّاط ابن كعب بن حارثة بن غنم بن السّلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس، ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

شعر كعب بن مالك فى النقباء: قال ابن هشام: وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولا يعدون رفاعة. وقال كعب بن مالك يذكرهم، فيما أنشدنى أبو زيد الأنصارى:

أبلــغ أُبَيّاً أنه فَالَ رأيُه ... وحان غَداةَ الشِّعْب والحينُ واقعُ(١)»
أَبَى اللهُ ما مَنَّتك نفسُك إنه ... بمِرصادِ أمرِ الناس راءٍ وسامعُ
وأبلغْ أبا سفيانَ أن قد بَدا لنا ... بأحمدَ نورٌ من هُدَى اللهِ ساطعُ
فلا ترغَبَنْ فى حَشْــدِ أمرٍ تريدُه ... وألِّبْ وجَمِّعْ كل ما أنت جامعُ
ودونَك فاعلمْ أن نقضَ عهودِنا ... أباه عليك الرهطُ حينَ تبايعوا
أباه البَراءُ وابنُ عمرو كلاهما ... وأســعدُ يأباه عليك ورافعُ
وسعدٌ أباه الساعدىُّ ومنذِرٌ ... لأنفِكَ إن حاولتَ ذلك جادعُ
وما ابنُ ربيعٍ إن تناولتَ عهدَه ... بمُسْلِمِه لايطمَعَنْ ثَمَّ طامعُ
وأيضا فلا يعطيكَه ابنُ رَوَاحَةٍ ... وإخفارُه من دونِه السَّمُّ ناقعُ
وفاءً به والقَوْقَلىُّ بنُ صــامتٍ ... بمندوحة عما تحاولُ يافعُ(٢)»
أبو هيثمٍ أيضــا وفىٌّ بمثلِها ... وفاءً بما أعطَى من العهدِ خانعُ(٣)»
وما ابنُ حُضَيْرٍ إن أردتَ بمطمَعٍ ... فهل أنت عن أحموقةِ الغَىِّ نازعُ
وسعد أخو عمرو بنِ عوفٍ فإنه ... ضَروحٌ لما حاولت مِلْأَمْرِ مانعُ(٤)»
أولاك نجوم لايغبــك منهم ... عليك بنحس فى دجى الليل طالعُ

فذكر كعب فيهم «أبا الهيثم بن التيهان» ، ولم يذكر «رفاعة» .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومى — يعنى المسلمين — قالوا : نعم .

ما قاله العباس بن عبادة للخزرج : قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبــادة بن نضْلة الأنصارى ، أخو بنى سالم بن عوف : يامعشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا : نعم ؛ قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترَوْن أنكم

---

(١) فال : بطل
(٢) اليافع : العالى
(٣) الخانع : الذليل
(٤) ضروح : أى دافع عن نفسه .

إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال(١) ، وقتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ؛ قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة . قالوا : أبسط يدك ؛ فبسط يده فبايعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العَقْدَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم .

وأما عبد الله بن أبى بكر فقال : ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة ، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول ، فيكون أقوى لأمر القوم . فالله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن هشام : سلول : امرأة من خزاعة ، وهى أم أُبَىّ بن مالك بن الحارث .

أول من ضرب على يد الرسول فى بيعة العقبة الثانية : قال ابن إسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة ، أسعد بن زُرارة ، كان أول من ضرب على يده ؛ وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التَّيِّهان .

قال ابن إسحاق : فأما معبد بن كعب بن مالك فحدثنى فى حديثه ، عن أخيه عبد الله بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ، ثم بايع بعدُ القومُ .

الشيطان يصرخ بعد بيعة العقبة : فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباجب — والجباجب : المنازل(٢) — هل لكم فى مُذَمَّم والصُّباة معه ، قد اجتمعوا على حربكم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أزَبُّ(٣) العقبة ، هذا ابن أزْيَب — قال ابن هشام : ويقال ابن أُزَيْب — أتسمعُ أىْ عدوَّ الله ، أما والله لأفرُغن لك .

الأنصار تستعجل الحرب : قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفضُّوا إلى

---

(١) نهكة الأموال : نقصها .

(٢) المنازل : منازل منى . (٣) أزب العقبة : اسم شيطان .

رحالكم . قال : فقال له العباس بن عبادة بن نَضْلة : والله الذى بعثك بالحق : إن شئت لنميلن على أهل منًى غداً بأسيافنا ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نُؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم . قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فنمنا عليها حتى أصبحنا .

قريش تجادل الأنصار : قال : فلما أصبحنا غدت علينا جِلّة قريش ، حتى جاءونا فى منازلنا فقالوا : يامعشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله مامن حَى من العرب أبغض إلينا ، أن تنشَبَ الحرب بيننا وبينهم ، منكم . قال : فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شىء ، وما علمناه . قال : وقد صدقوا ، لم يعلموه . قال . وبعضنا ينظر إلى بعض . قال : ثم قام القوم ، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى ، وعليه نعلان له جديدان . قال فقلت له كلمة — كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا — : يا أبا جابر ، أما تستطيع أن تتخذ . وأنت سيد من ساداتنا ، مثل نعلى هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلىّ ، وقال : والله لَتَنْتَعِلَنَّهما . قال : يقول : أبو جابر : مَهْ ، أحفظْتَ والله الفتى ، فاردد إليه نعليه . قال : قلت : والله لا أردها ، فأل والله صالح ، لئن صدق الفأل لأسلبنّه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أنهم أتوا عبد الله بن أبى ابن سلول ، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول ؛ فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومى ليتفوّتوا على بمثل هذا ، وما علمته كان . قال : فانصرفوا عنه .

قريش تأسر سعد بن عبادة : قال : ونفَرَ الناس من منًى ، فتنطّس القومُ الخبرَ[1] ، فوجدوه قد كان ، وخرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بأذَاخِر ، والمنذر بن عمرو ، أخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وكلاهما كان نقيبا . فأما المنذر فأعجزَ القومَ ؛ وأما سعد فأخذوه ، فربطوا يديه إلى عنقه بنِسْعِ[2] رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ، ويجذبونه بجُمَّته ، وكان ذا شعر كثير .

خلاص سعد : قال سعد : فوالله إنى لفى أيديهم إذ طلع علىّ نفر من قريش ، فيهم رجل وضىء أبيض ، شعشاع ، حلو من الرجال .

---

(١) دققوا فى البحث عنه   (٢) النسع : الشراك الذى يشد به الرحل .

قال ابن هشام : الشعشاع الطويل الحسن . قال رؤبة :

يَمْطُوهُ من شَعْشاعٍ غيرِ مُوْدَنِ

يعني : عنق البعير غير قصير ، يقول : مُوْدن اليد ، أى ناقص اليد .

قال : فقلت فى نفسي : إن يك عند أحد من القوم خير ، فعند هذا ؛ قال : فلما دنا منى رفع يده فلكمنى لكمة شديدة . قال : فقلت فى نفسي : لا والله ماعندهم بعد هذا من خير . قال : فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذ أوى(١) لى رجل ممن كان معهم ، فقال ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال : قلت : بلى ، والله ، لقد كنت أُجير لجُبَير بن مُطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف تجارة ، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى ، وللحارث ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ؛ قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما فى المسجد عند الكعبة، فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ويهتف بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما جوارا ؛ قالا : ومن هو ؟ قال سعد بن عبادة ؛ قالا : صدق والله ، إن كان ليجير لنا تجارنا ، ويمنعهم أن يُظلموا ببلده . قال : فجاءا فخلصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذى لكم سعداً سُهَيل بن عمرو ، أخو بنى عامر بن لؤى .

قال ابن هشام : وكان الرجل الذى أوى اليه ، أبا البَخْتَرى بن هشام .

قال ابن إسحاق : وكان أول شعر قيل فى الهجرة بيتين ، قالهما ضِرار(٢) بن الخطاب بن مِرداس ، أخو بنى محارب بن فهر :

تداركتُ سعداً عَنوةً فأخذتُه وكان شِفاءً لو تداركتُ مُنذرا

---

(١) أوى : رحم .

(٢) كان شاعر قريش وفارسها ، ولم يكن فى قريش أشعر منه ثم ابن الزبعرى بن قيس ابن عدى ، وكان جده مرداس رئيس بنى محارب بن فهر فى الجاهلية يسير فيهم بالمرباع ، وهو ربع الغنيمة ، وكان أبوه أيام الفِجار رئيس بنى محارب بن فهر. أسلم ضرار عام الفتح .

ولو قتلهُ طُلَّتْ هنــاك جراحُه | وكانَ حَرِيّاً أن يُهان ويُهدرا (١)

قال ابن هشام : ويروى :

وكان حقيقا أن يهان ويُهدَرا

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال :

لستَ إلى سعدٍ ولا المرءِ مُنذِرٍ	إذا ما مَطايا القومِ أصبحْنَ ضُمَّرا
فلولا أبو وهبٍ لمرّتْ قصائدٌ	على شرفِ البَرْقاءِ يَهْوِينَ حُسَّرا
أتفخرُ بالكَتَّانِ لما لَبِستَه	وقد تلبسُ الأنباطُ رَيْطًا مُقَصَّرا (٢)
فلا تكُ كالوسنانِ يحلُمُ أنه	بقريةِ كِسرَى أو بقريةِ قيصَرا
ولا تكُ كالثكلَى وكانت بمعزِلٍ	عن الثُّكْلِ لو كان الفؤادُ تفكرا
ولا تكُ كالشاةِ التي كان حتفُها	بحفرِ ذِراعَيْها فلم ترضَ مَحْفَرا (٣)
ولا تكُ كالعاوِي فأقبلَ نحرُه	ولم يَخشَهُ سهمًا من النَّبْلِ مُضمَرا
فإنا ومن يُهدِي القصائدَ نحوَنا	كمُستبضِعٍ تمراً إلى أهلِ خَيْبَرا

قصة صنم عمرو بن الجموح

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَةَ ، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة ، وشريفا من أشرافهم ، وكان قد اتخذ في داره صنما من خشب ،

---

(١) طلت : هدرت .

(٢) الريط : الملاحف البيض .

(٣) تقوله العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شراً كالباحث عن المدية ، وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :

وكان يجير الناس من سيف مالك	فأصبح يبغي نفسه من يجيرها
وكان كعنز السوء قامت بظلفها	إلى مدية تحت التراب تثيرها

يقال له : مَناة (١) ، كما كانت الأشراف يصنعون ، تتخذه إلها تعظمه وتُطهره ، فلما أسلم فتيان بني سلمة : معاذ بن جبل ؛ وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح ، في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة ، كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك ، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة ، وفيها عِذَر (٢) الناس ، منكّسا على رأسه ، فإذا أصبح عمرو ، قال : ويلكم ! من عدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ قال : ثم يغدو يلتمسه ، حتى إذا وجده غسله وطهره وطيّبه ، ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزيته . فإذا أمسى ونام عمرو ، عَدَوْا عليه ، ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطهره ويطيبه ، ثم يعدون عليه ، إذا أمسى ، فيفعلون به مثل ذلك . فلما أكثروا عليه ، استخرجه من حيث ألقوه يوما ، فغسله وطهره وطيبه ، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ، ثم قال : إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، فهذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو ، عدوا عليه ، فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة ، فيها عِذَر من عِذَر الناس ، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به .

إسلام عمرو وما قاله من الشعر : فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكّسا مقرونا بكلب ميت ، فلما رآه وأبصر شأنه ، وكلمه من أسلم من قومه ، فأسلم برحمة الله ، وحسن إسلامه . فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة :

والله لو كنتَ إلها لم تكنْ ... أنتَ وكلبٌ وسطَ بئرٍ في قَرَنْ (٣)

أفٍّ لملقاكَ إلهاً مُسْتَدَنْ ... الآنَ فتشناكَ عن سُوءِ الغَبَنْ (٤)

الحمدُ للهِ العليّ ذي المِنَنْ ... الواهبِ الرزاقِ ديّانِ الدِّيَنْ (٥)

هو الذي أنقذني من قبلِ أنْ ... أكونَ في ظلمةِ قبرٍ مرتهَنْ

بأحمدَ المهديّ النبيّ المؤتمَنْ

---

(١) مناة : ووزنه : فعلة ، من منيت الدم إذا صببته ، لأن الدماء كانت عنده تمنى ، ومن هنا سميت الأصنام : دمى يقول الله سبحانه وتعالى «ومناة الثالثة الأخرى» أي ثالثة للات والعزى .

(٢) فضلات الناس . (٣) القرن : الحبل . (٤) مستدن : مستعبد ، والغبن : السفه .

(٥) الدين : جمع دينة وهي العادة ويقال لها دين أيضا ، وقال ابن الطثرية واسمه يزيد :

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم ... له عند ليلى دينة يستدينها

فألقيت سهمي بينهم حين أوخشوا ... فما صار لي في القسم إلا ثمينها

ويجوز أن يريد بالدين الأديان ، أي : هو ديان أهل الأديان ولكن جمعها على الدين لأنها ملل ونحل كما قالوا في جمع الحرة حرائر ، لأنهن في معنى الكرائم والعقائل .

شروط البيعة فى العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق : وكانت بيعة الحرب ، حين أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال شروطا سوى شرطه عليهم فى العقبة الأولى ، كانت الأولى على بيعة النساء وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم فى الحرب ، فلما أذن الله له فيها ، وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود ، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبادة بن الوليد بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن جده عبادة ابن الصامت ، وكان أحد النقباء ، قال :

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب — وكان عبادة من الاثنى عشر الذين بايعوه فى العقبة الأولى على بيعة النساء — على السمع والطاعة ، فى عُسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا ، وأن لاننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا ، لانخاف فى الله لومة لائم .

أسماء من شهد العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق وهذا تسمية من شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها من الأوس والخزرج ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين .

شهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى عبد الأشهل بن جُشَم ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن الأوس أُسَيْد بن حُضَير بن سِمَاك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، نقيب لم يشهد بدرا . وأبو الهيثم بن التيهان ، واسمه مالك ، شهد بدراً . وسلمة بن سلامة بن وَقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء بن عبد الأشهل ، شهد بدراً . ثلاثة نفر . قال ابن هشام ويقال : ابن زَعُوْرَاء .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : ظهير بن رافع بن عدى بن زيد بن جُشَم بن حارثة : وأبو بردة بن نيار ، واسمه هانى بن نيار ابن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غَنْم بن ذبيان بن هُمَيم بن كاهل بن ذُهْل بن هنى بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، حليف لهم ، شهد بدراً . ونهير بن الهيثم ، من بنى نابى

ابن مَجدعة بن حارثة ، بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ؛ ثم من آل السَّواف بن قيس بن عامر بن نابى بن مَجدعة بن حارثة . ثلاثة نفر .

ومن بنى عمرو بن عوف مالك بن الأوس : سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب ابن النَّحاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، نقيب ، شهد بدراً ، فقُتل به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً .

قال ابن هشام : ونسبه ابن إسحاق فى بنى عمرو بن عوف ؛ وهو من بنى غَنْم بن السلم ، لأنه ربما كانت دعوة الرجل فى القوم ، ويكون فيهم فينسب إليهم .

قال ابن إسحاق : ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ، نقيب ، شهد بدراً . وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البُرَك — واسم البرك : امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس — شهد بدراً ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة ؛ ويقال : أمية بن البَرْك ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ومعن بن عدى بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة ، حليف لهم من بَلِى ، شهد بدرا وأحداً والخندق ، ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، قتل يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعُوَيْم بن ساعدة ، شهد بدرا وأحداً والخندق . خمسة نفر .

فجميع من شهد العقبة من الأوس أحد عشر رجلا

وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ؛ ثم من بنى النجار ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : أبو أيوب ، وهو خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبة ابن عبد بن عَوف بن غَنْم بن مالك بن النجار شهد بدرا وأحدا والخندق ، والمشاهد كلها ؛ مات بأرض الروم غازياً فى زمن معاوية بن أبى سفيان . ومعاذ بن الحارث بن رفاعة بن سَوَاد ابن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجار ، شهد بدراً وأحداً والخندق ، والمشاهد كلها ، وهو ابن عفراء ، وأخوه عوف بن الحارث شهد بدراً وقتل به شهيداً ، وهو لعفراء . وأخوه معوذ ابن الحارث ، شهد بدرا وقتل به شهيدا ، وهو الذى قتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة ، وهو لعفراء — ويقال : رفاعة بن الحارث بن سَوَاد ، فيما قال ابن هشام — وعمارة بن حزم بن زيد

ابن لَوْذان بن عمرو بن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار : شهد بدرا وأحدا والخندق ، والمشاهد كلها ، قُتل يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وأسعد بن زُرَارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ، نقيب ، مات قبل بدر ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبنى ، وهو أبو أمامة . ستة نفر .

ومن بنى عمرو بن مبذول ـ ومبذول : عامر بن مالك بن النجار ـ : سهل بن عتيك بن نعمان ابن عمرو بن عتيك بن عمرو ، شهد بدرا . رجل .

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار ، وهم بنو حُدَيلة ـ قال ابن هشام : حديلة : بنت مالك ابن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جُشَم بن الخزرج ـ أوس بن ثابت ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار ، شهد بدرا ، وأبو طلحة ، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن مالك بن النجار شهد بدرا . رجلان .

ومن بنى مازن بن النجار ، قَيس بن أبى صعصعة ، واسم أبى صعصعة : عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن ، شهد بدرا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على السّاقة يومئذ . وعمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عمرو ابن غَنْم بن مازن . رجلان . فجميع من شهد العقبة من بنى النجار أحد عشر رجلا .

قال ابن هشام : عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء ، هذا الذى ذكره ابن إسحاق ، إنما هو غزّية بن عمرو بن عطية بن خنساء .

قال ابن إسحاق : ومن بلْحارث بن الخزرج : سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زُهَير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا . وخارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، شهد بدراً وقتل يوم أحد شهيداً . وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدراً وأحدا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، إلا الفتح وما بعده ، وقتل يوم مؤتة شهيداً أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وبشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث،

أبو النعمان بن بشير ، شهد بدراً . وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله بن زيد مناة بن الحارث بن الخزرج ، شهد بدراً ، وهو الذى أُرِىَ النداء للصلاة ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به . وخَلاَّد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، شهد بدراً وأحداً والخندق ، وقتل يوم بنى قريظة شهيداً ، طُرِحت عليه رحًى من أُطُمٍ من آطامها فشدختْه شَدْخا شديدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — إن له لأجر شهيدين . وعقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أُسَيْرة بن عسيرة بن جِدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سنا ، مات فى أيام معاوية ، لم يشهد بدراً ، سبعة نفر .

ومن بنى بَيَاضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج : زياد بن لَبِيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بَيَاضة ، شهد بدراً . وفَرْوة بن عمرو بن وَذَفَة بن عبيد بن عامر بن بَيَاضة ، شهد بدراً . قال ابن هشام : ويقال : وَدْفة .

قال ابن إسحاق وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بَيَاضة شهد بدرا ثلاثة نفر .

ومن بنى زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضب بن جُشَم بن الخزرج : رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق ، نقيب . وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلَدَة بن مخلد بن عامر بن زُرَيق ، وكان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى ، شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا . وعُبَادة بن قيس بن عامر بن خَلَدة بن مخلد بن عامر بن زُرَيق ، شهد بدرا . والحارث بن قيس بن خالد بن مخلد بن عامر بن زُرَيق ، وهو أبو خالد شهد بدرا أربعة نفر

ومن بنى سَلِمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تَزيد بن جُشَم بن الخزرج : ثم من بنى عبيد بن عَدِى بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة : البَرَاء بن مَعْرور بن صخر بن خَنساء بن سِنان بن عبيد بن عدى بن غَنم ، نقيب ، وهو الذى تَزْعُم بنو سلمة أنه كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط له . واشترط عليه ، ثم توفى قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وابنه بِشر بن البَرَاء بن مَعْرور ، شهد بدرا وأحدا والخندق ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الشاة التى سُم فيها — وهو

الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سأل بنى سَلِمة : من سيدكم يا بنى سلمة ؟ فقالوا : الجد بن قيس ، على بخله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأى داء أكبر من البخل ! سيد بنى سلمة الأبيض الجعْد بشر بن البَرَاء بن مَعْرور — وسِنان بن صيفى بن صخر بن خنساء ابن سِنان بن عبيد ، شهد بدرا ، وقتل يوم الخندق شهيدا . والطُّفَيْل بن النعمان بن خنساء بن سِنان بن عبيد ، شهد بدرا ، وقتل يوم الخندق شهيدا . ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس ابن سِنان بن عبيد ، شهد بدرا . ويزيد بن المنذر ، شهد بدرا . ومسعود بن يزيد بن سبيع ابن خنساء بن سِنان بن عبيد . والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد ، شهد بدرا ، ويزيد ابن حرام بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد . وجَبَّار بن صخر بن أمية بن خنساء بن سِنان ابن عبيد ، شهد بدرا .

قال ابن هشام : ويقال : جَبَّار بن صخر بن أمية بن خناس .

قال ابن إسحاق : والطُّفَيْل بن مالك بن خنساء بن سِنان بن عبيد ، شهد بدرا . أحد عشر رجلا .

ومن بنى سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة ، ثم من بنى كعب بن سَوَاد : كعب بن مالك بن أبى كعب بن القَيْن بن كعب . رجل .

ومن بنى غَنْم بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة : سليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غَنْم ، شهد بدرا . وقُطْبَة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غَنْم ، شهد بدرا . و أخوه يزيد ابن عامر بن حديدة بن عمرو بن غَنْم ، وهو أبو المنذر ، شهد بدرا . وأبو اليَسَر ، واسمه كعب ابن عمرو بن عباد بن عمرو بن غَنْم ، شهد بدرا . وصيفى بن سواد بن عباد بن عمرو بن غَنْم خمسة نفر .

قال ابن هشام : صَيْفى بن أسود بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غَنْم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى نابى بن عمرو بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة : ثعلبة بن غنمة بن عدى بن نابى ، شهد بدرا ، وقتل بالخندق شهيدا ، وعمرو بن غنمة بن عدى بن نابى ، وعَبْس بن عامر بن عدى بن نابى ، شهد بدرا . وعبد الله بن أنيس ، حليف لهم من قضاعة وخالد بن عمرو بن عدى بن نابى خمسة نفر

قال ابن إسحاق : ومن بنى حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة : عبد الله بن عمرو ابن حرام بن ثعلبة بن حرام ، نقيب ، شهد بدرا ، وقتل يوم أحد شهيدا ، وابنه جابر بن عبدالله . ومعاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام، شهد بدرا وثابت بن الجِذْع ـ والجذع: ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حـــرام ـــ شهد بدرا ، وقُتل بالطائف شهيدا . وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام ، شهد بدرا . قال ابن هشام : عمير بن الحارث بن لَبْدَة بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وخَدِيج بن سلامة بن أوس بن عمرو بن الفُرَافِر ، حليف لهم من بلى . ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ بن سعد بن على ابن أسد ؛ ويقال : أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج ؛ وكان فى بنى سَلِمة ، شهد بدرا، والمشاهد كلها ومات بعَمْوَاس ، عام الطاعون بالشام ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وإنما ادعته بنو سَلِمة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة . سبعة نفر .

قال ابن هشام : أوس : ابن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ بن سعد .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عوف بن الخزرج ؛ ثم من بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : عُبَادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف : نقيب ، شهد بدرا والمشاهد كلها .

قال ابن هشام : هو غَنْم بن عوف ، أخو سالم بن عـــوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

قال ابن إسحاق : والعباس بن عُبَادة بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم بن عوف ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، فأقام معه بها ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى ، وقتل يوم أحد شهيدا، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة ، حليف لهم من بنى غُصَيْنة من بلى . وعمرو بن الحارث ابن لبدة بن عمرو بن ثعلبة : أربعة نفر ، وهم القواقل .

ومن بنى سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحُبْلَى ـ قال ابن هشام : الحبلى : سالم بن غَنْم بن عوف ، وإنما سمى الحبلى ـ لعظم بطنه : رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو

ابن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غَنْم . شهد بدراً ، وهو أبو الوليد .

قال ابن هشام : ويقال : رفاعة : ابن مالك ، ومالك : ابن الوليد بن عبد الله بن مالك ابن ثعلبة بن جُشَم بن مالك بن سالم .

قال ابن إسحاق : وعُقْبة بن وهب بن كَلَدة بن الجعد بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عدى بن جُشَم بن عوف بن بُهْثة بن عبد الله بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان ، حليف لهم ، شهد بدراً ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى .

قال ابن هشام : رجلان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عبادة بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، والمنذر بن عمرو ابن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن جُشَم بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، شهد بدرا وأحداً ، وقتل يوم بئر معونة أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كان يقال له : أعْنَق ليَمُوتَ . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : المنذر : ابن عمرو بن خنش .

قال ابن إسحاق : فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم ، يزعمون أنهما قد بايعتا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساء إنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أقررن ، قال : اذهبن فقد بايعتكن .

ومن بنى مازن بن النجار : نُسَيْبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن ، وهى أم عمارة ، كانت شهدت الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت معها أختها . وزوجها زيد بن عاصم بن كعب . وابناها : حبيب بن زيد ، وعبد الله ابن زيد ، وابنها حبيب الذى أخذه مُسَيلمة الكذاب الحنفى ، صاحب اليمامة ، فجعل يقول له : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم فيقول : أفتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع ، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات فى يده ، لا يزيده على ذلك ، إذا ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه ، وإذا ذكر له مُسَيلمة قال : لا أسمع ـــ فخرجت إلى اليمامة مع المسلمين ،

فباشرت الحرب بنفسها ، حتى قَتلَ الله مسيلمة ورجعت وبها اثنا عشر جُرحا ، من بين طعنة وضربة .

قال ابن إسحاق : حدثني هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبان ، عن عبدالله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة .

ومن بني سلمة : أم منيع ؛ وأسمها : أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى بن عمرو بن غنم ابن كعب بن سلمة [1]

نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال

بسم الله الرحمن الرحيم . قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد ابن عبدالله البَكّائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يُؤذن له فى الحرب ولم تُحلل له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل ، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم ، فهُم من بين مفتون فى دينه ، ومن بين معذب فى أيديهم ، وبين هارب فى البلاد فرارا منهم ، منهم مَن بأرض الحبشة ، ومنهم مَن بالمدينة ، وفى كل وجه ؛ فلما عَتَت قريش على الله عزوجل ، وردّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعذّبوا ونفوا من عبده ووحده وصدّق نبيه ، واعتصم بدينه ، أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم ، فكانت أول آية أُنزلت فى إذنه له فى الحرب ، وإحلاله الدماء والقتال ، لمن بغى عليهم ، فيما بلغنى عن عُروة بن الزبير وغيره من العلماء ، قول الله تبارك وتعالى : « أُذِنَ للذينَ يُقاتَلون بأنّهم ظُلموا وإنّ اللهَ على نصرِهم لقديرٌ . الذين أُخرِجوا من ديارِهم بغيرِ حقٍّ إلا أن يقولوا ربُّنا الله ولولا دفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لهُدِّمت صوامعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكرُ فيها اسمُ اللهِ كثيراً ولينصُرَنّ اللهُ من ينصرُه ، إن اللهَ لقويٌّ عزيزٌ . الذين إن مكّنّاهم فى الأرضِ أقاموا الصلاةَ ، وآتوا الزكاةَ وأمروا بالمعروفِ ونَهَوْا عن المنكرِ ، ولله عاقبةُ الأمورِ » : أى أنى إنما أحللت لهم القتال

---

(١) راجع زيادة فى أنساب من ذُكروا وأخباراً كثيرة عنهم فى الروض الأنف تحقيقنا ج ٢ ص ٢١٤ وما بعدها .

لأنهم ظلموا ، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس، إلاأن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين ، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه : « وقاتِلوهُم حتى لا تكونَ فتنةٌ » : أى حتى لا يُفتن مؤمن عن دينه « ويكون الدِّينُ لله » : أى حتى يعبد الله ، لا يعبد معه غيره :

الإذن لمسلمى مكة بالهجرة إلى المدينة : قال ابن إسحاق : فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم فى الحرب ، وبايعه هذا الحى من الأنصار على الإسلام والنُّصْرة له ولمن اتبعه ، وأوَى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها . فخرجوا أرْسَالا(١) ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة .

ذكر المهاجرين إلى المدينة فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ، من بنى مخزوم : أبوسَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسمه : عبدالله ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة ، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجرا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى : إسحاقُ بنُ يسار ، عن سلمة بن عبدالله بن عمر بن أبى سلمة عن جدته أم سَلَمة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أجمع أبو سَلَمة الخروج إلى المدينة رَحّل لى بعيره ثم حملنى عليه ، وحمل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج بى يقود بى بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا هذه نفسُك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد؟ قالت : فنزعوا خُطام البعير من يده ، فأخذونى منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهط أبى سَلَمة ، فقالوا : لا والله ، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابنى سَلَمة بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة

---

(١) جماعة وراء جماعة .

عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففُرق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي، حتى أمسي: سنة أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: ورد بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله. قالت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم(١) لقيتُ عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة، أخا بني عبد الدار فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلت أريد زوجي بالمدينة. قال: أوَما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله، إلا الله وبُنيّ هذا. قال: والله ما لك من مَترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني، وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاده، حتى ينزل بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية — وكان أبو سلمة بها نازلا — فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعا إلى مكة.

قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة(٢).

---

(١) موضع على فرسخين من مكة.

(٢) وقد كان عثمان يومئذ على كفره، وإنما أسلم عثمان في هدنة الحديبية، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد، وقتل يوم أحد إخوته مسافع، وكلاب والحارث، وأبوهم، وعمه عثمان بن أبي طلحة قتل أيضا يوم أحد كافراً وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وإلى ابن عمه شيبة بن أبي عثمان بن أبي طلحة وهو جد بني شيبة حجبة الكعبة، واسم أبي طلحة جدهم: عبد الله بن عبد العزى بن عبد العزى وقتل عثمان رحمه الله شهيداً بأجنادين في أول خلافة عمر رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة : عامر بن ربيعة ، حليف بني عدي بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عدي بن كعب . ثم عبد الله بن جَحْش بن رئاب بن يعمر بن صَبِرة بن مرة بن كثير ابن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خزيمة ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش ، وهو أبو أحمد — وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر ، وكان يطوف مكة ، أعلاها وأسفلها ، بغير قائد ، وكان شاعرا ، وكانت عنده الفرعة بنت أبي سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم — فغلقت دار بني جحش[1] هجرة ، فمر بها عتبة ابن ربيعة ، والعباس بن عبد المطلب ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وهي دار أبان بن عثمان اليوم التي بالرَّدْم ، وهم مُصعِدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها يبابا[2] ، ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصُّعَداء ، ثم قال :

---

(١) وبنو جحش هم : عبد الله وأبو أحمد واسمه : عبد ، وقد كان أخوهم عبيد الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة ، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التي كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها » ، وأم حبيب بنت جحش التي كانت تستحاض ، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف وحمنة بنت جحش التي كانت تحت مصعب بن عمير ، وكانت تستحاض أيضا ، وقد روى أن زينب استحيضت ، أيضا ، ووقع في الموطأ أن زينب بنت جحش التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وكانت تستحاض ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن ابن عوف ، ولا قاله أحد ، والغلط لا يسلم بشر منه ، وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ، ويقال فيها أم حبيبة ، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح ، أخبرني أن أم حبيب كان اسمها : زينب فهما زينبان غلبت على إحداهما الكنية ، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطأ وهم ولا غلط والله أعلم . وكان اسم زينب بنت جحش : برة فسماها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — زينب ، وكذلك زينب بنت أم سلمة ربيبته عليه السلام ، كان اسمها برة ، فسماها زينب كأنه كره أن تزكي المرأة نفسها بهذا الاسم ، وكان اسم جحش بن رئاب : برة بضم الباء ، فقالت زينب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله لو غيرت اسم أبي ، فان البرة صغيرة فقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : لو أبوك مسلما لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت ، ولكني سميته جحش والجحش أكبر من البرة . وذكر هذا الحديث مسندا في كتابه المؤتلف والمختلف أبو الحسن الدارقطني . عن الروض الأنف .

(٢) اليباب : القفر .

وكلُّ دارٍ وإن طالت سلامتُها ... يوما ستُدركُها النكباءُ والحُوبُ

قال ابن هشام: وهذا البيت لأبي دُواد الإيادي في قصيدة له. والحوب: التوجع.

قال ابن إسحاق: ثم قال عتبة بن ربيعة: أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها! فقال أبو جهل: وما تبكى عليه من قُلّ ابن قُلّ.

قال ابن هشام: القُلّ: الواحد. قال لبيد بن ربيعة:

كُلُّ بني حُــرَّةٍ مصيرُهمُ ... قُــلٌّ وإن أكثرت من العَدَدِ

قال ابن إسحاق: ثم قال: هذا عمل ابن أخي هذا، فرق جماعتنا، وشتت أمرنا وقطع بيننا؛ فكان منزل أبي سلمة بن عبد الأسد، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش، وأخيه أبي أحمد ابن جحش، على مُبَشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبَر بقباء، في بني عمرو بن عوف، ثم قدم المهاجرون أرسالا، وكان بنو غَنْم بن دُودان أهل إسلام، قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرةً رجالُهم ونساؤهم: عبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد بن جحش، وعكاشة ابن مِحْصَن، وشجاع، وعقبة، ابنا وهب، وأربد بن حُمَيِّرة.

قال ابن هشام: ويقال ابن حُمَيْرة.

قال ابن إسحاق: ومنقذ بن نُبَاتة، وسعيد بن رُقَيْش، ومحرز بن نَضْلة، ويزيد بن رُقَيْش، وقيس بن جابر، وعمرو بن مِحْصَن، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وثَقْف بن عمرو، وربيعة بن أكثم، والزبير بن عبيد، وتمام بن عبيدة، وسَخْبَرة بن عبيدة، ومحمد بن عبد الله ابن جحش.

ومن نسائهم: زينب بنت جحش، وأم حبيب بنت جحش، وجدامة بنت جندل، وأم قيس بنت مِحْصَن، وأم حبيب بنت ثمامة، وآمنة بنت رُقَيْش، وسَخْبَرة بنت تميم، وحَمْنة بنت جحش.

وقال أبو أحمد بن جحش بن رئاب، وهو يذكر هجرة بني أسد بن خزيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وإيعابهم في ذلك حين دُعوا إلى الهجرة:

ولو حلفتْ بين الصفا أمُّ أحمدٍ ... ومروتِها بالله برَّتْ يمينُها

لنحن الأُلَى كنا بها ثم لم نزلْ ... بمكةَ حتى عاد غثًّا سمينُها

بها خيَّمتْ غَنْمُ بنُ دُودان وابتنت ... وما إن غدتْ غَنْمٌ وخفَّ قطينُها(١)

(١) القطين: القوم المقيمون.

إلى اللهِ تَغدُو بين مَثنَى وواحدٍ ... ودينُ رسولِ اللهِ بالحقِّ دينُها

وقال أبو أحمد بن جحش أيضاً :

لما رأتنى أمُّ أحمــدَ غاديا ... بذمةِ من أخشَى بغيبٍ وأرهبُ
تقول : فإما كنتَ لابد فاعلاً ... فيمِّمْ بنا البلدانَ ولْتنأَ يثرب
فقلت لها : بل يثربُ اليومَ وجهُنا ... وما يشإِ الرحمنُ فالعبدُ يركبُ
إلى اللهِ وجهى والرسولِ ومن يُقِمْ ... إلى اللهِ يوما وجهَه لا يُخيَّبُ
فكم قد تركنا من حميمٍ مُناصحٍ ... وناصحةٍ تبــكى بدمعٍ وتندُبه
ترى أن وِتْراً نأينا عن بلادِنا ... ونحن ترى أن الرغائبَ نُطلبُ
دعوتُ بنى غَنْمٍ لحقنِ دمائِهم ... وللحقِّ لما لاحَ للناسِ مَلْحبُ(١)
أجابوا بحمدِ اللهِ لما دعاهمُ ... إلى الحقِّ داعٍ والنجاحِ فأوعبوا
وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى ... أعانوا علينا بالسلاحِ وأجْلبوا
كفوجَيْن : أمّا منهما فموفَّقٌ ... على الحقِّ مَهدِىٌّ ، وفوجٌ مُعذَّبُ
طغَوْا وتمنَّوا كذبةً وأزلَّهم ... عن الحقِّ إبليسٌ فخابوا وخيَّبوا
ورُعْنا إلى قولِ النبىِّ محمدٍ ... فطاب وُلاةُ الحقِّ منا وطيَّبوا(٢)
نَمُتُّ بأرحامٍ إليهم قريبةٍ ... ولا قربَ بالأرحامِ إذ لاتُقرَّبه
فأىُّ ابنِ أختٍ بعدَنا يأمننَّكمْ ... وأيةُ صهرٍ بعدَ صِهرىَ تُرقَبُ
ستعلمُ يوما أيُّنا إذ تزايلوا ... وزُيِّلَ أمرُ الناسِ للحقِّ أصوبُ

قال ابن هشام : قوله « ولتنأ يثرب » ، وقوله « إذ لاتقرب » ، عن غير ابن إسحاق . قال ابن هشام يريد بقوله : « إذ » إذا ، كقول الله عز وجل : « إذ الظالمون موقوفون عند ربهم » . قال أبو النجم العجلى :

ثم جزاه الله عنا إذ جزى ... عدن فى العلالىّ والعلا

(١) الملحب : الطريق الواضح .
(٢) رعنا : رجعنا .

هجرة عمر وقصة عيّاش وهشام معه

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعيّاش بن أبي ربيعة المخزومي ، حتى قدما المدينة . فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال : اتّعدتُ ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة ، أنا وعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاصي بن وائل السّهمي التناضُبَ من أضاةِ بني غِفَار ، فوق سَرِف وقلنا : أينا لم يصبح عندها فقد حُبس فليمض صاحباه . قال : فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب ، وحُبس عنا هشام ، وفُتن فافتتن .

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة ، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قدما علينا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فكلماه وقالا : إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مُشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرقّ لها ، فقلت له : يا عياش ، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت . قال : فقال : أبر قسم أمي ، ولي هنالك مال فآخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا ، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما . قال : فأبى علي إلا أن يخرج معهما ؛ فلما أبى إلا ذلك ؛ قال : قلت له : أما إذ قد فعلت ما فعلت ، فخذ ناقتي هذه ، فإنها ناقة نجيبة ذلول ، فالزم ظهرها ، فإن رابك من القوم ريب ، فانج عليها .

فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال له أبو جهل : يابن أخي ، والله لقد استغلظت بعيري هذا ، أفلا تعقبني على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . قال : فأناخ ، وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدَوَا عليه ، فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة ، وفتناه فافتتن .

قال ابن إسحاق : فحدثني به بعض آل عياش بن أبي ربيعة : أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهاراً موثقا ، ثم قالا : يأهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهائكم ، كما فعلنا بسفيهنا هذا .

كتاب عمر إلى هشام بن العاصي : قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن عمر في حديثه ، قال : فكنا نقول : ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة ، قوم عرفوا الله ، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم ! قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . فلما

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أنزل الله تعالى فيهم ، وفى قولنا وقولهم لأنفسهم : « قل ياعبادىَ الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنَطوا من رحمةِ اللهِ ، إن الله يغفرُ الذنوبَ جميعاً ، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ . وأنيبوا إلى ربِّكم وأسلِمُوا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتُنصرون . واتَّبِعوا أحسنَ ما أُنزِل إليكم من ربِّكم من قبلِ أن يأتيكم العذابُ بغتةً وأنتم لاتشعرون » .

قال عمر بن الخطاب فكتبتها بيدى فى صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام بن العاصى قال : فقال هشام بن العاصى : فلما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طُوًى[1] ، أصعِّد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فهمنيها . قال : فألقى الله تعالى فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا ، وفيما كنا نقول فى أنفسنا ويقال فينا . قال : فرجعت إلى بعيرى ، فجلست عليه ، فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة .

أمر الوليد بن الوليد مع عياش وهشام : قال ابن هشام : فحدثنى من أثق به : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو بالمدينة : من لى بعياش بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاصى فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يارسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقدمها مستخفيا ، فلقى امرأة تحمل طعاما فقال لها : أين تريدين يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين — تعنيهما — فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين فى بيت لاسقف له ؛ فلما أمسى تسور عليهما ، ثم أخــذ مَرْوَة[2] فوضعها تحت قيديهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما ، فكان يقال لسيفه : « ذو المروة » لذلك ، ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما ، فعثر فدميت إصبعه ، فقال :

هل أنتِ إلا إصْبعٌ دَمِيتِ ... وفى سبيلِ اللهِ ما لَقِيتِ

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

منازل المهاجرين بالمدينة

قال ابن إسحاق : ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ؛ وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر ، وخُنَيس بن حُذَافة السَّهْمى — وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر ، فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده —

(١) موضع بأسفل مكة .
(٢) المروة : الحجر .

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، وواقد بن عبد الله التميمى، حليف لهم؛ وخَوْلِىُّ بن أبى خولى، ومالك بن أبى خولى، حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خَوْلِىّ: من بنى عِجْل بن لُجَيْم بن صعب بن على بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحاق: وبنو البُكَير أربعتهم: إياس بن البكير، وعاقل بن البكير، وعامر بن البكير، وخالد بن البكير، وحلفاؤهم من بنى سعد بن لَيث، على رفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر، فى بنى عمرو بن عَوف بقباء، وقد كان منزل عَيّاش بن أبى ربيعة معه عليه حين قدما المدينة.

ثم تتابع المهاجرون، فنزل طلحة بن عبيد الله بن عثمان، وصُهَيب بن سِنان على خُبَيب بن إساف، أخى بلحارث بن الخزرج بالسُّنْح[1]. ويقال: بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زُرَارة، أخى بنى النجار.

قال ابن هشام: وذكر لى عن أبى عثمان النهدى أنه قال: بلغنى أن صُهَيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكا حقيراً، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذى بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك؛ فقال لهم صُهَيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى؟ قالوا: نعم. قال: فإنى جعلت لكم مالى. قال: فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: رَبِحَ صُهَيب، ربح صهيب.

قال ابن إسحاق: ونزل حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو مَرْثَد كَنَّاز ابن حِصْن.

— قال ابن هشام: ويقال، ابن حُصَين — وابنه مرثد الغَنَوِيّان، حليفا حمزة بن عبد المطلب وأَنَسَة، وأبو كبشة[2]، مَوْليَا رسول الله صلى الله عليه وسلم، على كُلثوم بن هدم، أخى بنى

---

(١) السنح: بعوالى المدينة.

(٢) أنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من مولدى السراة ويكنى: أبا مسروح شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومات فى خلافة أبى بكر، وأبو كبشة اسمه: سليم يقال إنه من فارس، ويقال: من مولدى أرض دوس، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومات فى خلافة عمر فى اليوم الذى ولد فيه عروة بن الزبير وأما الذى كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبى عليه السلام إليه، وتقول قال ابن أبى كبشة وفعل ابن أبى كبشة فقيل فيه أقوال: قيل: إنها كنية أبيه لأمه وهب بن =

عمرو بن عوف بقباء ويقال بل نزلوا على سعد بن خيثمة ويقال : بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زُرارة ، أخى بنى النجار . كل ذلك يقال .

ونزل عُبيدة بن الحارث بن المطلب ، وأخوه الطفيل بن الحارث ، والحصين بن الحارث ومِسطح بن أُثاثة بن عباد بن المطلب ، وسُوَيبط بن سعد بن حريملة ، أخو بنى عبد الدار وطليب ابن عمير ، أخو بنى عبد بن قصى ، وخبّاب ، مولى عتبة بن غَزْوان ، على عبد الله بن سلمة ، أخى بلعجلان بقباء .

ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخى بلحارث بن الخزرج ، فى دار بلحارث بن الخزرج .

ونزل الزبير بن العوام ، وأبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العزى ، على منذر بن محمد بن عقبة ابن أُحَيحة بن الجلاح بالعُصْبة ، دار بنى جحجبى .

ونزل مصعب بن عمير بن هاشم ، أخو بنى عبد الدار على سعد بن معاذ بن النعمان ، أخى بنى عبد الأشهل ، فى دار بنى عبد الأشهل .

ونزل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولى أبى حذيفة .

—قال ابن هشام: سالم مولى أبى حذيفة سائبة[1] لثُبَيْتة بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد ابن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، سيبته فانقطع إلى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة فتبناه ، فقيل : سالم مولى أبى حذيفة، ويقال : كانت ثُبيتة بنت يعار تحت أبى حذيفة بن عتبة فأعتقت سالما سائبة . فقيل : سالم مولى أبى حذيفة —

قال ابن إسحاق : ونزل عُتبة بن غزوان بن جابر على عباد بن بشر بن وَقْش أخى بنى عبد الأشهل ، فى دار عبد الأشهل .

= عبد مناف ، وقيل : كنية أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى ، وقيل : إن سلمى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كبشة وهو عمرو بن لبيد ، وأشهر من هذه الأقوال كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشعرى وحده دون العرب ، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه .

وذكر الدارقطنى اسم أبى كبشة هذا فى المؤتلف والمختلف ، فقال : اسمه وجز بن غالب وهو خزاعى من بنى غبشان .

(١) السائبة : أى لا ولاء لأحد عليه .

ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر ، أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار ، فلذلك كان حسان يحب عثمان ويبكيه حين قُتل .

وكان يقال : نزل الأعزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عَزَبًا ، فالله أعلم أى ذلك كان .

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذَنَ له فى الهجرة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُبس أو فتن ، إلا على بن أبى طالب ، وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق رضى الله عنهما ، وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فيطمع أبو بكر أن يَكُونَه .

قريش تتشاور فى أمره عليه السلام : قال ابن إسحاق : ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا ، وأصابوا منهم مَنَعة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم . فاجتمعوا له فى دار الندوة — وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها — يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد ابن جبير أبى الحجاج ، وغيره عن لا أتهم ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : لما أجمعوا لذلك ، واتَّعَدوا أن يدخلوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غَدَوْا فى اليوم الذى اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ، فاعترضهم إبليس فى هيئة شيخ جليل ، عليه بَتْلة (١) ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفا على بابها ، قالوا : من الشيخ قال : شيخ من أهل نجد (٢) سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع

---

(١) البتلة : الكساء الغليظ .

(٢) وإنما قال لهم إنى من أهل نجد فيما ذكر بعض أهل السيرة ، لأنهم قالوا لايدخل

ماتقولون، وعسى أن لا يُعدِمكم منه رأيا ونصحا، قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشراف قريش: من بنى عبدشمس: عتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبوسفيان ابن حرب. ومن بنى نَوفل بن عبد مناف: طُعَيمة بن عدى، وجُبَير بن مُطعِم، والحارث بن عامرُ بن نَوفل. ومن بنى عبد الدار بن قصى: النضر بن الحارث بن كَلَدَة. ومن بنى أسد بن عبد العزى: أبو البَخْترى بن هشام، وزَمْعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام. ومن بنى مخزوم: أبو جهل بن هشام. ومن بنى سهم: نُبَيه ومُنبِّه ابنا الحجاج. ومن بنى جُمَح: أمية ابن خلف، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش.

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا. قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه فى الحديد، وأغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا به ماأصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله، زهيراً والنابغة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم، فقال الشيخ النجدى: لا والله، ما هذا لكم برأى. والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرُجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثِبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم، ماهذا لكم برأى، فانظروا فى غيره، فتشاوروا. ثم قال

= معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد. فلذلك تمثل لهم فى صورة شيخ نجدى، وقد ذكر السهيلى فى خبر بنيان الكعبة أنه تمثل فى صورة شيخ نجدى أيضاً، وحين حكموا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أمر الركن: من يرفعه، فصاح الشيخ النجدى: يامعشر قريش: أقد رضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوى أسنانكم، فإن صح هذا الخبر فلمعنى آخر تمثل نجديا، وذلك أن نجد ومنها يطلع قرن الشيطان، كما قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين قيل له: وفى نجد يارسول الله؟ قال: هنالك الزلازل والفتن، ومنها يطلع قرن الشيطان، فلم يبارك عليها، كما بارك على اليمن والشام وغيرها، وحديثه الآخر أنه نظر إلى المشرق، فقال: إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان، وفى حديث ابن عمر، حين قال هذا الكلام، ووقف عند باب عائشة، ونظر إلى المشرق فقاله، وفى وقوفه عند باب عائشة ناظراً إلى المشرق يحذر من الفتن، وفكر فى خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الإشارة، وانضم إلى قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن: أيقظوا صواحب الحجر. والله أعلم ــ عن الروض الأنف.

فقال منهم : نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت . فقال الشيخ النجدى : لا والله ، ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فى بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبروا فيه رأيا غير هذا . قال : فقال أبو جهل ابن هشام : والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ؛ قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه . فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم . قال : فقال الشيخ النجدى : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى الذى لا رأى غيره ، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

استخلافه لعلى : فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه . قال : فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام ، فيثبون عليه ؛ فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلى بن أبى طالب : نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الأخضر ، فنم فيه ، فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك إذا نام .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى قال : لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنة من تراب فى يده ، ثم قال : أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه ، فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس : « يس والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم » ... إلى قوله : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا قد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم ، فقال :

ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمدا : قال : خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كل رجل منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما ، عليه برده . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا[1] فقام على رضى الله عنه عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى حدثنا .

ما نزل فى تربص المشركين بالنبى : قال ابن إسحاق : وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن فى ذلك اليوم ، وما كانوا أجمعوا له : « وإذْ يَمكرُ بك الذين كفروا ليُثْبِتُوك أو يقتلوك أو يُخْرِجوكَ ويَمكرون ويَمكرُ اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين » ، وقول الله عز وجل : « أم يقولون شاعرٌ نتربَّصُ به رَيْبَ المَنون . قل تربصوا فإنى معكم من المتربِّصين » .

قال ابن هشام : المنون : الموت . وريب المنون : ما يريب ويعرض منها . قال أبو ذؤيب الهذلى :

أمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تتوجعُ ... والدهرُ ليس بمُعتِبٍ من يجزعُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك فى الهجرة .

أبو بكر يطمع فى الصاحبة : قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا ذا مال ، فكان حين استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل ، لعل الله يجعل لك صاحبا ، قد طمع بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يعنى نفسه ، حين قال له ذلك ، فابتاع راحلتين ، فاحتبسهما فى داره ، يعلفهما إعداداً لذلك .

حديث الهجرة إلى المدينة : قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم ، عن عُروة بن الزبير ،

---

(١) قال السهيلى : « وذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقحم عليه فى الدار مع قصر الدار وأنهم إنما جاءوا لقتله ، فذكر فى الخبر أنهم هموا بالولوج عليه ، فصاحت امرأة من الدار ، فقال بعضهم لبعض . والله إنها لسبة فى العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم ، وهتكنا ستر حرمتنا ، فهذا هو الذى أقامهم بالباب . أصبحوا ينتظرون خروجه ، ثم طمست أبصارهم على من خرج » . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ .

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهرى قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة ، فى ساعة كان لا يأتى فيها : قالت : فلما رآه أبو بكر ، قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث . قالت : فلما دخل ، تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخرج عنى من عندك : فقال : يا رسول الله ، إنما هما ابنتاى ، وما ذاك ؟ فداك أبى وأمى ! فقال : إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة . قالت : فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله : قال : الصحبة . قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ثم قال : يانبى الله ، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقط ـ رجلا من بنى الدئل بن بكر ، وكانت أمه امرأة من بنى سهم بن عمرو ، وكان مشركا ـ يدلهما على الطريق ، فدفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

قال ابن إسحاق : ولم يعلم فيما بلغنى ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد ، حين خرج ، إلا على بن أبى طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبى بكر . أما على فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده بمكة ، حتى يؤدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع ، التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم .

فى الغار : قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر ابن أبى قحافة ، فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار بثور ـ جبل بأسفل مكة ـ فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ؛ وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما ، يأتيهما إذا أمسى فى الغار . وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن الحسن بن أبى الحسن البصرى قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر رضى الله عنه

قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حية ، يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

من قام بشأن الرسول في الغار : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثا ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة ، لمن يرده عليهم . وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر ابن فهيرة ، مولى أبي بكر رضي الله عنه ، يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة ، اتبع عامر ابن فهيرة أثره بالغنم حتى يُعفّي عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسُفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما[1] فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة ، فإذا ليس لها عصام ، فتحل نطاقها فتجعله عصاما ، ثم علقتها به .

سبب تسمية أسماء بذات النطاق : فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاق ، لذلك .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ، وتفسيره : أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر .

راحلة الرسول : قال ابن إسحاق : فلما قرّب أبو بكر ، رضي الله عنه ، الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدم له أفضلهما ، ثم قال : اركب ، فداك أبي وأمي ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بعيرا ليس لي ؛ قال : فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؛ قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ؛ قال : قد أخذتها به ؛ قال : هي لك يا رسول الله[2] . فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة مولاه خلفه ، ليخدمهما في الطريق .

---

(١) العصام : الحبل يشد على فم المزادة .

(٢) سئل بعض أهل العلم : لم لم يقبلها إلا بالثمن ، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل ، وقد قال عليه السلام : ليس من أحد أمنّ عليّ في أهل ومال من أبي بكر ، وقد دفع إليه حين بنى بعائشة ثنتي عشرة أوقية ونشا ، فلم يأب من ذلك ؟ فقال المسئول : إنما ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة والجهاد

أبو جهل يضرب أسماء : قال ابن إسحاق : حُدِّثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ، أتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ؛ فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : لا أدري والله أين أبي ؟ قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة طرح منها قُرطي .

الجني الذي تغنى بمقدمه صلى الله عليه وسلم: قالت : ثم انصرفوا . فمكثنا ثلاث ليال . وما ندري أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ؛ وإن الناس ليتبعونه ، يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى اللهُ ربُّ الناسِ خيرَ جزائِه ... رفيقين حَلّا خيمَتَيْ أمِّ مَعْبَدِ
هما نزلا بالبِرِّ ثم تروَّحا ... فأفلحَ من أمسى رفيقَ محمدِ
ليهْنِ بني كعبٍ مكانُ فتاتِهم ... ومَقْعدُها للمؤمنين بمَرْصَدِ

نسب أم معبد : قال ابن هشام : أم مَعْبَد [1] بنت كعب ، امرأة من بني كعب ، من خزاعة . وقوله « حلا خيمتي » ، و « هما نزلا بالبر ثم تروحا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : فلما سمعنا قوله ، عرف

= على أتم أحوالها ، وهو قول حسن .

وذكر ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام : أن الناقة التي ابتاعها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أبي بكر يومئذ هي : ناقته التي تسمى بالجدعاء ، وهي العضباء التي جاء فيها الحديث .

(١) اسمها : عاتكة بنت خالد إحدى بني كعب من خزاعة، وهي أخت حبيش بن خالد وله صحبة ورواية ، ويقال له الأشعر ، وأخوها : حبيش بن خالد ، وخالد الأشعر أبوهما ، هو : ابن خنيف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو وهو أبو خزاعة .

حيث وجّهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى المدينة وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أرقط دليلهما .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن أريقط .

موقف آل أبي بكر بعد الهجرة : قال ابن إسحاق : لحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير أن أباه عبادا حدثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنى لا أراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبت ! إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ، ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

سُراقة بن مالك : قال ابن إسحاق وحدثنى الزهرى أن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم حدثه ، عن أبيه ، عن عمه سُراقة بن مالك بن جعشم ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا إلى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم . قال : فبينا أنا جالس فى نادى قومى إذ أقبل رجل منا ، حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا علىّ آنفا ، إنى لأُراهم محمداً وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعينى : أن اسكت ، ثم قلت : إنما هم بنو فلان ، يبتغون ضالة لهم ؛ قال : لعله ، ثم سكت . قال : ثم مكثت قليلا ، ثم قمت فدخلت بيتى ، ثم أمرت بفرسى ، فقيد لى إلى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحى ، فأخرج لى من دبر حجرتى ، ثم أخذت قداحى التى أستقسم بها ، ثم انطلقت ، فلبست لأمتى ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها ؛ فخرج السهم الذى أكره « لا يضره » . قال : وكنت أرجو أن أرده على قريش ، فآخذ المائة الناقة . قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسى يشتد بى عثر بى ، فسقطت عنه قال : فقلت : ما هذا ؟ قال ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكره « لا يضره » . قال : فأبيت إلا أن أتبعه . قال : فركبت فى أثره فبينا فرسى يشتد بى ، عثر بى ، فسقطت عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ قال : ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكره « لا يضره » . قال : فأبيت إلا أن أتبعه فركبت فى أثره . فلما بدا لى القوم ورأيتهم

عثر بى فرسى ، فذهبت يداه فى الأرض ، وسقطتُ عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دُخانٌ كالإعصار . قال : فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنع منى ، وأنه ظاهر . قال : فناديت القوم : فقلت : أنا سُراقة بن جُعْشُم : انظرونى أكلمكم ، فواللّه لا أُريبكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : قل له : وما تبتغى منا ؟ قال فقال ذلك أبو بكر ، قال : قلت : تكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك . قال : اكتب له يا أبا بكر .

قال : فكتب لى كتابا فى عظم ، أو فى رُقعة ، أو فى خِرْقة ، ثم ألقاه إلىّ ، فأخذته ، فجعلته فى كنانتى ، ثم رجعت ، فسكت فلم أذكر شيئاً مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرغ من حُنَيْن والطائف ، خرجت ومعى الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجِعْرانة . قال : فدخلت فى كتيبة من خيل الأنصار . قال : فجعلوا يقرعوننى بالرماح ويقولون : إليك إليك ، ماذا تريد ؟ قال : فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، والله لكأنى أنظر إلى ساقه فى غَرْزِه كأنها جُمَّارة . قال : فرفعت يدى بالكتاب ، ثم قلت : يارسول الله ، هذا كتابك ، أنا سُرَاقة بن جُعْشُم قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يومُ وفاءٍ وبِرٍّ ، ادنه قال : فدنوت منه ، فأسلمت . ثم تذكرت شيئاً أسألُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أنى قلت : يارسول الله ، الضالة من الإبل تغشى حياضى ، وقد ملأتها لإبلى ، هل لى من أجر فى أن أسقيها ؟ قال : نعم ، فى كل ذاتِ كَبِدٍ حَرَّى أجر . قال : ثم رجعت إلى قومى فسقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتى .

قال ابن هشام : عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جُعشم .

طريق الهجرة : قال ابن إسحاق : فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط ، سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفل من عُسفان ، ثم سلك بهما على أسفل أَمَجَ ، ثم استجاز بهما ، حتى عارض بهما الطريق ، بعد أن أجاز قُدَيْداً ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك ، فسلك بهما الخَرّار ، ثم سلك بهما ثنية المَرَة ، ثم سلك بهما لِقْفاً .

قال ابن هشام : ويقال : لِفْتاً . قال معقل بن خويلد الهذلى :

نزيعا مُحْلِبا من أهل لِفْتٍ ... لِحَيٍّ بين أَثْلَةَ والنِّجام

قال ابن إسحاق : ثم أجاز بهما مَدْلَجة لِقْفٍ ثم استبطن بهما مَدْلَجة مَحاج — ويقال : مِجاج

فيما قال ابن هشام — ثم سلك بهما مَرْجِحَ مَحاج ، ثم تبطن بهما مرجح من ذى الغُضْوَيْنِ — قال ابن هشام : ويقال : العَضَوَيْن — ثم بطن ذى كَشْر ، ثم أخذ بهما على الجداجِد ، ثم على الأجرد ، ثم سلك بهما ذا سَلَمٍ من بطن أعدا. مَدْلَجَة تِعْهِن[1] ، ثم على العَبابِيد . قال ابن هشام ويقال : العَبابِيب ؛ ويقال : العَثْيانة . يريد : العبابيب .

قال ابن إسحاق : ثم أجاز بهما القاحة ؛ ويقال : القَاحَّة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن هشام : ثم هبط بهما العَرْج ، وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم ، فحمل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من أسلم ، يقال له : أَوْس بن حَجَر ، على جمل له — يقال له : ابن الرداء — إلى المدينة ، وبعث معه غلاما له ، يقال له : مسعود بن هُنَيدة ، ثم خرج بهما دليلهما من العَرْج ، فسلك بهما ثَنِية العائر ، عن يمين ركوبة — ويقال : ثنية الغائر ، فيما قال ابن هشام — حتى هبط بهما بطن رِئْم ، ثم قدم بهما قُباء ، على بنى عمرو بن عوف ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، حين اشتد الضحاء ، وكادت الشمس تعتدل .

قدومه صلى الله عليه وسلم قباء : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عُوَيم بن ساعــدة ، قال : حدثنى رجال من قومى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لما سمعنا بمَخْرَجِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وتَوَكَّفْنا[2] قدومه ، كنا نخرج إذا صلينا الصبح ، إلى ظاهر حَرَّتنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فإذا لم نجد ظلا دخلنا وذلك فى أيام حارة . حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلسنا كما كنا نجلس حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود ، قد رأى ما كنا نصنع ، وأنا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قَيْلة[3] ، هذا جدكم قد جاء . قال : فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى ظل نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه فى مثل سنه وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، وركبه الناس[4] وما يعرفونه

---

(١) اسم عين . (٢) توكفنا ، انتظرنا .

(٣) قيلة جدة الأنصار ينسبون إليها . (٤) ازدحموا عليه .

من أبى بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك[1] .

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — على كُلثوم بن هدم ، أخى بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى عبيد ؛ ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثَمة ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هدم : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس فى بيت سعد بن خَيْثَمة . وذلك أنه كان عَزَبا لا أهل له ، وكان منزل الأعزاب[2] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين ، فمن هنالك يقال نزل على سعد بن خَيْثَمة ، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة : بيت الأعزاب . فالله أعلم أى ذلك كان ، كلا قد سمعنا .

ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على خبيب بن إساف ، أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنْح . ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد بن أبى زهير ، أخى بنى الحارث ابن الخزرج .

وأقام على بن أبى طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها ، لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كلثوم بن هدم .

---

(1) كان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة من ربيع الأول وفى شهر أيلول من شهور العجم ، وقال غير ابن إسحاق قدمها لثمان خلون من ربيع الأول ، وقال ابن الكلبى ، خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول . ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة منه ، وكانت بيعة العقبة أوسط أيام التشريق .

(2) وكلثوم هذا هو ابن الهدم بن امرىء القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس ، وكان شيخا كبيرا مات بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم — المدينة بيسير ، هو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم . ثم مات بعده أسعد بن زُرارة بأيام وسعد بن خَيْثَمة وأنه كان يقال لبيته ، بيت العزاب هكذا روى — وصوابه ، الأعزاب ، لأنه جمع عزب ، يقال رجل عزب ، وامرأة عزب ، وقد قيل ، امرأة عزبة بالتاء .

فكان على بن أبى طالب ، وإنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين يقول : كانت بقباء امرأة لازوج لها ، مسلمة . قال : فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيها شيئاً معه فتأخذه . قال : فاستربت بشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة ، فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدرى ما هو ، وأنت امرأة مسلمة لازوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حُنَيف بن واهب ، قد عرف أنى امرأة لا أحد لى ، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم جاءنى بها ، فقال : احتطبى بهذا ، فكان على رضى الله عنه يأثر ذلك من أمر سهل بن حُنَيف ، حتى هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هذا ، من حديث على رضى الله عنه ، هند بن سعد بن سهل بن حُنَيف ، رضى الله عنه .

مسجد قباء[1] : قال ابن إسحاق . فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسس مسجده .

خروج الرسول من قباء وذهابه إلى المدينة : ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك فالله أعلم أى ذلك كان . فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فى بنى سالم بن عوف ، فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، وادى رَانُوناء ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

اعتراض القبائل له لينزل عندها : فأتاه عتبان بن مالك ، وعباس بن عبادة بن نَضْلة فى رجال من بنى سالم بن عوف ، فقالوا : يارسول الله . أقم عندنا فى العَدَد والعُدة والمَنَعة ؛ قال خلُّوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، لناقته : فخلُّوا سبيلها ؛ فانطلقت حتى إذا وازنت دار بنى بَيَاضة ، تلقاه زياد بن لَبيد ، وفَرْوة بن عمرو ، فى رجال من بنى بَيَاضة فقالوا : يارسول الله : هلم إلينا ، إلى العَدَد والعُدة والمَنَعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها . فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة ، اعترضه سعد بن عُبادة ، والمنذر بن عمرو ، فى رجال من بنى ساعدة ؛ فقالوا : يارسول الله ؛ هلم إلينا إلى العَدَد والعُدة والمَنَعة ؛ قال : خلُّوا سبيلها ؛ فإنها مأمورة ، فخلُّوا سبيلها ، فانطلقت ؛ حتى إذا وازنت دار بنى الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعد بن الربيع ، وخارجة بن زيد ؛ وعبد الله بن رَوَاحة ؛ فى رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا يارسول الله هلم إلينا إلى العَدَد والعُدة والمَنَعة قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ؛ فخلوا سبيلها . فانطلقت ،

(١) وهو أول مسجد بنى فى الإسلام .

حتى إذا مرت بدار بنى عدى بن النجار ؛ وهم أخواله دِنْيَا ـ أم عبد المطلب ؛ سَلمَى بنت عمرو إحدى نسائهم — اعترضه سليط بن قيس ؛ وأبو سليط ؛ أسيرة بن أبى خارجة ؛ فى رجال من بنى عدى بن النجار ؛ فقالوا . يارسول الله ؛ هلم إلى أخوالك ؛ إلى العَدد والعُدة والمَنَعة ؛ قال ؛ خلّوا سبيلها فإنها مأمورة ؛ فخلّوا سبيلها ؛ فانطلقت .

⊕

مبترك الناقة : حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار ؛ بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم ؛ وهو يومئذ مِرْبَد(١) لغلامين يتيمين من بنى النجار ؛ ثم من بنى مالك بن النجار ؛ وهما فى حجر مُعاذ بن عفراء ؛ سَهل وسُهَيْل ابنى عمرو . فلما بركت ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليها لم ينزل ؛ وَثَبَتْ فسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لايَثْنيها به ثم التفتت إلى خلفها ؛ فرجعت إلى مبرَكها أول مرة ؛ فبركت فيه ؛ ثم تَحَلْحَلَتْ ورَزَمت وألقت بجرانها(٢) فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فاحتمل أبو أيوب خالد ابن زيد رَحْله ، فوضعه فى بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأل عن المِرْبد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يارسول الله لسهل وسُهَيل ابنى عمرو(٣) وهما يتيمان لى ؛ وسأرضيهما منه ، فاتخذه مسجداً .

---

(١) المِربد : المكان الذى يجفف فيه التمر .

(٢) تحلحلت ورزمت وألقت بجرانها أى : بعنقها ، وفسره ابن قتيبة على تلحلح أى : لزم مكانه : ولم يبرح ، وأنشد :

أناس إذا قيل انفروا قد أتيتم ... أقاموا على أثقالهم وتلحلحوا

قال : وأما تحلحل بتقديم الحاء على اللام فمعناه : زال عن موضعه ، وهذا الذى قال قوى من الاشتقاق فإن التلحلح يشبه أن يكون من لحمت عينه إذا التصقت ، وهو ابن عمى لحا .

وأما التحلحل : فاشتقاقه من الحل والانحلال بين ، لأنه انفكاك شىء ، ولكن الرواية فى سيرة ابن إسحاق : تحلحلت بتقديم الحاء على اللام ، وهو خلاف المعنى إلا أن يكون مقلوبا من تلحلحت ، فيكون معناه : لصقت بموضعها ، وأقامت على المعنى الذى فسره ابن قتيبة فى تلحلحت .

وأما قوله : ورزمت الناقة رزوما إذا أقامت من الكلال رزوم ونوق رزى ، أما أرزمت بالألف ، فمعناه : رغت ورجّعت فى رغائها ، ويقال منه : أرزم الرعد ، وأرزمت الريح قاله صاحب العين .

(٣) سهل وسهيل هما ابنا رافع بن عمرو بن أبى عمرو بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك =

مسجد المدينة: قال: فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبنى مسجداً، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه؛ فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغِّب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار: ودأبوا فيه: فقال قائل من المسلمين:

لئن قعدنا والنبيُّ يعملُ ... لذاكَ منا العملُ المضلَّلُ

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون:

لا عيشَ إلا عيشُ الآخره ... اللهم ارحم الأنصار والمهاجرهْ

قال ابن هشام: هذا كلام وليس برجز.

قال ابن إسحاق: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاعيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار.

عمار والفئة الباغية: قال: فدخل عمار بن ياسر: وقد أثقلوه باللَّبِن، فقال يارسول الله قتلوني، يحمِلون عليَّ مالا يحملون. قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: فرأيت رسول الله صلى الله وسلم ينفض وفْرَته بيده: وكان رجلا جَعْدًا: وهو يقول: ويح ابن سُمَيّة ليسوا بالذين يقتلونك: إنما تقتلك الفئة الباغية.

وارتجز علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ:

لا يستوى من يَعمُرُ المساجدا ... يَدأبُ فيه قائما وقاعدا

قال ابن هشام: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر، عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به، فلا يدرى: أهو قائله أم غيره.

قال ابن إسحاق: فأخذها عمار بن ياسر، فجعل يرتجز بها.

قال ابن هشام: فلما أكثر، ظن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إنما يعرِّض به، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكَّائي، عن ابن إسحاق، وقد سمى ابن إسحاق الرجل (٢).

= ابن النجار وقد شهد سهيل بدرا والمشاهد كلها، ومات في خلافة عمر؛ أما سهل فلم يشهد إلا ما بعد بدر، ومات قبل أخيه سهيل.

(١) حائدا: مائلا.

(٢) وإنما لم يسمه ابن هشام لئلا يذكر بسوء أحد الصحابة ولا نسميه نحن أيضا فقد اختلفوا في اسمه على أقوال كثيرة، وليس في تسميته فائدة.

قال ابن إسحاق : فقال : قد سمعت ماتقول منذ اليوم يابن سُمَيَّة ، والله إنى لأرانى سأعرض هذه العصا لأنفك . قال : وفى يده عصا . قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : ما لهم ولعمار ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار ، إن عمارا جِلْدَةُ ما بين عينى وأنفى ، فإذا بَلغ ذلك من الرجل فلم يُسْتَبْقَ فاجتنبوه .

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة عن زكريا ، عن الشعبى ، قال : إن أول من بنى مسجدا عمار بن ياسر (١) .

الرسول ينزل فى بيت أبى أيوب : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب ، حتى بنى له مسجده ومساكنه (٢) ، ثم انتقل إلى مسكنه من بيت أبى أيوب رحمة الله عليه ورضوانه .

---

(١) كيف أضاف إلى عمار بنيان المسجد ، وقد بناه معه الناس ؟ تقول إنما عنى بهذا الحديث مسجد قباء ، لأن عماراً هو الذى أشار على النبى — صلى الله عليه وسلم — ببنيانه ، وهو جمع الحجارة له فلما أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم استتم بنيانه عمار .

(٢) وبُنى مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وسقف بالجريد وجعلت قبلته من اللبن ، ويقال : بل من حجارة منضودة بعضها على بعض ، وجعلت عُمُده من جذوع النخل ، فنخرت فى خلافة عمر فجددها ، فلما كان عثمان بناه بالحجارة المنقوشة بالفضة وسقفه بالساج ، وجعل قبلته من الحجارة ، فلما كانت أيام بنى العباس بناه محمد بن أبى جعفر المتسمى بالمهدى ، ووسعه وزاد فيه ، وذلك فى سنة ثنتين ومائتين : وأتقن بنيانه ، ونقش فيه ، ثم زيد فيه البنيان والنقوش على مر العصور زاده الله تشريفا وأما بيوته عليه السلام فكانت تسعة ، بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها بجريد ، وبعضها من حجارة مرضومة ، بعضها فوق بعض ، مسقفة بالجريد أيضاً . وقال الحسن بن أبى الحسن : كنت أدخل بيوت النبى عليه السلام ، وأنا غلام مراهق ، فأنال السقف بيدى . وكانت حجره — عليه السلام — أكسية من شعر مربوطة فى خشب عرعر . وفى تاريخ البخارى أن بابه — عليه السلام — كان يقرع بالأظافر ، أى لاحلق له ، ولما توفى أزواجه عليه السلام خلطت البيوت والحجر بالمسجد ، وذلك فى زمن عبد الملك ، فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء ، كيوم وفاته عليه السلام ، وكان سريره خشبات مشدودة بالليف ، بيعت زمن بنى أمية ، فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم . قاله ابن قتيبة .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليزني ، عن أبي رُهْم السماعي ، قال : حدثني أبو أيوب ، قال : لما نزل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ، نزل في السفل ، وأنا وأم أيوب في العلو ، فقلت له : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، إني لأكره وأُعظِم أن أكون فوقك ، وتكون تحتي ، فاظهر أنت فكن في العلو ، وننزل نحن فنكون في السفل ، فقال : يا أبا أيوب ، إنّ أرفق بنا وبمن يغشانا ، أن نكون في سفل البيت .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفله ، وكنا فوقه في المسكن ، فقد انكسر حُبٌّ (١) لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ، ما لنا لحاف غيرها ، ننشف بها الماء ، تخوفا أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء ، ثم نبعث إليه ، فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده ، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلا أو ثوما ، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أر ليده فيه أثرا . قال : فجئته فزعا ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، رددت عشاءك ، ولم أر فيه موضع يدك ، وكنت إذا رددته علينا ، تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك ، نبتغي بذلك البركة ؛ قال : إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي ، فأما أنتم فكلوه . فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

قال ابن إسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق بمكة منهم أحد ، إلا مفتون أو محبوس ، ولم يُوعِبْ أهل هجرة من مكة بأهليهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أهل دور مُسمَّون : بنو مظعون من بني جمح ؛ وبنو جحش بن رئاب ، حلفاء بني أمية ؛ وبنو البكير ، من بني سعد بن ليث ، حلفاء بني عدي بن كعب ، فإن دورهم غلقت بمكة هجرة ، ليس فيها ساكن .

أبو سفيان وبنو جحش : ولما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم ، عدا عليها أبو سفيان ابن حرب ، فباعها من عمرو بن علقمة ، أخي بني عامر بن لؤي ؛ فلما بلغ بني جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم ، ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها في الجنة ؟

---

(١) الحب : الجرة الضخمة جمعه حببة مثل حجر وحجرة

قال : بلى ؛ قال : فذلك لك . فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، كلمه أبو أحمد في دارهم ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال الناس لأبي أحمد : يا أبا أحمد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا في شيء من أموالكم أصيب منكم في الله عز وجل ، فأمسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لأبي سفيان :

أبلغ أبا سفيانَ عن أمرٍ عواقبُه ندامة
دارُ ابنِ عمِّك بعتَها تقضي بها عنك الغرامة
وحليفُكم باللهِ ربِّ الناسِ مجتهدُ القسامه
اذهبْ بها ، اذهبْ بها طُوِّقتَها طوقَ الحمامة

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قدمها شهرَ ربيع الأول ، إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بنى له فيها مسجده ومساكنه ، واستجمع له إسلام هذا الحي من الأنصار ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من خطمة ، وواقف ، ووائل ، وأمية ، وتلك أوس الله ، وهم حي من الأوس ، فإنهم أقاموا على شركهم .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن — نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل — أنه قام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم . تعلمُنَّ واللهِ ليُصعَقنَّ أحدُكم ، ثم ليدعَنَّ غنمَه ليس لها راعٍ ، ثم ليقولَنَّ له ربُّه وليس له ترجمانٌ ولا حاجبٌ يحجُبُه دونه : ألم يأتك رسولي فبلَّغك ، وآتيتُك مالاً وأفضلتُ عليك ؟ فما قدَّمت لنفسِك ؟ فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامَه فلا يرى غيرَ جهنمَ . فمن استطاعَ أن يقيَ وجهَه من النارِ ولو بشِقٍّ من تمرةٍ فليفعلْ ، ومن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ ، فإن بها تُجزَى الحسنةُ عشرَ أمثالِها ، إلى سبعِ مئةِ ضِعفٍ ، والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه .

قال ابن إسحاق : ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة أخرى ، فقال : إنَّ الحمدَ للهِ ، أحمدُه وأستعينه ، نعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ، وسيئاتِ أعمالِنا ، من يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له . إنَّ أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ تباركَ وتعالى ، قد أفلحَ من زيَّنه اللهُ في قلبِه ، وأدخله في الإسلامِ بعدَ الكفرِ ، واختاره على ما سواه من أحاديثِ الناسِ ، إنه أحسنُ الحديثِ وأبلغُه ، أحِبوا ما أحبَّ

بالله ، أحبوا الله من كل قلوبكم ، ولا تملوا كلامَ الله وذكرَه ، ولا تقسُ عنه قلوبكم ، فإنه من كُلِّ ما يخلُقُ اللهُ يختارُ ويصطفِي ، وقد سماه اللهُ خيرَته من الأعمالِ ومُصْطَفاه من العبادِ ، والصالحِ من الحديثِ ؛ ومن كلِّ ما أُوتِيَ الناسُ الحلالِ والحرامِ ، فاعبدوا اللهَ ولا تُشركوا به شيئا ، واتقوه حقَّ تُقاته ، واصدُقوا اللهَ صالحَ ما تقولون بأفواهكم ، وتحابُّوا بروحِ اللهِ بينكم إن اللهَ يَغضَبُ أن يُنكَثَ عهدُه ، والسلامُ عليكم .

الرسول يوادع اليهود : قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبْعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يَفْدُون عانيهم[1] بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو عوف على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلهم[2] الأولى ، كل طائفة تَفْدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو ساعدة على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جُشَم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو النَّبِيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل .

قال ابن هشام ، المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال . قال الشاعر :

---

(1) عانيهم : أسيرهم .   (2) المعاقل : الديات .

إذا أنتَ لم تبرحْ تؤدّى أمانةً وتحملُ أخرى أفرحَتْكَ الودائعُ

وأن لا يُحالف مؤمن مولى مؤمن دونَه ؛ وإن المؤمنين المتقين على من بَغى منهم ، أو ابتغى دسيعة[1] ظلم ، أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ؛ وإن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم ؛ ولا يَقتل مؤمنٌ مؤمناً فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ؛ وإن ذمةَ الله واحدة يُجيرُ عليهم أدناهم ؛ وإن المؤمنين بعضَهم موالى بعض دونَ الناس ؛ وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأُسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ؛ وإن سِلم المؤمنين واحدةٌ ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ؛ وإن كل غازيةٍ غزت معنا يعقب بعضُها بعضاً ؛ وإن المؤمنين يُبىء بعضُهم على بعض بما نال دماءَهم فى سبيل الله ؛ وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ؛ وإنه لا يجير مشركٌ مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن ؛ وإنه من اعْتَبَط[2] مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قَوَد به إلا أن يرضَى ولى المقتول ؛ وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ؛ وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر مُحدِثا ولا يُؤويه ؛ وأنه من نصره أو آواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يُؤخذ منه صَرْف ولا عدل ؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شىء ، فإن مَرَدَّه إلى الله عزوجل ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ؛ وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يُوتِغ[3] إلا نفسه ، وأهل بيته ، وإن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ؛ وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ؛ وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ؛ وإن ليهود بنى جُشَم مثل ما ليهود بنى عوف ؛ وإن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ؛ وإن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ؛ إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يُوتِغ إلا نفسه وأهل بيته ؛ وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن لبنى الشُّطَيْبة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن البِرّ دونَ الإثم ؛ وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن بطانة يهود كأنفسهم ؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وإنه لا ينحجز على ثار جُرح ؛ وإنه من فتَكَ فبنفسه فتَكَ ، وأهل بيته ، إلا من ظلم ؛ وإن الله على أبر هذا[4] وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ؛ وإن بينهم

---

(١) الدسيعة : العطية . (٢) اعتبط : قتل بلا جناية.

(٣) يوتغ : يهلك . (٤) أى على الرضا به .

النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ؛ وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ؛ وإن النصر للمظلوم ؛ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ؛ وإن يثربَ حرامٌ جوفُها لأهل هذه الصحيفة ؛ وإن الجار كالنفس غير مُضار ولا آثم ؛ وإنه لاتُجارُ حرمةٌ إلا بإذن أهلها ؛ وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فساده ، فإن مردّه إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبَرّه ؛ وإنه لاتُجار قريش ولا من نصرها ؛ وإن بينهم النصرَ على من دهم يثرب ، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه ؛ وإنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب فى الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قِبلَهم ؛ وإن يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن هشام : ويقال : مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة

قال ابن إسحاق : وإن البر دون الإثم ، لايكسب كاسب إلا على نفسه ؛ وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره ؛ وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمِنٌ ، ومن قعد آمِنٌ بالمدينة ، إلا من ظلم أو أثم ؛ وإن الله جار لمن بَرّ واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق : وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار(٢)

---

(١) قال أبو عبيد فى كتاب الأموال : إنما كتب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، وإذ كان الإسلام ضعيفاً . قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب فى المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحروب .

(٢) آخى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » أعنى فى الميراث ، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال : « إنما المؤمنون إخوة » يعنى فى التواد وشمول الدعوة .

فقال — فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل — : تآخوا فى الله أخوين أخوين ؛ ثم أخذ بيد على بن أبى طالب ، فقال : هذا أخى . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذى ليس له خطير[1] ولا نظير من العباد ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، أخوين ؛ وكان حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت ؛ وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين ، الطيار فى الجنة ، ومعاذ بن جبل ، أخو بنى سلمة ، أخوين .

قال ابن هشام : وكان جعفر بن أبى طالب يومئذ غائبا بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ابن أبى قحافة ، وخارجة بن زهير ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين ؛ وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعتبان بن مالك ، أخو بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله ، وسعد بن معاذ بن النعمان ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين . وعبد الرحمن ابن عوف ، وسعد بن الربيع ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين . والزبير بن العوام ، وسلامة ابن سلامة بن وقش ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين . ويقال : بل الزبير وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة ، أخوين ؛ وعثمان بن عفان ، وأوس بن ثابت بن المنذر ، أخو بنى النجار ، أخوين . وطلحة بن عبيد الله ، وكعب بن مالك ، أخو بنى سلمة ، أخوين . وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبى بن كعب ، أخو بنى النجار : أخوين . ومصعب بن عمير بن هاشم ، وأبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بنى النجار : أخوين ؛ وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعباد بن بشر ابن وقش ، أخو بنى عبد الأشهل : أخوين . وعمار بن ياسر ، حليف بنى مخزوم ، وحذيفة بن اليمان ، أخو بنى عبد عبس ، حليف بنى عبد الأشهل : أخوين . ويقال : ثابت بن قيس بن الشماس ، أخو بلحارث بن الخزرج خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمار بن ياسر : أخوين . وأبو ذر ، وهو برير بن جنادة الغفارى ، والمنذر بن عمرو ، المعنق ليموت[2] ، أخو بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : أخوين .

---

(١) الخطير : المثل .
(٢) أى أن الموت أسرع إليه ورهق إليه أجله .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذر : جندب بن جنادة .

قال ابن إسحاق : وكان حاطب بن أبي بَلْتَعة ، حليف بني أسد بن عبد العزى وعُوَيم بن ساعدة ، أخو بني عمرو بن عوف ، أخوين ؛ وسَلْمان الفارسي ، وأبو الدرداء ، عُوَيْمر بن ثعلبة ، أخو بَلْحارث بن الخزرج ، أخوين .

قال ابن هشام : عُوَيْمر بن عامر ؛ ويقال : عويمر بن زيد .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبي بكر رضي الله عنهما ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو رُوَيْحة ، عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ، ثم أحد الفزَع[1] ، أخوين . فهؤلاء من سُمي لنا ، ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم من أصحابه .

فلما دوَّن عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال : إلى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبي رُوَيْحة ، لا أفارقه أبدا ، للأخوة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبيني ، فضُمّ إليه ، وضُم ديوان الحبشة إلى خَثْعَم ، لمكان بلال منهم ، فهو في خثعم إلى هذا اليوم بالشام .

أبو أمامة

قال ابن إسحاق : وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة ، أسعد بن زُرَارة ، والمسجد يبنى ، أخذته الذبحة أو الشهقة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن يحيى بن

---

(١) هو ابن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وأفتل هو خثعم بن أنمار ، وقد اختلف النسابون فيما بعد أنمار .

والفزع هذا بفتح الزاي ، وأما الفزع بسكونها ؛ فهو الفزْع بن عبدالله بن ربيعة ؛ وكذلك الفزْع في خزاعة ، وفي كلب هما ساكنان أيضاً قاله ابن حبيب ؛ وقال الدارقطني : الفزَع بفتح الزاي ؛ رجل يروى عن ابن عمر .

عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرَارة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بئس الميت أبو أمامة ، ليهود ومنافقى العرب يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسى ولا لصاحبي من الله شيئا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى : أنه لما مات أبو أمامة ، أسعد بن زُرارة ، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو أمامة نقيبهم ، فقالوا له : يا رسول الله : إن هذا قد كان منا حيث قد علمت ، فاجعل منا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : أنتم أخوالى ، وأنا بما فيكم ، وأنا نقيبكم ؛ وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخص بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بنى النجار الذى يعدون على قومهم ، أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم .

خبر الأذان

قال ابن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين ، واجتمع أمر الأنصار ، استحكم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفُرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود ، وفُرض الحلال والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها ، بغير دعوة ، فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ؛ ثم أمر بالناقوس ، فنُحت ليضرب به للمسلمين الصلاة .

رؤيا عبد الله بن زيد : فبينما هم على ذلك ، إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج ، النداء ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله ، إنه طاف بى هذه الليلة طائف : مر بى رجل عليه ثوبان أخضران ، يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت له : يا عبد الله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعو به إلى الصلاة ، قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قال : قلت : وما هو ؟ قال : تقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن

محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حَيَّ على الصلاة ، حي على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال إنها لرؤيا حق ، إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه ، فليؤذّنْ بها ، فإنه أندى(١) صوتا منك . فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يجر رداءه ، وهو يقول : يانبي الله والذي بعثك بالحق ، لقد رأيت مثل الذي رأى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلله الحمد على ذلك .

رؤيا عمر : قال ابن إسحق : حدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد ابن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، عن أبيه .

قال ابن هشام : وذكر ابن جُرَيج ، قال لي عطاء : سمعت عُبَيد بن عُمير الليثي يقول : ائتمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس ، إذا رأى عمر بن الخطاب في المنام : لاتجعلوا الناقوس ، بل أذنوا للصلاة . فذهب عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذي رأى ، وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك ، فما راع عمر إلا بلال يؤذن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : قد سبقك بذلك الوحي .

ما كان يدعو به بلال قبل الفجر : قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأة من بني النجار ، قالت : كان بيتي من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة ، فيأتي بسَحَر ، فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطى ، ثم قال : اللهم إني أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا على دينك . قالت : والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة .

أبو قيس بن أبي أنس

قال ابن إسحاق : فلما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره ، وأظهر الله بها دينه ،

---

(١) أندى : أحسن وأبدع .

وسروره بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته ؛ قال أبو قيس صرمة بن أبى أنس أخو بنى عدى بن النجار . .

— قال ابن هشام : أبو قيس ، صِرْمَة بن أبى أنَس بن صِرْمَة بن مالك بن عدى بن عامر ابن غَنْم بن عدى بن النجار .

قال ابن إسحاق : وكان رجلا قد ترهب فى الجاهلية ، ولبس المُسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النساء ، وهمّ بالنصرانية ، ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا تدخله عليه فيه طامث ولا جُنُب ، وقال : أعبد رب إبراهيم ، حين فارق الأوثان وكرهها ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأسلم وحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير ، وكان قوّالا بالحق مُعظماً لله عز وجل فى جاهليته ، يقول أشعاراً فى ذلك حسانا — وهو الذى يقول :

يقولُ أبو قيسٍ وأصبحَ غاديًا : ألا ما استطعتمْ من وَصَاتِىَ فافعلوا
فأوصيكمْ باللهِ والبِرِّ والتقَى وأعراضِكم ، والبِرُّ باللهِ أوَّلُ
وإن قومُكم سادوا فلا تحسُدُنهم وإن كنتمْ أهلَ الرياسةِ فاعدلوا
وإنْ نزلت إحدى الدواهى بقومِكم فأنفسَكم دونَ العشيرةِ فاجعلوا
وإن نابَ غُرمٌ فادحٌ فارفُقوهمُ وما حمَّلوكم فى المُلِمَّاتِ فاحملوا
وإن أنتمُ أمعَرْتُمُ فتعفَّفوا وإن كان فضلُ الخيرِ فيكم فأفضِلوا (١)

قال ابن هشام : ويروى :

وإن نابَ أمرٌ فادحٌ فارفِدوهُمُ

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس صِرْمَة أيضا :

سبِّحوا اللهَ شرقَ كلِّ صباحٍ طلعت شمسُه وكلَّ هِلالِ
عالمِ السرِّ والبيانِ لدينا ليس ما قال ربُّنا بضَلالِ

---

(١) أمعرتم : افتقرتم .

وله الطيرُ تستريد وتأوِى ... فى وُكورٍ من آمناتِ الجبالِ (١)
وله الوحشُ بالفَــلاةِ تراها ... فى حِقافٍ وفى ظلالِ الرمالِ (٢)
وله هوَّدت يهودُ ودانت ... كلَّ دينٍ إذا ذكَرتَ عُضالِ (٣)
وله شمَّس النصارى وقاموا ... كلَّ عيدٍ لربِّهم واحتفالِ (٤)
وله الراهبُ الحبيسُ تراه ... رهنَ بؤسٍ وكان ناعمَ بالِ (٥)
يا بنىَّ الأرحامَ لا تقطعوها ... وَصِلوها قصيرةً من طوالِ (٦)
واتقوا اللهَ فى ضعافِ اليتامى ... ربما يُستحلُّ غيرُ الحلالِ
واعلموا أن لليتيمِ وليّاً ... عالماً يهتــدى بغيرِ السؤالِ
ثم مالَ اليتــيمِ لا تأكلوه ... إن مالَ اليتيمِ يرعاه والِى
يا بنىَّ ، التُّخومَ لا تخزِلوها ... إن خزلَ التخوم ذو عُقَّالِ (٧)
يا بنىَّ الأيامَ لا تأمنوها ... واحذروا مَكرَها ومرَّ الليالى
واعلموا أن مرَّها لنفادِ الـ ... ـخلقِ ما كان من جديدٍ وبالِ
واجمعوا أمرَكم على البرِّ والتقـ ... ـوى وتركِ الخنا وأخذِ الحلالِ

وقال أبو قيس صِرْمة أيضا ، يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من الإسلام وما خصهم الله به من نزول رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم :

ثوَى فى قريشٍ بضعَ عشرةَ حجةً ... يُذكِّرُ لو يلقَى صديقاً مُواتيا
ويعرِضُ فى أهلِ المواسمِ نفسَه ... فلم يرَ من يُؤوِى ولم يرَ داعيا
فلما أتانا أظهرَ اللهُ دينَه ... فأصبحَ مسروراً بطَيبةَ راضيا
وألفَى صديقاً واطمأنت به النوَى ... وكان لنا عوناً من اللهِ باديا

(١) تستريد : تذهب وترجع
(٢) حقاف الرمل : ما تكدس منه فى استدارة .
(٣) هودت : رجعت (٤) شمس : تعبد
(٥) الراهب الحبيس : الذى حُبس عن ملذات الدنيا .
(٦) أى إن كانت قصيرة فصلوها أنتم من فضلكم .
(٧) التخوم : الحدود ، والخزلان القطع ، والعقال المنع .

يُقَصُّ لنا ما قال نوحٌ لقومِه ... وما قال موسى إذ أجاب المناديا
فأصبح لا يخشى من الناسِ واحداً ... قريبا ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الأموالَ من جلِّ مالِنا ... وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم أن اللهَ لا شيء غيرُه ... ونعلم أن اللهَ أفضلُ هاديا
نعادي الذى عادَى من الناسِ كلِّهم ... جميعا وإن كان الحبيبَ المصافيا
أقولُ إذا أدعوكَ فى كلِّ بِيعةٍ : ... تباركتَ قد أكثرتُ لاسمِك داعيا
أقول إذا جاوزتُ أرضاً مَخوفةً : ... حَنانَيْكَ لاتُظهِرْ علىَّ الأعاديا
فَطَأْ مُعرِضاً إنّ الحتوفَ كثيرةٌ ... وإنك لاتُبقِى لنفسِك باقيا
فواللهِ ما يدرى الفتَى كيف يتقى ... إذا هو لم يجعلْ له اللهَ واقيا
ولا تحفِلُ النخلُ المعيمةُ ربَّها ... إذا أصبحتْ رِيّاً وأصبحَ ثاويا [1]

قال ابن هشام : البيت الذى أوله :

فطأ معرضا إن الحتوف كثيرة

والبيت الذى يليه :

فوالله مايدرى الفتى كيف يتقى

لأفنون التغلبى ، وهو صُرَيم بن معشر ، فى أبيات له .

عـــداوة اليهود

قال ابن إسحاق : ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة ، بغيا وحسداً وضغنا ، لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم ، وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ، ممن كان عسى [2] على جاهليته ـ فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام ، واتخذوه جُنّة من القتل ونافقوا فى السر ، وكان هواهم مع يهود ، لتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وجحودهم الإسلام ، وكانت أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعنتونه ، ويأتونه باللَّبْس ، ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلا من المسائل فى الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها .

(١) المعيمة : العاطشة ، والثاوى : الهالك .
(٢) عسى : بقى .

[من بنى النضير] : حُيَىّ بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر بن أخطب ، وجُدَىّ بن أخطب ، وسلاَّم بن مِشْكَمَ ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وسلام بن أبى الحقيق ، وأبو رافع الأعور : وهو الذى قتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر — والربيع بن الربيع ابن أبى الحقيق ، وعمرو بن جحّاش ، وكعب بن الأشرف ، وهو من طيئ ، ثم أحد بنى نَبْهان ، وأمه من بنى النضير ، والحجاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، وكرْدَم بن قيس ، حليف كعب بن الأشرف ، فهؤلاء من بنى النضير .

ومن بنى ثعلبة ابن الفِطيون(١) : عبد الله بن صوريا الأعور ، ولم يكن بالحجاز فى زمانه أحد أعلم بالتوراة منه ؛ وابن صَلُوبا ، ومُخَيْرِيق ، وكان حبرهم ، أسلم .

ومن بنى قَيْنُقاع : زيد بن اللَّصِيت — ويقال : ابن اللُّصَيت — فيما قال ابن هشام — وسعد ابن حنيف ، ومحمود بن سيحان ، وعزيز بن أبى عزيز ، وعبد الله بن صيف . قال ابن هشام : ويقال : ابن ضيف .

قال ابن إسحاق : وسُوَيد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفِنْحاص ، وأشيع ، ونعمان ابن أضا ، وبحْرى بن عمرو ، وشأس بن عدى ، وشأس بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان ابن عمرو ، وسُكين بن أبى سكين ، وعدى بن زيد ، ونعمان بن أبى أوفى ، أبو أنس ، ومحمود ابن دحية ، ومالك بن صيف . قال ابن هشام : ويقال : ابن ضيف .

قال ابن إسحاق : وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبى رافع ، وخالد وأزار بن أبى أزار . قال ابن هشام : ويقال : آزر بن أبى آزر .

قال ابن إسحاق : ورافع بن حارثة ، ورافع بن حُرَيملة ، ورافع بن خارجة ، ومالك ابن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلام بن الحارث ، وكان حبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحُصَين ، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله . فهؤلاء من بنى قينقاع .

ومن بنى قريظة : الزَّبير بن باطا بن وهب ، وعَزّال بن شَمْويل ، وكعب بن أسد ، وهو صاحب عقد بنى قريظة الذى نُقض عام الأحزاب ، وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سُكينة ، والنَّحّام بن زيد ، وقردم بن كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبى نافع ، وأبو نافع ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكَرْدم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رُمَيلة ، وجبل بن أبى قشير ، ووهب بن يهوذا ، فهؤلاء من بنى قريظة .

---

(١) الفطيون : كلمة عبرية تطلق على من ولى أمر اليهود .

ومن يهود بنى زُرَيق : لَبيد بن أعصم ، وهو الذى أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه(١) .

ومن يهود بنى حارثة : كنانة بن صُوريا .

ومن يهود بنى عمرو بن عوف : قردم بن عمرو .

ومن يهود بنى النجار : سلسلة بن بَرهام .

فهؤلاء أحبار اليهود ، أهل الشرور والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأصحاب المسألة ، والنّصب لأمر الإسلام الشرور ليطفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سَلام ومُخَيْريق .

---

(١) يعنى من الأخذة ، وهى ضرب من السحر . وكان لبيد هذا قد سحر رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، وجعل سحره فى مُشط ومشاطة ، وروى : مشاقة بالقاف ، وهى مشاقة الكتان ، وجف طلعة ذكر ، وهى فحال النخل ، وهو ذكاره . والجف : غلاف للطلعة ، ويكون لغيرها ، وأكثر أهل الحديث يقولون : ذروان تحت راعوفة البئر ، وهى صخرة فى أسفله يقف عليها المائح ، وهذا الحديث مشهور عند الناس ، ثابت عند أهل الحديث ، غير أنى لم أجد فى الكتب المشهورة : كم لبث — رسول الله صلى الله عليه وسلم — بذلك السحر ، حتى شفى منه ، ثم وقعت على البيان فى جامع معمر بن راشد . روى معمر عن الزهرى ، قال « سُحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة يخيل إليه أنه يفعل الفعل ، وهو لا يفعله وقد طعنت المعتزلة فى الحديث وطوائف من أهل البدع ، وقالوا لا يجوز على الأنبياء أن يُسحروا ، ولو جاز أن يسحروا ، لجاز أن يُجنّوا ، ونزع بعضهم بقوله عز وجل : « والله يعصمك من الناس » والحديث ثابت خرجه أهل الصحيح ، ولا مطعن فيه من جهة النقل ، ولا من جهة العقل « لأن العصمة إنما وجبت لهم فى عقولهم وأديانهم ، وأما أبدانهم ، فإنهم يبتلون فيها ، ويخلص إليهم بالجراحة والضرب والسموم والقتل ، والأخذة التى أخذها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من هذا الفن : إنما كانت فى بعض جوارحه دون بعض .

وأما قوله سبحانه : « والله يعصمك من الناس » فإنه قد روى أنه كان يحرس فى الغزو حتى نزلت هذه الآية : فأمر حراسه أن ينصرفوا عنه : وقال : لا حاجة لى بكم : فقد عصمنى الله من الناس : أو كما قال : عن الروض الأُنف .

إسلام عبد الله بن سلّام

قال ابن إسحاق : وكان من حديث عبد الله بن سلّام ، كما حدثني بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم ، وكان حبراً عالماً ، قال : لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكّف(١) له ، فكنت مُسِرا لذلك صامتا عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما نزل بقُباء ، في بني عمرو بن عوف ، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبّرتُ ؛ فقالت لي عمتي ، حين سمعت تكبيري : خيبك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت ، قال : فقلت لها : أى عمة ، هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بُعث بما بعث به . فقالت: أى ابن أخي ، أهو النبي الذي كنا نُخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال : فقلت لها : نعم . قال : فقالت : فذاك إذاً . قال : ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمتُ ، ثم رجعت إلى أهل بيتي ، فأمرتهم فأسلموا .

قال : وكتمت إسلامي من يهود ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : يا رسول الله ، إن يهود قوم بُهت ، وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك ، وتغيبني عنهم ، ثم تسألهم عني ، حتى يخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا بإسلامي ، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني . قال : فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض بيوته ، ودخلوا عليه ، فكلموه وساءلوه ، ثم قال لهم ، أى رجل الحُصين بن سلّام فيكم ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وحَبرنا وعالمنا . قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، فقلت لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإني أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأومن به وأصدقه وأعرفه ، فقالوا : كذبت ثم وقعوا بي ، قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بُهت ، أهل غدر وكذب وفجور ! قال : فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي ، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث ، فحسن إسلامها .

---

(١) نتوكف : نتوقع .

من حديث مخيريق : قال ابن إسحاق : وكان من حديث مخيريق ، وكان حبراً عالماً ، وكان رجلا غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ، وما يجد في علمه ، وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد ، وكان يوم أحد يوم السبت ، قال : يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا : إن اليوم يوم السبت ؛ قال : لاسبت لكم ، ثم أخذ سلاحه ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قتلت هذا اليوم ؛ فأموالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما أراه الله : فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتل . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — يقول : مخيريق خير يهود . وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله ، فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

حديث صفية : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : حُدثت عن صفية بنت حُيَيّ بن أخطب أنها قالت : كنت أحب ولد أبى إليه ، وإلى عمى أبى ياسر ، لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذانى دونه . قالت : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ونزل قباء فى بنى عمرو بن عوف ، غدا عليه أبى ، حيى بن أخطب ، وعمى أبو ياسر بن أخطب ، مُغَلِّسَيْن . قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس . قالت : فأتيا كالَّيْن كسلانين ساقطين يمشيان الهُوَيْنى . قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلى واحد منهما ، مع ما بهما من الغم . قالت : وسمعت عمى أبا ياسر ، وهو يقول لأبى حيي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ؛ قال : أتعرفه وتُثبته ؟ قال : نعم ؛ قال : فما فى نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيتُ .

المنافقون بالمدينة : قال ابن إسحاق : وكان ممن انضاف إلى يهود ، ممن سُمِّى لنا من المنافقين من الأوس والخزرج ، والله أعلم . من الأوس ، ثم من بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم من بنى لَوْذان بن عمرو بن عوف : زُوَىّ بن الحارث .

ومن بنى حبيب بن عمرو بن عوف : جُلاس بن سُوَيد بن الصامت ، وأخوه الحارث ابن سويد .

وجلاس الذى قال — وكان ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك — لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر . فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن سعد ، أحدهم ، وكان فى حِجر جُلاس ، خلف جلاس على أمه بعد أبيه

فقال له عمير بن سعد : والله ياجلاس ، إنك لأحب الناس إلىّ ، وأحسنهم عندى يدا ، وأعزهم علىّ أن يصيبه شىء يكرهه ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنك ، ولئن صمتّ عليها ليهلكن دينى ، ولإحداهما أيسر على من الأخرى . ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فذكر له ما قال جلاس ، فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كذب علىّ عمير ، وما قلت ما قال عمير بن سعد . فأنزل الله عز وجل فيه : « يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ، وهمّوا بما لم ينالوا ، وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ، فإن يتوبوا يكُ خيراً لهم ، وإن يتولّوا يعذبهم اللهُ عذاباً أليما فى الدنيا والآخرة ، وما لهم فى الأرض من ولىّ ولا نصير » .

قال ابن هشام : الأليم : الموجع . قال ذو الرمة يصف إبلا :

وترفعُ من صـــدورِ شمَرْدلاتٍ يَصُكُّ وجوهَها وهَجٌ أليمُ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسنت توبته ، حتى عُرف منه الخير والإسلام .

وأخوه الحارث بن سُوَيد ، الذى قتل المجذر بن ذياد البَلَوىّ ، وقيس بن زيد ، أحد بنى ضبيعة ، يوم أحد . خرج مع المسلمين ، وكان منافقا ، فلما التقى الناس عدا عليهما ، فقتلهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذر بن ذياد قتل سويد بن صامت فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، فلما كان يوم أحد طلب الحارث بن سويد غِرة المجذر بن ذياد ، ليقتله بأبيه ، فقتله وحده ، وسمعتُ غيرَ واحد من أهل العلم يقول ، والدليل على أنه لم يقتل قيس ابن زيد ، أن ابن إسحاق لم يذكره فى قتلى أحد .

قال ابن إسحاق : قتل سويد بن صامت معاذ بن عفراء غِيلة ، فى غير حرب ، رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — قد أمر عمر ابن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ففاته ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه جُلاس يطلب التوبة ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه — فيما بلغنى عن ابن عباس — : « كيف

---

(١) الشمردلات : الإبل الطوال .

يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسولَ حقٌّ ، وجاءهم البيناتُ ، والله لايهدى القومَ الظالمين» إلى آخر القصة .

ومن بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عَـــوف بن عمرو بن عوف ، بِجاد بن عثمان ابن عامر .

ومن بنى لَوْذان بن عمرو بن عوف : نَبْتَل بن الحارث ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — من أحب أن ينظر إلى الشيطان ، فلينظر إلى نبْتل بن الحارث ، وكان رجلا جسيما أذلم[1] ثائر شعر الرأس، أحمر العينين،أسفع[2] الخدين وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث إليه فيسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ؛ وهو الذى قال : إنما محمد أُذن ، من حدثه شيئاً صدقه . فأنزل الله عز وجل فيه : «ومنهمُ الذين يُؤذون النبىَّ ويقولون هو أُذُنٌ ، قل أُذُنُ خيرٍ لكم يؤمنُ بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمةٌ للذين آمنوا منكم والذين يُؤذونَ رسولَ الله لهم عذابٌ أليم » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض رجال بَلْعجلان أنه حُدث : أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له إنه يجلس إليك رجل أذلم ، ثائر شعر الرأس ، أسفع الخدين أحمر العينين ، كأنهما قِدران من صُفْر ، كبده أغلظ من كبد الحمار ، ينقل حديثك إلى المنافقين ، فاحذره . وكانت تلك صفة نبتل بن الحارث ، فيما يذكرون .

ومن بنى ضبيعة : أبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبة بن حاطب ، ومُعتِّب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكوننَّ من الصالحين ، الخ القصة . ومعتب الذى قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شىء ما قُتلنا هاهنا . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله «وطائفةٌ قد أهمتهم أنفسُهم يظنون بالله غيرَ الحقِّ ظنَّ الجاهليةِ يقولون لو كان لنا من الأمرِ شىءٌ ماقُتلنا هاهنا » إلى آخر القصة . وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ،وأحدنالايأمن أن يذهب إلى الغائط: فأنزل الله عزوجل فيه : «وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وَعَدنا اللهُ ورسولُه إلا غروراً». والحارث بن حاطب .

---

(١) الأذلم : المسترخى الشفتين .
(٢) الأسفع : من تضرب حمرته إلى سواد .

قال ابن هشام : مُعَتِّب بن قشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم ، وقد نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد فى أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وعبّاد بن حنيف ، أخو سهل بن حنيف ؛ وبَحْزَج ، وهم ممن كان بَنَى مسجد الضرار ، وعمرو بن خذام ، وعبد الله بن نبتل .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : جارية بن عامر بن العطّاف ، وابناه : زيد ومُجمِّع ؛ ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار . وكان مُجمِّع غلاما حدثا قد جمع من القرآن أكثره ، وكان يصلى بهم فيه ، ثم إنه لما أخرب المسجد ، وذهب رجال من بنى عمرو بن عوف ، كانوا يصلون ببنى عمرو بن عوف فى مسجدهم ، وكان زمان عمر بن الخطاب ، كُلِّم فى مجمع ليصلى بهم ؛ فقال : لا ، أو ليس بإمام المنافقين فى مسجد الضرار ؟ فقال لعمر : يا أمير المؤمنين ، والله الذى لا إله إلا هو ، ما علمتُ بشىء من أمرهم ، ولكنى كنت غلاما قارئا للقرآن ، وكانوا لا قرآن معهم ، فقدمونى أصلى بهم ، وما أرى أمرَهم ، إلا على أحسن ما ذكروا ، فزعموا أن عمر تركه فصلى بقومه .

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك : وديعة بن ثابت ، وهو ممن بَنَى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب . فأنزل الله تبارك وتعالى : « ولئن سألتهم ليقولُنّ إنما كنا نخوضُ ونلعبُ قُلْ أبالله وآياته ورسولِه كنتم تستهزءون » ؟ ! . إلى آخر القصة .

ومن بنى عبيد بن مالك : خِذام بن خالد ، وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره ؛ وبشر ورافع ، ابنا زيد .

ومن بنى النَّبيت ـ قال ابن هشام : النبيت : عمرو بن مالك بن الأوس ـ قال ابن إسحاق : ثم من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : مِرْبَع بن قَيْظىّ ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه[1] ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامد إلى أحد : لا أُحِلّ لك يا محمد ، إن كنت نبيا ، أن تمر فى حائطى ، وأخذ فى يده حفنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ، فهذا الأعمى ، أعمى القلب ، أعمى

---

(١) الحائط : البستان .

الإصيرة . فضربه سعد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل بالقوس فشجه . وأخوه أوس بن قيظى وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة ، فأذنْ لنا فلنرجع إليها . فأنزل الله تعالى فيه « يقولون إن بيوتَنا عورةٌ وما هىَ بعَوْرةٍ إن يريدونَ إلا فِراراً » .

قال ابن هشام : عورة ، أى مُعْوِرة للعدو وضائعة ؛ وجمعها : عَوْرات ؛ قال النابغة الذبيانى :

متى تلقَهم لاتلقَ للبيتِ عَورةً ولا الجارَ محروما ولا الأمرَ ضائعا

وهذا البيت فى أبيات له . والعورة أيضا : عورة الرجل ، وهى حرمته . والعورة أيضا السوءة .

قال ابن إسحاق : ومنْ بنى ظفر ، واسم ظفر : كعب بن الحارث بن الخزرج : حاطب ابن أمية بن رافع ، وكان شيخا جسيما قد عَسَا فى جاهليته ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحُمل إلى دار بنى ظفر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو بالموت فجعلوا يقولون أبشر يا بن حاطب بالجنة . قال فَنَجَم[1] نفاقه حينئذ ، فجعل يقول أبوه أجل جنة والله من حَرْمَل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه .

قال ابن إسحاق : وبُشير بن أبيرق ، وهو أبو طعمة ، سارق الدرعين ، الذى أنزل الله تعالى فيه : « ولا تجادلْ عن الذين يختانون أنفسَهم ، إن اللهَ لا يحبُّ من كان خَوّانا أثيما » . وقُزْمان : حليف لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إنه لمن أهل النار . فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا حتى قتل بضعة نفر من المشركين ، فأثبتته الجراحات ، فحُمل إلى دار بنى ظفر ، فقال له رجال من المسلمين . أبشر يا قزمان ، فقد أبليت اليوم ، وقد أصابك ما ترى فى الله . قال : بماذا أبشر ، فوالله ما قاتلت إلا حَمِيّة عن قومى ؛ فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سهما من كنانته ، فقطع به رَوَاهِش[2] يده ، فقتل نفسه .

قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلا أن الضحاك

---

(١) نجم : ظهر ووضح .

(٢) الرواهش : العصب التى فى ظاهر الذراع ، واحدتها راهشة .

ابن ثابت ، أحد بنى كعب ، رهط سعد بن زيد ، قد كان يُتهم بالنفاق وحُب يهود .

قال حسان بن ثابت :

مَن مُبلغُ الضحاكِ أن عروقَه أعيت على الإسلامِ أن تتمجّدا
أتحب يُهدانَ الحجازِ ودينَهم كَبِدَ الحمارِ ، ولا تُحبُّ محمدا
ديناً لعَمْرِى لا يوافقُ ديننا ما استنَّ آلٌ فى الفضاءِ وخوّدا

وكان جُلاس بن سُوَيد بن صامت قبل توبته ـ فيما بلغنى ـ ومعتب بن قشير ، ورافع ابن زيد ، وبشر ، وكانوا يُدْعون بالإسلام ، فدعاهم رجال من المسلمين فى خصومة كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعوهم إلى الكهان ، حكام أهل الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل فيهم : « ألم تَرَ إلى الذين يَزعُمون أنهم آمنوا بما أُنزِلَ إليك وما أُنزِلَ من قبلِك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوتِ وقد أُمروا أن يكفروا به ويُريدُ الشيطانُ أن يُضِلَّهم ضلالاً بعيداً » . . . إلى آخر القصة .

ومن الخزرج ، ثم من بنى النجار : رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل .

ومن بنى جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سَلِمة : الجَدُّ بن قيس ، وهو الذى يقول : يا محمد ، ائْذَنْ لى ولا تفتنى ، فأنزل الله تعالى فيهم « ومنهم من يقولُ ائْذَنْ لى ولا تفتنى ألا فى الفتنةِ سقطوا ، وإن جهنمَ لمحيطةٌ بالكافرين . . . » إلى آخر القصة .

ومن بنى عوف بن الخزرج : عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول ، وكان رأس المنافقين وإليه يجتمعون ، وهو الذى قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ فى غزوة بنى المصطلق . وفى قوله ذلك ، نزلت سورة المنافقين بأسرها . وفيه وفى وديعة — رجل من بنى عوف — ومالك ابن أبى قوقل ، وسويد ، وداعس ، وهم من رهط عبد الله بن أبى ابن سلول ؛ وعبد الله بن أُبَىّ ابن سلول . فهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسُّون إلى بنى النضير حين حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن اثبتوا ، فوالله لئن أُخرِجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم . فأنزل الله تعالى فيهم : « ألم ترَ إلى الذين نافقوا يقولونَ لإخوانِهم الذين كفروا من أهـلِ الكتابِ لئن أُخرِجتم لنَخرُجَنَّ معكم ولا نطيعُ فيكم أحداً أبداً ، وإن قُوتلتم لننصرنَّكم ، واللهُ يشهدُ إنهم لكاذبون » ، ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله :

«كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر، فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين».

المنافقون من أحبار اليهود: قال ابن إسحاق: وكان ممن تعوذ بالإسلام، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق، من أحبار يهود.

من بني قينقاع: سعد بن حنيف، وزيد بن اللُّصَيت، ونعمان بن أوفى بن عمرو، وعثمان بن أوفى. وزيد بن اللصيت، الذي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسوق بني قينقاع، وهو الذي قال، حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم: يزعُم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءه الخبر بما قال عدو الله في رحله، ودل الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ناقته: إن قائلا قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، ولا يدري أين ناقته. وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، فهي في هذا الشِّعْب، قد حبستها شجرة بزمامها، فذهب رجال من المسلمين، فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما وصف. ورافع بن حريملة، وهو الذي قال له الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حين مات: قدمات اليوم عظيم من عظماء المنافقين؛ ورفاعة ابن زيد بن التابوت، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت عليه الريح، وهو قافل من غزوة بني المصطلق، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها: فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تخافوا، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار. فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذي هبت فيه الريح. وسلسلة بن برهام. وكنانة بن صوريا.

طرد المنافقين من المسجد: وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجتمع يوما في المسجد منهم ناس، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم، خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفاً، فقام أبو أيوب، خالد ابن زيد بن كليب، إلى عمر بن قيس، أحد بني غَنْم بن مالك بن النجار — كان صاحب آلهتهم في الجاهلية فأخذ برجله فسحبه، حتى أخرجه من المسجد، وهو يقول: أتخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة، ثم أقبل أبو أيوب أيضاً إلى رافع بن وديعة، أحد بني النجار فلبَّبه بردائه ثم نتره نتراً شديداً، ولطم وجهه، ثم أخرجه من المسجد، وأبو أيوب يقول له: أفٍّ لك منافقا خبيثاً: أدراجك يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن هشام : أى ارجع من الطريق التى جئت منها . قال الشاعر :

فولّى وأدبر أدراجه وقد باء بالظلم من كان ثمّ

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان رجلا طويل اللحية ، فأخذ بلحيته فقاده بها قوْداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه فلدمه بهما فى صدره لدمة خر منها. قال : يقول : خدشتنى يا عمارة : قال : أبعدك الله يامنافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك ، فلا تقربّن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : اللّدم : الضرب ببطن الكف . قال تميم بن أبىّ بن مُقبل :

والفؤادِ وجيبٌ تحتَ أبهَرِه لَدْمَ الوليدِ وراءَ الغيبِ بالحجَرِ

قال ابن هشام : الغيب : ما انخفض من الأرض . والأبهر : عرق القلب .

قال ابن إسحاق : وقام أبو محمد ، رجل من بنى النجار ، كان بدرياً ، وأبو محمد مسعود ابن أوْس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار إلى قيس بن عمرو ابن سهل ، وكان قيس غلاما شابا ، وكان لا يُعلم فى المنافقين شاب غيره ، فجعل يدفع فى قفاه حتى أخرجه من المسجد .

وقام رجل من بُلخدرة [١] بن الخزرج ، رَهْط أبى سعيد الخُدرى ، يقال له : عبد الله بن الحارث حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراج المنافقين من المسجد إلى رجل يقال له : الحارث بن عمرو ، وكان ذا جُمّة ، فأخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا ، على ما مر به من الأرض ، حتى أخرجه من المسجد . قال يقول المنافق : لقد أغلظت يابن الحارث ؛ فقال له : إنك أهل لذلك ، أى عدو الله لما أنزل الله فيك : فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك نجس .

وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زُوىّ بن الحارث ؛ فأخرجه من المسجد إخراجا عنيفا ، وأفف منه ، قال : غلب عليك الشيطان وأمره .

---

(١) يريد : من بنى الخدرة .

فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجهم .

ما نزل في اليهود و المنافقين : فنى هؤلاء من أحبار يهود ، والمنافقين من الأوس والخزرج ، نزل صدر سورة البقرة إلى المئة منها — فيما بلغنى — والله أعلم .

يقول الله سبحانه وبحمده : « الٓمٓ ذلكَ الكتابُ لا رَيْبَ فيه » ، أى لا شك فيه .

قال ابن هشام : قال ساعدة بن جُؤَيَّة الهُذَلى :

فقالوا عَهِدنا القومَ قد حَصِروا بهِ ... فلا رَيبَ أنْ قد كان ثَمَّ لَحِيمُ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له ، والريب أيضا : الريبة . قال خالد بن زهير الهذلى :

كأنّنى أَرِيبُه بِرَيْبِ[2]

قال ابن هشام : ومنهم من يرويه :

كأنّنى أَرَبْتُه بريبِ

وهذا البيت فى أبيات له ، وهو ابن أخى أبى ذؤيب الهذلى .

« هدًى للمتقين » ، أى الذين يحذرون من الله عقوبته فى ترك ما يعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه . « الذين يؤمنون بالغيبِ ويقيمون الصلاةَ ومما رزقناهم يُنفقون » أى يقيمون الصلاة بفرضها ، ويؤتون الزكاة احتسابا لها . « والذين يؤمنون بما أُنزِلَ إليكَ وما أُنزِلَ من قبلك » ، أى يصدقونك بما جئت به من الله عز وجل ، وما جاء به من قبلك من المرسلين ، لا يفرقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاءوهم به من ربهم . « وبالآخرةِ هم يوقنون » ،

---

(١) لحيم : قتيل .

(٢) والرجز الذى استشهد ببيت منه :

يا قوم مالى وأبا ذؤيب ... كنت إذا أتيته من غيب
يشم عطفى ويمس ثوبى ... كأننى أربته بريب

وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بامرأته فلذلك قال هذا .

أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أى هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك ، وبما جاءك من ربك «أولئك على هُدًى من ربهم» ، أى على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم «وأولئك هم المفلحون» ، أى الذين أدركوا ما طلبوا ونجَوْا من شر ما منه هربوا . «إن الذين كفروا» ، أى بما أُنزل إليك ، وإن قالوا إنا قد آمنا بما جاءنا قبلك «سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» ، أى أنهم كفروا بما عندهم من ذكرك ، وجحدوا ما أخذ عليهم الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك ، فكيف يستمعون منك إنذارا أو تحذيرا ، وقد كفروا بما عندهم من علمك . «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غِشاوةٌ» ، أى عن الهدى أن يصيبوه أبدا يعنى بما كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا بكل ما كان قبلك ، «ولهم» بما هم عليه من خلافك «عذابٌ عظيم» .

فهذا فى الأحبار من يهود ، فيما كذبوا به من الحق بعد معرفته .

«ومن الناسِ من يقولُ آمنا بالله وباليوم الآخِرِ وما هم بمؤمنين» يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم . «يخادعونَ اللهَ والذين آمنوا وما يخـــدعونَ إلا أنفسَهم وما يشعرون . فى قلوبِهم مرضٌ» ، أى شك «فزادهمُ اللهُ مرضاً» ، أى شكا «ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تُفسِدوا فى الأرضِ ، قالوا إنما نحن مصلحون» ، أى إنما نريد الإصلاح بين الفريقين : من المؤمنين وأهل الكتاب يقول الله تعالى «ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . وإذا قيل لهم آمِنوا كما آمنَ الناسُ ، قالوا أنؤمنُ كما آمنَ السفهاءُ ، ألا إنهم هم السفهاءُ ولكن لا يعلمون . وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خَلَوْا إلى شياطينِهم» من يهود ، الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحق ، وخلاف ما جاء به الرسول «قالوا إنا معكم» ، أى إنا على مثل ما أنتم عليه . «إنما نحنُ مستهزِءون» : أى إنما نستهزىء بالقوم ، ونلعب بهم . يقول الله عز وجل : «اللهُ يستهزِئُ بهم ويَمُدهم فى طغيانهم يعمهون» .

قال ابن هشام : يعمهون : يحارون تقول العرب : رجل عَمِه وعامِه : أى حيران ، قال رؤبة ابن العجاج يصف بلداً :

أعمَى الهدى بالجاهلين العُمَّه

وهذا البيت فى أرجوزة له . فالعُمه : جمع عامه ؛ وأما عَمِه ، فجمعه : عَمِهون . والمرأة :

« أولئك الذين اشـــتروُا الضلالة بالهدى » : أى الكفر بالإيمان « فما ربحت تجارتُهم وما كانوا مهتدين » .

قال ابن إسحاق : ثم ضرب لهم مثلا ، فقال تعالى « كمثلِ الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ماحولَه ذهب اللهُ بنورِهم وتركهم فى ظلماتٍ لا يُبصرون » أى لا يبصرون الحق ويقولون به حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم به ونفاقهم فيه ، فتركهم الله فى ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ، ولا يستقيمون على حق « صُمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون » أى لا يرجعون إلى الهدى ، صم بكم عمى عن الخير ، لا يرجعون إلى خير ولا يصيبون نجاة ما كانوا على ما هم عليه « أو كَصَيِّبٍ من السماءِ فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعَهم فى آذانِهم من الصواعقِ حَذَرَ الموتِ ، واللهُ محيطٌ بالكافرين » .

قال ابن هشام : الصيب : المطر ، وهو من صاب يصوب ، مثل قولهم : السَّيِّد ، من ساد يسود ، والميت : من مات يموت ؛ وجمعه صيائب . قال علقمة بن عَبَدَة أحد بنى ربيعة بن مالك ابن زيد مَناة بن تميم :

كأنهمِ صابت عليهم سحابةٌ صواعقُها لطـيرِهن دبيبُ

وفيها :

فلا تعدِلى بينى وبين مُغَمَّرٍ سَقَتْكِ رَوايا المُزْنِ حيثُ تَصوبُ(١)

وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أى هم من ظلمة ماهم فيه من الكفر والحذر من القتل ، من الذى هم عليه من الخلاف والتخوف لكم ، على مثل ما وصف ، من الذى هو فى ظلمة الصيب ، يجعل أصابعه فى أذنيه من الصواعق حذر الموت . يقول : والله منزل ذلك بهم من النقمة ، أى هو محيط بالكافرين « يكاد البرقُ يخطَفُ أبصارَهم » : أى لشدة ضوء الحق « كلما أضاءَ لهم مَشَوْا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا » ، أى يعرفون الحق ويتكلمون به ، فهم من قولهم به على استقامة ؛ فإذا ارتكسوا منه فى الكفر قاموا متحيرين « ولو شاء اللهُ لذهبَ بسمعِهم وأبصارِهم » أى لِمَا تركوا من الحق بعد معرفته « إن اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ » .

ثم قال : « يأيها الناسُ اعبدوا ربَّكم » للفريقين جميعا ، من الكفار والمنافقين . أى وحدوا

(١) المغمر : الساذج الذى لم يجرب الأمور .

ربكم الذى خلقكم والذين من قبليكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » .

قال ابن هشام : الأنداد : الأمثال ، واحدهم ند . قال لبيد بن ربيعة :

أحمدُ الله فلا ندَّ له بيديه الخيرُ ما شاء فَعَلْ

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن إسحاق : أى لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التى لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذى يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه . « وإن كنتم فى رَيْبٍ مما نزلنا على عبدنا » أى فى شك مما جاءكم به ، « فأتوا بسورةٍ من مثله ، وادعوا شهداءكم من دونِ اللهِ » ، أى من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه « إنْ كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولنْ تفعلوا » فقد تبين لكم الحق « فاتقوا النارَ التى وَقودُها الناسُ والحجارةُ أُعدَّت للكافرين » ، أى لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر .

ثم رغبهم وحذرهم نقض الميثاق الذى أخذ عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم إذا جاءهم وذكر لهم بدء خلقهم حين خلقهم ، وشأن أبيهم آدم عليه السلام وأمره ، وكيف صنع به حين خالف عن طاعته ، ثم قال : « يا بنى إسرائيلَ » للأحبار من يهود « اذكروا نعمتىَ التى أنعمتُ عليكم » أى بلائى عندكم وعند آبائكم ، لما كان نجاهم به من فرعون وقومه « وأَوْفوا بعهدى » الذى أخذت فى أعناقكم لنبيى أحمد إذا جاءكم « أُوفِ بعهدِكم » أُنجزْ لكم ما وعدتكم على تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم التى كانت من أحداثكم ، « وإياى فارهبون » أى أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من النقمات التى قد عرفتم من المسخ وغيره . « وآمِنوا بما أنزلتُ مُصَدِّقا لما معكم ، ولا تكونوا أوَّلَ كافرٍ به » وعندكم من العلم فيه ما ليس عند غيركم « وإياى فاتقونِ . ولا تَلْبِسوا الحقَّ بالباطلِ ، وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون » ، أى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم « أتأمرونَ الناسَ بالبرِّ وتنسَوْنَ أنفسكم وأنتم تتلونَ الكتابَ أفلا تعقلون » ، أى أتنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم ، أى وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تصديق رسولى ، وتنقضون ميثاقى ، وتجحدون ما تعلمون من كتابى .

ثم عدد عليهم أحداثهم ، فذكر لهم العجل وما صنعوا فيه ، وتوبته عليهم ، وإقالته إياهم ، ثم قولهم : « أرِنا اللهَ جَهرةً »

قال ابن هشام : جهرة ، أى ظاهراً لنا لا شىء يستره عنا . قال أبو الأخزر الحِمّانى ، واسمه قُتَيبة .

يَجهرُ أجواف المياهِ السُّدَّمِ(١)

وهذا البيت فى أرجوزة له .

يجهر : يقول : يُظهر الماء ، ويكشف عنه ما يستره من الرمل وغيره .

قال ابن إسحاق : وأخذ الصاعقة إياهم عند ذلك لغرتهم ، ثم إحياءه إياهم بعد موتهم وتظليله عليهم الغمام ، وإنزاله عليهم المنّ والسلوى ، وقوله لهم : « ادخلوا البابَ سُجداً وقولوا حِطة » ، أى قولوا ما آمركم به أحطّ به ذنوبكم عنكم ؛ وتبديلهم ذلك من قوله استهزاء بأمره ، وإقالته إياهم ذلك بعد هُزئهم .

قال ابن هشام : المن : شىء كان يسقط فى السَّحَر على شجرهم ، فيجتنونه حُلواً مثل العسل فيشربونه ويأكلونه . قال أعشى بنى قَيس بن ثعلبة :

لو أُطعموا المنَّ والسلوى مكانَهمُ ... ما أبصر الناسُ طُعماً فيهمُ نَجَعا(٢)

وهذا البيت فى قصيدة له، والسلوى : طير واحدتها : سَلْواة ؛ ويقال : إنها السُّمَانى ، ويقال للعسل أيضاً : السلوى . وقال خالد بن زهير الهذلى :

وقاسمها باللهِ حقّاً لأنتمُ ... ألذُّ من السلوى إذا ما نَشُورُها

وهذا البيت فى قصيدة له . وحِطّة : أى حط عنا ذنوبنا .

قال ابن إسحاق : وكان من تبديلهم ذلك كما حدثنى صالح بن كَيْسان عن صالح مولى التوءمة بنت أمية بن خلف ، عن أبى هريرة ومن لا أتهم ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دخلوا الباب الذى أُمروا أن يدخلوا منه سُجداً يزحفون ، وهم يقولون حِنْطة فى شعير .

قال ابن هشام : ويروى : حنطة فى شعيرة .

قال ابن إسحاق : واستسقاء موسى لقومه ، وأمره إياه أن يضرب بعصاه الحجر ،

---

(١) السدم : هى المياه القديمة .
(٢) نجع : نفع .

فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عينا ، لكل سِبط[1] عين يشربون منها ، قد علم كل سِبط عينه التى منها يشرب ، وقولهم لموسى عليه السلام : « لن نَصبِرَ على طعامٍ واحدٍ ، فادعُ لنا ربَّك يُخرِجْ لنا مما تنبتُ الأرضُ من بَقلِها وقِثّائِها وفُومِها » .

قال ابن هشام : الفوم : الحنطة . قال أمية بن أبى الصَّلْت الثقفى :

فوق شِيزَى مثلِ الجوابى عليها ... قِطَعٌ كالوَذيلِ فى نِقْىِ فُومِ[2]

قال ابن هشام : الوذيل : قطع الفضة ، والفوم : القمح ؛ واحدته : فومة . وهذا البيت فى قصيدة له .

« وعَدَسِها وبصلِها قال أتستبدلون الذى هو أدنَى بالذى هو خيرٌ . اهبطوا مِصْراً فإن لكم ما سألتم » .

قال ابن إسحاق : فلم يفعلوا ، ورفْعه الطور فوقهم ليأخذوا ما أوتوا ، والمسخ الذى كان فيهم ، إذ جعلهم قِرَدة بأحداثهم ، والبقرة التى أراهم الله عز وجل بها العبرة فى القتيل الذى اختلفوا فيه ، حتى بين الله لهم أمره ، بعد التردد على موسى عليه السلام فى صفة البقرة ؛ وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشد قسوة . ثم قال تعالى : « وإن من الحجارةِ لَمَا يتفجرُ منه الأنهارُ ، وإن منها لَمَا يشقَّقُ فيخرجُ منه الماءُ ، وإن منها لَمَا يهبطُ من خشيةِ اللهِ » أى وإن من الحجارة لألين من قلوبكم عما تدعون إليه من الحق « وما الله بغافلٍ عما تعملون » .

ثم قال لمحمد عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلامَ اللهِ ثم يحرفونَه من بعدِ ما عَقَلوه وهم يعلمون » . وليس قوله « يسمعون التوراة » ، أن كلهم قد سمعها ، ولكنه فريق منهم ، أى خاصة .

قال ابن إسحاق ، فيما بلغنى عن بعض أهل العلم : قالوا لموسى : ياموسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية الله ، فأسمعنا كلامه حين يكلمك ، فطلب ذلك موسى عليه السلام من ربه ، فقال له : نعم مرهم فليطهروا ، أو ليطهروا ثيابهم ، وليصوموا ، ففعلوا . ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سجداً وكلمه ربه ، فسمعوا كلامه تبارك وتعالى ، يأمرهم

---

(١) السبط الجماعة ، وهى كالقبيلة فى أولاد إسماعيل من العرب .

(٢) الشيزى : خشب أسود صلب تصنع منه الأمشاط والقصاع وغيرها يقال هو الأبنوس والجوابى : الحياض يجبى إليها الماء ، أى يجمع .

ويناهم ، حتى عقلوا عنه ما سمعوا ، ثم انصرف بهم إلى بنى إسرائيل ، فلما جاءهم حرّف فريق منهم ما أمرهم به ، وقالوا ، حين قال موسى لبنى إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذى ذكر الله عز وجل : إنما قال كذا وكذا ، خلافاً لما قال الله لهم ، فهم الذين عَنَى الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى : « وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا » ، أى بصاحبكم رسول الله ، ولكنه إليكم خاصة . « وإذا خلا بعضُهم إلى بعضٍ قالوا » : لا تحدثوا العرب بهذا ، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم ، فكان فيهم . فأنزل الله عز وجل فيهم : « وإذا لقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلا بعضُهم إلى بعضٍ قالوا أتحدثونهم بما فتحَ اللهُ عليكم ليحاجُّوكم به عند ربِّكم أفلا تعقلون » ، أى تقرون بأنه نبى ، وقد عرفتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه ، وهو يخبركم أنه النبى الذى كنا ننتظر ونجد فى كتابنا ؛ اجحدوه ولا تُقروا لهم به يقول الله عز وجل : « أَوَلاَ يعلمون أن الله يعلمُ ما يُسرون وما يُعلنون ، ومنهم أُمّيونَ لايعلمون الكتاب إلا أمانِيَّ » .

قال ابن هشام ، عن أبى عبيدة : إلا أمانىَّ : إلا قراءة ، لأن الأمى : الذى يقرأ ولا يكتب . يقول : لايعلمون الكتاب إلا أنهم يقرءونه .

قال ابن هشام : عن أبى عبيدة ويونس أنهما تأولا ذلك عن العرب فى قول الله عز وجل ، حدثنى أبو عبيدة بذلك .

قال ابن هشام : وحدثنى يونس بن حبيب النحوى وأبو عبيدة : إن العرب تقول : تمنى ، فى معنى قرأ . وفى كتاب الله تبارك وتعالى :

« وما أرسلنا من قبلِكَ من رسولٍ ولا نبيٍ إلا إذا تمنَّى ألقى الشيطانُ فى أُمْنِيَّتِهِ » . قال : وأنشدنى أبو عبيدة النحوى :

تمنى كتابَ اللهِ أوّلَ ليلِهِ ... وآخـرِه وافى حِمامُ المقادِرِ

وأنشدنى أيضاً :

تمنى كتابَ اللهِ فى الليلِ خالياً ... تمنِّىَ داودَ الزبورَ على رِسْـلِ

وواحدة الأمانى : أُمْنِيّة . والأمانى أيضاً : أن يتمنى الرجل المال أو غيره .

قال ابن إسحاق : « وإن هُمْ إلا يظنون » : أى لايعلمون الكتاب ولا يدرون مافيه ، وهم يجحدون نبوتك بالظن . « وقالوا لن تَمَسّنا النارُ إلا أياما معدودةً ، قل أتخذتم عند اللهِ عهداً فلن يخلفَ اللهُ عهدَه أم تقولون على اللهِ مالا تعلمونَ » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، واليهود تقول : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يعذب الله الناس فى النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا فى النار من أيام الآخرة ، وإنما هى سبعة أيام ثم ينقطع العذاب . فأنزل الله فى ذلك من قولهم : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون . بلى من كسب سيئةً وأحاطت به خطيئته » . أى من عمل بمثل أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، يحيط كفره بما له عند الله من حسنة ، « فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » أى خُلْداً أبداً « والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » أى من آمن بما كفرتم به ، وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها ، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً ، لا انقطاع له .

قال ابن إسحاق : ثم قال الله عز وجل يؤنبهم : « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل » ، أى ميثاقكم « لا تعبدون إلا الله ، وبالوالدين إحسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناسِ حُسْنا ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم مُعرِضون » ، أى تركتم ذلك كله ليس بالتنقّص . « وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم » .

قال ابن هشام : تسفكون : تصبون . تقول العرب : سفك دمه ، أى صبه ؛ وسفك الزق أى هراقه . قال الشاعر :

وكنا إذا ما الضيفُ حلَّ بأرضِنا ... سفكنا دماءَ البُدْنِ فى تُربةِ الحالِ

قال ابن هشام : يعنى « بالحال » : الطين الذى يخالطه الرمل ، وهو الذى تقول له العرب : السهلة . وقد جاء فى الحديث : أن جبريل لما قال فرعون : « آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » ، أخذ من حال البحر وحمأته ، فضرب به وجه فرعون . والحال : مثل الحمأة .

قال ابن إسحاق : « ولا تُخرجون أنفسكم من ديارِكم ثم أقررتم وأنتم تشهدون » . على أن هذا حق من ميثاقى عليكم : « ثم أنتم هؤلاءِ تقتلون أنفسكم ، وتُخرجون فريقا منكم من ديارِهم ، تظاهرون عليهم بالإثم والعدوانِ » : أى أهل الشرك : حتى يسفكوا دماءهم معهم : ويخرجوهم من ديارهم معهم . « وإن يأتوكم أسارى تُفادوهم » ، وقد عرفتم أن ذلك عليكم فى دينكم ، « وهو محرَّم عليكم » فى كتابكم « إخراجهم » « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعضٍ » ،

أى أتفادونهم مؤمنين بذلك ، وتخرجونهم كفاراً بذلك . «فما جزاءُ من يفعلُ ذلك منكم إلا خزىٌ فى الحياة الدنيا ، ويومَ القيامة يُردون إلى أشدِّ العذاب ، وما اللهُ بغافلٍ عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يُخفَّفُ عنهمُ العذابُ ، ولا هم يُنصرون » . فأنبهم الله عز وجل بذلك من فعلهم ، وقد حرم عليهم فى التوراة سفكَ دمائهم ، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم .

فكانوا فريقين ، منهم بنو قينُقاع ولفُّهم [1]، حلفاء الخزرج : والنضير وقريظة ولفهم ، حلفاء الأوس . فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب ، خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه ، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم ومالهم ، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان . لا يعرفون جنة ولا ناراً ، ولا بعثا ولا قيامة ، ولا كتابا ، ولا حلالا ولا حراما ، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أساراهم تصديقا لما فى التوراة ، وأخذ به بعضهم من بعض ، يفتدى بنو قينقاع من كان من أسراهم فى أيدى الأوس ، وتفتدى النضير وقريظة مافى أيدى الخزرج منهم . ويُطلون [2] ما أصابوا من الدماء ، وقتلى من قتلوا منهم فيما بينهم ، مُظاهرة لأهل الشرك عليهم . يقول الله تعالى لهم حين أنبهم بذلك : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ، أى تفاديه بحكم التوراة وتقتله ، وفى حكم التوراة أن لا تفعل ، تقتله وتخرجه من داره وتظاهر عليه من يشرك بالله ، ويعبد الأوثان من دونه ، ابتغاء عرَضِ الدنيا . ففى ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج — فيما بلغنى — نزلت هذه القصة .

ثم قال تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفَّينا من بعده بالرسلِ ، وآتينا عيسى ابنَ مريمَ البيناتِ » ، أى الآيات التى وضعت على يديه ، من إحياء الموتى ، وخلقه من الطين كهيئة الطير ، ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وإبراء الأسقام ، والخبر بكثير من الغيوب مما يدخرون فى بيوتهم ، وما رد عليهم من التوراة مع الإنجيل ، الذى أحدث الله إليه . ثم ذكر كفرهم بذلك كله ، فقال : « أفكلما جاءكم رسولٌ بما لا تهوَى أنفسُكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » ، ثم قال تعالى : « وقالوا قلوبُنا غُلفٌ » : فى أكنة . يقول الله عز وجل : « بل لعنَهم

---

(١) لفهم : من عد فيهم .
(٢) يطلون : يبطلون .

الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون . ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مُصدّق لما معهم وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ماعرَفوا كفروا به فلعنةُ الله على الكافرين » .

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه ، قال : قالوا : فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة ، كنا قد علوناهم ظهراً فى الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا : إن نبيا يُبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم من قريش فاتبعناه كفروا به يقول الله : « فلما جاءهم ماعرَفوا كفروا به ، فلعنةُ الله على الكافرين . بئسما اشترَوْا به أنفسَهم أن يكفروا بما أنزلَ اللهُ بَغيا أن يُنزِّلَ اللهُ من فضله على من يشاءُ من عباده ، أى أن جعله فى غيرهم « فباءوا بغضبٍ على غضبٍ وللكافرين عذابٌ مُهينٌ » .

قال ابن هشام : فباءوا بغضب : أى اعترفوا به واحتملوه . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

أصالِحُكم حتى تبوءوا بمِثلِها كصرخةِ حُبلَى يسَّرتْها قَبِيلُها (١)

قال ابن هشام . يسرتها . أجلستها للولادة . وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق . فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة ، وهى معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبى صلى الله عليه وسلم الذى أحدث الله إليهم .

ثم أنبهم برفع الطور عليهم ، واتخاذهم العجل إلها دون ربهم ، يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : « قل إن كانتْ لكمُ الدارُ الآخرةُ عندَ اللهِ خالصةً من دونِ الناسِ ، فتمنَّوُا الموتَ إن كنتم صادقين » ، أى ادعوا بالموت على أى الفريقين أكذب عند الله ، فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام . « ولن يتمنَّوْه أبداً بما قدمت أيديهم » ، أى بعلمهم بما عندهم من العلم بك ، والكفر بذلك : فيقال لو تمنوه يوم قال ذلك لهم مابقى على وجه الأرض يهودى إلا مات . ثم ذكر رغبتهم فى الحياة الدنيا وطول العمر ، فقال تعالى . « ولتجدنَّهم أحرصَ الناسِ على حياةٍ ، اليهود « ومن الذين أشركوا يَوَدُّ أحدُهم لو يعمَّرُ ألفَ سنةٍ وما هو بمُزَحْزِحِه من العذابِ أن يُعمَّرَ » ، أى ماهو بمنجيه من العذاب ، وذلك أن المشرك لايرجو بعثا بعد الموت ، فهو يحب طول الحياة ، وأنه

---

(١) القبيلة : القابلة وهى من تستقبل الولد .

اليهودى قد عرف ماله فى الآخرة من الخزى بما ضيّع مما عنده من العلم . ثم قال تعالى : « قل من كانَ عدوا لجبريلَ فإنه نزله على قلبك بإذن الله » .

سؤال اليهود الرسول ، وإجابته : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى حُسين المكى ، عن شهر بن حَوْشب الأشعرى ، أن نفراً من أحبار يهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد، أخبرنا عن أربع نسألك عنهن، فإن فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك ، وآمنا بك . قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتُصدِّقُنّنى ، قالوا : نعم ، قال : فاسئلوا عما بدا لكم ؛ قالوا : فأخبرنا كيف يشبه الولد أمه ، وإنما النطفة من الرجل ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنشُدُكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ، ونطفة المرأة صفراء رقيقة ، فأيتهما علت صاحبتها كان لها الشبه ؟ قالوا : اللهم نعم ؛ قالوا : فأخبرنا كيف نومك ؟ فقال : أنشُدُكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون أنى لستُ به تنام عينه وقلبه يقظان ؟ فقالوا : اللهم نعم ؛ قال : فكذلك نومى ، تنام عينى وقلبى يقظان ؛ قالوا : فأخبرنا عما حرّم إسرائيلُ على نفسه ؟ قال : أنشُدُكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها ، وأنه اشتكى شكوى ، فعافاه الله منها ، فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكراً لله ، فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها ؟ قالوا : اللهم نعم ؛ قالوا : فأخبرنا عن الروح ؟ قال : أنشُدُكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمونه جبريل ، وهو الذى يأتينى ؟ قالوا : اللهم نعم ، ولكنه يامحمد لنا عدو ، وهو مَلَك ، إنما يأتى بالشدة وبسفك الدماء ، ولولا ذلك لاتبعناك ؛ قال : فأنزل الله عز وجل فيهم : « قل من كان عدواً لجبريلَ فإنه نزّله على قلبك بإذن الله مُصدِّقاً لما بين يديه وهدًى وبشرى للمؤمنين » . . . إلى قوله تعالى : « أوَكلما عاهدوا عهداً نبذه فريقٌ منهم ، بل أكثرهم لا يؤمنون . ولما جاءهم رسولٌ من عند الله مُصدِّقٌ لما معهم نبذ فريقٌ من الذين أوتوا الكتاب كتابَ الله وراءَ ظهورِهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلوا الشياطينُ على مُلكِ سليمانَ » ، أى السحر « وما كفر سليمانُ ولكن الشياطينَ كفروا يعلمون الناسَ السحرَ » .

اليهود ينكرون نبوة سليمان عليه السلام ورد الله عليهم : قال ابن إسحاق : وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — لما ذكر سليمان بن داود فى المرسلين ، قال

بعض أحبارهم : ألا تعجبون من محمد ، يزعم أن سليمان بن داود كان نبياً ، والله ما كان إلا ساحراً . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « وما كفر سليمانُ ولكن الشياطين كفروا » ، أى باتباعهم السحر وعملهم به . « وما أنزل على المَلَكين ببابلَ هاروتَ وماروتَ وما يُعلمان من أحدٍ » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض من لا أتهم عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقول : الذى حرم إسرائيل على نفسه زائدتا الكبد والكليتان والشحم ، إلا ما كان على الظهر ، فإن ذلك كان يُقرَّب للقربان ، فتأكله النار .

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر : قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر ، فيما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء به موسى : ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك فى كتابكم : « محمد رسولُ الله والذين معه أشداءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم ، تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجودِ ، ذلك مثلهم فى التوراةِ ومثلهم فى الإنجيلِ كزرعٍ أخرج شَطْأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقِه يُعجِبُ الزُّرَّاعَ ليغيظَ بهم الكفارَ ، وعدَ اللهُ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ منهم مغفرةً وأجراً عظيما » .

وإنى أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذى أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله ، إلا أخبرتمونى : هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كره عليكم . « قد تبينَ الرشدُ من الغيِّ » ، فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه .

قال ابن هشام : شطؤه : فراخه ، وواحدته : شطأة . تقول العرب : قد أشطأ الزرع إذا أخرج فراخه . وآزره : عاونه ، فصار الذى قبله مثل الأمهات . قال امرؤ القيس بن حُجر الكندى :

بمَحْنِيةٍ قد آزرَ الضَّالَ نَبْتُها ... بَجَرِّ جيوشٍ غانمين وخُيَّبِ[1]

---

(١) المحنية والمحناة ما انعطف من الوادى والجمع محانى ، والضال : شجر تعمل منه القسى .

وهـــذا البيت فى قصيدة له . وقال حميد بن مالك الأرقط ، أحد بنى ربيعة بن مالك ابن زيد مناة :

زَرْعا وقَضْباً مُؤْزَرَ النباتِ[1]

وهذا البيت فى أرجوزة له ، وسوقه : جمع ساق ، لساق الشجرة .

ما نزل فى أبى ياسر وأخيه : قال ابن إسحاق : وكان ممن نزل فيه القرآن ، بخاصة من الأحبار وكفار يهود ، الذى كانوا يسألونه ويتعنتونه ليلبُسوا الحق بالباطل — فيما ذكر لى عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بن رئاب — أن أبا ياسر بن أخطب مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلو فاتحة البقرة : « الٓمٓ ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه » ، فأتى أخاه حيي بن أخطب فى رجال من يهود ، فقال : تعلَّموا والله ، لقد سمعت محمدا يتلو فيما أُنزل عليه : « الٓمٓ ذلك الكتاب » : فقالوا : أنت سمعته ؟ فقال : نعم ؛ فمشى حيي بن أخطب فى أولئك النفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : يا محمد ، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أُنزل إليك : « الٓمٓ ذلك الكتاب » ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَلَى ؛ قالوا : أجاءك بها جبريل من عند الله ؟ فقال : نعم ؛ قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ، ما نعلمه بين لنبى منهم ما مدة مُلكه ، وما أُكل[2] أمته غيرك ؛ فقال حيي بن أخطب ، وأقبل على من معه ، فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ؛ أفتدخلون فى دين إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، هل مع هـذا غيره ؟ قال : نعم ؛ قال : ماذا ؟ قال : « الٓمٓصٓ » . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستون ومئة سنة ، هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم « الٓر » . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مئتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومئتان ، هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : نعم « الٓمٓر » . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مئتان ، فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنة ، ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد ، حتى ما ندرى أقليلا أُعطيت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه ؛ فقال أبو ياسر لأخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الأحبار : ما يدريكم لعله قد جُمع هذا كله لمحمد ،

---

(١) القضبة : الشجرة التى امتدت أغصانها .

(٢) الأكل : الرزق .

إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومئة ، وإحدى وثلاثون ومئتان ، وإحدى وسبعون ومئتان ، فذلك سبع مئة وأربع وثلاثون سنة : فقالوا : لقد تشابه علينا أمره . فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : « منه آياتٌ محكماتٌ هن أمُّ الكتاب ، وأُخَرُ متشابهاتٌ » .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت من لا أتهم من أهـــل العلم يذكر : إن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في أهل نجران ، حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مريم عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أنه قد سمع : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في نفر من يهود ، ولم يفسر ذلك لي . فالله أعلم أي ذلك كان .

كفر اليهود بالإسلام وما نزل في ذلك : قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور ، أخو بني سَلِمة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ؛ فقال سَلام بن مِشْكم ، أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك من قولهم : « ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مُصَدِّقٌ لما معهم وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عَرَفوا كفروا به ، فلعنةُ الله على الكافرين » .

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن الصَّيْف ، حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، — وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق ، وما عهد الله إليهم فيه : والله ما عُهد إلينا في محمد عهد ، وما أُخذ له علينا من ميثاق . فأنزل الله فيه : « أَوَكلما عاهدوا عهدا نبذه فريقٌ منهم ، بل أكثَرُهُم لا يؤمنون » .

وقال أبو صلوبا الفطيوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ماجئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية فنتبعك لها . فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : « ولقد أنزلنا إليك آياتٍ بيناتٍ وما يكفُرُ بها إلا الفاسقون » .

وقال رافع بن حُرَيملة ، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، ائتنا

بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : « أم تريدون أن تسألوا رسولَكم كما سُئِل موسى من قبلُ ، ومن يتبدلِ الكفرَ بالإيمانِ فقد ضلّ سواءَ السبيلِ » .

قال ابن هشام : سواء : وسط السبيل . قال حسان بن ثابت :

يا ويحَ أنصارِ النبىِّ ورهطِه ... بعد المُغَيَّبِ فى سَواءِ المُلْحَدِ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وكان حُيَىُّ بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، من أشد يهود للعرب حسداً ، إذ خصهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانا جاهدَيْن فى رد الناس عن الإسلام بما استطاعا . فأنزل الله تعالى فيهما : « ودَّ كثيرٌ من أهــلِ الكتابِ لو يردونَكم من بعدِ إيمانِكم كفاراً حسداً من عند أنفسِهم من بعدِ ما تبينَ لهم الحقُّ ، فاعفُوا واصفحوا حتى يأتىَ اللهُ بأمرِه ، إن اللهَ على كلِّ شىءٍ قديرٌ » .

تنازع اليهود والنصارى عند الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : ولما قدم أهل نَجْران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن حُرَيْملة : ما أنتم على شىء ، وكفر بعيسى وبالإنجيل ؛ فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شىء ، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « وقالتِ اليهودُ ليستِ النصارَى على شىءٍ ، وقالت النصارى ليستِ اليهودُ على شىءٍ ، وهم يَتلون الكتابَ ، كذلك قال الذين لا يعلمون مثلَ قولِهم ، فاللهُ يحكمُ بينَهم يومَ القيامةِ فيما كانوا فيه يختلفون » ، أى كل يتلو فى كتابه تصديق ما كفر به ، أى يكفر اليهود بعيسى ، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفى الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام ، من تصديق موسى عليه السلام ، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بما فى يد صاحبه .

قال ابن إسحاق : وقال رافع بن حُرَيْملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن كنت

---

(1) الملحد القبر ، اسم مفعول من ألحد .

رسولا من الله كما تقول ، فقل لله فليكلمنا حتى نسمعَ كلامَه . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله «وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمُنا اللهُ، أو تأتينا آيةٌ كذلك قال الذين من قبلِهم مثلَ قولِهم، تشابهت قلوبُهم ، قد بينا الآياتِ لقومٍ يُوقِنون » .

وقال عبد الله بن صوريا الأعور الفِطْيَوْنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهدَى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يامحمد تهتَدِ ؛ وقالت النصارى مثل ذلك . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول عبد الله بن صوريا وما قالت النصارى : « وقالوا كونوا هُوداً أو نصارى تهتدُوا ، قل بل ملةَ إبراهيمَ حنيفا وما كان من المشركين » . ثم القصة إلى قول الله تعالى : « تلك أمةٌ قد خلت ، لها ما كسبتْ ولكم ما كسبتم ، ولا تُسئلون عما كانوا يعملون » .

ماقالته اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة : قال ابن إسحاق : ولما صُرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصُرفت فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس ، وقَرْدَم بن عمرو ، وكعب ابن الأشرف ، ورافع بن أبى رافع ، والحجاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، والربيع ابن الربيع بن أبى الحُقَيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، فقالوا : يامحمد ، ماولاَّك عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعُم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه . فأنزل الله تعالى فيهم : «سيقول السفهاءُ من الناسِ ماولَّاهم عن قبلتِهمُ التى كانوا عليها ، قل للهِ المشرقُ والمغربُ ، يهدى من يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم . وكذلك جعلناكم أمةً وسطا لتكونوا شهداءَ على الناسِ ، ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً . وما جعلنا القبلةَ التى كنتَ عليها إلا لنعلمَ من يتبعُ الرسولَ ممن ينقلبُ على عقبيه » ، أى ابتلاء واختباراً «وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هَدَى اللهُ » ، أى من الفتن : أى الذين ثبت الله «وما كان اللهُ ليُضيعَ إيمانَكم » ، أى إيمانكم بالقبلة الأولى ، وتصديقكم نبيكم ، واتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة ، وطاعتكم نبيكم فيها : أى ليعطينكم أجرهما جميعا « إن اللهَ بالناسِ لرءوفٌ رحيمٌ » .

ثم قال تعالى : « قد نَرَى تَقَلُّبَ وجهِك فى السماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قبلةً ترضاها ، فولِّ وجهَك شَطْرَ المسجدِ الحرامِ ، وحيثُ ما كنتم فولوا وجوهَكم شَطْرَه » .

قال ابن هشام : شطره : نحوه وقصده . قال عمرو بن أحمر الباهلى — وباهلة بن يعصر ابن سعد بن قيس بن عيلان — يصف ناقة له :

تغدو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهى عاقِدَةٌ   قد كاربَ العَقْدُ من إيغادِها الحَقَبا(١)

وهذا البيت فى قصيدة له.

وقال قيس بن خويلد الهُذَلى يصف ناقته :

إن النَّعوسَ بها داءٌ مُخامِرُها   فشطرَها نَظَرُ العينين محسورُ

وهذا البيت فى أبيات له.

قال ابن هشام : والنعوس : ناقته ، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير ، من قوله : وهو حسير.

« وإن الذين أُوتوا الكتابَ ليعلمون أنه الحقُّ من ربِّهم ، وما اللهُ بغافلٍ عما يعملون . ولئن أتيتَ الذين أوتوا الكتابَ بكلِّ آيةٍ ما تبعوا قبلتَك ، وما أنت بتابعٍ قبلتَهم ، وما بعضُهم بتابعٍ قبلةَ بعضٍ ، ولئن اتبعتَ أهواءَهم من بعدِ ما جاءك من العلمِ ، إنك إذاً لمن الظالمين ».

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : « ... الحقُّ من ربِّك ـ فلا تكونَنَّ من الممترين ».

كتمانهم ما فى التوراة : وسأل معاذ بن جبل ، أخو بنى سَلِمة ، وسعد بن معاذ ، أخو بنى عبد الأشهل وخارجة بن زيد ، أخو بَلْحارث بن الخزرج ، نفراً من أحبار يهود عن بعض ما فى التوراة ، فكتموهم إياه ، وأبَوْا أن يخبروهم عنه . فأنزل الله تعالى فيهم : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيناتِ والهدى من بعدِ ما بيناه للناس فى الكتابِ أولئك يلعنهمُ اللهُ ويلعنهم اللاعنون ».

جوابهم للنبى عليه السلام حين دعاهم إلى الإسلام : قال : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذرهم عذاب الله ونقمته ؛ فقال له رافع بن خارجة ، ومالك بن عوف : بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم وخيراً منا . فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهما : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزلَ اللهُ قالوا بل نتبعُ ما ألفينا عليه آباءَنا ، أو لو كان آباؤُهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ».

جمعهم فى سوق بنى قينقاع : ولما أصاب الله عز وجل قريشاً يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فى سوق بنى قينقاع ، حين قدم المدينة ، فقال : يامعشر يهود ،

(١) ناقة عاقدة : إذا جعلت ذنبها بين فخذيها فى أول حملها ، وإيغادها إشرافها ، والحقب حبل يشد به الرحل إلى بطن الناقة .

أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشا ، فقالوا له : يا محمد ، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش ، كانوا أغماراً(١) لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم « قل للذين كفروا ستُغلبون وتحشرون إلى جهنمَ وبئسَ المهاد . قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرةٌ ، يرونهم مثلَيهم رأيَ العين ، والله يؤيد بنصره من يشاءُ ، إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار » .

دخوله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس : قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المِدْراس(٢) على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ؛ فقال له النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ قال : على ملة إبراهيم ودينه ؛ قالا : فإن إبراهيم كان يهودياً ؛ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلم إلى التوراة ، فهي بيننا وبينكم ، فأبيا عليه : فأنزل الله تعالى فيهما : « ألم ترَ إلى الذين أُوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكمَ بينهم ، ثم يتولَّى فريقٌ منهم وهم مُعرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسَّنا النارُ إلا أياما معدوداتٍ ، وغرَّهم في دينهم ما كانوا يفترون » .

تنازع اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام : وقال أحبار يهود ونصارى نجران، حين اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا ، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى من أهل نجران : ما كان إبراهيم إلا نصرانيا . فأنزل الله عز وجل فيهم : « يا أهلَ الكتابِ لمَ تحاجُّون في إبراهيمَ وما أُنزلت التوراةُ والإنجيلُ إلا من بعدِه أفلا تعقلون ، ها أنتم هؤلاءِ حاججتم فيما لكم به علمٌ ، فلمَ تُحاجُّون فيما ليس لكم به علم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ما كان إبراهيمُ يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مُسلما ، وما كان من المشركين : إن أوْلَى الناسِ بإبراهيمَ للذين اتبعوه ، وهذا النبيُّ والذين آمنوا والله وليُّ المؤمنين» .

ما نزل في إيمانهم غُدوة وكفرهم عشيا : وقال عبد الله بن صيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالَوْا نؤمن بما أُنزل على محمد وأصحابه غُدوة ، ونكفر به عشية ، حتى نَلْبِس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ، ويرجعون عن دينه . فأنزل الله

---

(١) الأغمار : السذج الذين لم يجربوا الأمور .

(٢) المدراس : البيت الذى يدرس فيه اليهود كتابهم والمدراس أيضا من يدرس لهم .

تعالى فيهم : « يأهلَ الكتابِ لم تلبسون الحقَّ بالباطلِ ، وتكتمون الحقَّ وأنتم تعلمون . وقالت طائفةٌ من أهلِ الكتابِ آمِنوا بالذى أُنزل على الذين آمنوا وجهَ النهارِ واكفروا آخرَه لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا إلا لمن تَبِع دينَكم ، قل إن الهدَى هدَى اللهِ أن يُؤتَى أحدٌ مثلَ ما أُوتيتم أو يحاجوكم عند ربِّكم ، قل إن الفضلَ بيدِ اللهِ يؤتيه من يشاءُ ، واللهُ واسعٌ عليمٌ » .

ما نزل فى قول أبى رافع أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى : وقال أبو رافع القرظى ، حين اجتمعت الأحبار من يهود ، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ وقال رجل من أهل نجران نصرانى ، يقال له : الرِّبِّيس ، ويروى : الريس والرئيس : أوَ ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذَ اللهِ أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثنى الله ، ولا أمرنى ، أو كما قال . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : « ما كان لبشرٍ أن يُؤتيَه اللهُ الكتابَ والحُكمَ والنبوةَ ثم يقولَ للناسِ كونوا عباداً لى من دونِ اللهِ ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تُعلمونَ الكتابَ ، وبما كنتم تدرسون » ... إلى قوله تعالى : « بعدَ إذ أنتم مسلمون » .

قال ابن هشام : الربانيون : العلماء الفقهاء السادة ؛ واحدهم : ربانى .

قال الشاعر :

لو كنتُ مرتهنًا فى القوسِ أفتنَنى ... منها الكلامُ وربَّانىُّ أحبارِ

قال ابن هشام : القوس : صومعة الراهب . وأفتننى ، لغة تميم . وفتننى ، لغة قيس .

قال جرير :

لا وَصْلَ إذ صَرَمت هندٌ ولو وقفتْ ... لاستنزلتنى وذا المِسْحين فى القُوسِ

أى صومعة الراهب . والربانى : مشتق من الرب ، وهو السيد . وفى كتاب الله : « فيسقى ربَّه خمرًا » ، أى سيده .

قال ابن إسحاق : « ولا يأمرَكم أن تتخذوا الملائكةَ والنبيين أربابًا أيأمرُكم بالكفرِ بعدَ إذ أنتم مسلمون » .

مانزل فى أخذ الميثاق عليهم : قال ابن إسحاق : ثم ذكر ما أخذ الله عليهم ، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذ هو جاءهم ، وإقرارهم ، فقال : «وإذ أخذ اللهُ ميثاقَ النبيين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمةٍ ، ثم جاءكم رسولٌ مصدِّق لما معكم لتُؤمِنُن به ولتنصُرُنَّه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصْرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين» إلى آخر القصة .

سعيهم فى الوقيعة بين الأنصار : قال ابن إسحاق : ومر شاس بن قيس ، وكان شيخًا قد عسَا [1] ، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج ، فى مجلس قد جمعهم ، يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من أُلفتهم وجماعتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية . فقال : قد اجتمع ملأ بنى قَيْلة بهذه البلاد ، لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار . فأمر فتى شابا من يهود كان معهم ، فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بُعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار .

يوم بعاث : وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذ حُضَير بن سِماك الأشهلى ، أبو أُسَيْد بن حضير ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضى ، فقُتلا جميعا .

قال ابن هشام : قال أبو قيس بن الأسلت :

على أن قد فُجِعتُ بذى حِفاظٍ فعاودنى له حزنٌ رصينُ [2]
فإما تقتــلوه فإنّ عمراً أعضّ برأسه عَضْبٌ سَنِينُ [3]

وهذان البيتان فى قصيدة له . وحديث يوم بعاث أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القطع [4] .

قال ابن هشام : سنين : مسنون ، من سَنَّه ، إذا شحذه .

---

(١) عسا الشيخ : كبر .

(٢) الحفاظ : شدة الغضب : والرصين : الثابت .

(٣) العضب : السيف القاطع .

(٤) يقصد القطع لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : ففعل . فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الرُّكَب ، أوس بن قَيْظى ، أحد بنى حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجبار ابن صخر ، أحد بنى سلمة من الخزرج ، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جَذَعَة فغضب الفريقان جميعا ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة — والظاهرة : الحَرّة — السلاح السلاح . فخرجوا إليها . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم ؟ فعرف القوم أنها نزغة[1] من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس . فأنزل الله تعالى فى شأس بن قيس وما صنع : « قل يا أهلَ الكتابِ لم تكفرونَ بآياتِ اللهِ ، واللهُ شهيدٌ على ما تعملون . قل يا أهلَ الكتابِ لم تصدون عن سبيلِ اللهِ من آمن تبغونَها عِوَجاً وأنتم شهداءُ ، وما اللهُ بغافلٍ عما تعملون » .

وأنزل الله فى أوس بن قَيْظى وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية : « يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتابَ يردوكم بعدَ إيمانِكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تُتلَى عليكم آياتُ اللهِ وفيكم رسولُه ، ومن يعتصمْ باللهِ فقد هُدِىَ إلى صراطٍ مستقيم . يأيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ حقَّ تُقاتِه ، ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون » . . . إلى قوله تعالى : « وأولئك لهم عذابٌ عظيم » .

ما نزل فى قولهم : ما اتبع محمدا إلا شرارنا : قال ابن إسحاق : ولما أسلم عبد الله بن سَلاَم ، وثعلبة بن سَعْيَة ، وأُسَيد بن سعية ، وأسد بن عُبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فآمنوا وصدقوا ورغبوا فى الإسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أحبار يهود ، أهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « ليسوا سواءً من أهلِ الكتابِ أمةٌ قائمةٌ يتلون آياتِ اللهِ آناءَ الليلِ وهم يسجدون » .

---

(١) نزغ الشيطان بينهم : أفسد وأغرى .

قال ابن هشام : آناء الليل : ساعات الليل : وواحدها : إِنْىٌ . قال المتنخّل الهذلى ، واسمه مالك بن عُوَيمر ؛ يرثى أُثَيلة ابنه :

حُلْوٌ ومُرٌّ كعطفِ القِدْحِ شيمتُه   فى كل إِنْىٍ قضاه الليلُ ينتعِلُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال لبيد بن ربيعة ، يصف حمار وحش :

يُطرّب آناءَ النهارِ كأنه   غَوِىٌّ سقاه فى التّجارِ نديمُ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إِنًى مقصور ، فيما أخبرنى يونس .

« يؤمنون باللهِ واليوم الآخرِ ، ويأمرون بالمعروفِ ، وينهَوْن عن المنكرِ ، ويسارعونَ فى الخيراتِ ، وأولئك من الصالحين » .

ما نزل فى نهى المسلمين عن مباطنة اليهود : قال ابن إسحاق : وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحِلف ، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مباطنتهم : « يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانةً من دونِكم ، لايألونكم خَبالا ودُّوا ماعَنِتّم ، قد بدتِ البغضاءُ من أفواهِهم وما تُخفى صدورُهم أكبرُ ، قد بينا لكم الآياتِ إن كنتم تعقلون . هاأنتم أولاء تحبونهم ولايحبونكم ، وتؤمنون بالكتابِ كلّه » ، أى تؤمنون بكتابكم ، وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم « وإذا لقوكم قالوا آمنَّا ، وإذا خَلَوْا عضوا عليكم الأناملَ من الغيظِ ، قل موتوا بغيظِكم » إلى آخر القصة .

دخول أبى بكر بيت المدراس : ودخل أبو بكر الصديق بيتَ المِدْراس على يهود ، فوجد منهم ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم ، يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حَبر من أحبارهم ، يقال له : أَشْيَع ؛ فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك يا فنحاص ! اتق الله وأسلم ، فو الله إنك لتعلم أن محمدا لرسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص لأبى بكر : والله يا أبا بكر ، مابنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغنى ، ولو

---

(١) الغوى : المفسد . والتجار : بائعو الخمر . والمفرد تاجر .

كان عنا غنياً ما استقرضنا أموالنا ، كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا . قال : فغضب أبو بكر ، فضرب وجه فنحاص ضربا شديداً ، وقال : والذى نفسى بيده ، لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت رأسك ، أى عدو الله . قال : فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، انظر ما صنع بى صاحبك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : ما حملك على ماصنعت ؟ فقال أبو بكر : يارسول الله ، إن عدو الله قال قولا عظيما : إنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال ، وضربت وجهه . فجحد ذلك فنحاص ، وقال : ما قلت ذلك . فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقا لأبى بكر : « لقد سمع اللهُ قولَ الذين قالوا إن اللهَ فقيرٌ ونحنُ أغنياءُ ، سنكتب ماقالوا وقتلَهم الأنبياءَ بغيرِ حقٍّ ، ونقول ذوقوا عذابَ الحريقِ » .

ونزل فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وما بلغه فى ذلك من الغضب : « ولتسمعُنَّ من الذين أوتوا الكتابَ من قبلِكم ومن الذين أشركوا أذًى كثيراً . وإن تصبروا وتتقُوا فإن ذلك من عزمِ الأمورِ » .

ثم قال فيما قال فنحاص والأحبار معه من يهود « وإذ أخذ اللهُ ميثاقَ الذين أوتوا الكتابَ لتُبيّنُنه للناسِ ولا تكتمونَه ، فنبذوه وراءَ ظهورِهم ، واشتروا به ثمنا قليلا ، فبئس مايشترون . لاتحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنَّهم بمفازةٍ من العذابِ ولهم عذابٌ أليم » يعنى فنحاص ، وأشيع وأشباههما من الأحبار ، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على مازينوا للناس من الضلالة ، ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا : أن يقول الناس : علماء ، وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هدى ولا حق ، ويحبون أن يقول الناس : قد فعلوا .

أمر اليهود المؤمنين بالبخل : قال ابن إسحاق : وكان كَرْدم بن قيس ، حليف كعب بن الأشرف ، وأسامة بن حبيب ، ونافع بن أبى نافع ، وبَحْرى بن عمرو ، وحُيَى بن أخطب ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، يأتون رجالا من الأنصار كانوا يخالطونهم ، ينتصحون لهم ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون لهم : لاتنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر فى ذهابها ، ولا تسارعوا فى النفقة فإنكم لاتدرون علام يكون . فأنزل الله فيهم : « الذين يبخلون ويأمرون الناسَ بالبخلِ ويكتمون ما آتاهم اللهُ من فضلِه » ، أى من التوراة ، التى فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم « وأعتدنا للكافرينَ عذابا مُهِينا . والذين يُنفقون أموالَهم رِئاءَ الناسِ ، ولا يؤمنون باللهِ ولا باليومِ الآخــرِ » ... إلى قوله : « وكان اللهُ بهم عليما » .

اليهود — لعنهم الله — يجحدون الحق : قال ابن إسحاق : وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود ، إذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه ، وقال : أرعنا سمعك يا محمد ، حتى نفهمك ، ثم طعن في الإسلام وعابه . فأنزل الله فيه : « ألم تر إلى الذين أُوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالةَ ويريدون أن تضلوا السبيلَ واللهُ أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا ، وكفى بالله نصيراً . من الذين هادوا يحرفونَ الكلمَ عن مواضعِهِ ، ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غيرَ مُسمعٍ ، وراعِنا » ، (أي راعنا سمعك) « ليّاً بألسنتهم ، وطعنا في الدين ، ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظُرنا ، لكان خيراً لهم وأقوم ، ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا » .

وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود ، منهم : عبد الله بن صوريا الأعور ، وكعب بن أسد ، فقال لهم : يامعشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أن الذى جئتكم به لحق ؛ قالوا : ما نعرف ذلك يا محمد : فجحدوا ماعرفوا ، وأصروا على الكفر فأنزل الله تعالى فيهم « يأيها الذين أوتُوا الكتابَ آمنوا بما نزلنا مصدِّقا لما معكم من قبلِ أن نطمِسَ وجوها فنردها على أدبارِها أو نلعنَهم كما لعنَّا أصحابَ السبتِ ، وكان أمرُ الله مفعولا » .

قال ابن هشام : نطمس : نمسحها فنسويها ، فلا يُرى فيها عين ولا أنف ولا فم ، ولا شيء مما يرى في الوجه ؛ وكذلك « فطمسنا أعينهم » . المطموس العين : الذى ليس بين جفنيه شق . ويقال : طمست الكتاب والأثر ، فلا يرى منه شيء . قال الأخطل ، واسمه الغوث[1] بن هُبَيْرة بن الصلت التغلبي ، يصف إبلا كلَّفها ماذكر :

وتـكليفُناها كلَّ طامسةِ الصُّوَى   شَطُونٍ ترَى حِرباءَها يتململُ[2]

وهذا البيت في قصيدة له :

قال ابن هشام : واحـــدة الصُّوَى : صُوَّة . والصوى : الأعلام التي يستدل بها على الطرق والمياه .

قال ابن هشام : يقول : مسحت فاستوت بالأرض ، فليس فيها شيء ناتيء .

---

(١) المشهور أن اسمه غياث بن غوث بن الصلت ويكنى أبا مالك .

(٢) الشطون : البعيد ، والحرباء دويبة صغيرة تتلون في الشمس ألوانا لها أربع قوائم جبهتها حرابى .

من حزبوا الأحزاب : قال ابن إسحاق وكان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبنى قريظة : حيى بن أخطب ، وسلام بن أبى الحقيق ، أبو رافع ، والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق ، وأبو عمار ، ووحوح بن عامر ، وهوذة بن قيس . فأما وحوح ، وأبو عمار ، وهوذة فمن بنى وائل ، وكان سائرهم من بنى النضير . فلما قدموا على قريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود ، وأهل العلم بالكتاب الأول ، فسلوهم ، أدينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم ، فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه . فأنزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » .

قال ابن هشام : الجبت عند العرب : ما عُبد من دون الله تبارك وتعالى : والطاغوت : كل ما أضل عن الحق . وجمع الجبت : جبوت ؛ وجمع الطاغوت طواغيت .

قال ابن هشام : وبلغنا عن ابن أبى نجيح أنه قال : الجبت : السحر ؛ والطاغوت : الشيطان .

« ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » .

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة ، وآتيناهم ملكا عظيما » .

إنكار اليهود التنزيل : قال ابن إسحاق : وقال سُكَيْن وعدى بن زيد : يا محمد ، ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شىء بعد موسى . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبوراً . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبلُ ، ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً » .

ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ، فقال لهم : أما والله إنكم لتعلمون أنى رسول من الله إليكم ؛ قالوا : ما نعلمه ، وما نشهد عليه . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم . « لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيداً » .

ائتمارهم على طرح الصخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعينهم فى دية العامريين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمرى ،

فلما خلا بعضهم ببعض قالوا : لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن ، فمن رجل يظهر على هذا البيت ، فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب : أنا ؛ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه ، وفيما أراد هو وقومه : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ همَّ قومٌ أن يبسُطوا إليكم أيديَهم ، فكفَّ أيديَهم عنكم ، واتقوا الله وعلى الله فليتوكلِ المؤمنون » .

ادعاؤهم أنهم أحباء الله : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء ، وبحرى ابن عمرو ، وشأس بن عدى ، فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الله ، وحذرهم نقمته ؛ فقالوا : ما تخوِّفنا يا محمد ، نحن والله أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصارى . فأنزل الله تعالى فيهم : « وقالت اليهودُ والنصارى نحن أبناءُ اللهِ وأحبَاؤُه ، قل فلِمَ يعذبُكم بذنوبِكم بل أنتم بشرٌ ممن خلق يغفرُ لمن يشاء ويعذبُ من يشاء ، ولله ملكُ السمواتِ والأرضِ وما بينهما وإليه المصير » .

إنكارهم نزول كتاب بعد موسى : قال ابن إسحاق : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذرهم غِيَر الله وعقوبته ، فأبوا عليه ، وكفروا بما جاءهم به ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب : يامعشر يهود ، اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته ؛ فقال رافع بن حُرَيْملة ، ووهب بن يهوذا : ماقلنا لكم هذا قط ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : « يأهلَ الكتابِ قد جاءكم رسولُنا يبين لكم على فترةٍ من الرسلِ أن تقولوا ماجاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ فقد جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ والله على كلِّ شيءٍ قدير » .

ثم قص عليهم خبر موسى وما لقى منهم ، وانتقاضهم عليه ، وما ردوا عليه من أمر الله حتى تاهوا فى الأرض أربعين سنة عقوبة .

رجوعهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فى حكم الرجم ؟ قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى أنه سمع رجلا من مُزَيْنة ، من أهل العلم ، يحدث سعيد بن المسيَّب ، أن أبا هريرة حدثهم : أن أحبار يهود اجتمعوا فى بيت المِدْراس ، حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد زنى رجل منهم بعد إحصانه بامرأة من يهود قد أحصنت ، فقالوا : ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد ، فسلوه كيف الحكم فيهما ، وولوه الحكم عليهما ، فإن عمل فيهما بعملكم من التجبية ـ والتجبية : الجلد بحبل من ليف مطلى بقار ، ثم تسود

وجوههما ثم يحملان على حمارين وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين ـ فاتبعوه، فإنما هو ملك، وصدقوه: وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبي، فاحذروه على ما في أيديكم أن يَسْلُبَكموه . فأتوه، فقالوا: يا محمد، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت، فاحكم فيهما، فقد وليناك الحكم فيهما . فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم في بيت المدراس فقال يا معشر يهود أخرجوا إليّ علماءكم، فأخرج له عبد الله بن صُورِيَا .

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض بني قريظة: أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ، مع ابن صوريا، أبا ياسر بن أخطب، ووهب بن يهوذا؛ فقالوا: هؤلاء علماؤنا. فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حصَّل أمرهم، إلى أن قالوا لعبد الله بن صوريا: هذا أعلم من بقي بالتوراة .

قال ابن هشام: من قوله: «وحدثني بعض بني قريظة» ـ إلى «أعلم من بقي بالتوراة» من قول ابن إسحاق، وما بعده من الحديث الذي قبله .

فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا، فألظَّ به[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة، يقول له: يا ابن صوريا، أنشُدُك الله وأذكِّرك بأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟ قال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك لنبي مرسل ولكنهم يحسدونك . قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بهما فرجما عند باب مسجده في بني غَنْم بن مالك بن النجار . ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا، وجحد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق: فأنزل الله تعالى فيهم: «يا أيها الرسولُ لا يحزُنْك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبُهم ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتُوك»، أي الذين بعثوا منهم من بعثوا وتخلفوا، وأمروهم به من تحريف الحكم عن مواضعه، ثم قال: «يحرفون الكَلِمَ من بعدِ مواضعه، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه، وإن لم تُؤتَوْه»، أي الرجم «فاحذروا»، إلى آخر القصة .

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة عن إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن عباس، قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما، فرجما بباب مسجده، فلما وجد اليهودي مس الحجارة قام إلى صاحبته فجنأ عليها[2]، يقيها مس الحجارة، حتى قُتلا جميعا،

(١) ألظ به: ألح عليه . (٢) جنأ: انحنى .

قال : وكان ذلك مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى تحقيق الزنا منهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كَيْسان ، عن نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله ابن عمر ، قال : لما حكّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما ، دعاهم بالتوراة ، وجلس حَبر منهم يتلوها ، وقد وضع يده على آية الرجم ، قال : فضرب عبد الله بن سَلاّم يد الحَبر ثم قال : هذه يانبى الله آية الرجم ، يأبى أن يتلوها عليك ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحكم يامعشر يهود ! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم ؟ قال : فقالوا : أما والله إنه قد كان فينا يُعمل به ، حتى زنا رجل منا بعد إحصانه ، من بيوت الملوك وأهل الشرف ، فمنعه الملك من الرجم ، ثم زنا رجل بعده ، فأراد أن يرجمه ، فقالوا : لا والله ، حتى ترجم فلانا ، فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجبية ، وأماتوا ذكر الرجم والعمل به . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به ، ثم أمر بهما فرُجما عند باب مسجده . وقال عبد الله بن عمر فكنت فيمن رجمهما .

ظلمهم فى الدية : قال ابن إسحاق : وحدثنى داود بن الحُصَين عن عِكرمة ، عن ابن عباس : أن الآيات من المائدة التى قال الله فيها : « فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا . وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين » إنما أنزلت فى الدية بين بنى النضير وبين بنى قريظة ، وذلك أن قتلى بنى النضير ، وكان لهم شرف ، يُودَوْن الدية كاملة ، وأن بنى قريظة كانوا يُودَوْن نصف الدية ، فتحاكموا فى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله ذلك فيهم ، فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق فى ذلك ، فجعل الدية سواء .

قال ابن إسحاق : فالله أعلم أى ذلك كان .

رغبتهم فى فتنة الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : وقال كعب بن أسد ، وابن صوريا ، وعبد الله بن صوريا ، وشأس بن قيس ، بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نفتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتوه ، فقالوا له : يا محمد ، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعتك يهود ، ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، أفنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدقك ، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم . فأنزل الله فيهم : « وأن احكم بينهم بما أنزل اللهُ ، ولا تتبعْ أهواءَهم ، واحذرْهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل اللهُ إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريدُ اللهُ أن يصيبَهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسنُ من الله حكما لقوم يوقنون » ؟

إنكارهم نبوة عيسى عليه السلام : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر منهم : أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبي عازر ، وخالد ، وزيد ، وإزار بن أبي إزار ، وأشيع . فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نؤمن بالله وما أُنزل إلينا ، وما أُنزل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباط ، وما أُوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرقُ بين أحدٍ منهم . ونحن له مسلمون » . فلما ذكر عيسى ابن مريم جحدوا نبوته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى ابن مريم ولا بمن آمن به . فأنزل الله تعالى فيهم : « قل يا أهلَ الكتابِ هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل من قبلُ ، وأن أكثركم فاسقون » .

ادعاؤهم أنهم على الحق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة ، وسلام بن مشكم ، ومالك بن الصيف ، ورافع بن حُرَيملة ، فقالوا : يا محمد ، ألست تزعُم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عندنا من التوراة : وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها ، وكتمتم منها ما أُمرتم أن تبينوه للناس ، فبرئتُ من إحداثكم ؛ قالوا : فإنا نأخذ بما في أيدينا ، فإنا على الهدى والحق ، ولا نؤمن بك ، ولا نتبعك . فأنزل الله تعالى فيهم : « قل يا أهلَ الكتابِ لستم على شيء حتى تقيموا التوراةَ والإنجيلَ ، وما أُنزل إليكم من ربكم ، وليزيدن كثيراً منهم ما أُنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ، فلا تأسَ على القوم الكافرين » .

إشراكهم بالله : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم النحام بن زيد ، وقَرْدَم بن كعب ، وبحرى بن عمرو ، فقالوا له : يا محمد ، أما تعلم مع الله إلهاً غيره ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله لا إله إلا هو ، بذلك بُعثت ، وإلى ذلك أدعو . فأنزل الله فيهم وفي قولهم : « قل أيُّ شيءٍ أكبرُ شهادةً ، قلِ اللهُ شهيدٌ بيني وبينكم ، وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لأنذركم به ومن بلغ ، أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهةً أخرى ، قل لا أشهد ، قل إنما هو إلهٌ واحد ، وإنني بريء مما تُشركون ، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، الذين خسِروا أنفسَهم فهم لا يؤمنون » .

نهي الله المؤمنين عن موادتهم : وكان رفاعة بن زيد بن التابوت ، وسُوَيد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما . فأنزل الله تعالى فيهما : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا دينكم هُزُواً ولعباً من الذين أوتوا الكتابَ من قبلكم والكفارَ أولياءَ ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » . . . إلى قوله : « وإذا جاءوكم قالوا آمنا ، وقد دخلوا بالكفرِ وهم قد خرجوا به ، والله أعلم بما كانوا يكتمون » .

سؤالهم عن قيام الساعة : وقال جبل بن أبي قشير ، وشمويل بن زيد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، أخبرنا ، متى تقوم الساعة إن كنت نبيا كما تقول ؟ فأنزل الله تعالى فيهما : « يسألونكَ عن الساعةِ أيانَ مُرساها ، قل إنما علمُها عند ربي ، لا يُجليها لوقتها إلا هُوَ ، ثقُلت في السمواتِ والأرضِ لا تأتيكم إلا بغتةً ، يسألونك كأنك حَفِيٌّ عنها ، قل إنما علمُها عندَ الله ، ولكن أكثرَ الناسِ لا يعلمون » .

قال ابن هشام : أيان مرساها : متى مرساها قال . قيس بن الحدادية الخزاعى :

فجئت ومُخفَى السرِّ بيني وبينَها ... لأسألَها أيانَ من سارَ راجعُ ؟

وهذا البيت في قصيدة له . ومرساها : منتهاها ، وجمعه : مَراس . وقال الكُميت ابن زيد الأسدى :

والمصيبين بابَ ما أخطأَ النـا ... سُ ومُرْسَى قواعـدِ الإسلامِ

وهذا البيت في قصيدة له . ومُرْسَى السفينة : حيث تنتهى . وحَفِيٌّ عنها — على التقديم والتأخير — يقول : يسألونك عنها كأنك حفى بهم تخبرهم بما لا تخبر به غيرهم . والحفى : البَرُّ المتعهد . وفي كتاب الله : « إنه كان بي حفيا » . وجمعه : أحفياء . وقال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

فإن تسألي عنى فيارُبَّ سائلٍ ... حَفِيٍّ عن الأعشى به حيث أصْعدا[١]

وهذا البيت في قصيدة له . والحفى أيضا : المستحفى عن علم الشيء ، المبالغ في طلبه .

ادعاؤهم أن عزيرا بن الله : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام ابن مشكم ، ونعمان بن أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، وشأس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، فقالوا له : كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ، وأنت لا تزعم أن عزيرا بن الله ؟ فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : « وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون » إلى آخر القصة .

قال ابن هشام : يضاهون : أى يشاكل قولهم قول الذين كفروا ، نحو أن تحدث بحديث ، فيحدث آخر بمثله ، فهو يضاهيك .

---

(١) أصعد : سار في البلاد .

طلبهم كتابا من السماء : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود ابن سَيحان ، ونُعمان بن أضاء ، وبحرى بن عمرو ، وعُزَير بن أبي عُزَير ، وسَلام بن مِشْكم ، فقالوا : أحق يا محمد أن هذا الذى جئت به لحق من عند الله ، فإنا لا نراه متسقا كما تتسق التوراة ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به ؛ فقالوا عند ذلك ، وهم جميع : فِنْحاص ، وعبد الله بن صوريا ، وابن صَلُوبا ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق، وأشيع ، وكعب بن أسد ، وشَمْويل بن زيد ، وجبل بن عُمَينة : يا محمد ، أما يعلمك هذا إنس ولا جن ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله : تجدون ذلك مكتوبا عندكم فى التوراة ؛ فقالوا : يا محمد ، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ويقدره منه على ما أراد ، فأنزلْ علينا كتابا من السماء نقرؤه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتى به . فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا : « قل لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتون بمثلِه ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيراً » .

قال ابن هشام : الظهير : العَوْن . ومنه قول العرب : تظاهروا عليه ، أي تعاونوا عليه . قال الشاعر :

يا سَمِىَّ النبىِّ أصبحتَ للديـــنِ قِواما وللإمامِ ظَهيرا

أى عونا ؛ وجمعه : ظُهَراء .

سؤالهم له صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين : قال ابن إسحاق : وقال حُيَي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، وأبو رافع ، وأشْيَع ، وشَمْويل بن زيد ، لعبد الله بن سَلَام حين أسلم : ما تكون النبوة فى العرب ولكن صاحبك ملك . ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذى القرنين فقص عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه ، مما كان قص على قريش ، وهم كانوا ممن أمر قريشا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، حين بعثوا إليهم النَّضر ابن الحارث ، وعقبة بن أبي مُعَيط .

تهجمهم على ذات الله : قال ابن إسحاق : وحُدثت عن سعيد بن جُبَير أنه قال : أتى رهط من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ، ثم ساورهم غضبا لربه . قال : فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه ، فقال : خفض عليك يا محمد ، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه : « قل هو اللهُ أحدٌ اللهُ الصمدُ . لم يلدْ ولم يُولدْ . ولم يكنْ له كفواً أحدٌ » .

قال: فلما تلاها عليهم، قالوا: فصف لنا يا محمد كيف خلقه؟ كيف ذراعه؟ كيف عضده؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول، وساورهم. فأتاه جبريل عليه السلام، فقال له مثل ما قال له أول مرة، وجاءه من الله تعالى بجواب ما سألوه. يقول الله تعالى: «وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون».

قال ابن إسحاق: وحدثني عتبة بن مسلم، مولى بني تيم، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: «قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد. ثم ليتفل الرجل عن يساره ثلاثا، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم».

قال ابن هشام: الصمد: الذي يصمد إليه، ويفزع إليه. قالت هند بنت معبد بن نضلة تبكي عمرو بن مسعود، وخالد بن نضلة، عميها الأسديين، وهما اللذان قتل النعمان بن المنذر اللخمي وبنى الغريين[1] اللذين بالكوفة عليهما:

ألا بكر الناعي بخيري بني أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

معنى العاقب والسيد والأسقف: قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران، ستون راكبا، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، وفي الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يئول أمرهم: العاقب، أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح؛ والسيد، لهم ثمالهم[2] وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل، أسقفهم وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدراسهم.

---

(١) الغريان المشهوران بالكوفة وهما بناءان طويلان يقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جذيمة الأبرش وسميا الغريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله يوم بؤسه — لسان العرب ج ١٩ ص ٣٥٨.

(٢) ثمال القوم: من يرجعون إليه ويقوم بأمرهم.

وكان أبو حارثة قد شَرُف فيهم ، ودرس كتبهم ، حتى حسن علمه فى دينهم ، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه وموّلوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم .

إسلام كوز بن علقمة : فلما رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له مُوَجِّها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى جنبه أخ له ، يقال له : كوز بن علْقمة — قال ابن هشام : ويقال : كرز — فعثرت بغلة أبى حارثة ، فقال كوز : تعِس الأبعد : يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له أبو حارثة : بل وأنت تعِست ! فقال : ولِمَ يا أخى؟ قال : والله إنه للنبى الذى كنا ننتظر ، فقال له كوز : ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا وموّلونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلتُ نزعوا منا كل ما ترى . فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة ، حتى أسلم بعد ذلك . فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغنى .

رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس : قال ابن هشام : وبلغنى أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم . فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره ، ختم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التى كانت قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يمشى فعثر ، فقال له ابنه : تعس الأبعدُ يريد النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له أبوه : لا تفعل ، فإنه نبى ، واسمه فى الوضائع ، يعنى الكتب . فلما مات لم تكن لابنه همة إلا أن شد فكسر الخواتم ، فوجد فيها ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلم فحسن إسلامه . وحجّ ، وهو الذى يقول :

إليكَ تعدو قَلِقا وضِينُها ... مُعترضا فى بطنِها جنينُها

مخالفا دينَ النصارى دينُها

قال ابن هشام : الوضين : الحزام ، حزام الناقة . وقال هشام بن عروة : وزاد فيه أهل العراق :

معترضا فى بطنها جنينُها

فأما أبو عبيدة فأنشدناه فيه .

صلاتهم إلى جهة المشرق: قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحِبَرات(١) ، جُبَب وأردية ، فى جمال رجال بنى الحارث بن كعب . قال : يقول

(١) برود من اليمن .

بعض من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ : ما رأينا وفداً مثلهم ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم ؛ فصلوا إلى المشرق .

أسماؤهم ومعتقداتهم : قال ابن إسحاق : فكانت تسمية الأربعة عشر ، الذين يئول إليهم أمرهم . العاقب ، وهو عبد المسيح ؛ والسيد وهو الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل ، وأوس ؛ والحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونُبَيه ، وخُوَيلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبد الله ، ويُحَنَّس ، في ستين راكبا . فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والأيهم السيد — وهم من النصرانية على دين الملك ، مع اختلاف من أمرهم ، يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله . ويقولون : هو ثالث ثلاثة . وكذلك قول النصرانية .

فهم يحتجون في قولهم : «هو الله» بأنه كان يحيي الموتى ، ويبرىء الأسقام ، ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى : « ولنجعله آية للناس » .

ويحتجون في قولهم : إنه ولد الله بأنهم يقولون : لم يكن له أب يُعلم ، وقد تكلم في المهد وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله .

ويحتجون في قولهم : « إنه ثالث ثلاثة » بقول الله : فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلت ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ؛ ولكنه هو وعيسى ومريم . ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن — فلما كلمه الحبران ، قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسلما ؛ قالا : قد أسلمنا ؛ قال : إنكما لم تُسْلما فأسلما ، قالا : بلى ، قد أسلمنا قبلك : قال : كذبتما ، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتكما الصليب ، وأكلكما الخنزير ؛ قالا . فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهما .

ما نزل فيهم من القرآن : فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، فقال جل وعز : « الٓمٓ اللهُ لا إلهَ إلا هو الحيُّ القيومُ » . فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا ، وتوحيده إياها بالخلق والأمر ، لا شريك له فيه ، رداً عليهم ما ابتدعوا من الكفر ، وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجا بقولهم عليهم في صاحبهم ، ليعرفهم بذلك ضلالتهم : فقال : « الٓمٓ الله لا إله إلا هو » ليس معه غيره شريك

فى أمره «الحىُّ القيومُ» الحى الذى لا يموت، وقد مات عيسى وصلب فى قولهم. والقيوم: القائم على مكانه من سلطانه فى خلقه لا يزول، وقد زال عيسى فى قولهم عن مكانه الذى كان به، وذهب عنه إلى غيره. «نزَّل عليك الكتابَ بالحقِّ»، أى بالصدق فيما اختلفوا فيه «وأنزل التوراةَ والإنجيلَ»: التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، كما أنزل الكتب على من كان قبله «وأنزل الفرقانَ»، أى الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره. «إن الذين كفروا بآياتِ الله، لهم عذابٌ شديدٌ، والله عزيزٌ ذو انتقام»، أى أن الله منتقم ممن كفر بآياته، بعد علمه بها، ومعرفته بما جاء منه فيها. «إن الله لا يخفى عليه شيءٌ فى الأرضِ ولا فى السماءِ»، أى قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم فى عيسى، إذ جعلوه إلها وربا، وعندهم من علمه غير ذلك، غِرّةً بالله، وكفراً به. «هو الذى يصوِّركم فى الأرحامِ كيف يشاءُ»، أى قد كان عيسى ممن صُوِّر فى الأرحام، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صور غيره من ولد آدم، فكيف يكون إلها وقد كان بذلك المنزل، ثم قال تعالى إنزاها لنفسه، وتوحيدا لها مما جعلوا معه: «لا إلهَ إلا هو العزيزُ الحكيمُ»، العزيز فى انتصاره ممن كفر به إذا شاء، الحكيم فى حجته وعذره إلى عباده. «هوَ الذى أنزلَ عليكَ الكتابَ منه آياتٌ محكَماتٌ هن أمُّ الكتابِ» فيهن حجة الرب، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه «وأُخَرُ متشابهاتٌ»، لهن تصريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد، كما ابتلاهم فى الحلال والحرام، ألا يصرفن إلى الباطل، ولا يحرفن عن الحق. يقول عز وجل: «فأما الذينَ فى قلوبِهم زَيْغٌ»، أى مَيل عن الهدى «فيتبعونَ ما تشابه منه»، أى ما تصرف منه، ليُصدِّقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا، لتكون لهم حجة، ولهم على ما قالوا شبهة «ابتغاءَ الفتنةِ»، أى اللبس «وابتغاءَ تأويلِه». ذلك على ماركبوا من الضلالة فى قولهم: خَلَقْنا وقضينا. يقول: «وما يعلمُ تأويلَه»، أى الذى به أرادوا ما أرادوا «إلا اللهُ والراسخون فى العلمِ يقولون آمنا به كلٌّ من عندِ ربِّنا»، فكيف يختلف وهو قول واحد، من رب واحد. ثم ردوا تأويل المتشابه على ماعرفوا من تأويل المحكَمة التى لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، واتسق بقولهم الكتاب، وصدَّق بعضه بعضاً، فنفذت به الحجة، وظهر به العذر، وزاح به الباطل، ودُمغ به الكفر. يقول الله تعالى فى مثل هـــذا: «وما يذَّكرُ فى مثل هذا إلا أولوا الألبابِ. ربَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعدَ إذ هديتنا»: أى لا تُمِل قلوبنا، وإن ملنا بأحداثنا. «وهَبْ لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهابُ». ثم قال: «شَهِدَ اللهُ أنه لا إلهَ إلا هوَ والملائكةُ وأولوا العلمِ» بخلاف ما قالوا «قائما بالقسطِ»، أى بالعدل فيما يريد «لا إلهَ إلا هو العزيزُ الحكيمُ. إنَّ الدينَ عندَ اللهِ الإسلامُ»، أى ما أنت عليه يا محمد: التوحيد للرب، والتصديق

الرسل . « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلمُ » ، أى الذى جاءك ، أى أن الله الواحد الذى ليس له شريك « بَغْياً بينهم ، ومن يكفرْ بآياتِ الله فإن الله سريعُ الحساب . فإن حاجُّوك » ، أى بما يأتون به من الباطل من قولهم : خلقْنا وفعلنا وأمرنا ، فإنما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق « فقل أسلمتُ وجهِىَ للهِ » ، أى وحده « ومن اتبعَنِ » وقل للذين أُوتوا الكتاب والأميين » الذين لا كتاب لهم « أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدَوْا » وإن تولَّوْا فإنما عليك البلاغُ ، واللهُ بصيرٌ بالعبادِ .

ما نزل من القرآن فيما ابتدعه اليهود والنصارى : ثم جمع أهل الكتابين جميعاً ، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا ، من اليهود والنصارى ، فقال : « إن الذين يكفرون بآياتِ اللهِ ويقتلون النبيينَ بغيرِ حقٍّ ، ويقتلون الذين يأمرون بالقِسطِ من الناسِ » ، إلى قوله : « قل اللهم مالكَ الملكِ » ، أى رب العباد ، والملك الذى لا يقضى فيهم غيره « تُؤتِى الملكَ من تشاءُ ، وتنزِعُ الملكَ ممن تشاءُ ، وتُعِزُّ من تشاءُ ، وتذِلُّ من تشاءُ ، بيدِك الخيرُ » ، أى لا إله غيرك « إنك على كلِّ شيءٍ قديرٌ » ، أى لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك . « تولِجُ الليلَ فى النهارِ » وتولِجُ النهارَ فى الليلِ ، وتُخرِجُ الحىَّ من الميتِ ، وتُخرِجُ الميتَ من الحىِّ » بتلك القدرة « وترزقُ من تشاءُ بغيرِ حسابٍ » لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يصنعه إلا أنت . أى فإن كنت سلطت عيسى على الأشياء التى بها يزعمون أنه إله ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام والخلق للطير من الطين ، والإخبار عن الغيوب ، لأجعله به آية للناس ، وتصديقا له فى نبوته التى بعثته بها إلى قومه ، فإن من سلطانى وقدرتى ما لم أعطه تمليك الملوك بأمر النبوة ، ووضعها حيث شئت ، وإيلاج الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ، وإخراج الحى من الميت ، وإخراج الميت من الحى ، ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب : فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، أفلم تكن لهم فى ذلك عبرة وبينة ! أن لو كان ذلك كله إليه ، وهو فى علمهم يهرب من الملوك ، وينتقل منهم فى البلاد ، من بلد إلى بلد .

ما نزل من القرآن فى وعظ المؤمنين وتحذيرهم : ثم وعظ المؤمنين وحذرهم ، ثم قال : « قل إن كنتم تحبون اللهَ » ، أى إن كان هذا من قولكم حقاً ، حباً لله وتعظيما له « فاتبعونى يحببكم اللهُ ، ويغفرْ لكم ذنوبَكم » ، أى ما مضى من كفركم « والله غفورٌ رحيمٌ ، قل أطيعوا اللهَ والرسول » ، فأنتم تعرفونه وتجدونه فى كتابكم « فإن تولَّوْا » ، أى على كفرهم « فإن اللهَ لا يحبُّ الكافرين » .

ما نزل فى خلق عيسى وخبر مريم وزكريا : ثم استقبل لهم أمر عيسى عليه السلام ، وكيف كان بدء ما أراد الله به ، فقال : « إن الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيمَ ، وآلَ عمرانَ »

على العالمين . ذُرية بعضُها من بعضٍ ، واللهُ سميعٌ عليم » . ثم ذكر أمر امرأة عمران ، وقولها : «ربِّ إنى نذرتُ لك ما فى بطنى مُحرَّراً » ، أى نذرته فجعلته عتيقا ، تعبُّده لله ، لا ينتفع به لشىء من الدنيا « فتقبلْ منى إنك أنت السميعُ العليم . فلما وضعتها قالت ربِّ إنى وضعتها أنثى ، واللهُ أعلم بما وضعتْ ، وليس الذكرُ كالأنثى » ، أى ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محرراً لك نذيرةً « وإنى سميتُها مريمَ ، وإنى أُعيذُها بك وذريتَها من الشيطانِ الرجيم » . يقول الله تبارك وتعالى: «فتقبلها ربُّها بقَبولٍ حَسَنٍ ، وأنبتها نباتا حسنا ، وكفَّلها زكريا » بعد أبيها وأمها .

قال ابن هشام : كفلها : ضمها .

قال ابن إسحاق : فذكَّرها باليتم ، ثم قص خبرها وخبر زكريا وما دعا به ، وما أعطاه إذ وهب له يحيى . ثم ذكر مريم ، وقول الملائكة لها : « يا مريمُ إن اللهَ اصطفاكِ وطهرَكِ واصطفاكِ على نساءِ العالمين . يا مريمُ اقنتى لربِّك واسجدى واركعى مع الراكعين » . يقول الله عز وجل : « ذلكَ من أنباءِ الغيبِ نوحيه إليكَ ، وما كنتَ لديهم » ، أى ما كنت معهم « إذ يُلقون أقلامَهم أيهم يكفُلُ مريمَ » .

قال ابن هشام : أقلامهم : سهامهم ، يعنى قداحهم التى استهموا بها عليها ، فخرج قِدْح زكريا فضمها ، فيما قال الحسن بن أبى الحسن البصرى .

كفالة جريج لمريم : قال ابن إسحاق : كفلها هاهنا جُرَيْج الراهب ، رجل من بنى إسرائيل نجار ، خرج السهم عليه بحملها ، فحملها ، وكان زكريا قد كفلها قبل ذلك ، فأصابت بنى إسرائيل أزمة شديدة ، فعجز زكريا عن حملها ، فاستهموا عليها أيهم يكفُلُها فخرج السهم على جُرَيْج الراهب بكفولها فكفلها . « وما كنتَ لديهم إذا يختصمون » ، أى ما كنت معهم إذ يختصمون فيها . يخبره بخفى ما كتموا منه من العلم عندهم ، لتحقيق نبوته والحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه .

ثم قال : « إذ قالتِ الملائكةُ يا مريمُ إن اللهَ يبشرُكِ بكلمةٍ منه اسمُه المسيحُ عيسى بنُ مريمَ » ، أى هكذا كان أمره ، لا كما تقولون فيه « وجيها فى الدنيا والآخرة » أى عند الله « ومن المقرَّبين ، ويكلمُ الناسَ فى المهدِ وكهلا ومن الصالحين » يخبرهم بحالاته التى يتقلب فيها فى عمره ، كتقلب بنى آدم فى أعمارهم ، صغاراً وكباراً ، إلا أن الله خصه بالكلام فى مهده آية لنبوته ، وتعريفا للعباد بمواقع قدرته . «قالت ربِّ أنَّى يكون لى ولدٌ ولم يمسَسْنى بشرٌ ؟ قال كذلكِ اللهُ يخلقُ

ما يشاء » ، أى يصنع ما أراد ، ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر « إذا قضى أمراً فإنما يقول له كنْ » مما يشاء وكيف شاء ، « فيكون » كما أراد .

ثم خبرها بما يريد به ، فقال : « ويعلمه الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ » التى كانت فيهم من عهد موسى قبله « والإنجيلَ » ، كتابا آخر أحدثه الله عز وجل إليه لم يكن عندهم إلا ذكره أن كائن من الأنبياء بعده « ورسولا إلى بنى إسرائيلَ أنى قد جئتكم بآيةٍ من ربِّكم » ، أى يحقق بها نبوتى ، أنى رسول منه إليكم « أنى أخلقُ لكم من الطينِ كهيئةِ الطيرِ فأنفخُ فيه فيكونُ طيراً بإذنِ الله » الذى بعثنى إليكم ، وهو وربكم « وأُبرئُ الأكمهَ والأبرصَ » .

قال ابن هشام : الأكمه : الذى يولد أعمى . قال رؤبة بن العجاج :

هرَّجْتُ فارتدَّ ارتدادَ الأكمهِ

وجمعه : كُمْه . قال ابن هشام : هرجت : صحت بالأسد ، وجلبت عليه . وهذا البيت فى أرجوزة له .

« وأُحْيِى الموتَى بإذنِ اللهِ ؛ وأنبئكم بما تأكلونَ وما تدخرونَ فى بيوتِكم ، إن فى ذلك لآيةً لكم » أنى رسول الله من الله إليكم « إن كنتم مؤمنين ، ومُصَدِّقا لما بين يدىَّ من التوراةِ » ، أى لما سبقنى عنها « ولأُحِلَ لكم بعضَ الذى حُرِّم عليكم » ، أى أخبركم به أنه كان عليكم حراما فتركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم ، فتصيبون يسره وتخرجون من تباعاته[1] « وجئتكم بآيةٍ من ربِّكم ، فاتقوا الله وأطيعونِ ، إن الله ربى وربُّكم » أى تبريا من الذين يقولون فيه ، واحتجاجا لربه عليهم « فاعبدوه هذا صراطٌ مستقيم » ، أى هذا الذى قد حملتكم عليه وجئتكم به .

« فلما أحسَّ عيسى منهم الكفرَ » والعدوان عليه ، « قال من أنصارى إلى اللهِ ، قال الحواريونَ نحن أنصارُ اللهِ آمنَّا باللهِ » وهذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم « واشهدْ بأنا مسلمون » لاما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه « ربَّنا آمنا بما أنزلتَ واتبعنا الرسولَ فاكتبْنا مع الشاهدين » أى هكذا كان قولهم وإيمانهم .

رفع عيسى عليه السلام : ثم ذكر سبحانه وتعالى رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله ، فقال : « ومكروا ومكر اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين » . ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه ، كيف رفعه وطهره منهم ، فقال : « إذ قال اللهُ يا عيسى إنى متوفِّيك ورافعك إلىَّ »

---

(١) تباعاته : جمع تبعة . تثلاثة .

ومطهرك من الذين كفروا » ، إذ هموا منك بما هموا « وجاعلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » ، ثم القصة ، حتى انتهى إلى قوله : « ذلك نتلوه عليك » يا محمد « من الآياتِ والذكرِ الحكيم » القاطع الفاصل الحق ، الذى لا يخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى ، وعما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلن خبراً غيره . « إن مَثَلَ عيسى عندَ الله » فاستمع « كَمَثَلِ آدمَ خلقه من ترابٍ ، ثم قال له كنْ فيكون . الحقُّ من ربِّك » ، أى ما جاءك من الخبر عن عيسى « فلا تكنْ من الممترين » أى قد جاءك الحق من ربك فلا تمترينَّ فيه ، وإن قالوا : خلق عيسى من غير ذَكَر فقد خلقتُ آدمَ من تراب ، بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر ، فكان كما كان عيسى لحما ودما ، وشعراً وبشراً ، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا . « فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم » ، أى من بعد ما قصصتُ عليك من خبره ، وكيف كان أمره ، « فقل تعالَوْا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم وأنفسَنا وأنفسَكم ، ثم نبتهلْ فنجعلْ لعنةَ الله على الكاذبين » .

*

قال ابن هشام : قال أبو عبيدة : نبتهل : ندعو باللعنة ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

لا تقعُدَنَّ وقد أكَّلْتَهـــا حَطَباً   تعوذ من شرِّها يوما وتبتهـــلُ

وهذا البيت فى قصيدة له . يقول : تدعو باللعنة . وتقول العرب : بهل الله فلانا ، أى لعنه، وعليه بَهْلَةُ الله . قال ابن هشام : ويقال : بُهْلَةُ الله ، أى لعنة الله ؛ ونبتهل أيضا : نجتهد فى الدعاء .

*

قال ابن إسحاق : « إنَّ هذا » الذى جئت به من الخبر عن عيسى « لَهوَ القَصَصُ الحقُّ » من أمره « وما من إلهٍ إلا اللهُ ، وإن اللهَ لهـــوَ العزيزُ الحكيمُ . فإن تولَّوْا ، فإن اللهَ عليم بالمفسدين . قل يا أهلَ الكتابِ تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينَكم ألا نعبدَ إلا اللهَ ، ولا نشركَ به شيئا ، ولا يتخذَ بعضُنا بعضاً أربابا من دونِ الله ، فإن تولوْا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . فدعاهم إلى النَّصَف ، وقطع عنهم الحجة .

إباؤهم الملاعنة : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه ، والفصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أُمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ؛ فقالوا له : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر فى أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه . فانصرفوا عنه ، ثم خَلَوْا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم ، فقالوا : يا عبد المسيح ، ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبى مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ،

ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلْفَ دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم ، فوادعوا الرجل ، ثم انصرفوا إلى بلادكم . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا ألا نلاعنك ، وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجـــلا من أصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضاً .

أبو عبيدة يتولى أمرهم : قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى العشية أبعث معكم القوى الأمين . قال : فكان عمر بن الخطاب يقول : ما أحببت الإمارة قط حبى إياها يومئذ ، رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت إلى الظهر مُهَجِّراً ، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ، ثم نظر عن يمينه وعن يساره ، فجعلتُ أتطاول له ليرانى ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال : اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه ، قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة .

أخبار عن المنافقين

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة — كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة — وسيد أهلها عبد الله بن أبىّ ابن سلول العَوْفى ثم أحد بنى الحُبْلَى ، لا يختلف عليه فى شرفه من قومه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولابعده على رجل من أحد الفريقين ـ حتى جاء الإسلام ـ غيره ، ومعه فى الأوس رجل ، هو فى قومه من الأوس شريف مطاع ، أبو عامر عبد عمرو بن صَيْفى بن النعمان ، أحد بنى ضُبَيْعة بن زيد ، وهو أبو حنظلة ، الغسيل يوم أحد ، وكان قد ترهّب فى الجاهلية ولبس المُسُوح ، وكان يقال له : الراهب . فشقيا بشرفهما وضَرَّهما .

فأما عبد الله بن أبى فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وهم على ذلك . فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضَغِن ، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكا . فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها مصراً على نفاق وضِغْن .

وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببضعة عشر رجلا مفارقا للإسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ـ كما حدثنى محمد بن أبى أمامة عن بعض آل حنظلة بن أبى عامر ـ: لاتقولوا: الراهب، ولكن قولوا: الفاسق.

قال ابن إسحاق: وحدثنى جعفر بن عبد الله بن أبى الحكم، وكان قد أدرك وسمع، وكان راوية: أن أبا عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة، قبل أن يخرج إلى مكة فقال: ما هذا الدين الذى جئت به؟ فقال: جئتُ بالحنيفية دين إبراهيم، قال: فأنا عليها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك لست عليها، قال. بلى قال: إنك أدخلت يا محمد فى الحنيفية ما ليس منها قال. ما فعلتُ، ولكنى جئتُ بها بيضاء نقية، قال: الكاذب أماته الله طريداً غريبا وحيداً — يُعرِّض برسول الله صلى الله عليه وسلم — أى أنك جئت بها كذلك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل، فن كذب ففعل الله تعالى ذلك به؛ فكان هو ذلك عدو الله، خرج إلى مكة، فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج إلى الطائف. فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام. فمات بها طريداً غريبا وحيداً.

وكان قد خرج معه علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، وكنانة ابن عبد ياليل بن عمرو بن عُمَير الثقفى، فلما مات اختصما فى ميراثه إلى قيصر، صاحب الروم. فقال قيصر: يرث أهلُ المدر أهلَ المدر [1]، ويرث أهلُ الوبر أهلَ الوبر [2]، فورثه كنانة بن عبد ياليل بالمدر دون علقمة.

قال كعب بن مالك لأبى عامر فيما صنع:

مُعاذَ الله من عمـــلٍ خبيثٍ ... كسعْيِك فى العشيرةِ عبدَ عمرو

فإما قلتَ لى شرفٌ ونخـــلٌ ... فقِـــدْماً بِعتَ إيمانا بكفرِ

قال ابن هشام ويروى:

فإما قلت لى شرف ومال

قال ابن إسحاق: وأما عبد الله بن أبىّ فأقام على شرفه فى قومه متردداً حتى غلبه الإسلام، فدخل فيه كارها.

قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن مسلم الزُّهرى، عن عُروة بن الزبير، عن أسامة بن زيد

---

(١) أهل المدر: من يسكنون المدن.
(٢) أهل الوبر: من يسكنون الخيام.

ابن حارثة ، حِبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة يعوده من شكو أصابه على حمار عليه إكاف (١) ، فوقه قطيفة فَدَكِيّة (٢) ، مختطمة (٣) بحبل من ليف ، وأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه : قال : فمر بعبد الله ابن أُبيّ ، وهو في ظل مُزاحِم أُطُمِه (٤)

قال ابن هشام : مزاحم : اسم الأطم .

قال ابن إسحاق : وحوله رجال من قومه . فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تَذَمَّم(٥) من أن يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلا فتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل ، وذكر بالله وحذر ، وبشر وأنذر قال : وهو زَامٌّ لايتكلم ، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته ، قال : ياهذا ، إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقا فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدثه إياه ، ومن لم يأتك فلا تَغُتَّه (٦) به ، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه : قال : فقال عبد الله بن رواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين : بلى ، فاغشنا به ، وائتنا في مجالسنا ودورنا وبيوتنا ، فهو والله مما نحب ، ومما أكرمنا الله به وهدانا له ، فقال عبد الله بن أُبيّ حين رأى من خلاف قومه ما رأى :

متى مايكنْ مولاك خَصمك لاتزلْ ... تَذل ويصرعْك الذين تصارعُ

وهل ينهضُ البازِى بغير جناحه ... وإن جُذ يوما ريشُه فهو واقعُ

قال ابن هشام : البيت الثاني عن غير ابن اسحاق .

قال ابن اسحاق : وحدثني الزهري، عن عُروة بن الزبير ، عن أسامة ، قال وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على سعد بن عُبادة ، وفي وجهه ماقال عدو الله ابن أبي ، فقال : والله يارسول الله إنى لأرى في وجهك شيئا ، لكأنك سمعت شيئا تكرهه ؛ قال أجل ، ثم أخبره بما قال ابن أبي : فقال سعد : يارسول الله . ارفق به . فوالله لقد جاءنا الله بك . وإنا لننظم له الخرز لنتوّجه . فوالله إنه ليرى أن قد سلبته مُلكا .

---

(١) الإكاف : برذعة الحمار . (٢) منسوبة إلى فدك قرية بالحجاز .
(٣) الخطام حبل يُجعل على أنف الدابة تمسك به . (٤) الأطم : الحصن .
(٥) تذمم : استحيا . (٦) غته : ثقل عليه .

ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عروة . وعمر بن عبد الله بن عروة . عن عروة بن الزبير . عن عائشة رضى الله عنها . قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . قدمها وهى أوبأ أرض الله من الحمّى . فأصاب أصحابه منها بلاء وسُقم . فصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . قالت فكان أبو بكر . وعامر بن فهيرة . وبلال . موليا أبى بكر . مع أبى بكر فى بيت واحد . فأصابتهم الحمى . فدخلتُ عليهم أعودهم . وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب . وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك . فدنوت من أبى بكر . فقلت له : كيف تجدك يا أبتِ ؟ فقال :

كلُّ امرىءٍ مُصَبَّحٌ فى أهلِه ... والموتُ أدنَى من شِراكِ نعلِه

قالت : فقلت . والله مايدرى أبى ما يقول : قالت : ثم دنوت إلى عامر بن فُهَيرة فقلت له: كيف تجدك ياعامر ؟ فقال :

لقد وجدتُ الموتَ قبلَ ذَوْقِه ... إن الجبانَ حتفُه من فوقِه

كلُّ امرىءٍ مجاهــدٌ بطوْقِه ... كالثورِ يحمِى جلدَه بروقِه(١)

بطوقه يريد : بطاقته . فيما قال ابن هشام : قالت : فقلت والله مايدرى عامر ما يقول له. قالت : وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليتَ شِعرى هل أبيتَن ليلةً ... بفخٍّ وحولى إذخرٌ وجليلُ(٢)

وهل أرِدَنْ يوما مياهَ مَجنّةٍ ... وهل يبدُوَنْ لى شامةٌ وطفيلُ(٣)

قال ابن هشام : شامة وطفيل : جبلان بمكة

دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بنقل وباء المدينة إلى مهيعة : قالت عائشة رضى الله عنها : فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم . فقلت: إنهم ليهْذُون وما يعقلون من شدة الحمى . قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت

---

(١) روقه : قرنه (٢) فخ : موضع خارج مكة والإذخر نبات يظهر بمكة طيب الرائحة. والجليل نوع من النبات وهو ما يسمونه الثمام .

(٣) المجنة : اسم سوق للعرب فى الجاهلية .

إلينا مكة . أو أشد . وبارك لنا فى مُدّها وصاعها وانقل وباءها إلى مَهْيَعة ، ومهيعة . الجحفة .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى . عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة . حتى جُهِدوا مرضا . وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . حتى كانوا مايصلون إلا وهم قعود . قال : فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك . فقال لهم : اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم . قال: فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماسَ الفضل .

بدء قتال المشركين : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه . وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه . وقتال من أمره الله به ممن يليه من المشركين . مشركى العرب . وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة .

تاريخ الهجرة

بالإسناد المتقدم عن عبد الملك بن هشام . قال . حدثنا زياد بن عبد الله البَكّائى . عن محمد ابن إسحاق المطلبى . قال . قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين . حين اشتد الضّحاء . وكادت الشمس تعتدل . لثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول . وهو التاريخ . فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة . وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة . فأقام بها بقية شهر ربيع الأول . وشهر ربيع الآخر . وجمادَيَيْن . ورجبا . وشعبان ، وشهر رمضان ؛ وشوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ـ وولى تلك الحجة المشركون ـــ والمحرم ، ثم خرج غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عُبادة .

غزوة وَدّان

وهى أول غزواته عليه الصلاة والسلام

قال بن إسحاق : حتى بلغ وَدّان ، وهى غزوة الأبواء ، يريد قريشا وبنى ضَمْرة بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذى وادعه منهم عليهم مَخْشِىّ بن عمرو الضمْرى ،

وكان سيدهم فى زمانه ذلك . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم يلق كيداً فأقام بها بقية صفر ، وصدراً من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام : وهى أول غزوة غزاها .

سرية عبيدة بن الحارث

وهى أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى مُقامه ذلك بالمدينة عُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز ، بأسفل ثَنِيَّة المَرَة ، فلقى بها جمعا عظيما من قريش . فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رُمِىَ به فى الإسلام .

ثم انصرف القوم عن القوم ، وللمسلمين حامية . وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد ابن عمرو البهرانى ، حليف بنى زُهرة ، وعُتبة بن غزوان بن جابر المازنى ، حليف بنى نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ، ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار . وكان على القوم عِكرمة بن أبى جهل .

قال ابن هشام : حدثنى ابن أبى عمرو بن العلاء ، عن أبى عمرو المدنى : أنه كان عليهم مِكْرَز ابن حفص بن الأخيف ، أحد بنى مَعيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر .

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فى غزوة عُبيدة بن الحارث . قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبى بكر[1] رضى الله عنه — :

أمن طيفِ سلمَى بالبِطاحِ الدمائثِ ... أرِقْتَ وأمرٍ فى العشيرةِ حادثِ[2]

ترى من لؤى فُرْقةً لا يَصدها ... عن الكفرِ تذكيرٌ ولا بعثُ باعثِ

---

(١) ويشهد لصحة من أنكر أن تكون له ، ماروى عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : « كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر فى الإسلام » رواه البخارى عن أبى المتوكل عن عبد الرزاق .

(٢) الدمائث : ما لان من الرمل .

رســـولٌ أتاهم صادقٌ فتكذبوا ... عليه وقالوا : لستَ فينا بماكثِ
إذا ما دعوناهم إلى الحقِّ أدبروا ... وهروا هريرَ المُجحراتِ اللواهثِ[1]
فكم قد متتنا فيهمُ بقرابةٍ ... وتَرْكُ التقى شيءٌ لهم غيرُ كارثِ[2]
فإن يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم ... فما طيّباتُ الحِـــلِّ مثلَ الخبائثِ
وإن يركبوا طغيانَهم وضلالَهم ... فليس عـــذابُ اللهِ عنهم بلابثِ
ونحن أناسٌ من ذُؤابةِ غالبٍ ... لنا العزُّ منها في الفروعِ الأثائثِ[3]
فأُولِي بربِّ الراقصاتِ عشيةً ... حراجيجُ تُحدَى في السريحِ الرثائثِ[4]
كأُدْمِ ظباءٍ حولَ مكةَ عُكَّفٍ ... يَرِدْنَ حياضَ البئرِ ذاتِ النبائثِ[5]
لئن لم يُفيقوا عاجلاً من ضلالِهم ... ولستُ إذا آليتُ قولاً بحانثِ
لَتَبْتَدِرَنْهم غارةٌ ذاتُ مَصْدَقٍ ... تُحرِّمُ أطهارَ النساءِ الطوامثِ
تُغادرُ قتلى تَعصِبُ الطيرُ حولَهم ... ولا تَرأفُ الكفارَ رأفَ ابنِ حارثِ[6]
فأبلغ بني سهمٍ لديك رسالةً ... وكلَّ كفورٍ يبتغي الشرَّ باحثِ
فإن تَشْعَثوا عرضي على سوءِ رأيكم ... فإني من أعراضِكم غيرُ شاعثِ[7]

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهمي ، فقال :

أمن رسمِ دارٍ أقفرت بالعثاعثِ ... بكيتَ بعينٍ دمعُها غيرُ لابثِ[8]

---

(١) هروا : وثبوا . والمجحرات : الملجئات إلى مواضعها .
(٢) متتنا : اتصلنا ، والكارث : المحزن .
(٣) الأثائث : المجتمعة .
(٤) أولى : أحلف ، والراقصات الإبل الراقصة وهو نوع من المشى لها ، والحراجيج الطوال . والسريح ما يربط فى أخفاف الإبل مخافة أن تصيبها الحجارة . والرثائث : البالية .
(٥) الظباء الأدم : التى ظهورها سود وبطونها بيض ، والنبائث مايخرج من تراب البئر عند حفره .
(٦) تعصب : تجتمع ، وابن حارث : هو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب .
(٧) تشعثوا : تفرقوا . (٨) العثاعث : أقاع لاتنبت شيئاً .

ومن عجبِ الأيامِ والدهرُ كلُّه ... له عجبٌ من سابقاتٍ وحادثِ
لجيشٍ أتانا ذى عُرامٍ يقوده ... عبيدة يُدعى فى الهياج ابن حارث(١)
لنترك أصناما بمكة عُكفا ... مواريث موروثٍ كريمٍ لوارثِ
فلما لقيناهم بسُمر رُدينية ... وجُردٍ عتاقٍ فى العجاجِ لواهث(٢)
وبيضٍ كأن الملحَ فوقَ متونِها ... بأيدى كُماةٍ كالليوثِ العوائث(٣)
نقيم بها إصعارَ من كان مائلا ... ونشفى الذُّحولَ عاجلا غيرَ لابث(٤)
فكفوا على خوفٍ شديدٍ وهيبةٍ ... وأعجبهم أمرٌ لهم أمرُ رائث(٥)
ولو أنهم لم يفعلوا ناحَ نِسوةٌ ... أيامى لهم ، من بين نَسْءٍ وطامث(٦)
وقد غودرت قتلَى يخبِّرُ عنهمُ ... حفىٌّ بهم أو غافلٌ غيرُ باحث(٧)
فأبلغْ أبا بكرٍ لديكَ رسالةً ... فما أنتَ عن أعراضِ فهرٍ بماكث
ولما تجبْ منى يمينٌ غليظةٌ ... تُجددُ حربا حلفةً غيرَ حانث

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحداً ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعرى .

قال ابن إسحاق : وقال سعد بن أبى وقاص فى رميته تلك فيما يذكرون :

ألا هل أتى رسولَ الله أنى ... حميتُ صحابتى بصدورِ نبلى
أذود بها أوائلَهم ذِياداً ... بكلِّ حُزونةٍ وبكلِّ سهلِ(٨)

---

(١) ذو عرام : ذو شدة .

(٢) السمر الردينية : الرماح المنسوبة إلى ردينة امرأة كانت تثقف الرماح . والجرد : السريعة ، والعجاج : الغبار .

(٣) العوائث . المفسدات .

(٤) الإصعار . الميل . والذحول . طلب الثأر .

(٥) الرائث . المتمهل فى الأمور .

(٦) النسء . التى تأخر حيضها مظنة الحمل . (٧) الحفى : المهتم

(٨) الحزونة . الأرض الوعرة : والسهل ما انبسط من سطح الأرض .

فما يعتدْ رامٍ فى عدوّ بسهمٍ يارسولَ اللهِ قبلى
وذلك أن دينَك دينُ صدقٍ وذو حقٍّ أتيتَ به وعدلِ
يُنجّى المؤمنون به ، ويجزى به الكفارُ عند مقامِ مَهْلِ(١)
فتهلا قد غَويتَ فلا تَعِبنى غَوِىَّ الحىِّ ويحك يابنَ جَهْلِ(٢)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد .

قال ابن إسحاق : فكانت راية عبيدة بن الحارث — فيما بلغنى — أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإسلام ، لأحد من المسلمين . وبعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء ، قبل أن يصل إلى المدينة .

سرية حمزة إلى سيف البحر

وبعث فى مقامه ذلك ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، إلى سيف البحر ، من ناحية العيص فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ، وليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاث مئة راكب من أهل مكة . فحجز بينهم مَجْدِىُّ بن عَمرو الجهنى . وكان موادعا الفريقين جميعا ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين . وذلك أن بَعْثه وبعث عبيدة كانا معا ، فشبه ذلك على الناس . وقد زعموا أن حمزة قد قال فى ذلك شعراً يذكر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان حمزة قد قال ذلك ، فقد صدق إن شاء الله ، لم يكن يقول إلا حقاً ، فالله أعلم أى ذلك كان ، فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا ، فعبيدة بن الحارث أول من عُقد له . فقال حمزة فى ذلك ، فيما يزعمون :

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضى الله عنه :

ألا يالقومى للتحلُّم والجهلِ وللنقصِ من رأيِ الرجالِ وللعقلِ

---

(١) مهل . تثبُّت .

(٢) ابن جهل . يريد عكرمة بن أبى جهل .

والراكبينا بالمظالم لم نطأ ... لهم حرمات من سوام ولا أهل[1]

كأنا تبلتام ولا إربل عندنا ... لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل[2]

وأمر بإسلام فلا يقبلونه ... وينزل منهم مثل منزلة الهزل

فما برحوا حتى انتدبت لغارة ... لهم حيث حلوا أبتغى راحة الفضل

بأمر رسول الله ، أول خافق ... عليه لواء لم يكن لاح من قبلى

لواء لديه النصر من ذى كرامة ... إله عزيز فعله أفضل الفعل

عشية ساروا حاشدين وكلنا ... مراجله من غيظ أصحابه تغلى[3]

فلما تراءينا أناخوا فعقلوا ... مطايا وعقلنا مدى غرض النبل[4]

فقلنا لهم : حبل الإله نصيرنا ... وما لكم إلا الضلالة من حبل

فثار أبو جهل هنالك باغيا ... فخاب ورد الله كيد أبى جهل

وما نحن إلا فى ثلاثين راكبا ... وهم مئتان بعد واحدة فضل

فياللؤى لا تطيعوا غواتكم ... وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل

فإنى أخاف أن يصب عليكم ... عذاب فتدعوا بالندامة والثكل

فأجابه أبو جهل بن هشام ، فقال :

عجبت لأسباب الحفيظة والجهل ... والشاغبين بالخلاف وبالبطل

والتاركين ما وجدنا جدودنا ... عليه ذوى الأحساب والسؤدد الجزل

أتونا بإفك كى يضلوا عقولنا ... وليس مضلا إفكهم عقل ذى عقل

فقلنا لهم : يا قومنا لا تخالفوا ... على قومكم إن الخلاف مدى الجهل

فإنكم إن تفعلوا تدع نسوة ... لهن بواك بالرزية والثكل

---

(١) السوام : الإبل السائمة وهى المتروكة فى المرعى .

(٢) تبلتام : عاديتام .   (٣) المراجل : قدور النحاس .

(٤) أى أناخوا إبلهم بالقرب من بعض فأصبحت المسافة بينهما مرى النبل .

وإن ترجعوا عما فعلتم فإننا بنو عمكم أهــل الحفائظ والفضلِ
فقالوا لنا : إنا وجدنا محمداً رِضاً لذوى الأحلامِ منا وذى العقل
فلما أبَوْا إلا الخلافَ وزيّنوا رِجاعَ الأمورِ بالقبيحِ من الفعل
تيممتُهم بالساحلَــيْن بغارةٍ لأتركهم كالعَصْف ليس بذى أصل[١]
فورَّعنى مَجْدِىٌّ عنهم وصُحبتى وقد وازرونى بالسيوف وبالنَّبلِ[٢]
لإلٍّ علينا واجب لا نُضيعه أمينٍ قُواه غيرِ منتكِثِ الحبل[٣]
فلولا ابنُ عمرٍو كنتُ غادرت منهمُ ملاحمَ للطَّــيرِ العُكوفِ بلا تَبْل
ولكنه آلَى بإلٍّ فقلّصت بأيماننا حــدُّ السيوفِ عن القتلِ
فإن تُبقِنى الأيامُ أرجعْ عليهمُ ببيضٍ رِقاقِ الحــدِّ مُحدَثةِ الصَّقل
بأيدى حُماةٍ من لؤىِّ بنِ غالبٍ كرامِ المساعى فى الجُدوبةِ والمَحْلِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لأبى جهل .

غزوة بُوَاط

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول يريد قريشا .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُوَاط[٤] ، من ناحية رَضْوَى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى .

غزوة العُشَيْرَة[٥]

ثم غزا قريشا ، فاستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، فيما قال ابن هشام .

---

(١) العصف : ورق الزرع الأصفر ، أو القطع الدقيقة من التبن ونحوه .

(٢) ورعنى : كفنى ومنعنى . ومجدى هو : ابن عمرو الجهنى .

(٣) الإل : العهد . (٤) بواط : جبلان فرعان لأصل واحد ، أحدهما : جلسى ، والآخر غورى ، وفى الجلسى بنو دينار ، ينسبون إلى دينار مولى عبد الملك بن مروان .

(٥) ويقال فيها أيضاً العسيرة والعسيراء ، وفى البخارى أن قتادة سئل عنها فقال العشير .

قال ابن إسحاق : فسلك على نقب بنى دينار ، ثم على فيفاء الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر ، يقال لها : ذات الساق ، فصلى عندها . فثم مسجده صلى الله عليه وسلم ، وصُنع له عندها طعام ، فأكل منه ، وأكل الناس معه ، فموضع أثافى البرمة معلوم هنالك ، واستقى له من ماء به ، يقال له : المشترب ، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك الخلائق بيسار ، وسلك شُعبة يقال لها : شعبة عبد الله ، وذلك اسمها اليوم ، ثم صب لليسار حتى هبط يَليَل ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضَّبوعة ، واستقى من بئر بالضبوعة ، ثم سلك الفرش : فرش مَلَل ، حتى لقى الطريق بصُخيرات اليمام ، ثم اعتدل به الطريق ، حتى نزل العُشيرة من بطن يَنْبُع . فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة ، وادع فيها بنى مُدلج وحلفاءهم من بنى ضَمْرة ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وفى تلك الغزوة قال لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام ما قال .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن محمد بن خُثَيْم المُحاربى ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ عن محمد بن خثيم أبى يزيد ، عن عمّار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلىّ بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العشيرة ؛ فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها ، رأينا أناسا من بنى مُدلج يعملون فى عين لهم وفى نخل ؛ فقال لى على بن أبى طالب : يا أبا اليقظان ، هل لك فى أن تأتى هؤلاء القوم ، فننظر كيف يعملون ؟ قال : قلت : إن شئت ؛ قال : فجئناهم ، فنظرنا إليهم ساعة ، ثم غشينا النوم . فانطلقت أنا وعلى حتى اضطجعنا فى صَوْر من النخل[1] ، وفى دَقْعاء[2] من التراب فنمنا ، فوالله ما أهبّنا[3] إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله . وقد تتربنا من تلك الدقعاء التى نمنا فيها ، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : مالك يا أبا تراب ؟ لما يرى عليه من التراب ، ثم قال : ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ؛ قال : أُحَيْمِر ثمود[4] الذى عقر الناقة ، والذى يضربك يا على على هذه — ووضع يده على قرنه — حتى يبل منها هذه . وأخذ بلحيته .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سمى

(١) صور من النخل : صغار منها . (٢) الدقعاء : مالان من التراب .

(٣) أهبنا : أيقظنا .

(٤) هو قدار أو قذار بن سالف وأمه قديرة وهو من التسعة رهط الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون المذكورين فى سورة النمل .

عليا أبا تراب : أنه كان إذا عتب على فاطمة فى شىء لم يكلمها ، ولم يقل لها شيئا تكرهه ، إلا أنه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة ، فيقول مالك : يا أبا تراب ؟ فالله أعلم أى ذلك كان .

سرية سعد بن أبى وقاص

قال ابن إسحاق : وقد كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك من غزوة سعد ابن أبى وقاص ، فى ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرّار من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيداً .

قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة .

غزوة سفوان

وهى غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق : ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه ، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحاق : حتى بلغ واديا ، يقال له : سفوان ، من ناحية بدر ، وفاته كرز بن جابر ، فلم يدركه ، وهى غزوة بدر الأولى . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجبا وشعبان .

سرية عبد الله بن جحش

ونزول : « يسئلونك عن الشهر الحرام »

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدى فى رجب ، مقفله من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيمضى لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً

وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين . ثم من بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حُذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ ومن حلفائهم : عبد الله بن جَحش ، وهو أمير القوم ، وعُكَّاشة بن مِحصَن بن حُرْثان ، أحد بنى أسد بن خزيمة ، حليف لهم . ومن بنى نوفل ابن عبد مناف : عُتبة بن غَزْوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بنى زُهرة بن كلاب : سعد بن أبى وقاص . ومن بنى عدى بن كعب : عامر بن ربيعة ، حليف لهم من عَنْز بن وائل ، وواقد ابن عبد الله بن عبد مناف بن عَرين بن ثعلبة بن يربوع ، أحد بنى تميم ، حليف لهم ، وخالد ابن البُكَير ، أحد بنى سعد بن ليث ، حليف لهم . ومن بنى الحارث بن فِهر : سُهيل بن بيضاء .

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه فإذا فيه : إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نَخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً وتعلّم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب ، قال : سمعا وطاعة ؛ ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضى إلى نخلة ، أرصد بها قريشاً ، حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحداً منكم . فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ؛ فأما أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلف عنه منهم أحد .

وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن ، فوق الفُرُع ، يقال له : بحران ، أضل سعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان بعيراً لهما ، كانا يعتقبانه . فتخلفا عليه فى طلبه . ومضى عبد الله ابن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمى .

قال ابن هشام : واسم الحضرمى : عبد الله بن عبّاد ، ويقال : مالك بن عبّاد أحد الصَّدِف ، واسم الصدف : عمرو بن مالك ، أحد السَّكون بن أشرس بن كِندة ، ويقال : كندى .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان ، والحكم بن كيسان ، مولى هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عُكّاشة بن محصن ، وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا عُمّار ، لا بأس عليكم منهم . وتشاور القوم فيهم وذلك فى آخر يوم من رجب فقال القوم والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخُلُنّ الحرم ، فليمتنِعُن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتُلنهم فى الشهر الحــرام ؛ فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم . فرمى واقد بن عبد الله

التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ؛ وأفلت القومَ نوفلُ بن عبد الله فأعجزهم . وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير وبالأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش : أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمنا الخمس وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغـــانم — فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير ، وقسم سائرها بين أصحابه .

قال ابن إسحاق : فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . فوقف العير والأسيرين . وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً . فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط في أيدى القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا . وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال ؛ فقال من يرد عليهم من المسلمين ، ممن كان بمكة : إنما أصابوا في شعبان .

وقالت يهود — تفاءلُ بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم — عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله ، عمرو ، عمرت الحرب . والحضرمي : حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : « يسئلونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ ، وصدٌّ عن سبيلِ الله وكفرٌ به والمسجدِ الحرام وإخراجُ أهلِه منه أكبرُ عندالله » أى إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله ، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم « والفتنةُ أكبرُ من القتلِ » أى قد كانوا يفتنون المسلم في دينه ، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل « ولا يزالونَ يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » : أى ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه ، غير تائبين ولا نازعين . فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين ، وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا — يعني سعد بن أبي وقاص ، وعُتبة بن غزوان — فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، نقتل صاحبيكم . فقدم سعد وعتبة فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

قتل يوم بئر معونة شهيداً . وأما عثمان بن عبدالله فلحق بمكة ، فمات بها كافراً .

فلما تجلى عن عبدالله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طمعوا فى الأجر ، فقالوا : يارسول الله : أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عز وجل فيها : « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفورٌ رحيم » ، فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء .

والحديث فى هذا عن الزهرى ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر بعض آل عبدالله بن جحش : أن الله عز وجل قسم الفىء حين أحله ، فجعل أربعة أخماس لمن أفاءه الله ، وخمساً إلى الله ورسوله ، فوقع على ما كان عبدالله ابن جحش صنع فى تلك العير .

قال ابن هشام : وهى أول غنيمة غنمها المسلمون . وعمرو بن الحضرمى أول من قتله المسلمون ، وعثمان بن عبدالله ، والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون .

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى غزوة عبدالله بن جحش ، ويقال : بل عبدالله بن جحش قالها ، حين قالت قريش : قد أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال ، وأسروا فيه الرجال . قال ابن هشام : هى لعبد الله بن جحش :

تعُدون قتــلا فى الحرام عظيمة ... وأعظمُ منـــه لو يرى الرشدَ راشدُ
صدودكم عمــا يقول محمدٌ ... وكفرٌ به والله راءٍ وشاهد
وإخراجُكم من مسجدِ الله أهلَه ... لئلا يُرى لله فى البيتِ ساجدُ
فإنا وإن عيرتمونا بقتله ... وأرجف بالإسلامِ باغٍ وحاسدُ
سقينا من ابن الحضرمىّ رماحَنا ... بنخلةَ لما أوقــد الحربَ واقد
دمًا وابنُ عبدِالله عثمانُ بيننا ... ينازعه غُلٌّ من القِدِّ عاند[1]

صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق : ويقال : صُرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

---

(١) القد : شرك من جلد ، والعاند : السائل بالدم غير المنقطع .

غزوة بدر الكبرى(١)

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلا من الشأم في عير لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون ، منهم مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو ابن العاص بن وائل بن هشام .

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدالله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس ، كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقته من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشام ، ندب المسلمين إليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها . فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز تحسس(٢) الأخبار ويسأل من لقى من الركبان تخوفا على أمر الناس . حتى أصاب خبرا من بعض الركبان : أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك . فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة .

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب : قال ابن إسحاق : فأخبرني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال ، رؤيا أفزعتها . فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب

---

(١) بدر : اسم بئر حفرها رجل من غفار ، ثم من بني النار منهم ، اسمه : بدر ، وقيل : هو بدر بن قريش بن مخلد الذي سميت قريش به . وروى يونس عن ابن أبي زكريا عن الشعبي قال بدر : اسم رجل كانت له بدر .

(٢) التحسس بالحاء ، أن تتسمع الأخبار بنفسك ، والتجسس بالجيم : هو أن تفحص عنها بغيرك ، وفي الحديث «لا تجسسوا ، ولا تحسسوا» .

فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عني ما أحدثك به ؛ فقال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا لغُدَر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مَثَل به[1] بعيره على ظهر الكعبة ، صرخ بمثلها : ألا انفروا يا لغُدَر لمصارعكم في ثلاث : ثم مَثَل به بعيره على رأس أبي قبيس ، فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت[2] ، فما بقي بيت من بيوت مكة ، ولا دار إلا دخلتها منها فلقة ؛ قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتميها ، ولا تذكريها لأحد .

ثم خرج العباس ، فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها له ، واستكتمه إياها . فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة ، حتى تحدثت به قريش في أنديتها

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآني أبو جهل قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا : فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قال . قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التي رأت عاتكة : قال : فقلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ، قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب . قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير ، إلا أني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً . قال : ثم تفرقنا .

فلما أمسيت ، لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غِيَرة لشيء مما سمعت ، قال . قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه من كبير . وايم الله لأتعرضن له ، لأكفينكه .

قال . فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاتني منه

---

(١) مثل به : قام به   (٢) ارفضت : تفتت .

أمر أحب أن أدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرّضه ، ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلا خفيفاً ، حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر . قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال : فقلت فى نفسى : ماله لعنه الله ، أكل هذا فرَقٌ منى أن أشاتمه ! قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع : صوت ضمضم بن عمرو الغفارى ، وهو يصرخ ببطن الوادى واقفاً على بعيره ، قد جدّع بعيره[1] ، وحوّل رحله ، وشق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللَّطيمة اللطيمة[2] أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث . قال : فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر

قريش تتجهز للخروج : فتجهز الناس سراعا ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ، كلا والله ليعلمن غير ذلك . فكانوا بين رجلين ، إما خارج وإما باعث مكانه رجلا . وأوعبت قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد .

إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة وكان قد لاط[3] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزئ عنه ، بعثه فخرج عنه ، وتخلف أبو لهب .

قال ابن إسحاق . وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن أمية بن خلف كان أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبى مُعَيط ، وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه ، بمجمّرة يحملها ، فيها نار ومجمّر ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا على ، استجمر ، فإنما أنت من النساء : قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ؛ قال : ثم تجهز فخرج مع الناس .

ماوقع بين قريش وكنانة من الحرب : قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا المسير ، ذكروا ما كان بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا ، وكانت الحرب التى كانت بين قريش وبين بنى بكر — كما حدثنى بعض بنى عامر بن لؤى ، عن محمد بن سعيد بن المسيّب — فى ابن لحفص بن الأخيف ، أحد بنى

---

(١) جدع بعيره : قطع أنفه .
(٢) اللطيمة : الإبل التى تحمل البز والطيب .
(٣) لاط : احتبس .

تعيص بن عامر بن لؤى ، خرج يبتغى ضالة له بضجنان ، وهو غلام حدث فى رأسه ذؤابة ، وعليه حلة له ، وكان غلاما وضيئا نظيفا ، فمر بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوح ، أحد بنى يعمر ابن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وهو بضجنان ، وهو سيد بنى بكر يومئذ ، فرآه فأعجبه ؛ فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا ابن لحفص بن الأخيف القرشى . فلما ولى الغلام ، قال عامر بن زيد : يا بنى بكر ، مالكم فى قريش من دم ؟ قالوا : بلى والله ، إن لنا فيهم لدماء ؛ قال : ماكان رجل ليقتل هذا الغلام برجله إلا كان قد استوفى دمه . قال : فتبعه رجل من بنى بكر ، فقتله بدم كان له فى قريش ؛ فتكلمت فيه قريش ، فقال عامر بن يزيد : يا معشر قريش قد كانت لنا فيكم دماء ، فما شئتم . إن شئتم فأدوا علينا مالنا قبلكم ، ونؤدى مالكم قبلنا ، وإن شئتم فإنما هى الدماء : رجل برجل ، فتجافوا عما لكم قبلنا ، ونتجافى عما لنا قبلكم ، فهان ذلك الغلام على هذا الحى من قريش ، وقالوا : صدق ، رجل برجل . فلهوا عنه ، فلم يطلبوا به

قال : فبينا أخوه مكرز بن حفص بن الأخيف يسير بمر الظهران ، إذ نظر إلى عامر بن يزيد ابن الملوح على جمل له ، فلما رآه أقبل إليه حتى أناخ به ، وعامر متوشح سيفه ، فعلاه مكرز بسيفه حتى قتله ، ثم خاض بطنه بسيفه ؛ ثم أتى به مكة ، فعلقه من الليل بأستار الكعبة فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد بن عامر معلقا بأستار الكعبة ، فعرفوه ؛ فقالوا : إن هذا لسيف عامر بن يزيد ، عدا عليه مكرز بن حفص فقتله ، فكان ذلك من أمرهم . فبينما هم فى ذلك من حربهم ، حجز الإسلام بين الناس ؛ فتشاغلوا به ، حتى أجمعت قريش المسير إلى بدر ، فذكروا الذى بينهم وبين بنى بكر فخافوهم .

وقال مكرز بن حفص فى قتله عامراً :

لما رأيت أنه هو عامرٌ ... تذكرت أشلاء الحبيب الملحَّب[1]

وقلت لنفسى : إنه هو عامرٌ ... فلا ترهبيه ، وانظرى أى مركب

وأيقنت أنى إن أجلِّله ضربةً ... متى ما أصبه بالقرافر يعطب

خفضت له جأشى وألقيت كلكلى ... على بطل شاكى السلاح مجرَّب[2]

---

(١) الملحب : الذى ذهب لحمه ، وأصل اللحب تقطيع اللحم طولا

(٢) الكلكل : الصدر .

ولم أكُ لما التف رُوعى ورُوعُه عُصارة مُجْنٍ من نساءٍ ولا أبِ
حلفتُ به وترى ولم أنس ذَحْلَه إذا ما تناسى ذَحْلَه كلُّ عَيْهَبِ[1]

قال ابن هشام : القرافر فى غير هذا الموضع : الرجل الأضيط ، وفى هذا الموضع : السيف ، والعيهب : الذى لاعقل له ، ويقال لتيس الظباء وفحل النعام : العيهب . قال الخليل : العيهب : الرجل الضعيف عن إدراك وتره .

قال ابن إسحاق وحدثنى يزيد بن رُومان ، عن عروه بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر ، فكاد ذلك يثنيهم ، فتبدى لهم إبليس فى صورة سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم المدلجى ، وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال لهم : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه ، فخرجوا سراعا

خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليال مضت من شهر رمضان فى أصحابه — قال ابن هشام : خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان — واستعمل عمرو بن أم مكتوم — ويقال اسمه : عبد الله ابن أم مكتوم أخا بنى عامر بن لؤى ، على الصلاة بالناس ، ثم رد أبا لُبابة من الرَّوحاء ، واستعمله على المدينة .

اللواء والرايتان : قال ابن إسحاق : ودفع اللواء إلى مُصْعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . قال ابن هشام : وكان أبيض .

قال ابن إسحاق : وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع على بن أبى طالب ، يقال لها : العُقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .

عدد إبل المسلمين إلى بدر : قال ابن إسحاق : وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيراً ، فاعتقبوها ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن أبى طالب ، ومَرْثد بن أبى مرثد الغَنَوى يعتقبون بعيرا ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة وأبو كبشة ، وأَنَسَة ، مَوْليا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيراً ، وكان أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً

---

(١) الذحل : الثأر .

قال ابن إسحاق : وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار . وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ ، فيما قال ابن هشام .

الطريق إلى بدر : قال ابن إسحاق : فسلك طريقه من المدينة إلى مكة ، على نقب المدينة ثم على العقيق ، ثم على ذي الحليفة ، ثم على أولات الجيش .

قال ابن هشام : ذات الجيش .

قال ابن إسحاق : ثم مر على تربان ، ثم على ملل ، ثم غميس الحمام من مريين ، ثم على صخيرات اليمام ، ثم على السيالة ، ثم على فج الروحاء ، ثم على شنوكة ، وهي الطريق المعتدلة ؛ حتى إذا كان بعرق الظبية — قال ابن هشام : الظبية : عن غير ابن إسحاق — لقوا رجلا من الأعراب ، فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا ؛ فقال له الناس : سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أوفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، فسلم عليه ؛ ثم قال : إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه . قال له سلمة بن سلامة بن وقش لا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل علي فأنا أخبرك عن ذلك . نزوت عليها ، ففي بطنها منك سخلة[1] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مه ، أفحشت على الرجل ؛ ثم أعرض عن سلمة .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سجسج ، وهي بئر الروحاء ، ثم ارتحل منها ، حتى إذا كان بالمنصرف ، ترك طريق مكة بيسار ، وسلك ذات اليمين على النازية ، يريد بدرا ، فسلك في ناحية منها ، حتى جزع واديا[2] ، يقال له رحقان ، بين النازية وبين مضيق الصفراء ، ثم على المضيق ، ثم انصب منه ، حتى إذا كان قريبا من الصفراء ، بعث بسبس بن الجهني ، حليف بني ساعدة ، وعدي بن أبي الزغباء الجهني ، حليف بني النجار ، إلى بدر يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وغيره . ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قدمها . فلما استقبل الصفراء ، وهي قرية بين جبلين ، سأل عن جبليهما ما اسماهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما هذا مسلح وللآخر : هذا مخرىء ، وسأل عن أهلهما فقيل : بنو النار وبنو حراق ، بطنان من بني غفار فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء[3] أهلهما : فتركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والصفراء بيسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له : ذفران ، فجزع فيه ، ثم نزل .

---

(١) السخلة في الأصل : الصغير من الضأن واستعارها لولد الناقة .

(٢) قطعه عرضا .

(٣) ليس هذا من باب الطيرة والتشاؤم فقد كان ينهى عنه صلى الله عليه وسلم ، ولكن هذا من باب كراهية الاسم القبيح .

وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ؛ فاستشار الناس ، وأخبرهم عن قريش : فقام أبو بكر الصديق ، فقال وأحسن . ثم قام عمر بن الخطاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : « اذهبْ أنت وربُّك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون » . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغماد[1] لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلغه ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له به .

استشارة الأنصار : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا على أيها الناس . وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة ، قالوا : يا رسول الله : إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال أجل : قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ماتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غدا ، إنا لصُبُر فى الحرب ، صُدُق فى اللقاء . لعل الله يريك منا ماتقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله . فسُرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشَّطه ذلك ؛ ثم قال : سيروا وأبشروا ، فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِران ، فسلك على ثنايا . يقال لها الأصافر ؛ ثم انحط منها إلى بلد يقال له : الدَّبة ، وترك الحنَّان بيمين وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم ؛ ثم نزل قريبا من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه .

قال ابن هشام : الرجل هو أبو بكر الصديق .

قال ابن إسحاق كما حدثنى محمد بن يحيى بن حَبَّان : حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله

---

(١) موضع بناحية اليمن ، وقيل إنها مدينة بالحبشة .

عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ؛ فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك . قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم ؛ قال الشيخ فإنه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذى أخبرنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى فيه قريش . فلما فرغ من خبره ، قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء ، أمن ماء العراق ؟

قال ابن هشام : يقال : ذلك الشيخ : سفيان الضمرى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، فى نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر ، يلتمسون الخبر له عليه — كما حدثنى يزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزبير — فأصابوا راوية[1] لقريش فيها أسلم ، غلام بنى الحجاج ، وعَريض أبو يسار ، غلام بنى العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فقالا : نحن سقاة قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ، ورجَوْا أن يكونا لأبى سفيان ، فضربوهما . فلما أذلقوهما[2] قالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه ، ثم سلم ، وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذبا كم تركتموهما ؛ صدقا ، والله إنهما لقريش ، أخبرانى عن قريش ؟ قالا هم والله وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعُدْوَة القُصوى — والكثيب : العَقَنْقَل — فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم القوم ؟ قالا : كثير . قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندرى : قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوما تسعا ، ويوما عشرا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم فيما بين التسع مئة والألف . ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرِى بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خُوَيلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيمة بن عدى بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزَمْعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونُبَيه ، ومُنَبِّه ابنا الحجاج ، وسُهَيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد وُدّ . فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ[3] كبدها .

---

(١) الراوية : الإبل التى يستقى الماء عليها . (٢) أذلقه : بالغ فى ضربه .

(٣) أفلاذ : قطع . انظر ما فى هذا الحديث من البلاغة فى كتاب المجازات النبوية للشريف الرضى طبعة مصطفى الحلبى بتحقيقنا .

قال ابن إسحاق : وكان بَسْبَس بن عمرو ، وعدى بن الزّغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شَنّاً لهما (١) يستقيان فيه ، ومَجْدِىُّ بن عمرو الجهنى على الماء . فسمع عدى وبَسْبَس جاريتين من جوارى الحاضر (٢) ، وهما يتلازمان (٣) على الماء ، والملزومة (٤) تقول لصاحبتها : إنما تأتى العير غداً أو بعد غد ، فأعمل لهم ، ثم أقضيك الذى لك . قال مجدى : صدقت ، ثم خلص بينهما . وسمع ذلك عَدى وبَسْبَس ، فجلسا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه بما سمعا .

نجاة أبى سفيان بالعير : وأقبل أبو سفيان بن حرب ، حتى تقدم العير حَذِراً ، حتى ورد الماء ؛ فقال لمجدى بن عمرو : هل أحسست أحداً ؛ فقال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعار بعيريهما ، ففته ، فإذا فيه النّوَى ؛ فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع إلى أصحابه سريعا ، فضرب وجه عيره عن الطريق ، فساحَلَ بها (٥) ، فترك بدراً بيسار وانطلق حتى أسرع .

قال : وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجُحْفَة ، رأى جُهيم بن الصّلت بن مَخْرمة بن عبد المطلب ابن عبد مناف رؤيا ، فقال : إنى رأيت فيما يرى النائم ، وإنى لبين النائم واليقظان . إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعير له ؛ ثم قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشَيْبة ابن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وفلان وفلان ، فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر ، من أشراف قريش ، ثم رأيته ضرب فى لَبَّة بعيره ، ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْح من دمه .

قال : فبلَغَت أبا جهل ؛ فقال : وهذا أيضا نبى آخر من بنى المطلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيرَكم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله ، فارجعوا ؛ فقال أبو جهل بن هشام : والله لانرجع حتى نَرِدَ بدراً — وكان بدرٌ موسما من مواسم العرب ، يجتمع لهم به

---

(١) الشن : الزق البالى
(٢) الحاضر : النازلون على الماء .
(٣) التلازم : تعلق الغريم بغريمه .
(٤) الملزومة : المدينة .
(٥) أخذ بها طريق الساحل .

سوق كل عام — فنقيم عليه ثلاثا ، فننحر الجُزُر ، ونُطعم الطعامَ ، ونسقى الخمْرَ ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمْعِنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ، فامضوا .

وقال الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفى : وكان حليفا لبنى زُهرة وهم بالجُحْفة : يابنى زُهرة ، قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بى جبنَها ، وارجعوا ؛ فانه لاحاجة لكم بأن تخرجوا فى غيرضَيْعة لاما يقول هذا ، يعنى أبا جهل . فرجعوا ، فلم يشهدها زُهرى واحد ، أطاعوه وكان فيهم مطاعا . ولم يكن بقى من قريش بطن إلا وقد نفر منهم ناس ، إلا بنى عدى بن كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس بن شَرِيق ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد ، ومشى القوم . وكان بين طالب بن أبى طالب — وكان فى القوم — وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يابنى هاشم ، وإن خرجتم معنا ، أن هواكم لمع محمد . فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال طالب بن أبى طالب :

لاهُمَّ إما يغـــزُوَنّ طالبْ ... فى عُصبةٍ مُحالفٌ محاربْ
فى مِقْنَب من هـــذه المقانبِ ... فليكن المسلوبَ غيرَ السالبْ (١)
وليكن المغلوبَ غيرَ الغالبْ

قال ابن هشام : قوله « فليكن المسلوب » ، وقوله « وليكن المغلوب » عن غير واحد من الرواة للشعر .

قريش تنزل بالعُدوة والمسلمون ببدر : قال ابن إسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدْوة القصوى من الوادى ، خلف العَقَنْقل وبطن الوادى ، وهو يَلْيَل ، بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذى خلفه قريش ، والقُلُب (٢) ببدر فى العُدْوة الدنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة . وبعث الله السماء ، وكان الوادى دَهْسا (٣) ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبّد لهم الأرض ولم يمنعهم عن السير وأصاب قريشا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به .

---

(١) المقنب : الجماعة من الخيل .
(٢) القلب : جمع قليب : البئر القديم مذكر وقد يؤنث .
(٣) الدهس : المكان اللين السهل الذى ليس برمل ولا تراب .

قال ابن إسحاق : فحُدِّثتُ عن رجال من بني سلمة ، أنهم ذكروا : أن الحُبَاب بن المنذر ابن الجموح قال : يارسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم ، فننزله ، ثم نغوّر ما وراءه من القُلُب ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فغُوِّرت ، وبنى حوضا على القُلُب الذى نزل عليه فمُلِئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبي بكر أنه حُدث : أن سعد بن معاذ قال : يانبى الله ، ألا نبنى لك عريشا تكون فيه ، ونُعِد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ، جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام ، يانبى الله ، ما نحن بأشد لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير . ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش ، فكان فيه .

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصَوَّب من العَقَنْقَل — وهو الكثيب الذى جاءوا منه إلى الوادى — قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها ، تُحادُّك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرَك الذى وعدتنى ، اللهم أَحِنْهم (١) الغَداة .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقد رأى عتبة بن ربيعة فى القوم على جمل له أحمر - إن يك فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يُطيعوه يُرشدوا .

وقد كان خُفَاف بن أيْماء بن رَحَضة الغِفارى ، أو أبوه أيْماء بن رَحَضة الغِفارى ، بعث إلى قريش ، حين مروا به ، ابنا له بجزائر (٢) أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا . قال : فأرسلوا إليه مع ابنه : أن وصلَتك رَحِمٌ ، قد قضيت الذى عليك فلعمرى لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم ، ولئن كنا إنما نقاتل الله ، كما يزعم محمد ، فما لأحد بالله من طاقة .

(١) أحنهم : أهلكهم .

(٢) الجزائر : الذبائح .

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حكيم بن حزام؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوهم. فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل، إلا ما كان من حكيم بن حزام، فإنه لم يقتل، ثم أسلم بعد ذلك، فحسن إسلامه. فكان إذا جهد في يمينه، قال: لا والذي نجاني من يوم بدر.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم، عن أشياخ من الأنصار، قالوا، لما اطمأن القوم، بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا: احزروا لنا أصحاب محمد، قال: فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم، فقال: ثلاث مئة رجل، يزيدون قليلا أو ينقصون؛ ولكن أمهلوني حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد؟ قال: فضرب في الوادي حتى أبعد، فلم ير شيئاً؛ فرجع إليهم فقال: ما وجدت شيئا، ولكني قد رأيت، يا معشر قريش، البلايا[1] تحمل المنايا، نواضح[2] يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم؛ والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم، حتى يَقتل رجلا منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فرَوْا رأيكم.

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأتى عُتبة بن ربيعة، فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش وسيدها، والمطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تُذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي؛ قال: قد فعلت، أنت علي بذلك، إنما هو حليفي، فعلي عقله وما أصيب من ماله، فأت ابن الحنظلية.

الحنظلية ونسبها: قال ابن هشام: والحنظلية أم أبي جهل، وهي أسماء بنت مُخَرِّبة، أحد بني نَهْشَل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم — فإني لا أخشى أن يَشْجُرَ أمرَ الناس غيرُه، يعني أبا جهل بن هشام - ثم قام عتبة بن ربيعة خطيبا، فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقَوْا محمداً وأصحابه شيئا، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله، أو رجلا من عشيرته، فارجعوا وخلّوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون.

---

(١) النوق التي تربط على قبر الأموات لا تُعلف ولا تسقى حتى تموت كان يفعلها بعض العرب الذي يقر بالبعث لأجل أن يحشر عليها الميت وقت بعثه..

(٢) النواضح: الإبل التي يُستقى الماء عليها.

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته قد نثل (١) درعا له من جرابها ، فهو يهنئها (٢) . — قال ابن هشام يهنئها — فقلت له يا أبا الحكم إن عتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا ، للذى قال ؛ فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه ، فقد تخوفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى ، فقال : هذا يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فأنشد خفرتك ، ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف ثم صرخ : واعمراه . واعمراه ، فحميت الحرب ، وحقب (٣) الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة .

فلما بلغ عتبة قول أبى جهل « انتفخ والله سحره » ، قال : سيعلم مصفر استه (٤) من انتفخ سحره ، أنا أم هو ؟ .

قال ابن هشام : السحر : الرئة وما حولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السرة . وما كان تحت السرة ، فهو القصب ، ومنه قوله : رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار : قال ابن هشام : حدثنى بذلك أبو عبيدة .

ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها فى رأسه ، فما وجد فى الجيش بيضة تسعه من عظم هامته ؛ فلما رأى ذلك اعتجر (٥) على رأسه ببرد له .

مقتل الأسود بن عبد الأسد المخزومى : قال ابن إسحاق : وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومى ، وكان رجلا شرسا سيئ الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهدمنه ، أو لأموتن دونه ؛ فلما خرج ، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن (٦) قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد أن يبر يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض .

---

(١) نثل : أخرج . (٢) يهنئها : يطليها بعكر الزيت . (٣) حقب الناس : اشتدوا

(٤) كناية عن الدعة فقد كان الإنسان البعيد عن الحرب يتطيب بالخلوق وقد قصد المبالغة لإهانته بذكر استه وإنما هو تطييب البدن .

(٥) اعتجر : تعمم . (٦) أطن : أطار .

دعاء عتبة إلى المبارزة : قال : ثم خرج بعد عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة ، وهم : عوف ، ومُعَوِّذ ، ابنا الحارث – وأمهما عفراء – ورجل آخر ، يقال : هو عبد الله ابن رَوَاحة ؛ فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار ؛ قالوا : ما لنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عُبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي ، فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي ؛ قالوا : نعم ، أكفاء كرام ، فبارز عبيدة ، وكان أسن القوم ، عتبة بن ربيعة ؛ وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ؛ وبارز علي الوليد ابن عتبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ؛ وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه[1] ، وكَرّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فَذَفَّفَا[2] عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا : أكفاء كرام ، إنما نريد قومنا .

التقاء الفريقين : قال ابن إسحاق : ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنَّبل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، معه أبو بكر الصديق .

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان .

قال ابن إسحاق : كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين .

ضرب الرسول لابن غزية : قال ابن إسحاق : وحدثني حَبَّان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قِدْح[3] يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غَزِيَّة ، حليف بني عدي بن النجار – قال ابن هشام : يقال ، سَوَّاد ، مثقلة ، وسواد في الأنصار غير هذا ، مخفف – وهو مستنتل[4] من الصف – قال ابن هشام : ويقال : مستنصل[5] من الصف – فطعن في بطنه بالقِدْح ، وقال : استوِ يا سواد فقال : يا رسول الله ، أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل ، قال : فأقدني[6] . فكشف رسول الله

(١) أثبته : جرحه جراحة بالغة (٢) ذففا عليه : أسرعا قتله (٣) قدح : سهم .
(٤) مستنتل : متقدم . (٥) مستنصل : خارج . (٦) أقدني : اقتص لي من نفسك .

صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال : استقد ، قال : فاعتنقه فقبل بطنه : فقال : ماحملك على هذا ياسواد ؟ قال : يارسول الله ، حضر ماترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقاله له .

الرسول يناشد ربه النصر : قال ابن إسحاق : ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصديق ، ليس معه فيه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ماوعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ، وأبو بكر يقول : يانبى الله : بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ماوعدك . وقد خفق[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر ياأبابكر ، أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده ، على ثناياه النقع .

أول شهيد من المسلمين : قال ابن إسحاق : وقد رُمى مهجع ، مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ، فكان أول قتيل من المسلمين ؛ ثم رُمى حارثة بن سراقة ، أحد بنى عدى بن النجار ، وهو يشرب من الحوض ، بسهم فأصاب نحره ، فقتل .

قال ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم ، وقال : والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحمام أخو بنى سلمة ، وفى يده تمرات يأكلهن : بخ بخ[2] ، أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء قال : يارسول الله ، مايضحك[3] الرب من عبده ؟ قال غمسه يده فى العدو حاسرا . فنزع درعا كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبدالله بن ثعلبة بن صعير العذرى ، حليف بنى زهرة ، أنه حدثه : لما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل ابن هشام : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بمالا يعرف ، فأحنه[4] الغداة . فكان هو المستفتح[5] .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشا بها ، ثم قال : شاهت الوجوه ، ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال : شدوا ؛ فكانت الهزيمة ، فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم . فلما وضع

(١) خفق : أخذته سِنة خفيفة من النوم . (٢) كلمة تقال فى حالة الإعجاب .
(٣) أى يرضيه غاية الرضا مع تبشير وإظهار كرامة .
(٤) أحنه : أهلكه . (٥) المستفتح : المبتدىء نفسه .

القوم أيديهم يأسرون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش : وسعد بن معاذ قائم على باب العريش ، الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : متوشح السيف ، فى نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخافون عليه كرّة العدو : ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذُكر لى — فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لكأنك ياسعد تكره ما يصنع القوم ؟ قال : أجل والله يارسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك . فكان الإثخان فى القتل بأهل الشرك أحب إلى من استبقاء الرجال .

قال ابن إسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إنى قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كرها ، ولا حاجة لهم بقتالنا : فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ومن لقى أبا البَخْترى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله : فإنه إنما أخرج مُستكرها . قال : فقال أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ، ونترك العباس : والله لئن لقيته لألحمنه السيف — قال ابن هشام : ويقال لألجمنه السيف — قال : فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص — قال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حفص — أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ؟ فقال عمر : يارسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق. فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عنى الشهادة . فقُتل يوم اليمامة شهيداً .

قال ابن إسحاق : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البَخْترى لأنه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنه شىء يكرهه ، وكان ممن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطلب . فلقيه المجذّر ابن ذياد البَلَوى ، حليف الأنصار ، ثم من بنى سالم بن عوف ، فقال المجذر لأبى البَخْترى : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك — ومع أبى البخترى زميل [1] له ، قد خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن مُلَيحة بنت زهير بن الحارث بن أسد ، وجنادة رجل من بنى ليث واسم أبى البخترى : العاص — قال : وزميلى ؟ فقال له المجذر : لا والله ، مانحن بتاركى زميلك

---

(١) الزميل : من يزامله فيركب معه على بعير واحد .

ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك ؛ فقال : لا والله ، إذن لأموتن أنا وهو جميعاً ، لا تتحدث عنى نساء مكة أنى تركت زميلى حرصاً على الحياة . فقال أبو البخترى حين نازله المجذر وأبى إلا القتال ، يرتجز :

لن يُسلم ابنُ حرةٍ زميلَهْ   حتى يموتَ أو يرى سبيلَهْ

فاقتتلا ، فقتله المجذر بن ذياد . وقال المجذر بن ذياد فى قتله أبا البخترى :

إمّا جهلت أو نسيتَ نسبى   فأثبت النسبةَ أنى من بَلِى
الطاعنين برماح اليَزَنى   والضاربينَ الكبشَ حتى ينحنى
بشِّرْ بيتم من أبوه البَخْتَرِى   أو بشِّرَنْ بمثلها منى بَنِى
أنا الذى يقال أصلى من بَلِى   أطعنُ بالصَّعْدَةِ حتى تنثنى[1]
وأعبِطُ القرنَ بعضبٍ مَشْرَفى   أُرْزِمُ للموتِ كإرزامِ المَرِى[2]
فلا ترى مُجَذَّراً يفرى فَرِى[3]

قال ابن هشام : « المرى » عن غير ابن إسحاق . والمرى : الناقة التى يستنزل لبنها على عسر .

قال ابن إسحاق : ثم إن المجذر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال . والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به ، فأبى إلا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته .

قال ابن هشام : أبو البَخْتَرى : العاص بن هشام بن الحارث بن أسد .

مقتل أمية بن خلف - قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال ابن إسحاق : وحدثنيه أيضاً عن عبد الله بن أبى بكر وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان أمية بن خلف لى صديقاً بمكة ، وكان اسمى عبد عمرو ، فتسميت ، حين أسلمت ، عبد الرحمن ، ونحن بمكة ، فكان يلقانى إذ نحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبت عن اسم سماكه أبواك ؟ فأقول نعم ، فيقول : فإنى لا أعرف الرحمن ، فاجعل بينى وبينك شيئاً أدعوك

---

(١) الصعدة: فى الأصل عصا الرمح ، وقد أطلق هنا على الرمح صعدة .
(٢) أعبط : أقتل ، والعضب : السيف القاطع ، وأرزم : أحن .
(٣) فرى : عمل عملا أتى فيه بأمر عجيب .

به ، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف ، قال : فكان إذا دعاني : يا عبد عمرو ، لم أجبه . قال : فقلت له : يا أبا علي ، اجعل ما شئت ، قال : فأنت عبد الإله ، قال : فقلت : نعم ، قال : فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله فأجيبه ، فأتحدث معه حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه ، عليّ بن أمية ، آخذ بيده ومعي أدراع قد استلبتها ، فأنا أحملها فلما رآني قال لي : يا عبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال : يا عبد الإله ؟ فقلت نعم ، قال : هل لك فيّ ، فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك ؟ قال : قلت نعم ، ها الله ذا[1] . قال : فطرحت الأدراع من يدي ، وأخذت بيده وبيد ابنه ، وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط ، أما لكم حاجة في اللبن ؟ قال : ثم خرجت أمشي بهما .

قال ابن هشام : يريد باللبن ، أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم عن عبد الرحمن ابن عوف ، قال : قال لي أمية بن خلف ، وأنا بينه وبين ابنه ، آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال : قلت ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل ، قال عبد الرحمن : فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي — وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على ترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت ، فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد ، فيقول بلال : أَحَدٌ أَحَد . قال : فلما رآه ، قال رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا قال : قلت : أي بلال ، أبأسيري قال : لا نجوتُ إن نجا . قال : قلت : أتسمع يابن السوداء ، قال : لا نجوتُ إن نجا . قال : ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة[2] وأنا أذب عنه . قال : فأخلف[3] رجل السيف ، فضرب رجل ابنه فوقع ، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط . قال : فقلت انج بنفسك ولا نجاء بك فوالله ما أغني عنك شيئاً . قال فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا ، ذهبت أدراعي وفجعني بأسيري .

الملائكة تشهد وقعة بدر قال ابن إسحق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدّث عن

---

(١) ها : حرف تنبيه ، وذا : اسم إشارة يشير به إلى نفسه

(٢) المسكة : الحلقة . (٣) أخلف : سل .

ابن عباس قال : حدثنى رجل من بنى غفار ، قال : أقبلت أنا وابن عم لى حتى أصعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ، ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة(١) ، فننتهب مع من ينتهب . قال : فبينا نحن فى الجبل إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : أقدم حيزوم(٢) ، فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه ، فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ، ثم تماسكت .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن بعض بنى ساعدة عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدراً ، قال ، بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليوم ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة ، لا أشك فيه ولا أتمارى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار ، عن رجال من بنى مازن بن النجار ، عن أبى داود المازنى ، وكان شهد بدراً ، قال : إنى لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى ، فعرفت أنه قد قتله غيرى .

قال ابن إسحاق وحدثنى من لا أتهم عن مقسم ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله ابن عباس ، قال . كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرسلوها على ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمرا .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن على بن أبى طالب قال . العمائم تيجان العرب وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرخوها على ظهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومددا لا يضربون .

مقتل أبى جهل : قال ابن إسحاق : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ، وهو يقاتل ويقول :

ما تنقِمُ الحربُ العوانُ منى ... بازلُ عامين حديثٌ سنى(٣)
لمثل هذا ولدتنى أمى

(١) الدبرة : الدائرة .

(٢) أقدم : كلمة تزجر بها الخيل . وحيزوم هو فرس جبريل عليه السلام .

(٣) الحرب العوان جمع عون : الحرب الشديدة التى قوتل فيها مرة بعد أخرى ، والبازل من الإبل الذى خرج سنه فهو فى ذلك يصل لقروة مرحلة الشباب .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : أَحد أَحد .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى .

وكان أول من لقي أبا جهل ، كما حدثني ثور بن يزيد عن عِكرمة ، عن ابن عباس ، وعبد الله ابن أبي بكر أيضاً قد حدثني ذلك قالا : قال معاذ بن عمرو بن الجموح ، أخو بني سلمة : سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحَرَجة — قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتف . وفي الحديث عن عمر بن الخطاب : أنه سأل أعرابياً عن الحرجة ؛ فقال : هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها — وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلَص إليه . قال : فلما سمعتها جعلته من شأني ، فصمدت نحوه ، فلما أمكنني حملت عليه ، فضربته ضربة أطَنَّت قدمه[1] بنصف ساقه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مِرْضَخة النوى حين يُضرب بها[2] . قال : وضربني ابنه عكرمة على عاتقي ، فطرح يدي ، فتعلقت بجلدة من جنبي ، وأجهضني[3] القتال عنه ، فلقد قاتلت عامة يومي ، وإني لأسحبها خلفي ، فلما آذتني وضعت عليها قدمي ، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان .

ثم مر بأبي جهل وهو عقير ، مُعَوِّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبته ، فتركه وبه رمق . وقاتل معوذ حتى قتل ، فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتمس في القتلى ، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني — انظروا ـ إن خَفِيَ عليكم في القتلى ـ إلى أثر جُرح في ركبته ، فإني ازدحمت يوما أنا وهو على مأدُبة لعبد الله بن جُدْعان ، ونحن غلامان ، وكنت أشفَّ منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه ، فجُحِش[4] في إحداهما جَحْشا لم يزل أثره به . قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رَمَق فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه — قال : وقد كان ضَبَث بي مرة بمكة ، فآذاني ولكزني ، ثم قلت له : هل

(١) أطنت قدمه : أطارتها .
(٢) مرضخة النوى : التي يدق بها النوى .
(٣) أجهضني : غلبني .
(٤) جحش : خدش .

أخزاك الله يا عدو الله ؟ قال : وبماذا أخزانى أأعمد من رجل قتلتموه[1] ، أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله .

قال ابن هشام : ضبث : قبض عليه ولزمه . قال ضابىء بن الحارث البرجمى :

فأصبحتُ مما كان بينى وبينكم ... من الودّ مثلَ الضابثِ الماءَ باليدِ

قال ابن هشام : ويقال : أعار على رجل قتلتموه ، أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟

قال ابن إسحاق : وزعم رجال من بنى مخزوم ، أن ابن مسعود كان يقول : قال لى : لقد ارتقيت مُرتقًى صعبا يارُوَيعِىَ الغنم قال : ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه سلم ، فقلت : يارسول الله ، هذا رأس عدو الله أبى جهل ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آلله الذى لا إله غيره — قال : وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال قلت نعم ، والله الذى لا إله غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى : أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ، ومر به : إنى أراك كأن فى نفسك شيئاً ، أراك تظن أنى قتلت أباك ، إنى لو قتله لم أعتذر إليك من قتله ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام بن المغيرة ، فأما أبوك فإنى مررت به وهو يبحث بحث الثور بِرَوْقِه[2] فحدت عنه ، وقصد له ابن عمه على فقتله .

حديث عكاشة بن محصن : قال ابن إسحاق : وقاتل عُكَّاشة بن محصن بن حُرْثان الأسدى حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جِذْلا[3] من حطب ، فقال : قاتل بهذا ياعكاشة فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه ، فعاد سيفا فى يده طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى : العَوْن . ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل فى الردة ، وهو عنده ، قتله طُليحة بن خويلد الأسدى ، فقال طليحة فى ذلك :

فما ظنكم بالقومِ إذ تقتلونهم ... أليسوا وإن لم يُسلِموا برجالِ

---

(١) أى ليس على عار فى أيهد أن أكون رجلا قتله قومه .

(٢) الروق : القرن . (٣) الجذل : أصل الشجرة

فإن تكُ أذوادٌ أُصِبنَ ونسوةٌ ... فلن تذهبوا فِرْغا بقتل حِبالِ[1]
نصبتُ لهم صدرَ الحمالةِ إنها ... معاودةٌ قِيلَ الكُماةِ نَزالِ[2]
فيوما تراها فى الجِلالِ مَصونةً ... ويوما تراها غيرَ ذاتِ جِلالِ[3]
عشيةَ غادرتُ ابنَ أقرمَ ثاويا ... وعُكاشةَ الغَنْمِىَّ عند حِجالِ

قال ابن هشام حبال : ابن طليحة[4] بن خويلد . وابن أقرم : ثابت بن أقرم الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وعُكّاشة بن محصن الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتى على صورة القمر ليلة البدر . قال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، قال : إنك منهم ، أو اللهم اجعله منهم ، فقام رجل من الأنصار . فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عُكّاشة وبَرَدت الدعوة[5] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنا عن أهله : منا خير فارس فى العرب ، قالوا ومن هو يارسول الله ؟ قال : عُكّاشة بن مِحْصَن ، فقال ضرار بن الأزور الأسدى : ذاك رجل منا يارسول الله ، قال : ليس منكم ولكنه منا للحلف .

قال ابن هشام : ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن ، وهو يومئذ مع المشركين ، فقال : أين مالى ياخبيث ؟ فقال عبد الرحمن :

لم يبقَ غيرُ شِكَّةٍ ويعبوبْ ... وصارمٍ يقتلُ ضُلَّالَ الشِّيبْ[6]

فيما ذُكر لى عن عبد العزيز بن محمد الدراوردى .

طرح المشركين فى القليب : قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان عن عروة بن

---

(١) الأذواد : جمع ذود — مابين الثلاثة إلى العشرة من الإبل . والفرغ ألا يطلب بثأر الدم .
(٢) الحمالة : اسم فرس . ونزال : اسم فعل أمر بمعنى انزل .
(٣) الجلال ما يلبسه الفرس لصيانته .
(٤) هو ابن أخيه لا ابنه وهو : حبال بن مسلمة بن خويلد .
(٥) بردت الدعوة : ثبتت .
(٦) الشكة : السلاح . واليعبوب : الفرس الكثير الجرى .

الزبير عن عائشة ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب، طرحوا فيه ، إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ فى درعه فملأها ، فذهبوا ليحركوه ، فتزايل لحمه ، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة . فلما ألقاهم فى القليب ، وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . يأهل القليب . هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقاً ؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً . قالت : فقال له أصحابه : يارسول الله . أتكلم قوما موتى ؟ فقال لهم : لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقاً .

قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ماقلتُ لهم ، وإنما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد علموا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُميد الطويل . عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل وهو يقول : يأهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام ، فعدّد من كان منهم فى القليب : هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؛ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا ؟ فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادى قوما قد جيّفوا ؟ قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لايستطيعون أن يجيبونى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم هذه المقالة : يأهل القليب ، بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذّبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس ، ثم قال : هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا ؟ للمقالة التى قال .

شعر حسان فى ذلك : قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

عَرَفت دِيارَ زينبَ بالكَثيبِ ... كخطِّ الوحْيِ فى الورقِ القَشيبِ

تداوَلها الرياحُ وكلُّ جونٍ ... من الوَسْميِّ منهمرٍ سَكوبِ[1]

فأمسى رسمُها خَلَقًا وأمست ... يَبابًا بعد ساكنِها الحبيبِ

فدع عنكَ التذكرَ كلَّ يومٍ ... ورُدَّ حرارةَ الصدرِ الكئيبِ

---

(١) الوسمى : مطر الخريف .

وخبّرْ بالذى لا عيبَ فيه ... بصدقٍ غيرِ إخبارِ الكَذوبِ

بما صنع المليكُ غداةَ بدرٍ ... لنا فى المشركين من النصيبِ

غداةَ كأن جمعهمُ حِراءٌ ... بدت أركانُه جُنْحَ الغروبِ

فلاقيناهمُ منا بجمعٍ ... كأُسْدِ الغابِ مُرْدانٍ وشِيبِ

أمامَ محمدٍ قد وازرُوهُ ... على الأعداءِ فى لَفْحِ الحروبِ

بأيديهم صوارمُ مرهفاتٌ ... وكلُّ مجرَّبٍ خاظِى الكُعوبِ(١)

بنو الأوسِ الغطارِفُ وازرَتْها ... بنو النجارِ فى الدينِ الصَّليبِ(٢)

فغادرْنا أبا جهلٍ صريعا ... وعُتبةَ قد تركنا بالجَبوبِ(٣)

وشَيْبةَ قد تركنا فى رجالٍ ... ذَوِى حسبٍ إذا نُسِبوا حَسيبِ

يناديهم رسولُ اللهِ لما ... قذفناهم كَباكِبَ فى القَليبِ(٤)

ألم تجدوا كلامى كان حقًّا ... وأمرُ اللهِ يأخذُ بالقلوبِ؟

فما نطقوا، ولو نطقوا لقالوا: ... صدقْتَ وكنتَ ذا رأيٍ مُصيبِ

قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلقَوْا فى القليب، أُخذ عتبة ابن ربيعة، فسحب إلى القليب، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — فى وجه أبى حذيفة بن عتبة، فإذا هو كئيب قد تغير لونه، فقال: يا أبا حذيفة، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء؟ أو كما قال صلى الله عليه وسلم؛ فقال: لا، والله يا رسول الله، ماشككت فى أبى ولا فى مصرعه، ولكننى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذى كنت أرجو له، أحزننى ذلك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، وقال له خيرا.

الفتية الذين نزل فيهم « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم »: وكان الفتية

---

(١) الخاظى: المكتنز.

(٢) الغطارف: السادة. والصليب: القوى.

(٣) الجبوب: وجه الأرض.

(٤) الكباكب: الجماعات.

الذين قُتلوا ببدر ، فنزل فيهم من القرآن ، فيما ذكر لنا : «إن الذين توفَّاهم الملائكةُ ظالمِي أنفسِهم قالوا فيمَ كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكنْ أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنمُ وساءت مصيراً » فتية مسمين . من بني أسد بن عبد العزّى ابن قصي : الحارث بن زَمْعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد .

ومن بني مخزوم : أبو قَيس بن الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأبو قَيس ابن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بني جُمَح : عليّ بن أمية بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح .

ومن بني سهم : العاص بن مُنَبِّه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سَهْم .

وذلك أنهم كانوا أسلموا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعاً .

فيء بدر : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما في العسكر ، مما جمع الناس ، فجمع ، فاختلف المسلمون فيه ، فقال من جمعه : هو لنا ؛ وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : والله لولا نحن ما أصبتموه لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم ؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف إليه العدو : والله ما أنتم بأحقَّ به منا ، والله لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله تعالى أكتافه ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كَرّة العدو ، فقمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى عن مكحول ، عن أبي أمامة الباهلي — واسمه صُدَيّ بن عجلان فيما قال ابن هشام — قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال ؛ فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النَّفَل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله ، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بَوَاء ، يقول : على السواء .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر ، قال : حدثني بعض بني ساعدة عن أبي أُسَيْد الساعدي مالك بن ربيعة ، قال : أصبت سيف بني عائذ المخزوميين الذي يسمى المَرْزُبان يوم

بدر ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما فى أيديهم من النفل ، أقبلت حتى ألقيته فى النفل . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئا سُئله ، فعرفه الأرقم ابن أبى الأرقم ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه إياه .

بشرى الفتح : قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله ابن رَوَاحة بشيرا إلى أهل العالية ، بما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة . قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر — حين سوينا التراب على رُقَيَّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التى كانت عند عثمان بن عفان . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفنى عليها مع عثمان — أن زيد بن حارثة قد قدم . قال : فجئته وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس ، وهو يقول : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزَمْعة بن الأسود ، وأبو البَخْتَرِى العاص بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونُبَيْه ومنبِّه ابنا الحجاج . قال : قلت : يا أبت ، أحق هذا ؟ قال : نعم ، والله يا بنى .

الرجوع إلى المدينة : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ، ومعه الأسارَى من المشركين ، وفيهم عقبة بن أبى مُعَيط ، والنضر بن الحارث ، واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه النَّفَل الذى أصيب من المشركين ، وجعل على النَّفَل عبد الله بن كعب ابن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجار ؛ فقال راجز من المسلمين — قال ابن هشام : يقال : إنه عدى بن أبى الزَّغْباء :

أقم لها صدورَها يا بَسْبَسُ ... ليس بذى الطلحِ لها مُعَرَّسُ
ولا بصَحْراءِ غُمَيْر مَحْبِسُ ... إن مطايا القومِ لا تُخَيَّسُ (1)
فحَمْلُها على الطريقِ أكْيَسُ ... قد نَصَرَ اللهُ وفَرَّ الأخنسُ

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم — حتى إذا خرج من مَضِيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية — يقال له : سَيَر — إلى سَرْحة به . فقسم هنالك النفل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سَلَمة ابن سلامة — كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، ويزيد بن رومان — : ما الذى تهنئوننا به ؟

(1) لا تخيس : لا تحبس .

فوالله إن لقينا إلا عجائز صُلعا كالبُدْن المعقَّلة ، فنحرناها ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أى ابن أخى ، أولئك الملأ !!

قال ابن هشام : الملأ : الأشراف والرؤساء .

مقتل النضر وعقبة : قال ابن إسحاق : حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قُتل النضر بن الحارث ، قتله على بن أبى طالب ، كما أخبرنى بعض أهل العلم من أهل مكة .

قال ابن إسحاق : ثم خرج حتى إذا كان بعِرْق الظبية قتل عُقبة بن أبى مُعَيط .

قال ابن هشام : عرق الظبية عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : والذى أسر عقبة : عبد الله بن سَلِمة أحد بنى العَجْلان .

قال ابن إسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله : فمن للصِّبْية يا محمد؟ قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ، أخو بنى عمرو بن عوف، كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر .

قال ابن هشام : ويقال قتله على بن أبى طالب فيما ذكر لى ابن شهاب الزهرى وغيره من أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع أبو هند ، مولى فروة ابن عمرو البياضى بحَمِيت مملوء حيسا(١) .

قال ابن هشام : الحميت : الزِّقُّ ، وكان قد تخلف عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كان حجام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما هو أبو هند امرؤ من الأنصار فأنكحوه ، وأنكحوا إليه ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم .

قال ابن إسحاق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد ابن زرارة ، قال : قدم بالأسارى حين قدم بهم ، وسَوْدَة بنت زَمْعة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء ، فى مناحتهم على عوف ومُعوِّذ ابنى عفراء ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب .

---

(١) الحيس : السمن يخلط بالتمر والدقيق ويعجن .

قال : تقول سَوْدة : والله إنى لعندهم إذ أُتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى ، قد أُتى بهم . قالت : فرجعت إلى بيتى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وإذا أبو يزيد سُهيل بن عمرو فى ناحية الحجرة ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل قالت : فلا والله ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أى أبا يزيد : أعطيتم بأيديكم ، ألا مُتم كراما ، فو الله ما أنبهنى إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت : يا سَوْدة ، أعلى الله ورسوله تحرضين ؟! قالت : قلت : يارسول الله ، والذى بعثك بالحق ، ماملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نُبَيْه بن وهب ، أخو بنى عبد الدار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه ، وقال : استوصوا بالأسارى خيراً . قال : وكان أبو عزيز بن عُمَيْر بن هاشم ، أخو مُصعَب بن عمير لأبيه وأمه فى الأسارى

قال : فقال أبو عزيز : مَرّ بى أخى مُصعَب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى ، فقال : شد يديك به ، فإن أمه ذاتُ متاع ، لعلها تفديه منك ، قال وكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز ، وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها . قال : فأستحيى فأردها على أحدهم ، فيردها علىّ ما يمسها .

بلوغ مصاب قريش فى رجالها إلى مكة : قال ابن هشام : وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث ، فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبى اليسر ، وهو الذى أسره ، ما قال ، قال له أبو عزيز : يا أخى ، هذه وصاتك بى ، فقال له مصعب : إنه أخى دونك . فسألت أمه عن أغلى مافدى به قرشى ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ، ففدته بها .

قال ابن إسحاق : وكان أولَ من قدم مكة بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الخزاعى ، فقالوا : ماوراءك ؟ قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشَيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية ابن خلف ، وزَمْعة بن الأسود ، ونُبيه ومنبِّه ابنا الحجاج ، وأبو البَخْتَرى بن هشام ، فلما جعل يعدد أشراف قريش ؛ قال صفوان بن أمية ، وهو قاعد فى الحِجر : والله إن يَعقِل هذا فاسئلوه عنى ؛ فقالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : ها هو ذاك جالساً فى الحِجْر ، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتلا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمتُ ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه ، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر ، فبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلا ، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش ، كبته الله وأخزاه ، ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزا . قال : وكنت رجلا ضعيفاً ، وكنت أعمل الأقداح . أنحتها فى حُجرة زمزم ، فو الله إنى لجالس فيها أنحت أقداحى ، وعندى أم الفضل جالسة ، وقد سَرنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر ، حتى جلس على طُنُب الحجرة(١) ، فكان ظهره إلى ظهرى ؛ فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب — قال ابن هشام : واسم أبى سفيان المغيرة — قد قدم قال : فقال أبو لهب : هلم إلىَّ ، فعندك لعمرى الخبر ، قال : فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وايم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالا بيضا ، على خيل بُلق . بين السماء والأرض ، والله ما تُليق شيئاً(٢) ، ولا يقوم لها شىء . قال أبو رافع : فرفعت طُنُب الحجرة بيدى ، ثم قلت : تلك والله الملائكة ؛ قال : فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربة شديدة . قال : وثاورته(٣) فاحتملنى فضرب بى الأرض ، ثم برك على يضربنى ، وكنت رجلا ضعيفاً ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة ، فأخذته فضربته فَلَعَتْ(٤) فى رأسه شجة مُنكَرة ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ؟ فقام مُوَلِّياً ذليلا ، فو الله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعَدَسَة (٥) فقتله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : فاحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ؛ ولا تبعثوا فى

---

(١) طنب الحجرة : طرفها .
(٢) لا تبق شيئا .
(٣) ثاورته : وثبت إليه .
(٤) لعت : شقت .
(٥) العدسة : بثرة خطرة تخرج فى الجسم تشبه الطاعون تقتل صاحبها سريعاً .

أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يأرَب(١) عليكم محمد وأصحابه فى الفداء. قال: وكان الأسود ابن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده، زَمْعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث ابن زَمْعة، وكان يحب أن يبكى على بنيه، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له: وقد ذهب بصره: أنظر هل أُحِل النَّحْب: هل بكت قريش على قتلاها؟ لعلى أبكى على أبى حكيمة، يعنى زَمْعة، فإن جوفى قد احترق. قال: فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته. قال: فذاك حين يقول الأسود:

أتبكى أن يَضِلَّ لها بعيرٌ ويمنعها من النومِ السهودُ
فلا تبكى على بَكرٍ ولكن على بدرٍ تقاصرتِ الجُدودُ
على بدرٍ سَراة بنى هُصَيصٍ ومخزومٍ ورهطِ أبى الوليدِ
وبَكّى إن بكيتِ على عقيلٍ وبَكّى حارثًا أسدَ الأسودِ
وبكيهم ولا تسمِى جميعاً وما لأبى حكيمةَ من نديدِ(٢)
ألا قد ساد بعدهمُ رجالٌ ولولا يومُ بدرٍ لم يَسُودُوا

قال ابن هشام: هذا إقواء، وهى مشهورة من أشعارهم، وهى عندنا إكفاء(٣). وقد أسقطنا من رواية ابن إسحاق ما هو أشهر من هذا.

قال ابن إسحاق: وكان فى الأسارى أبو وَدَاعة بن صُبَيْرة السهمى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن له بمكة ابنا كَيِّساً تاجراً ذا مال، وكأنكم به قد جاءكم فى طلب فداء أبيه؛ فلما قالت قريش لا تعجلوا بفداء أسرائكم، لا يأرَب عليكم محمد وأصحابه، قال المطلب بن أبى وَدَاعة — وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى —: صدقتم، لا تعجلوا، وانسل من الليل فقدم المدينة، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، فانطلق به.

فداء سُهَيل بن عمرو: قال: ثم بعثت قريش فى فداء الأسارى، فقدم مِكْرَز بن حفص ابن الأخْيَف فى فداء سُهَيل بن عمرو، وكان الذى أسره مالك بن الدُّخْشُم، أخو بنى سالم بن عوف، فقال:

---

(١) أى تأخروا فى فداء أسراكم حتى لا يشتد عليكم فى الفداء.
(٢) تسمى: تسامى. والنديد: الشبيه.
(٣) الإقواء والإكفاء: عيوب فى قافية الشعر.

أسرتُ سُهيلا فلا أبتغى . أسيراً به من جميعِ الأممْ
وخِنْدِفُ تعلم أن الفتى . فتاها سُهيلٌ إذا يُظلَمْ
ضربت بذى الشُّفْرِ حتى انثنَى وأكرهتُ نفسى على ذِى العَلمْ

وكان سهيل رجلا أعلم من شفته السفلى(١) .

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدُّخْشُم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عمرو بن عطاء ، أخو بنى عامر بن لؤى : أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، دعنى أنزع ثَنِيَّتَى سهيل بن عمرو ، يَدْلَعْ(٢) لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً : قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أُمَثِّل به فيمثل الله بى وإن كنت نبيا .

قال ابن إسحاق : وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر فى هذا الحديث . إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمُّه .

قال ابن هشام : وسأذكر حديث ذلك المقام فى موضعه إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : فلما قاولهم فيه مِكْرَز وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هاتِ الذى لنا ، قال : اجعلوا رجلى مكان رجله ، وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلوا سبيل سهيل ، وحبسوا مِكْرَزا مكانه عندهم ، فقال مكرز :

فَدَيْت بأذوادٍ ثمانٍ سِبَا فتًى ينالُ الصميمَ غُرمُها لا المَواليا
رهنتُ يدى والمالُ أيسرُ من يدى علىَّ ولكنى خَشيتُ المخازيا
وقلت سُهيلٌ خيرُنا فاذهبوا به لأبنائنا حتى نُديرَ الأمانيا

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لِمكْرز .

أسر عمرو بن أبى سفيان : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال : كان عمرو بن أبى سفيان بن حرب ، وكان لبنت عقبة بن أبى معيط ـ قال ابن هشام : أم عمرو بن أبى

---

(١) الأعلم : مشقوق الشفة العليا وليس السفلى . (٢) يدلع : يخرج .

سفيان بنت أبى عمرو ، وأخت أبى معيط بن أبى عمرو - أسيراً فى يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أسرى بدر .

قال ابن هشام : أسره على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال : فقيل لأبى سفيان : افد عمرا ابنك ؛ قال : أيُجمع علىّ دمى ومالى ؟! قتلوا حنظلة ، وأفدى عمرا ! دعوه فى أيديهم يُمسكوه ما بدا لهم .

قال : فبينا هو كذلك ، محبوس بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ خرج سعد بن النعمان بن أكّال ، أخو بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى معاوية معتمراً ومعه مُرَيَّة له ، وكان شيخاً مسلماً ، فى غنم له بالنقيع[1] ، فخرج من هنالك معتمراً ، ولا يخشى الذى صُنع به ، لم يظن أنه يحبس بمكة ، إنما جاء معتمراً . وقد كان عهد قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير ؛ فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو ، ثم قال أبو سفيان :

أرَهط ابن أكّالٍ أجيبوا دعاءه ... تعاقدتم لا تُسلموا السيد الكهلا
فإن بنى عمرو لئام أذلةٌ ... لئن لم يَفكوا عن أسيرهم الكبلا

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

لو كان سعدٌ يوم مكة مُطلقا ... لأكثر فيكم قبل أن يُؤسَر القتلا
بعضبٍ حسامٍ أو بصفراء نبعةٍ ... تحن إذا ما أنبضت تحفِزُ النَّبلا[2]

ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكوا به صاحبهم ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبعثوا به إلى أبى سفيان ، فخلى سبيل سعد .

قصة زينب بنت الرسول وزوجها أبى العاص : قال ابن إسحاق : وقد كان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزى بن عبد شمس ، خَتَنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج ابنته زينب .

---

(١) موضع قرب المدينة .

(٢) العضب : السيف القاطع . والصفراء النبعة : القوس المصنوعة من شجرة النبع . وتحن : يصوت وترها . وأنبضت : تحرك وتر القوس استعدادا للانطلاق . وتحفز النبلا : ترميه .

قال ابن هشام : أسره خِرَاش بن الصِّمَّة ، أحد بنى حَرام .

قال ابن إسحاق ، وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين ، مالا ، وأمانة ، وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد ، وكانت خديجة خالته . فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها ، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحى ، فزوجه ، وكانت تعـــده بمنزلة ولدها . فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بنبوته آمنت به خديجة وبناته ، فصدَّقنه ، وشهدن أن ماجاء به الحق ، ودِنَّ بدينه ، وثبت أبو العاص على شركه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبى لهب رقية ، أو أم كلثوم[1] . فلما بادى قريشا بأمر الله تعالى وبالعداوة ، قالوا : إنكم قد فرَّغتم محمداً من همه ، فردوا عليه بناته ، فاشغلوه بهن . فمشوا إلى أبى العاص فقالوا له : فارق صاحبتك ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت ؛ قال : لا والله ، إنى لاأفارق صاحبتى ، وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه فى صهره خيراً ، فيما بلغنى . ثم مشوا إلى عتبة بن أبى لهب ، فقالوا له : طلق بنت محمد ونحن ننكحك أى امرأة من قريش شئت ؛ فقال : إن زوجتمونى بنت أبان بن سعيد بن العاص ، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها . فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن أُدخل بها ؛ فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهوانا له ، وخلف عليها عثمان بن عفان بعده .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بمكة ولا يحرِّم ، مغلوبا على أمره ؛ وكان الإسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلمت وبين أبى العاص بن الربيع ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر أن يفرق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صارت قريش إلى بدر ، صار

---

(١) كانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عتبة بن أبى لهب ، وأم كلثوم تحت عتيبة ، فطلقاهما بعزم أبيهما وأمهما حين نزلت « تبت يدا أبى لهب » فأما عتيبة فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه فافترسه الأسد من بين أصحابه ، وهم نيام حوله ، وأما عتبة ومعتب ابنا أبى لهب ، فأسلما ولهما عقب . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٣ ص ٦٨

فيهم أبو العاص بن الربيع فأصيب فى الأسارى يوم بدر ، فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة قالت لما بعث أهل مكة فى فداء أسرائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء أبى العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها ؛ قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقّ لها رقة شديدة وقال : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها ، فافعلوا ؟ فقالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه ، وردوا عليها الذى لها .

خروج زينب إلى المدينة

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه ، أو وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، أن يخلى سبيل زينب ، أو كان فيما شرط عليه فى إطلاقه ، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيُعلم ما هو ، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخُلّى سبيله ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار مكانه ، فقال : كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب ، فتصحباها حتى تأتيانى بها . فخرجا مكانهما ، وذلك بعد بدر بشهر أو شَيْعه(١) ، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها ، فخرجت تجهّز .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال : حدثت عن زينب أنها قالت : بينا أنا أتجهز بمكة للحوق بأبى لقيتنى هند بنت عتبة ، فقالت : يابنت محمد ، ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ قالت : ما أردت ذلك ، فقالت : أى ابنة عمى ، لاتفعلى ، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك ، أو بمال تتبلّغين به إلى أبيك ، فإن عندى حاجتك ، فلا تضْطَنِى(٢) منى فإنه لايدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، قالت : ولكنى خفتها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك ، وتجهزت .

فلما فرغت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيراً ، فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهارا يقود بها ، وهى فى هودج

---

(١) شيعة : قريب منه .
(٢) أى لاتستحى .

لها . وتحدث بذلك رجال من قريش ، فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوًى ، فكان أول من سبق إليها هبَّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى ، الفهرى، فروَّعها هبار بالرمح وهى فى هودجها ، وكانت المرأة حاملا — فيما يزعمون — فلما رِيعت طرحت ذا بطنها ، وبرك حموها كنانة ، ونثر كنانته ، ثم قال : والله لايدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهما ، فتكركر (١) الناس عنه . وأتى أبو سفيان فى جلة من قريش فقال : أيها الرجل ، كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنك لم تصب ، خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية على رءوس الناس من بين أظهرنا ، أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التى كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووَهَن ، ولعمرى مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، ومالنا فى ذلك من ثُؤْرة (٢) ، ولكن ارجع بالمرأة ، حتى إذا هدأت الأصوات ، وتحدث الناس أن قد رددناها فسُلَّها سرًا ، وألحقها بأبيها ، قال : ففعل . فأقامت ليالىَ ، حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فقال عبد الله بن رواحة ، أو أبو خَيْثَمة ، أخو بنى سالم بن عوف، فى الذى كان من أمر زينب — قال ابن هشام : هى لأبى خَيْثَمة — :

أتانى الذى لايقدُرُ الناسُ قدرَه ... لزينبَ فيهم من عقوقٍ ومأثمِ
وإخراجُها لم يُخزَ فيها محمدٌ ... على مأقِطٍ وبيننا عِطرُ مَنشمِ (٣)
وأمسى أبو سفيانَ من حِلفِ ضمضمٍ ... ومن حربنا فى رغمِ أنفٍ ومندمِ
قرنَّا ابنَه عمرا ومولى يمينِه ... بذى حَلَقٍ جَلْدِ الصلاصلِ مُحكَمِ (٤)
فأقسمتُ لاتنفك منا كتائبٌ ... سَراةُ خَميسٍ فى لُهامٍ مُسَوَّمِ (٥)
نَزوعُ قريشَ الكفرِ حتى نَعُلَّها ... بخاطِمَةٍ فوقَ الأنوفِ بِمَيْسَمِ (٦)

(١) تكركر : رجع . (٢) الثؤرة : طلب الثأر .

(٣) المأقط : معترك الحرب ومنشم امرأة كانت تبيع العطر فتحالف قوم على الموت فى قتال عدوهم وغمسوا أيديهم فى عطرها فماتوا جميعاً فضرب به المثل فى الشؤم .

(٤) ذى حلق : السلاسل . والصلاصل : صوت الحديد .

(٥) السراة : السادة . والخميس : الجيش . واللهام : الكثير . والمسوم : المعلم .

(٦) نزوع : نسوق نعلها : نعيد عليهم الكرة .

نزلهم أكناف نجـــد ونخلة ... وإن يُتْهِموا بالخيلِ والرَّجْلِ تُتْهِمِ(١)
يدَ الدهرِ حتى لا يُعوِّجَ سِربُنا ... ونُلحِقَهم آثارَ عادٍ وجُرْهُمِ (٢)
ويندمُ قومٌ لم يطيعوا محمداً ... على أمرهم وأىُّ حينِ تَنَدُّمِ
فأبلغْ أبا سفيانَ إمّا لقيته ... لئن أنت لم تُخلِصْ سجوداً وتُسْلِمِ
فأبشرْ بخزيٍ فى الحياةِ معجَّلٍ ... وسِربالِ قارٍ خالداً فى جهنمِ

قال ابن هشام: ويروى: وسربال نار.

قال ابن إسحاق: ومولى يمين أبى سفيان، الذى يعنى: عامر بن الحضرمى: كان فى الأسارى، وكان حلف الحضرمى إلى حرب بن أمية.

قال ابن هشام: مولى يمين أبى سفيان، الذى يعنى: عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى، فأما عامر بن الحضرمى فقُتِل يوم بدر.

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتهم هند بنت عتبة. فقالت لهم:

أفى السلمِ أعيارٌ جَفاءً وغِلظةً ... وفى الحربِ أشباهُ النساءِ العَوارِكِ(٣)

وقال كنانة بن الربيع فى أمر زينب، حين دفعها إلى الرجلين:

عجبت لهَبّارٍ وأوباشِ قومِه ... يريدون إخفارى ببنتِ محمدِ
ولست أُبالى ما حَييتُ عديدَهم ... وما استجمَعَتْ قَبْضاً يَدِى بالمُهنّدِ

قال ابن إسحاق حدثنى يزيد بن أبى حبيب، عن بُكير بن عبد الله بن الأشج، عن سليمان ابن يسار، عن أبى إسحاق الدَّوْسى، عن أبى هريرة، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرِية أنا فيها، فقال لنا: إن ظفرتم بهَبّار بن الأسود، أو الرجل الآخر الذى سبق معه إلى زينب.

---

(١) الأكناف: النواحى. نجد: ما ارتفع من أرض الحجاز. ونخلة: موضع قريب من مكة. وأتهم: أتى تهامة وهى ما انخفض من أرض الحجاز.
(٢) يد الدهر: أى أبد الدهر. والسرب الطريق.
(٣) الأعيار: الحمير. والعوارك: الحيّض.

قال ابن هشام : وقد سمى ابن إسحاق الرجل فى حديثه وقال : هو نافع بن عبد قيس ـ فحرقوهما بالنار : قال : فلما كان الغد بعث إلينا . فقال : إنى كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا الله . فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما .

إسلام أبى العاص بن الربيع

قال ابن إسحاق : وأقام أبو العاص بمكة . وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، حين فرق بينهما الإسلام . حتى إذا كان قبيل الفتح ، خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ، وكان رجلا مأمونا ، بمال له وأموال لرجال من قريش ، أبضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا ، لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هاربا ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستجار بها ، فأجارته ، وجاء فى طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح ـ كما حدثنى يزيد بن رومان ـ فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب من صُفَّة النساء : أيها الناس ، إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع قال : فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ! هل سمعتم ما سمعتُ ؟ قالوا : نعم ؛ قال : والذى نفس محمد بيده ما علمت بشىء من ذلك حتى سمعت ما سمعت ، إنه يجير على المسلمين أدناهم . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ابنته ، فقال : أى بُنَيَّة ، أكرمى مثواه ، ولا يخلُصَنَّ إليك ، فإنك لا تحلين له .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السَّرية الذين أصابوا مال أبى العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له ، فإنا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم ، فأنتم أحق به ؛ فقالوا : يارسول الله ، بل نرده عليه ، فردوه عليه ، حتى إن الرجل ليأتى بالدَّلو ، ويأتى الرجل بالشَّنة وبالإداوة[1] حتى إن أحدهم ليأتى بالشِّظاظ[2] ، حتى ردوا عليه ماله بأسره : لا يفقد منه شيئا . ثم احتمله إلى مكة ، فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله ، ومن كان أبضع معه ، ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه

---

(١) الشنة : السقاء البالى ، والإداوة : الإناء الصغير من الجلد .

(٢) الشظاظ : خشبة عقفاء تدخل فى عروتى الكيس ، والجمع : أشظة .

قالوا : لا . فجزاك الله خيرا ، فقد وجدناك وفيا كريما قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، والله مامنعني من الإسلام عنده إلا تخوفي أن تظنوا أني أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الأول لم يحدث شيئا[1] بعد ست سنين .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين ، قيل له : هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال ، فإنها أموال المشركين ؟ فقال أبو العاص : بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي .

قال ابن هشام : وحدثني عبد الوارث بن سعيد التنوري ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر الشعبي ، بنحوٍ من حديث أبي عُبيدة عن أبي العاص .

قال ابن إسحاق : فكان ممن سمي لنا من الأسارى ممن مُنّ عليه بغير فداء ، من بني عبد شمس بن عبد مناف : أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس مَنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفدائه . ومن بني مخزوم ابن يقظة : المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيدة بن عمر بن مخزوم ، كان لبعض بني الحارث ابن الخزرج ، فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله . فلحق بقومه .

قال ابن هشام : أسره خالد بن زيد ، أبو أيوب الأنصاري ، أخو بني النجار .

قال ابن إسحاق : وصَيْفي بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ترك في أيدي أصحابه ، فلما لم يأت أحد في فدائه أخذوا عليه ليبعثن إليهم بفدائه ، فخلوا سبيله ، فلم يف لهم بشيء ؛ فقال حسان بن ثابت في ذلك :

وما كان صيفيٌّ ليوفي ذمةً ... قفا ثعلبٍ أعيا ببعض الموارد

قال ابن هشام : وهذا البيت في أبيات له .

---

(١) ويعارضه حديث عمرو بن شعيب أنه ردها عليه بنكاح جديد ، ويمكن الجمع منهما أنه ردها عليه على مثل النكاح الأول في الصداق مثلا .

قال ابن إسحاق : وأبو عزة ، عمرو بن عبدالله بن عثمان بن أُهَيْب بن حُذافة بن جُمَح ، كان محتاجا ذا بنات ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله لقد عرفت مالى من مال ، وإنى لذو حاجة ، وذو عيال ، فامنن على ؛ فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ عليه ألا يظاهر عليه أحدا . فقال أبو عزة فى ذلك ، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فضله فى قومه :

من مبلغٌ عنى الرسولَ محمدا ... بأنك حق والمليكُ حميدُ
وأنت امرؤ تدعو إلى الحقّ والهدى ... عليك من اللهِ العظيمِ شهيدُ
وأنت امرؤ بُوِّئْتَ فينا مباءة ... لها درجات سهلة وصعودُ[1]
فإنك من حاربته لمُحارَبٌ ... شَقِيٌّ ومن سالمته لسعيدُ
ولكن إذا ذُكِّرْتُ بدرا وأهلَه ... تأوّب مابى : حسرةٌ وقُعودُ[2]

ثمن الفداء : قال ابن هشام : كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل ، إلى ألف درهم ، إلا من لاشىء له ، فمَنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه .

إسلام عمير بن وهب وتحريض صفوان له على قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير قال : جلس عُمَيْر ابن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية بعد مُصاب أهل بدر من قريش ـ فى الحِجْر ـ بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير فى أسارى بدر .

قال ابن هشام : أسره رفاعة بن رافع أحد بنى زُرَيْق .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : فذكر أصحاب القليب ومُصابهم ، فقال صفوان : والله إنْ فى العيش بعدهم خيرٌ ؛ قال له عمير : صدقت والله ، أما والله لولا دَيْن على ليس له عندى قضاء وعيال أخشى عليهم الضَّيْعة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لى قِبَلَهم علة : ابنى أسير فى أيديهم : قال : فاغتنمها صفوان

(١) بوئت : نزّلت .
(٢) تأوب : رجع .

وقال : عليّ دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا ، لا يسعنى شىء ويعجز عنهم ؛ فقال له عمير : فاكتم شأنى وشأنك ؛ قال : أفعل .

قال : ثم أمر عمير بسيفه ، فشُحذ له وسُمَّ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ؛ فبينا عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشّحا السيف ، فقال: هذا الكلب عدو الله عُمَير بن وهب ، والله ما جاء إلا لشر . وهو الذى حَرش بيننا ، وحَزَرنا(١) للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يانبى الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه : قال : فأدخله على ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلبّبه بها ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذَروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون ؛ ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، قال : أرسله ياعمر ، ادن يا عمير ؛ فدنا ثم قال : انعِمُوا صباحا ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام : تحية أهل الجنة : فقال : أما والله يا محمد إن كنتُ بها لحديث عهد : قال : فما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه ؛ قال : فما بال السيف فى عنقك ؟ قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال : أصدقنى ، ما الذى جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك ؛ قال . بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحِجْر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت ؛ لولا دَيْن علىّ وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمّل لك صفوان بدَينك وعيالك ، على أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ذلك ؛ قال عمير أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المَساق ، ثم شهد شهادة الحق . فقال

---

(١) حرش : أفسد ، والحزر : تقدير العدد تخمينا .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقّهوا أخاكم فى دينه . وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره ، ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله ، إنى كنت جاهدا على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل ، وأنا أحب أن تأذن لى ، فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله تعالى ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم؟ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلحق بمكة . وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير ابن وهب ، يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن فى أيام ، تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبدا ، ولا ينفعه بنفع أبداً .

قال ابن إسحاق : فلما قدم عمير مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذى من خالفه أذًى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .

قال ابن إسحاق : وعمير بن وهب ، أو الحارث بن هشام ، قد ذُكر لى أحدهما ، الذى رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر ، فقال : أين ، أى سُراقَ ؟ ومثل[1] عدو الله فذهب ، فأنزل الله تعالى فيه . « وإذ زيَّنَ لهم الشيطانُ أعمالَهم وقال لاغالبَ لكم اليومَ من الناسِ ، وإنى جارٌ لكم » . فذكر استدراج إبليس إياهم ، وتشبهه بسُراقة بن مالك بن جُعْشُم لهم ، حين ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مَناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم . يقول الله تعالى : « فلما تراءتِ الفِئتانِ » ، ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة ، قد أيد الله بهم رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على عدوهم « نكَصَ على عَقِبَيْهِ وقال إنى برىءٌ منكم إنى أرى ما لا ترَوْن » . وصدق عدو الله ، رأى ما لم يروا ، وقال : « إنى أخافُ اللهَ ، واللهُ شديدُ العقابِ » . فذكر لى أنهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سُراقة لا ينكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان نكص على عقبيه ، فأوردهم ثم أسلمهم .

قال ابن هشام : نكص : رجع . قال أَوْس بن حَجَر ، أحد بنى أسد بن عمرو بن تميم :

نكصتُم على أعقابِكم يومَ جئتُمُ ... تُزجُّون أنفالَ الخميسِ العرَمْرَمِ

وهذا البيت فى قصيدة له .

---

(١) مثل : ذهب فى الأرض واختفى .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

قومى الذين هم آووْا نبيَّهم وصدقوه وأهلُ الأرضِ كفارُ
إلا خصائصَ أقوامٍ هم سَلَفٌ للصالحين مع الأنصارِ أنصارُ
مستبشرين بقَسْمِ اللهِ قولُهمُ لما أتاهم كريمُ الأصلِ مختار :
أهلا وسهلا ففى أمنٍ وفى سَعَةٍ نِعْمَ النبيُّ ونعمَ القَسْم والجار
فأنزلوه بدارٍ لا يخاف بها من كان جارَهمُ داراً هى الدارُ
وقاسموه بها الأموالَ إذ قدِموا مهاجرين وقَسْمُ الجاحدِ النار
سِرْنا وساروا إلى بدرٍ لحَيْنِهمُ لو يعلمون يقينَ العلمِ ماساروا
دلّاهمُ بغُرورٍ ثم أسلمهم إن الخبيثَ لمن والاهُ غرّار
وقال إنى لكم جارٌ فأوردهم شرَّ الموارد فيه الخزىُ والعارُ
ثم التقينا فولّوا عن سَرَاتِهمُ من مُنجدينَ ومنهم فِرقةٌ غارُوا [1]

قال ابن هشام أنشدنى قوله : « لما أتاهم كريم الأصل مختار » أبو زيد الأنصارى .

المطعمون من قريش

قال ابن إسحاق : وكان المطعمون[2] من قريش ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف : العباس ابن عبد المطلب بن هاشم .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمة بن عدى بن نوفل ، يعتقبان ذلك .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : أبا البَخْترى بن هشام بن الحارث بن أسد . وحكيم بن حزام ابن خويلد بن أسد : يعتقبان ذلك .

---

(١) السراة : الخيار . وغاروا : تفرقوا .
(٢) من يطعمون الحجيج أيام الموسم .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار .

قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدة بن عبد مناف بن عبد الدار.

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : أبا جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم .

ومن بنى جُمَح : أمية بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جمح .

ومن بنى سهم بن عمرو : نُبيها ومنبّها ابنى الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم ، يمتقبان ذلك .

ومن بنى عامر بن لؤى : سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدوُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر .

أسماء خيل المسلمين يوم بدر

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم : أنه كان مع المسلمين يوم بدر من الخيل ، فرس مَرْثَد بن أبى مرثد الغَنَوى ، وكان يقال له : السَّبَل ؛ وفرس المِقداد بن عمرو البَهرانى ، وكان يقال له : بَعْزَجة ، ويقال : سَبْحَة ؛ وفرس الزبير بن العوام ، وكان يقال له : اليَعْسوب .

قال ابن هشام : ومع المشركين مائة فرس .

نزول سورة الأنفال تصف أحداث بدر

قال ابن إسحاق : فلما انقضى أمر بدر ، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها. فكان مما نزل منها فى اختلافهم فى النفل حين اختلفوا فيه : « يسئلونك عن الأنفالِ ، قل الأنفالُ لله والرسولِ ، فاتقوا اللهَ وأصلحوا ذاتَ بينِكم ، وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين » .

فكان عبادة بن الصامت — فيما بلغنى — إذا سُئل عن الأنفال ، قال : فينا معشر أهل بدر نزلت ، حين اختلفنا فى النَّفَل يوم بدر ، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا فرده على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقسمه بيننا عن بَوَاء - يقول : على السواء - وكان فى ذلك تقوى الله وطاعته ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وصلاح ذات البين .

ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف القوم أن قريشا

فقد ساروا إليهم ، وإنما خرجوا يريدون العير طمعا فى الغنيمة ، فقال : « كما أخرجك ربُّك من بيتك بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحقّ بعد ما تبين كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون » : أى كراهية للقاء القوم ، وإنكاراً لمسير قريش ، حين ذكروا لهم « وإذ يعِدُكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتوَدون أن غيرَ ذاتِ الشوكةِ تكون لكم » : أى الغنيمة دون الحرب « ويريدُ اللهُ أن يُحِق الحقَّ بكلماتِه ، ويقطعَ دابرَ الكافرين » : أى بالوقعة التى أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر « إذ تستغيثون ربَّكم » : أى لدعائهم حين نظروا إلى كثرة عدوهم ، وقلة عددهم « فاستجابَ لكم » بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم « أنى مُمِدُّكم بألفٍ من الملائكةِ مُردِفين . إذ يُغشّيكمُ النعاسُ أمَنَةً منه » : أى أنزلت عليكم الأمنة حين نمتم لا تخافون « ويُنزِّلُ عليكم من السماءِ ماءً » للمطر الذى أصابهم تلك الليلة ، فحبس المشركين أن يسبقوا إلى الماء ، وخلى سبيل المسلمين إليه « ليُطهِّرَكم به ويُذهبَ عنكم رجزَ الشيطانِ ، وليربِطَ على قلوبكم ويُثبِّتَ به الأقدامَ » : أى ليذهب عنكم شك الشيطان ، لتخويفه إياهم عدوهم ، واستجلاد[1] الأرض لهم ، حتى انتهوا إلى منزلهم الذى سبقوا إليه عدوهم .

ثم قال تعالى : « إذ يوحِى ربُّك إلى الملائكةِ أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا » : أى آزروا الذين آمنوا « سألقِى فى قلوبِ الذين كفروا الرعبَ ، فاضربوا فوقَ الأعناقِ ، واضربوا منهم كلَّ بَنانٍ . ذلك بأنهم شاقُّوا اللهَ ورسولَه ، ومن يشاققِ اللهَ ورسولَه فإن اللهَ شديدُ العقابِ » ثم قال : « ياأيها الذين آمنوا إذا لَقِيتم الذين كفروا زحفا فلا تُوَلُّوهم الأدبارَ . ومن يُوَلِّهم يومئذ دبره إلا مُتحرِّفا لقتالٍ أو متحيِّزاً إلى فئة ، فقد باءَ بغضبٍ من الله ، ومأواه جهنمُ وبئسَ المصيرُ » : أى تحريضا لهم على عدوهم لئلا ينكلوا عنهم إذا لقوهم ، وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم .

ثم قال تعالى فى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالحصباء من يده ، حين رماهم : « وما رميتَ إذ رميتَ ولكن اللهَ رمى » : أى لم يكن ذلك برميتك ، لولا الذى جعل الله فيها من نصرك ، وما ألقى فى صدور عدوك منها حين هزمهم الله « وليُبلِيَ المؤمنين منه بلاءً حسناً » : أى ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم فى إظهارهم على عدوهم ، وقلة عددهم ، ليعرفوا بذلك حقه ، ويشكروا بذلك نعمته .

---

(١) الاستجلاد : الشدة .

، ثم قال : « إن تستفتِحوا فقد جاءكم الفتحُ » : أى لقول أبى جهل : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف ، فأحِنْه الغداة . والاستفتاح : الإنصاف فى الدعاء .

يقول الله جل ثناؤه : « وإن تنتهوا » : أى لقريش « فهو خيرٌ لكم وإن تعودوا نَعُدْ » : أى بمثل الوقعة التى أصبناكم بها يوم بدر : « ولن تغنىَ عنكم فئتُكم شيئا ولو كثُرت وأنّ اللهَ مع المؤمنين » : أى أن عددكم وكثرتكم فى أنفسكم لن تغنى عنكم شيئا ، وإنى مع المؤمنين ، أنصرهم على من خالفهم .

ثم قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ ورسولَه ، ولا تَوَلَّوْا عنه وأنتم تسمعون » : أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله ، وتزعمون أنكم منه ، « ولا تكونوا كالذين قالوا سمِعنا وهم لا يسمَعون » : أى كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ، ويُسِرّون له المعصية « إن شرَّ الدوابِ عند اللهِ الصمُّ البكمُ الذين لا يعقلون » : أى المنافقين الذين نهيتكم أن تكونوا مثلهم ، بكم عن الخير ، صم عن الحق ، لا يعقلون : لا يعرفون ما عليهم فى ذلك من النقمة والتِّباعة[1] « ولو علم اللهُ فيهم خيراً لأسمعَهم[2] » ، أى لأنفذ لهم قولهم الذى قالوا بألسنتهم ، ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ، ولو خرجوا معكم « لتوَلَّوا وهم مُعرِضون » ، ماوفوا لكم بشىء مما خرجوا عليه . « يأيها الذين آمنوا استجيبوا للهِ وللرسولِ إذا دعاكم لما يُحييكم » : أى للحرب التى أعزكم الله بها بعد الذل ، وقواكم بها بعد الضعف ، ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم ، « واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعَفون فى الأرضِ تخافون أن يتخطَّفكم الناسُ فآواكم وأيدكم بنصرِه ، ورزقكم من الطيباتِ لعلكم تشكرون . يأيهـــا الذين آمنوا لا تخونوا اللهَ والرسولَ وتخونوا أماناتِكم وأنتم تعلمون » أى لا تظهروا له من الحق مايرضى به منكم ، ثم تخالفوه فى السر إلى غيره ، فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأنفسكم . « يأيها الذين آمنوا إن تتقُوا اللهَ يجعلْ لكم فرقانا ، ويكفرْ عنكم سيئاتِكم ، ويغفرْ لكم واللهُ ذو الفضلِ العظيم » : أى فصلا بين الحق والباطل ، ليظهر الله به حقكم ، ويطفىء به باطل من خالفكم .

ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمته عليه ، حين مكر به القوم ليقتلوه أو يُثبتوه أو يخرجوه « ويمكرون ويمكرُ اللهُ ، واللهُ خيرُ الماكرين » : أى فمكرت بهم بكيدى المتين حتى خلصتك منهم .

---

(١) التباعة : طلب الشخص بما ارتكب من المظالم .

(٢) لم يأت بجزء من الآية وهو « ولو أسمعهم » .

ثم ذكر غِرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم ، إذ قالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندِك » أى ما جاء به محمد « فأمطِرْ علينا حجارةً من السماءِ » كما أمطرتها على قوم لوط «أو ائتنا بعذابٍ أليمٍ » أى بعض ماعذبت به الأمم قبلنا ، وكانوا يقولون : إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفره ، ولم يعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها . وذلك من قولهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر جهالتهم وغِرتهم واستفتاحهم على أنفسهم ، حين نعى سوء أعمالهم : «وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم ، وما كان اللهُ معذّبهم وهم يستغفرون » أى لقولهم : إنا نستغفر ومحمد بين أظهرنا ، ثم قال « وما لهم ألا يعذّبهم اللهُ » وإن كنت بين أظهرهم ، وإن كانوا يستغفرون كما يقولون « وهم يصُدون عن المسجدِ الحرامِ » : أى من آمن بالله وعبده : أى أنت ومن اتبعك ، « وما كانوا أولياءه إن أولياؤُه إلا المتقون » الذين يحرّمون حرمته ويقيمون الصلاة عنده : أى أنت ومن آمن بك « ولكنّ أكثرَهم لا يعلمون . وما كان صلاتُهم عند البيتِ » التى يزعمون أنه يدفع بها عنهم « إلا مُكاءً وتَصْدِيةً » .

قال ابن هشام : المكاء : الصفير . والتصدية : التصفيق قال عنترة بن عمرو بن شداد العَبْسى:

ولرُبَّ قِرْنٍ قد تركتُ مجــدَّلاً تَمْكُو فريصَتُــه كشِدْقِ الأعلمِ(١)

يعنى : صوت خروج الدم من الطعنة ، كأنه الصفير : وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الطِّرِمَّاح بن حكيم الطائى :

لهــا كلما رِيعت صَداةٌ ورَكْدَةٌ بمُصدَان أعلى ابنَىْ شَمامٍ البوائنِ(٢)

وهذا البيت فى قصيدة له . يعنى الأُرْوِيَّة ، يقول : إذا فَزِعتْ قرعت بيدها الصَّفاة ثم ركدت تسمع صدى قرعها بيدها الصفاة مثل التصفيق . والمصْدان : الحرز وابنا شمام جبلان .

---

(١) مجدلا . واقع على الأرض . والفريصة : جزء فى مرجع الكتف . والأعلم مشقوق الشفة العليا ، ويريد به الجمل .

(٢) صداة : تصفير . والركدة : السكون ، والمصدان الجدران وابن شمام هضبتان بجبل شمام ، والبوائن : المبتعدة .

قال ابن إسحاق : وذلك ما لا يُرضى الله عز وجل ولا يحبه ، ولا ما افترض عليهم ، ولا ما أمرهم به « فذوقوا العذابَ بما كنتم تكفرون » : أي لما أوقع بهم يوم بدر من القتل .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، عن عائشة قالت : ما كان بين نزول : « يأيها المزمل » ، وقول الله تعالى فيها : « وذَرْني والمكذِّبين أُولى النَّعْمَةِ ومهلهم قليلا . إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غُصَّةٍ وعذابا أليما » إلا يسير ، حتى أصاب الله قريشا بالوقعة يوم بدر .

قال ابن هشام : الأنكال : القيود ؛ واحدها : نِكْل . قال رؤبة بن العجّاج :

يكفيكَ نِكْلِي بَغْيَ كلِّ نِكْلِ

وهذا البيت فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : ثم قال الله عز وجل : « إن الذين كفروا يُنفقون أموالَهم ليصدوا عن سبيلِ اللهِ فسيُنفقونها ثم تكون عليهم حسرةً ثم يُغلبون والذين كفروا إلى جهنمَ يُحشرون » يعنى النفر الذين مشوا إلى أبى سفيان ، وإلى من كان له مال من قريش فى تلك التجارة ، فسألوهم أن يقووهم بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعلوا .

ثم قال : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفرْ لهم ما قد سلف وإن يعودوا » لحربك « فقد مضت سنةُ الأولين » أى من قتل منهم يوم بدر .

ثم قال تعالى « وقاتِلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدينُ كلُّه لله » : أى حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، ويكون التوحيد لله خالصا ليس له فيه شريك ، ويخلع ما دونه من الأنداد « فإن انتهَوْا فإن اللهَ بما يعملون بصير . وإن تَوَلَّوْا » عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم « فاعلموا أن اللهَ مولاكم » الذى أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر فى كثرة عددهم وقلة عددكم « نعمَ المولَى ونعمَ النصيرُ » .

ثم أعلمهم مقاسم الفىء وحكمه فيه ، حين أحله لهم ، فقال « واعلموا أنما غنمتم من شىءٍ فأن للهِ خُمُسَه وللرسولِ ولذى القربَى واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيلِ إن كنتم آمنتم باللهِ وما أنزلنا على عبدِنا يومَ الفرقانِ يومَ التقى الجمعان واللهُ على كلِّ شىءٍ قديرٌ » أى يوم فرقت فيه بين الحق والباطل بقدرتى يوم التقى الجمعان منكم ومنهم « إذ أنتم بالعُدْوَةِ الدنيا » من الوادى « وهم بالعدوة القصوى » من الوادى إلى مكة « والركبُ أسفلَ منكم » :

أى عير أبى سفيان التى خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم « ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعادِ » أى ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم ، وقلة عددكم ماالقيتموهم « ولكنْ ليقضىَ اللهُ أمراً كان مفعولا » أى ليقضى ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر وأهله عن غير بلاء منكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه ، ثم قال « ليَهْلِكَ من هلكَ عن بينةٍ ، ويَحْيَي من حيَّ عن بينة ، وإن اللهَ لسميعٌ عليم » أى ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والعبرة ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك .

ثم ذكر لطفه به وكيده له ، ثم قال : « إذ يُريكَهُمُ اللهُ فى منامِك قليلا ، ولو أراكَهُمْ كثيراً لفشِلتم ولتنازعتم فى الأمرِ ولكن اللهَ سَلَّمَ إنه عليمٌ بذاتِ الصدورِ » ، فكان ما أراك من ذلك نعمة من نعمه عليهم ، شجعهم بها على عدوهم ، وكف بها عنهم ما تُخُوِّفَ عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم .

— قال ابن هشام : تخوف : مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحاق ولم أذكرها (١)

« وإذ يُريكُمُوهُم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقلِّلُكم فى أعينهم ليقضىَ اللهُ أمراً كان مفعولا » : أى ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه ، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه ، من أهل ولايته .

ثم وعظهم وفهمهم وأعلمهم الذى ينبغى لهم أن يسيروا به فى حربهم، فقال تعالى : « ياأيها الذين آمنوا إذا لَقِيتم فئةً » تقاتلونهم فى سبيل الله عز وجل « فاثبُتوا واذكروا اللهَ كثيراً » الذى له بذلتم أنفسكم ، والوفاء له بما أعطيتموه من بيعتكم « لعلكم تفلحون . وأطيعوا اللهَ ورسولَه ولا تنازعوا فتفشلوا » : أى لا تختلفوا فيتفرق أمركم « وتذهبَ ريحُكم » ، أى وتذهب حدتكم « واصبروا إن اللهَ مع الصابرين » أى إنى معكم إذا فعلتم ذلك « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارِهم بَطَراً ورئاءَ الناسِ » : أى لا تكونوا كأبى جهل وأصحابه ، الذين قالوا : لا نرجع حتى نأتى بدرا فننحر بها الجزر ونسقى بها الخمر ، وتعزف علينا فيها القيان ، وتسمع العرب : أى لا يكون أمركم رياء ، ولا سمعة ، ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا لله النية والحِسْبة فى نصر دينكم ، وموازرة نبيكم ، لا تعملوا إلا لذلك ولا تطلبوا غيره .

---

(١) يقال : إنها « تخوفت » ، ولذلك أصلح ابن هشام اللفظ .

ثم قال تعالى : « وإذ زيّنَ لهم الشيطانُ أعمالَهم وقال لاغالبَ لكم اليومَ من الناسِ ، وإنى جارٌ لكم » .

قال ابن هشام : وقد مضى تفسير هذه الآية .

قال ابن إسحاق : ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر ، وما يَلْقَوْن عند موتهم ، ووصفهم بصفتهم وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عنهم ، حتى انتهى إلى أن قال « فإما تَثْقَفَنَّهم فى الحربِ فشرِّدْ بهم مَنْ خلفهم لعلهم يذكرون » أى فنكل بهم من ورائهم لعلهم يعقلون « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رِباطِ الخيلِ تُرهبون به عدوَّ اللهِ وعدوَّكم » . إلى قوله تعالى : « وما تُنفقوا من شيءٍ فى سبيلِ اللهِ يُوَفَّ إليكم ، وأنتم لاتُظلمون » أى لايضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة ، وعاجل خلفه فى الدنيا. ثم قال تعالى : « وإن جَنَحوا للسَّلْمِ فاجنحْ لها » : أى إن دعوك إلى السلم على الإسلام فصالحهم عليه « وتوكلْ على اللهِ ، إن الله كافيك » إنه هو السميعُ العليم » .

قال ابن هشام : جنحوا للسلم : مالوا إليك للسلم . الجنوح : الميل . قال لَبيد بن ربيعة :

جُنوحَ الهالِكيِّ على يديْهِ ... مُكِبًّا يجتلِى نُقَبَ النِّصالِ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له والسلم أيضا : الصلح ، وفى كتاب الله عز وجل : « فلا تَهِنوا وتدعوا إلى السَّلْمِ وأنتم الأعْلَوْنَ » ، ويقرأ : « إلى السِّلْم » ، وهو ذلك المعنى . قال زهير بن أبى سلمى :

وقد قلتُما إن نُدرِكَ السِّلْمَ واسعا ... بمالٍ ومعروفٍ من القولِ نَسْلَمِ

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وبلغنى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى ، أنه كان يقول : « وإن جنحوا للسِّلْم » للإسلام . وفى كتاب الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السِّلْمِ كافةً » ، ويقرأ « فى السَّلْم » ، وهو الإسلام . قال أمية بن أبى الصَّلْت :

فما أنابوا لِسِلْمٍ حين تنذرُهم ... رُسْلُ الإلهِ وما كانوا له عَضُدَا

وهذا البيت فى قصيدة له وتقول العرب لدلو تُعمل مستطيلة : السَّلْم . قال طَرَفة بن العبد أحد بنى قيس بن ثعلبة ، يصف ناقة له :

---

(١) الهالكى : الحداد والصيقل نسبة إلى أول من عمل الحدادة وهو الهالك بن أسد . ونقب النصال : جرب الحديد .

لما يرفقان أثلان كأنما ... تمرّ بسلمَىْ دالج متشدّد (١)

وهذا البيت فى قصيدة له :

« وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » هو من وراء ذلك . « هو الذى أيدك بنصره » بعد الضعف « وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم » على الهدى الذى بعثك الله به إليهم « لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألّفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألّف بينهم » بدينه الذى جمعهم عليه « إنه عزيزٌ حكيم » .

ثم قال تعالى : « يا أيها النبىّ حسبُك اللهُ ومن اتبعك من المؤمنين . يا أيها النبىّ حرِّض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين ، وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » : أى لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن عطاء بن أبى رباح ، عن عبد الله بن عباس قال : لما نزلت هذه الآية اشتد على المسلمين ، وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين ، ومئة ألفا ، فخفف الله عنهم ، فنسختها الآية الأخرى « الآن خفف اللهُ عنكم وعلِم أن فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مئةٌ صابرةٌ يغلبوا مئتين ، وإن يكن منكم ألفٌ يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين » . قال : فكانوا على الشّطر من عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم .

قال ابن إسحاق : ثم عاتبه الله تعالى فى الأسارى ، وأخذ المغانم ، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنما من عدو له .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد أبو جعفر بن على بن الحسين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصرت بالرعب ، وجُعلت لى الأرضُ مسجدا وطهورا ، وأُعطيتُ جوامعَ الكَلِم ، وأحلت لى المغانم ولم تُحَلّل لنبى كان قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، خمس لم يؤتهن نبى قبلى .

قال ابن إسحاق : فقال : « ما كان لنبىّ » : أى قبلك « أن يكون له أسرى » من عدوه « حتى يُثخن فى الأرض » ، أى يثخن (٢) عدوه ، حتى ينفيه من الأرض « تريدون عَرَض الدنيا » : أى المتاع ، الفداء بأخذ الرجال « والله يريدُ الآخرةَ » : أى قتلهم لظهور الدين الذى يريد إظهاره ، والذى تدرك به الآخرة « لولا كتابٌ من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم » : أى

(١) الدالج : الذى يحمل الدلو من البئر إلى الحوض ليفرغها فيه ، فهو يمشى متمهلا .

(٢) الإثخان هنا : التضييق .

من الأسارى والمغانم ، عذاب عظيم » : أى لولا أنه سبق منى أنى لا أعذب إلا بعد النهى، ولم يك نهاهم ، لعذبتكم فيما صنعتم ، ثم أحلها له ولهم رحمة منه ، وعائدة من الرحمن الرحيم ، «فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً واتقوا الله إن الله غفورٌ رحيم » ثم قال «يا أيها النبيُّ قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم اللهُ فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أُخذ منكم ويغفرْ لكم. واللهُ غفورٌ رحيم» .

وحض المسلمين على التواصل، وجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية الدين دون من سواهم، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ، ثم قال « إلا تفعلوه تكن فتنةٌ فى الأرض وفسادٌ كبير » . أى إلا يوال المؤمن من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به : « تكن فتنة فى الأرض » أى شبهة فى الحق والباطل ، وظهور الفساد فى الأرض بتولى المؤمن الكافر دون المؤمن » .

ثم رد المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم إلى الأرحام التى بينهم ، فقال : « والذين آمنوا من بعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعضٍ فى كتاب الله » أى بالميراث « إن الله بكلِّ شىءٍ عليمٌ » .

من حضر بدراً من المسلمين

قال ابن اسحاق : وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين ، ثم من قريش ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة :

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وحمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، أسد الله ، وأسد رسوله ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعلى بن أبى طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، وزيد بن حارثة بن شُرَحْبيل بن كعب بن عبدالعزى ابن امرىء القيس الكلبى ، أنعم الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس ابن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زيد الله بن رُفَيدة بن ثَور بن كعب بن وَبْرة .

قال ابن إسحاق : وأَنَسَة مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام « أَنَسَة : حبشى ، وأبو كبشة : فارسى .

قال ابن إسحاق: وأبو مَرْثد كَنَّاز بن حصن بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خَرَشة بن سعد بن طريف بن جِلّان بن غَنْم بن غَنِيّ بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان.

قال ابن هشام: كَنَّاز بن حُصين.

قال ابن إسحاق: وابنه مرثد بن أبي مَرْثد، حليفا حمزة بن عبد المطلب؛ وعبيدة بن الحارث بن المطلب؛ وأخواه الطُّفَيل بن الحارث، والحصين بن الحارث؛ ومِسطَح، واسمه عوف بن أُثاثة بن عبّاد بن المطلب. اثنا عشر رجلا

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه، قال: وأجري يارسول الله، قال: وأجرك، وأبو حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس وسالم، مولى أبي حذيفة.

قال ابن هشام: واسم أبي حذيفة: مِهْشَم.

قال ابن هشام: وسالم، سائبة لثبيتة بنت يَعار بن زيد بن عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، سيبته فانقطع إلى أبي حذيفة فتبناه؛ ويقال: كانت ثبيتة بنت يعار تحت أبي حذيفة بن عتبة، فأعتقت سالما سائبة، فقيل: سالم مولى أبي حذيفة.

قال ابن إسحاق: وزعموا أن صُبيحا مولى أبي العاص بن أمية بن عبد شمس تجهز للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مرض، فحمل على بعيره أبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ ثم شهد صبيح بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وشهد بدراً من حلفاء بني عبد شمس، ثم من بني أسد بن خزيمة: عبد الله بن جحش بن رِئاب بن يعمر بن صَبرة بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد وعُكَّاشة بن مِحْصن بن حُرثان ابن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد؛ وشُجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صُهَيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد؛ وأخوه عقبة بن وهب؛ ويزيد بن رُقَيش ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وأبو سِنان بن مِحصن ابن حُرثان بن قيس، أخو عكاشة بن محصن، وابنه سنان بن أبي سنان، ومُحرِز بن نَضْلة بن عبد الله ابن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وربيعة بن أكثم بن سَخْبَرة بن عمرو بن لُكَيز بن عامر ابن غنم بن دودان بن أسد.

ومن حلفاء بنى كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد : ثَقْف بن عمرو ، وأخواه : مالك بن عمرو ومُدْلج بن عمرو .

قال ابن هشام : مِدْلاج بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وهم من بنى حَجْر ، آل بنى سُلَيم . وأبو مَخْشى ، حليف لهم . ستة عشر رجلا .

قال ابن هشام : أبو مخشى طائى ، واسمه : سُوَيد بن مخشى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عُتبة بن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نُسَيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان ، وخَبَّاب ، مولى عتبة بن غزوان — رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ؛ وحاطب بن أبى بلتعة ، وسعد مولى حاطب . ثلاثة نفر .

قال ابن هشام : حاطب بن أبى بلتعة ، واسم أبى بلتعة : عَمْرو ، لخمى ، وسعد مولى حاطب ، كلبى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبد الدار بن قصى : مُصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى ، وسُوَيبط بن سعد بن حريملة بن مالك بن عُميلة بن السباق بن عبد الدار ابن قصى . رجلان .

ومن بنى زُهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عَوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، وسعد بن أبى وقاص — وأبو وقاص مالك بن أُهَيب بن عبد مناف بن زهرة . وأخوه عُمَير بن أبى وقاص .

ومن حلفائهم : المِقْداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثُمامة بن مطرود بن عمرو ابن سعد بن زهير بن ثَور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هَزْل بن قائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أهْوَد بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . قال ابن هشام : ويقال : هَزْل بن قاس بن ذَر — ودَهير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزّى بن حَمالة بن غالب بن مُحَلِّم بن عائذة بن سُبَيع بن الهون بن خزيمة ، من القارة .

قال ابن هشام : القارة : لقب لهم . ويقال :

قد أنصف القارةَ من رَاماها

وكانوا رماة .

قال ابن إسحاق : وذو الشِّمالين بن عبد عمرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سُلَيم بن مَلْكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، من خزاعة

قال ابن هشام : وإنما قيل له : ذو الشمالين ، لأنه كان أعسر ، واسمه عُمير .

قال ابن إسحاق : وخَبَّاب بن الأَرَتّ ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : خباب بن الأرت ، من بني تميم ، وله عقب ، وهم بالكوفة ، ويقال : خباب من خزاعة .

قال ابن إسحاق : ومن بني تَيْم من مرة ، أبو بكر الصديق ، واسمه عَتِيق بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم .

قال ابن هشام : اسم أبي بكر . عبد الله ، وعتيق : لقب ، لحسن وجهه وعتقه .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبي بكر — وبلال مولَّد من مولَّدي بني جُمح ، اشتراه أبو بكر من أمية بن خلف ، وهو بلال بن رَبَاح ، لا عقب له ، وعامر بن فُهَيرة .

قال ابن هشام : عامر بن فهيرة ، مُوَلَّد من مولدي الأسد ، أسود ، اشتراه أبو بكر منهم ،

قال ابن إسحاق : وصُهَيب بن سنان ، من النمر بن قاسط .

قال ابن هشام : النمر : ابن قاسط بن هنب بن أفْصَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ويقال : أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويقال : صهيب ، مولى عبد الله ابن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم ويقال : إنه رومي . فقال بعض من ذكر إنه من النمر بن قاسط : إنما كان أسيراً في الروم فاشتُرِي منهم . وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : صُهَيب سابِقُ الروم .

قال ابن إسحاق : وطلحة بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم ، كان بالشأم ، فقدم بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلمه ، فضرب له بسهمه فقال : وأجري يارسول الله ؟ قال : وأجرك . خمسة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سلمة بن عبد الأسد واسم

أبي سلمة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عمر بن مخزوم، وشمّاس بن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيد ابن قزى بن عامر بن مخزوم .

قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمى شماسا ، لأن شماسا من الشمامسة قدم مكة فى الجاهلية ، وكان جميلا ، فعجب الناس من جماله . فقال عتبة بن ربيعة وكان خال شماس : أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فأتى بابن أخته عثمان فسُمى شماسا ، فيما ذكر ابن شهاب الزهرى وغيره .

قال ابن إسحاق : والأرقم بن أبى الأرقم ، واسم أبى الأرقم : عبد مناف بن أسد وكان أسد يكنى : أبا جُندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعمار بن ياسر .

قال ابن هشام : عمار بن ياسر ، عَنْسِى ، من مَذحج .

قال ابن إسحاق : ومُعتّب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حُبْشِيّة ابن سَلول بن كعب بن عمرو ، حليف لهم من خزاعة ، وهو الذى يدعى : عَيْهامة . خمسة نفر .

ومن بنى عدى بن كعب : عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزاح بن عدى وأخوه زيد بن الخطاب ، ومِهجَع ، مولى عمر بن الخطاب ، من أهل اليمن ، وكان أول قتيل من المسلمين بين الصفين يوم بدر ، رُمى بسهم .

قال ابن هشام : مِهجع ، من عك بن عدنان .

قال ابن إسحاق : وعمرو بن سُراقة بن المعتمر بن أنس بن أذاة بن عبد الله بن قُرط بن رياح ابن رزاح بن عدى بن كعب ، وأخوه عبد الله بن سُراقة ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف ابن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف لهم ، وخَوْلى بن أبى خولى ، ومالك بن أبى خولى ، حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو خَوْلى ، من بنى عِجل بن لُجَيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وعامر بن ربيعة ، حليف آل الخطاب ، من عنز بن وائل .

قال ابن هشام : عنز بن وائل : ابن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن رَبيعة ابن نزار ، ويقال : أفصى : ابن دُعْمِىّ بن جديلة .

قال ابن إسحاق : وعامر بن البُكَير بن عبد ياليل بن ناشب بن غِيَرة ، من بنى سعد بن ليث ؛ وعاقل بن البُكَير ؛ وخالد بن البكير ، وإياس بن البكير ، حلفاء بنى عدى بن كعب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن العُزّى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن عدى بن كعب ، قدم من الشام بعد ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلمه ، فضرب له رسوله

الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ، قال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : وأجرك . أربعة عشر رجلا .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جمح ، وابنه السائب بن عثمان ، وأخواه قُدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، ومَعْمَر بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح . خمسة نفر .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن خُنَيْس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم . رجل .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لؤى ، ثم من بنى مالك بن حِسْل بن عامر : أبو سَبْرة ابن أبى رُهْم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ، وعبد الله بن مَخْرَمة بن عبد العزى بن قيس بن عبدود بن نصر بن مالك ، وعبد الله بن سُهَيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حِسل — كان خرج مع أبيه سُهَيل بن عمرو ، فلما نزل الناس بدرا فر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهدها معه — وعُمَير بن عوف ، مولى سهيل بن عمرو ، وسعد بن خَوْلَة ، حليف لهم خمسة نفر .

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمن .

قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح ، وهو عامر بن عبد الله ابن الجراح بن هلال بن أُهَيب بن ضَبة بن الحارث ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضبة بن الحارث ؛ وسهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أبى أُهَيب ابن ضبة بن الحارث ؛ وأخوه صفوان بن وهب ، وهما ابنا بيضاء ؛ وعمرو بن أبى سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضبة بن الحارث . خمسة نفر

فجميع من شهد بدراً من المهاجرين ، ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، ثلاثة وثمانون رجلا .

قال ابن هشام : كثير من أهل العلم ، غير ابن إسحاق ، يذكرون فى المهاجرين ببدر ، فى بنى عامر بن لؤى : وهب بن سعد بن أبى سَرْح ، وحاطب بن عمرو ؛ وفى بنى الحارث بن فهر : عِياض بن زهير .

قال ابن إسحاق : وشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، ثم من

الأنصار ، ثم من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى عبد الأشهل بن جشم ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس ابن زيد بن عبد الأشهل ؛ وعمرو بن مُعاذ بن النعمان ؛ والحارث بن أوْس بن معاذ بن النعمان والحارث بن أنس بن رافع بن امرىء القيس .

ومن بنى عُبيد بن كعب بن عبد الأشهل : سعد بن زيد بن مالك بن عُبيد . ومن بنى زَعُورا ابن عبد الأشهل — قال ابن هشام : ويقال : زَعْوَرا — سلمة بن سلامة بن وَقْش بن زُغْبة وعَبَّاد بن بشر بن وقش بن زُغبة بن زعورا ؛ وسلمة بن ثابت بن وقش ؛ ورافع بن يزيد بن كُرْز بن سكن بن زعورا ؛ والحارث بن خَزَمة بن عدى بن أُبىّ بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو ابن عوف بن الخزرج حليف لهم من بنى عوف بن الخزرج . ومحمد بن مَسْلمة بن خالد بن عدى ابن مجدعة بن حارثة بن الحارث حليف لهم من بنى حارثة بن الحارث ، وسلَمة بن أسلم بن حَرِيش ابن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة بن الحارث .

قال ابن هشام : أسلم : بن حَرِيس بن عدى .

قال ابن إسحاق : وأبو الهيثم بن التَّيهان ، وعُبَيد بن التَّيهان .

قال ابن هشام : ويقال : عَتِيك بن التيهان .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن سهل . خمسة عشر رجلا .

قال ابن هشام : عبد الله بن سهل : أخو بنى زَعُورا ؛ ويقال من غسان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظَفَر ، ثم من بنى سواد بن كعب ، وكعب : هو ظَفَر — قال ابن هشام : ظفر : ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر ابن سَواد ؛ وعبيد بن أوس بن مالك بن سواد . رجلان .

قال ابن هشام : عُبيد بن أوْس الذى يقال له : مُقَرِّن ، لأنه قرن أربعة أسرى فى يوم بدر . وهو الذى أسر عَقيل بن أبى طالب يومئذ .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبد بن رزاح بن كعب : نصر بن الحارث بن عبد ؛ ومُعَتِّب ابن عبد .

ومن حلفائهم ، من بَلِىّ : عبد الله بن طارق . ثلاثة نفر .

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: مسعود بن سعد ابن عامر بن عدي بن جُشَم بن مَجْدَعة بن حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : مسعود بن عبد سعد .

قال ابن إسحاق : وأبو عَبْس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن مَجْدَعة بن حارثة .

ومن حلفائهم ، ثم من بَلِيّ : أبو بُردة بن نِيار ، واسمه : هانىء بن نِيار بن عمرو بن عُبيد ابن كلاب بن دُهْمان بن غنم بن ذبيان بن هُمَيم بن كاهل بن ذُهْل بن هُنَيّ بن بَلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . ثلاثة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم من بني ضُبَيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : عاصم بن ثابت بن قيس . وقيس أبو الأقلح بن عِصْمة بن مالك بن أمة بن ضُبَيعة — ومعتِّب بن قُشَير بن مُلَيل بن زيد بن العطاف بن ضُبَيعة ؛ وأبو مُلَيل بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة ؛ وعمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضُبيعة .

قال ابن هشام : عُمير بن معبد .

قال ابن إسحاق : وسهل بن حُنَيف بن واهب بن العُكَيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث ابن عمرو ، وعمرو الذي يقال له : بَحزَج بن حَنَش بن عوف بن عمرو بن عوف . خمسة نفر .

ومن بني أمية بن زيد بن مالك : مبشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبر بن زيد بن أمية ؛ ورفاعة ابن عبد المنذر بن زنبر ؛ وسعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية . وعُوَيم ابن ساعدة ؛ ورافع ابن عَنْجَدة — وعنجدة أمه ، فيما قال ابن هشام — وعبيد بن أبي عبيد ؛ وثعلبة بن حاطب .

وزعموا أن أبا لبابة بن عبد المنذر ؛ والحارث بن حاطب خرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجّعهما ، وأمَّر أبا لبابة على المدينة ، فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر . تسعة نفر .

قال ابن هشام : ردهما من الرَّوْحاء .

قال ابن هشام : وحاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية واسم أبي لبابة : بَشير .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك : أُنَيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عبيد .

ومن حلفائهم من بَلِىّ : مَعْن بن عدى بن الجد بن العجلان بن ضُبَيعة وثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ، وعبد الله بن سَلَمة بن مالك بن الحارث بن عدى بن العجلان ؛ وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ؛ وربعى بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجد بن العجلان . وخرج عاصم بن عدى بن الجد بن العجلان ، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر[1] . سبعة نفر .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البُرَك — واسم البُرَك : امرؤ القيس بن ثعلبة — وعاصم بن قيس .

قال ابن هشام : عاصم بن قيس : ابن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وأبو ضَيَّاح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة ؛ وأبو حنة .

قال ابن هشام : وهو أخو أبى ضَيَّاح ؛ ويقال : أبو حَبَّة . ويقال لامرىء القيس : البُرَك بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وسالم بن عُمَير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : ثابت : ابن عمرو بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : والحارث بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة ، وخَوَّات بن جُبَير بن النعمان ، ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم مع أصحاب بدر . سبعة نفر .

ومن بنى جَحْجَبَى بن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن عوف : مُنذِر بن محمد بن عقبة بن أُحَيحة ابن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كُلْفة .

قال ابن هشام : ويقال : الحريس بن جحجبى .

قال ابن إسحاق : ومن حلفائهم من بنى أُنَيف : أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة بن بَيْحان

---

(1) ورده لأنه بلغه شىء عن أهل مسجد الضرار وكان قد استخلفه على قباء والعالية فرده لينظر فى ذلك .

ابن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أُنَيف بن جُشَم بن عبد الله بن تَيم بن إراش بن عامر بن عَمِيلة بن قسميل بن فَـران بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال تَمِيم بن إراشة ، وقسميل بن فاران .

قال ابن إسحاق : ومن بني غَنْم بن السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : سعد بن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم ؛ ومُنذِر بن قُدامة ابن عرفجة ؛ ومالك بن قدامة بن عرفجة .

قال ابن هشام : عَرْفجة : ابن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم .

قال ابن إسحاق : والحارث بن عرفجة ؛ وتميم ، مولى بني غَنْم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : تميم : مولى سعد بن خَيْثَمَة .

قال ابن إسحاق : ومن بني معاوية بن مالك بن عَوف بن عمرو بن عوف : جبر بن عتيك ابن الحارث بن قيس بن هَيْشة بن الحارث بن أمية بن معاوية ؛ ومالك بن نُمَيلة ، حليف لهم من مُزَيْنة ؛ والنعمان بن عَصَر ، حليف لهم من بَلِيّ : ثلاثة نفر .

فجميع من شهد بدراً من الأوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضرب له بسهمه وأجره ، أحد وستون رجلا .

قال ابن إسحاق : وشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، ثم من الأنصار ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني الحارث بن الخزرج ، ثم من بني امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبي زُهير بن مالك بن امرىء القيس ؛ وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك ابن امرىء القيس ؛ وعبد الله بن رَوَاحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء ، وخَلَّاد بن سُوَيد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس . أربعة نفر .

ومن بني زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : بَشير بن سعد بن ثعلبة بن خِلاس بن زيد — قال ابن هشام : ويقال : جُلَاس ، وهو عندنا خطأ — وأخوه سِمَاك بن سعد . رجلان .

ومن بني عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : سُبَيع بن قيس بن عَيْشة ابن أمية بن مالك بن عامر بن عدي ؛ وعَبَّاد بن قيس بن عَيْشة ، أخوه

قال ابن هشام : ويقال : قيس : ابن عَبَسَة بن أمية .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عَبْس . ثلاثة نفر .

ومن بنى أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر ، وهو الذى يقال له : ابن فُسْحُم . رجل .

قال ابن هشام : فسحم أمه ، وهى امرأة من القَيْن بن جَسْر .

قال ابن إسحاق : ومن بنى جُشَم بن الحارث بن الخزرج ، وزيد بن الحارث بن الخزرج ، وهما التوءمان : خُبيب بن إساف بن عِتَبة بن عمرو بن خَديج بن عامر بن جُشَم ؛ وعبد الله ابن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد ؛ وأخوه حُرَيث بن زيد بن ثعلبة ؛ زعموا ، وسفيان بن بشر . أربعة نفر .

قال ابن هشام : سفيان بن نَسْر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد .

قال ابن إسحاق : ومن بنى جِدَارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج : تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جِدَارة ؛ وعبد الله بن عمير من بنى حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن عُمَير بن عدى بن أمية بن جِدَارة .

قال ابن إسحاق : وزيد بن المُزَيّن بن قيس بن عدى بن أمية بن جِدَارة .

قال ابن هشام : زيد بن المُرَىّ .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عُرْفُطة بن عدى بن أمية بن جِدَارة ، أربعة نفر .

ومن بنى الأبجر ، وهم بنو خُدْرَة ، بن عوف بن الحارث بن الخزرج : عبد الله بن ربيع ابن قيس بن عمرو بن عَبّاد بن الأبجر . رجل .

ومن بنى عَوْف بن الخزرج ، ثم من بنى عُبَيد بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحُبْلى — قال ابن هشام : الحُبْلَى : سالم بن غَنْم بن عوف ، وإنما سمى الحبلى ، لعظم بطنه — : عبد الله بن عبد الله بن أبَىّ بن مالك بن الحارث بن عبيد المشهور بابن سلول ، وإنما سلول امرأة ، وهى أم أُبَىّ ؛ وأوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عُبيد . رجـــلان .

ومن بنى جَزء بن عدى بن مالك بن سالم بن غَنْم : زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جَزْء ؛ وعقبة بن وهب بن كَلَدَة ، حليف لهم من بنى عبد الله بن غطفان ؛ ورفاعة بن عمرو بن زيد

ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غَنْم ، وعامر بن سلمة بن عامر ، حليف لهم من أهل اليمن . قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن سلمة وهو من بلى ، من قضاعة .

قال ابن إسحاق : وأبو حُمَيضة مَعبد بن عباد بن قُشَير بن المقدم بن سالم بن غنم .

قال ابن هشام : مَعْبد بن عُبادة بن قَشْعَر بن المقدم ، ويقال : عبادة بن قيس بن القُدْم .

وقال ابن إسحاق : وعامر بن البُكَير ، حليف لهم . ستة نفر .

قال ابن هشام : عامر بن العُكَير ، ويقال : عاصم بن العُكَير .

قال ابن إسحاق : ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بني العجلان بن زيد ابن غَنْم بن سالم : نوفل بن عبد الله بن نَضْلة بن مالك بن العجلان رجل .

ومن بني أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف — قال ابن هشام : هذا غَنْم ابن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وغَنْم بن سالم ، الذى قبله على ما قال ابن إسحاق — : عُبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ، وأخوه أوس بن الصامت . رجلان .

ومن بني دَعْد بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم : النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دَعْد ، والنعمان الذى يقال له . قوقل . رجل .

ومن بني قُرْيوش بن غَنْم بن أمية بن لوذان بن سالم — قال ابن هشام : ويقال قَرْيوس ابن غَنْم — ثابت بن هزّال بن عمرو بن قريوش . رجل .

ومن بني مِرْضَخة بن غَنْم بن سالم : مالك بن الدُّخْشُم بن مرضخة . رجل .

قال ابن هشام : مالك بن الدخشم : ابن مالك بن الدخشم بن مرضخة .

قال ابن إسحاق : ومن بني لَوْذان بن سالم : ربيع بن إياس بن عمرو بن غَنْم بن أمية بن لوذان ، وأخوه ورقة بن إياس ، وعمرو بن إياس ، حليف لهم من أهل اليمن . ثلاثة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن إياس ، أخو ربيع وورقة .

قال ابن إسحاق : ومن حلفائهم من بَلى ، ثم من بني غُصَينة — قال ابن هشام : غصينة ، أمهم ، وأبوهم عمرو بن عمارة — المجذَّر بن ذياد بن عمرو بن زُمْزُمة بن عمرو بن عمارة بن مالك بن غصَينة بن عمرو بن بُتَيرة بن مَشْنُوّ بن قَسْر بن تَيْم بن إراش بن عامر بن عُمَيلة بن قَسْميل ابن فَرّان بن بَلِى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال : أقْشر بن تيم بن إراشة ، وقَشْميل بن فاران . واسم الجلّو : عبد الله .

قال ابن إسحاق : وعُبادة بن الخَشْخاش بن عمرو بن زُمزُمة ، ونَحاب بن ثعلبة بن خَزَمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة .

قال ابن هشام : ويقال بَحاث بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن ثعلبة بن خَزَمة بن أصرم . وزعموا أن عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية — حليف لهم — من بَهْراء ، قد شهد بدراً ، خمسة نفر .

قال ابن هشام : عتبة بن بَهْز ، من بنى سليم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، ثم من بنى ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة : أبو دُجانة ، سِماك بن خَرَشة .

قال ابن هشام : أبو دُجانة : سِماك بن أوس بن خَرَشَــة بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد ابن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : والمنذر بن عمرو بن خُنيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : المنذر : ابن عمرو بن خَنْبَش .

قال ابن إسحاق : ومن بنى البَدِىّ بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة : أبو أُسَيد مالك بن ربيعة بن البَدِى ، ومالك بن مسعود وهو إلى البدى . رجلان .

قال ابن هشام : مالك بن مسعود : ابن البَدِى ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى طَريف بن الخزرج بن ساعدة : عبد ربّه بن حَقّ بن أوس بن وَقْش بن ثعلبة بن طريف . رجل .

ومن حلفائهم ، من جُهَينة : كعب بن حِمار بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : كعب : ابن جَمّاز ، وهو من غُبْشان .

قال ابن إسحاق : وضَمْرة وزياد وبَسْبَس ، بنو عمرو .

قال ابن هشام : ضمرة وزياد ، ابنا بِشر .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عامر ، من بَلِىّ . خمسة نفر .

ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سَلِمة بن سعد بن على بن أسد بن سَارِدة بن تزيد ابن جشم بن الخزرج، ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة : خِرَاش بن الصِّمَّة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، والحُبَاب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام ؛ وعمير بن الحُمام بن الجموح بن زيد بن حرام ؛ وتميم مولى خِراش بن الصِّمَّة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ابن ثعلبة بن حرام ، ومُعاذ بن عمرو بن الجموح ؛ ومعوِّذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وخَلَّاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ؛ وعقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام ، وحبيب بن أسود ، مولى لهم ، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام . اثناعشر رجلا .

قال ابن هشام : وكل ما كان هاهنا الجموح ، فهو الجموح بن زيد بن حرام ، إلا ما كان من جدّ بن الصمة ، فإنه الصمة بن عمرو بن الجموح بن حَرَام .

قال ابن هشام : عمير بن الحارث : ابن لَبْدة بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عُبَيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة ، ثم من بنى خنساء بن سنان ابن عُبيد : بشر بن البَرَاء بن معرور بن صخر بن مالك بن خنساء ، والطُّفيل بن مالك بن خنساء ، والطفيل بن النعمان بن خنساء ، وسنان بن صيفى بن صخر بن خنساء ، وعبد الله بن الجد بن قيس ابن صخر بن خنساء ، وعتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء ، وجَبَّار بن صخر بن أمية بن خنساء ، وخارجة بن حُمَيِّر ، وعبد الله بن حمَيِّر ، حليفان لهم من أشجع ، من بنى دُهْمان . تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : جَبار : بن صخر بن أمية بن خُناس .

قال ابن إسحاق : ومن بنى خُناس بن سنان بن عبيد : يزيد بن المنذر بن سَرح بن خُناس ، ومَعقل بن المنذر بن سَرْح بن خُناس ، وعبد الله بن النعمان ابن بَلْدَمة .

قال ابن هشام : ويقال : بُلْذُمة وبُلْدُمة .

قال ابن إسحاق : والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد بن عدى ، وسَوَاد بن زُرَيق ابن ثعلبة بن عبيد بن عدى .

قال ابن هشام : ويقال : سواد : ابن رَزْن بن زيد بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : ومعبد بن قيس بن صخر بن حَرام بن ربيعة بن عدى بن غَنْم بن كعب ابن سَلِمة . ويقال : معبد بن قيس : ابن صيفى بن صخر بن حرام بن ربيعة ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن قيس بن صخر بن حَرام بن ربيعة بن عدى بن غنم . سبعة نفر .

ومن بنى النعمان بن سنان بن عبيد : عبد الله بن عبد مناف بن النعمان ، وجابر بن عبد الله

ابن رِئاب بن النعمان : وخُلَيْدة بن قيس بن النعمان . والنعمان بن يسنان ، مولًى لهم . أربعة نفر .

ومن بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة ، ثم من بني حَديدة بن عمرو بن غنم بن سواد — قال ابن هشام : عمرو بن سواد ، ليس لسواد ابن يقال له غنم — : أبو المنذر ، وهو يزيد بن عامر بن حديدة ؛ وسُلَيم بن عمرو بن حديدة ؛ وقُطْبة بن عامر بن حديدة ؛ وعنترة مولى سليم ابن عمرو . أربعة نفر .

قال ابن هشام : عنترة ، من بني سُلَيم بن منصور ، ثم من بني ذكوان .

قال ابن إسحاق : ومن بني عدى بن نابى بن عمرو بن سَواد بن غَنْم : عَبْس بن عامر بن عدى ، وثعلبة بن غنمة بن عدى ، وأبو اليسر ، وهو كعب بن عمرو بن عبّاد بن عمرو بن غنم ابن سَواد ، وسهل بن قيس بن أبي كعب بن القَيْن بن كعب بن سواد ، وعمرو بن طلق بن زيد ابن أمية بن يسنان بن كعب بن غَنْم ، ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عدى بن أُدَىّ بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر . ستة نفر .

قال ابن هشام : أوس : ابن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ بن سعد .

قال ابن هشام : وإنما نسب ابن إسحاق معاذ بن جبل فى بنى سواد ، وليس منهم ، لأنه فيهم .

قال ابن إسحاق : والذين كسروا آلهة بنى سَلِمة : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن أُنَيْس وثعلبة ابن غَنَمة وهم فى بنى سَوَاد بن غَنْم .

قال ابن إسحاق : ومن بني زُرَيق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى مُخَلَّد بن عامر بن زريق — قال ابن هشام : ويقال : عامر : ابن الأزرق — قيس بن مِحْصَن بن خالد بن مخلد .

قال ابن هشام : ويقال : قيس : ابن حِصْن .

قال ابن إسحاق : وأبو خالد وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مُخَلَّد وجُبَير بن إياس بن خالد ، بن مُخلد ، وأبو عُبادة ، وهو سعد بن عثمان بن خَلَدة بن مُخلد وأخوه عقبة بن عثمان بن خلدة ، بن مُخلد وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد ؛ ومسعود بن خلدة ، بن عامر بن مخلد . سبعة نفر .

ومن بنى خالد بن عامر بن زُرَيق : عبّاد بن قيس بن عامر بن خالد . رجل .

ومن بنى خالدة بن عامر بن زُرَيق : أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلدة ، والفاكه ابن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة .

قال ابن هشام : بِشر بن الفاكه .

قال ابن إسحاق : ومعاذ بن ماعِص بن قيس بن خلدة ؛ وأخوه : عائذ بن ماعص بن قيس ابن خَلَدة ؛ ومسعود بن سعد بن قيس بن خلَدَة . خمسة نفر .

ومن بنى العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق : رفاعة بن رافع بن العَجلان ، وأخوه خلاد ابن رافع بن مالك بن العَجلان وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان . ثلاثة نفر .

ومن بنى بَيَاضة بن زُرَيق : زِياد بن لبيد بن ثعلبة بن سِنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بَيَاضة ؛ وفروة بن عمرو بن وَذْفَة بن عبيد بن عامر بن بياضة .

قال ابن هشام : ويقال : وَدْفة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العَجلان بن عامر بن بياضة : ورُخَيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بَيَاضة .

قال ابن هشام : ويقال : رُخَيلة .

قال ابن إسحاق : وعطية بن نُوَيرة بن عامر بن عطية بن بياضة ؛ وخليفة بن عدى بن عمرو ابن مالك بن عامر بن فُهَيرة بن بياضة . ستة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : عُلَيفة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جشم بن الخزرج : رافع بن المُعَلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عدى بن زيد بن ثعلبة بن زيد مَنَاة بن حبيب رجل .

قال ابن إسحاق : ومن بنى النجار ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بنى غَنْم بن مالك بن النجار ، ثم من بنى ثعلبة بن عبد عوف بن غَنْم : أبو أيوب خالد بن زيد بن كُلَيب بن ثعلبة . رجل .

ومن بنى عُسَيرة بن عبد عوف بن غَنْم : ثابت بن خالد بن النعمان ابن خنساء بن عُسَيرة . رجل .
قال ابن هشام : ويقال : عُسَير ، وعُشَيرة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عمرو بن عوف بن غَنْم : عُمارة بن حزم بن زيد بن لَوْذان بن عمرو ، وسُرَاقة بن كعب بن عبد العُزى بن غَزِية بن عمرو . رجلان .

ومن بنى عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم : حارثة بن النعمان بن زيد بن عُبَيد ؛ وسُلَيم بن قيس بن قَهْد ؛ واسم قَهْد : خالد بن قيس بن عُبيد . رجلان .

قال ابن هشام : حارثة بن النعمان : ابن نفع بن زيد .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عائذ بن ثعلبة بن غَنْم — ويقال عابد فيما قال ابن هشام — : سهيل ابن رافع بن أبى عمرو بن عائذ وعدى بن أبى الزغباء ، حليف لهم من جهينة ، رجلان .

ومن بنى زيد بن ثعلبة بن غَنْم : مسعود بن أوْس بن زيد ؛ وأبو خزيمة بن أوس بن زيد ابن أصرم بن زيد ، ورافع بن الحارث بن سَواد بن زيد . ثلاثة نفر .

ومن بنى سَواد بن مالك بن غَنْم : عَوف ، ومعوِّذ ، ومعاذ ، بنو الحارث بن رفاعة بن سَواد ؛ وهم بنو عفراء .

قال ابن هشام : عفراء بنت عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ، ويقال : رفاعة : ابن الحارث بن سَوّاد .

قال ابن إسحاق : والنعمان بن عمرو بن رفاعة بن سَواد ؛ ويقال : نُعَيمان فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعامر بن مُخَلَّد بن الحارث بن سواد ؛ وعبدالله بن قيس بن خالد بن خَلَدة بن الحارث بن سواد ، وعُصَيمة ، حليف لهم من أشجع ، ووَديعة بن عمرو ، حليف منه جُهَينة ؛ وثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد . وزعموا أن أبا الحمراء ، مولى الحارث ابن عفراء ، قد شهد بدرا . عشرة نفر .

قال ابن هشام : أبو الحمراء ، مولى الحارث بن رفاعة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن مالك بن النجار — وعامر : مبذول — ثم من بنى عتيك ابن عمرو بن مبذول : ثعلبة بن عمرو بن مِحْصَن بن عمرو بن عتيك ؛ وسهل بن عتيك بن عمرو ابن النعمان بن عتيك ، والحارث بن الصِّمَّة بن عمرو بن عتيك ، كُسِر به بالروحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه . ثلاثة نفر .

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار — وهم بنو حُدَيْلة — ثم من بنى قيس بن عبيد بن زيد ابن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار .

قال ابن هشام : حُدَيلة بنت مالك بن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ابن جُشَم بن الخزرج ، وهى أم معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، فبنو معاوية ينتسبون إليها .

قال ابن إسحاق : أُبَيّ بن كعب بن قيس ، وأنس بن مُعاذ بن أنس بن قيس . رجلان .

ومن بنى عدى بن عمرو بن مالك بن النجار .

قال ابن هشام : وهم بنو مَغَالة بنت عوف بن عبد مَنَاة بن عمرو بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، ويقال : إنها من بنى زُرَيْق ، وهى أم عَدِى بن عمرو بن مالك بن النجار ، فبنو عدى ينسبون إليها .

أوسُ بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عدى ، وأبو شَيْخ أُبَيّ بن ثابت ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عدى .

قال ابن هشام : أبو شيخ بن أُبَيّ بن ثابت ، أخو حسان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وأبو طلحة ، وهو زيد بن سَهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد ابن عدى . ثلاثة نفر .

ومن بنى عَدِى بن النجار ، ثم من بنى عَدِى بن عامر بن غنم بن النجار : حارثة بن سُرَاقة بن الحارث بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر ، وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى ابن مالك بن عدى بن عامر وهو أبو حكيم ، وسَليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك بن عدى بن عامر ، وأبو سَليط ، وهو أُسَيْرة بن عمرو ، وعمرو أبو خارجة بن قيس بن مالك بن عدى بن عامر ، وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر ، وعامر بن أمية بن زيد بن الخشخاش بن مالك بن عدى بن عامر ، ومُحرز بن عامر بن مالك بن عدى بن عامر ، وسَوَّاد بن غَزِيّة بن أُهَيْب ، حليف لهم من بلى . ثمانية نفر

قال ابن هشام : ويقال : سَوَّاد .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حرام بن جُنْدُب بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار : أبو زيد قيس بن سَكَن بن قيس بن زَعُوراء بن حرام ، وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عَبْس بن حَرَام .

قال ابن هشام : ويقال : أبو الأعور : الحارث بن ظالم .

قال ابن إسحاق : وسُلَيم بن مِلْحان ، وحرام بن مِلحان . واسم ملحان : مالك بن خالد ابن زيد بن حرام . أربعة نفر .

ومن بنى مازن بن النجار ، ثم من بنى عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار: قيس بن أبى صعصعة ، واسم أبى صعصعة : عمرو بن زيد بن عوف ـ وعبدالله بن كعب بن عمرو بن عوف ؛ وعُصَيمة ، حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة : ثلاثة نفر .

ومن بنى خنساء بن مبذول بن عمرو بن مازن : أبوداود عمير بن عامر بن مالك بن خنساء ، وسُراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء . رجلان .

ومن بنى ثعلبة بن مازن بن النجار : قَيس بن مُخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب بن الحارث ابن ثعلبة . رجل .

ومن بنى دينار بن النجار ، ثم من بنى مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار : النعمان بن عبد عمرو بن مسعود ، والضحاك بن عبد عمرو بن مسعود ، وسُليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة بن دينار ، وهو أخو الضحاك . والنعمان ابنى عبدعمرو لأمها ، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة ، وسعد بن سُهَيل بن عبد الأشهل : خمسة نفر .

ومن بنى قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار : كعب بن زيد بن قيس وبُجَير ابن أبى بجير ، حليف لهم . رجلان .

قال ابن هشام : بُجَير : من عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان ، ثم من بنى جذيمة بن رَواحة .

قال ابن إسحاق : فجميع من شهد بدرا من الخزرج مئة وسبعون رجلا .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم يذكر فى الخزرج ببدر ، فى بنى العجلان بن زيد بن غَنْم ابن سالم بن عمرو بن عوف بن الخزرج: عِتْبان بن مالك بن عمرو بن العجلان ، ومُلَيل بن وبرة ابن خالد بن العجلان ، وعِصْمَة بن الحُصَين بن وبرة بن خالد بن العجلان .

وفى بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ، وهم فى بنى زريق هلال بن المعلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عدى بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مَناة بن حبيب .

قال ابن إسحاق : فجميع من شهد بدرا من المسلمين ، من المهاجرين والأنصار من شهدها منهم ، ومن ضُرب له بسهمه وأجره ، ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلا ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا ، ومن الأوس واحد وستون رجلا ، ومن الخزرج مئة وسبعون رجلا .

من استشهد من المسلمين يوم بدر

واستشهد من المسلمين يوم بدر ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قريش ، ثم من بنى المطلب بن عبد مناف : عُبيدة بن الحارث بن المطلب ، قتله عُتْبة بن ربيعة ، قطع رجله ، فمات بالصفراء . رجل .

ومن بنى زُهرة بن كلاب . عُمَير بن أبى وقاص بن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهرة ، وهو أخو سعد بن أبى وقاص ، فيما قال ابن هشام ، وذو الشِّمالَيْن بن عبد عمرو بن نَضْلة ، حليف لهم من خزاعة ، ثم من بنى غُبْشان . رجلان .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عاقل بن البُكَير ، حليف لهم من بنى سعد بن ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة ، ومِهْجَع ، مولى عمر بن الخطاب . رجلان .

ومن بنى الحارث بن فِهْر : صفوان بن بيضاء رجل . ستة نفر .

ومن الأنصار ، ثم من بنى عمرو بن عَوف : سعد بن خَيْثمة ، ومُبشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبَر . رجلان .

ومن بنى الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث ، وهو الذى يقال له . ابن فُسْحُم . رجل .

ومن بنى سلمة ، ثم من بنى حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة عُمَير بن الحُمَام . رجل .

ومن بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم : رافع بن المعلَّى . رجل .

ومن بنى النجار : حارثة بن سُراقة بن الحارث . رجل .

ومن بنى غَنْم بن مالك بن النجار : عَوف ومعوِّذ ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سَوَاد ، وهما ابنا عفراء . رجلان . ثمانية نفر .

من قتل ببدر من المشركين

وقُتل من المشركين يوم بدر من قريش ، ثم من بنى عبد شمس بن عبد مناف : حنظلة بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، قتله زيد بن حارثة ، مَولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ابن هشام ، ويقال : اشترك فيه حمزة وعلى وزيد ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : والحارث بن الحضرمى ، وعامر بن الحضرمى حليفان لهم قتل عامراً :

عمار بن ياسر ، وقتل الحارث : النعمان بن عصر ، حليف للأوس ، فيما قال ابن هشام . وعُمَير ابن أبي عمير ، وابنه : مَوْليان لهم . قتل عُمير بن أبي عمير : سالم ، مولى أبي حذيفة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعُبَيدة بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، قتله الزبير بن العوام ، والعاصُ بن سعيد بن العاص بن أمية قتله على بن أبي طالب . وعقبة بن أبي مُعَيط ابن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، أخو بنى عمرو بن عوف ، صبرا (١) .

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق . وعُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله عُبيدة بن الحارث بن المطلب .

قال ابن هشام : اشترك فيه هو وحمزة وعلى .

قال ابن إسحاق : وشَيْبة بن ربيعه بن عبد شمس ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، والوليد بن عُتبة بن ربيعة ، قتله على بن أبي طالب ، وعامر بن عبد الله ، حليف لهم من بنى أَنْمار بن بَغيض ، قتله على بن أبي طالب . اثنا عشر رجلا .

ومن بنى نَوْفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نوفل ، قتله — فيما يذكرون — خُبَيب بن أبي إساف ، أخو بنى الحارث بن الخزرج ، وطُعَيمة بن عدى بن نوفل ، قتله على ابن أبي طالب ، ويقال : حمزة بن عبد المطلب . رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزّى بن قصى : زَمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد .

قال ابن هشام : قتله ثابت بن الجِذْع ، أخو بنى حَرام ، فيما قال ابن هشام .

ويقال : اشترك فيه حمزة وعلى بن أبي طالب وثابت .

قال ابن إسحاق : والحارث بن زَمْعَة ، قتله عمار بن ياسر — فيما قال ابن هشام — وعقيل بن الأسود بن المطلب ، قتله حمزة وعلى ، اشتركا فيه — فيما قال ابن هشام — وأبو البَخْتَرى ، وهو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد ، قتله المجذّر بن ذياد البلَوى .

قال ابن هشام : أبو البَخْتَرى : العاص بن هاشم .

---

(١) قتل صبرا : شدت يداه ورجلاه ، أو أمسك به أحد ليُقتل .

قال ابن إسحاق : ونوفل بن خويلد بن أسد ، وهو ابن العدوية ، عدى خُزاعة ، وهو الذى قرن أبا بكر الصديق ، وطلحة بن عُبَيد الله حين أسلما فى حبل ، فكانا يسميان : القرينين لذلك ، وكان من شياطين قريش — قتله على بن أبى طالب . خمسة نفر .

ومن عبد الدار بن قصى : النضر بن الحارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله على بن أبى طالب صبراً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء ، فيما يذكرون .

قال ابن هشام : بالأُثَيل [1] . قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث : بن علقمة ابن كَلَدَة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : وزيد بن مُلَيص مولى عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . رجلان .

قال ابن هشام : قتل زيد بن مُلَيص بلال بن رَبَاح ، مولى أبى بكر ، وزيد حليف لبنى عبد الدار ، من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ويقال : قتله المقداد بن عمرو .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تَيْم بن مرة : عُمَير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .

قال ابن هشام : قتله على بن أبى طالب . ويقال : عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن مالك بن عُبَيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صهيب ابن سنان . رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يَقَظَة بن مرة : أبو جهل بن هشام — واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم — ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، فقطع رجله ، وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها ، ثم ضربه معوِّذ بن عفراء حتى أثبته [2] ، ثم تركه وبه رَمَق ؛ ثم ذفف عليه [3] عبد الله بن مسعود ، واحتز رأسه ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتمس فى القتلى — والعاصُ بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قتله عمر بن الخطاب ، ويزيد بن عبد الله ، حليف لهم من بنى تميم .

---

(١) الأثيل : موضع قريب من المدينة .

(٢) أثبته : جرحه جراحة بالغة لا يقوم معها .

(٣) ذفف عليه : أسرع قتله .

قال ابن هشام : ثم أحد بنى عمرو بن تميم ، وكان شجاعا ، قتله عمار بن ياسر .

قال ابن إسحاق : وأبو مُسَافِع الأشعرى ، حليف لهم ، قتله أبو دُجَانة الساعدى — فيما قال ابن هشام — وحَرْمَلة بن عمرو ، حليف لهم .

قال ابن هشام : قتله خارجة بن زيد بن أبي زهير ، أخو بَلْحارث بن الخزرج ، ويقال : بل على بن أبي طالب — فيما قال ابن هشام — وحرملة ، من الأسْد .

قال ابن إسحاق : ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله على بن أبي طالب — فيما قال ابن هشام — وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة .

قال ابن هشام : قتله حمزة بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، قتله على بن أبي طالب ، ويقال : قتله عمار بن ياسر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ورفاعة بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قتله سعد بن الربيع ، أخو بَلْحارث بن الخزرج ، فيما قال ابن هشام : والمنذر بن أبي رفاعة بن عابد قتله معن بن عدى بن الجد بن العجلان حليف بنى عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فيما قال ابن هشام ، وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة بن عابد ، قتله على بن أبي طالب ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : والسائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال ابن هشام : السائب بن أبي السائب شُرِيك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الشَّرِيكُ السائبُ لايُشارِى ولا يُمارِى ، وكان أسلم فحسن إسلامه — فيما بلغنا — والله أعلم .

وذكر ابن شهاب الزهرى عن عبيدالله بن عتبة ، عن ابن عباس : أن السائب بن أبي السائب ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وأعطاه يوم الجِعْرانة من غنائم حُنَين .

قال ابن هشام : وذكر غير ابن إسحاق : أن الذى قتله الزبير بن العوام .

قال ابن إسحاق : والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قتله حمزة ابن عبد المطلب ، وحاجب بن السائب بن عُوَيمر بن عمر بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم — قال ابن هشام : ويقال : عائذ : ابن عمران بن مخزوم ، ويقال : حاجز بن السائب — والذى قتل حاجب بن السائب على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وعُوَيمر بن السائب بن عويمر ، قتله النعمان بن مالك القَوْقَلى مبارزة ، فيما قال ابن هشام ،

قال ابن إسحاق : وعمرو بن سفيان ، وجابر بن سفيان ، حليفان لهم من طيء ، قتل عمراً يزيد بن رُقَيش ، وقتل جابراً أبو بُرْدَة بن نيار فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : سبعة عشر رجلا .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى : مُنبِّه بن الحجاج بن عامر بن حُذيفة ابن سعد بن سهم ، قتله أبو اليَسَر ، أخو بنى سلمة ، وابنه العاص بن منبه بن الحجاج قتله على ابن أبى طالب ، فيما قال ابن هشام . ونُبَيه بن الحجاج بن عامر قتله حمزة بن عبد المطلب وسعد ابن أبى وقاص اشتركا فيه ، فيما قال ابن هشام ، وأبو العاص بن قيس بن عَدى بن سعد بن سهم . قال ابن هشام : قتله على بن أبى طالب ، ويقال : النعمان بن مالك القَوْقَلى ، ويقال : أبو دُجانة.

قال ابن إسحاق : وعاصم بن عوف بن ضُبَيرة بن سُعَيد بن سهم ، قتله أبو اليَسَر ، أخو بنى سلمة ، فيما قال ابن هشام : خمسة نفر .

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى : أمية بن خلف بن وهب بن جُمَح ، قتله رجل من الأنصار من بنى مازن .

قال ابن هشام : ويقال : بل قتله معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وخُبَيب بن إساف ، اشتركوا فى قتله .

قال ابن اسحاق : وابنه على بن أمية بن خلف ، قتله عمار بن ياسر ، وأوس بن مِعْيَر بن لَوْذان بن سعد بن جُمَح ، قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام ، ويقال : قتله الحُصَين بن الحارث بن المطلب وعثمان بن مظعون ، اشتركا فيه ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ثلاثة نفر

ومن بنى عامر بن لؤى : معاوية بن عامر ، حليف لهم من عبد القيس ، قتله على بن أبى طالب ويقال : قتله عُكَّاشة بن مِحْصَن ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ومَعْبَد بن وهب ، حليف لهم من بنى كلب بن عوف بن كعب بن عامر ابن ليث ، قتل مَعبداً خالد وإياس ابنا البُكَير ، ويقال: أبو دُجانة، فيما قال ابن هشام. رجلان.

قال ابن هشام : فجميع من أحصى لنا من قتلى قريش يوم بدر . خمسون رجلا .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، عن أبى عمرو : أن قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلا ، والأسرى كذلك ، وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وفى كتاب الله تبارك وتعالى : «أو لما أصابتكم مصيبةٌ قد أصبتم مثليها ، يقوله لأصحاب أحد — وكان من استشهد منهم سبعين رجلا — يقول : قد أصبتم يوم بدر مِثْلَىْ من استشهد منكم يوم أحد ، سبعين قتيلا وسبعين أسيراً . وأنشدنى أبو زَيد الأنصارى لكعب بن مالك :

فأقام بالعَطَنِ المعطَّنِ منهمُ ... سبعون ، عُتبةُ منهمُ والأسودُ

قال ابن هشام : يعنى قتلى بدر . وهذا البيت فى قصيدة له فى حديث يوم أحد سأذكرها إن شاء الله تعالى فى موضعها .

قال ابن هشام : ومن لم يذكر ابن إسحاق من هؤلاء السبعين القتلى :

من بنى عبد شمس بن عبد مناف : وهب بن الحارث ، من بنى أنمار بن بَغيض، حليف لهم وعامر بن زيد ، حليف لهم من اليمن رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى: عقبة بن زيد، حليف لهم من اليمن ، وعُمَير مولى لهم، رجلان

ومن بنى عبد الدار بن قصى : نُبَيه بن زيد بن مُلَيْص ، وعُبيد بن سَليط ، حليف لهم من قيس . رجلان .

ومن بنى تيم بن مرة : مالك بن عبيد الله بن عثمان وهو أخو طلحة بن عُبيد الله بن عثمان أسر فمات فى الأسارى ، فعُد فى القتلى ، ويقال : وعمرو بن عبد الله بن جُدْعان . رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يَقَظَة : حذيفة بن أبى حذيفة بن المغيرة ، قتله سعد بن أبى وقاص وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة ، قتله صُهَيب بن سِنان ، وزهير بن أبى رفاعة ، قتله أبو أُسَيد مالك بن ربيعة ، والسائب بن أبى رفاعة ، قتله عبد الرحمن بن عوف ، وعائذ بن السائب بن عُوَيمر ، أسر ثم افتدى فمات فى الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة بن عبد المطلب ، وعُمير حليف لهم من طيىء ، وخِيار ، حليف لهم من القارة . سبعة نفر .

ومن بنى جُمَح بن عمرو : سَبْرة بن مالك ، حليف لهم . رجل

ومن بنى سَهم بن عمرو : الحارث بن منبِّه بن الحجاج ، قتله صُهَيب بن سِنان ، وعامر بن عوف بن ضُبَيرة أخو عاصم بن ضبيرة، قتله عبد الله بن سلمة العَجْلانى ، ويقال: أبو دُجانة رجلان

ذكر أسرى قريش يوم بدر

قال ابن إسحاق : وأسر من المشركين من قريش يوم بدر ، من بنى هاشم بن عبد مناف : عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ؛ ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم .

ومن بنى المطلب بن عبد مناف : السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ؛ ونعمان ابن عمرو بن علقمة بن المطلب . رجلان .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عمرو بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ؛ والحارث بن أبى وجزة بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس . ويقال : ابن أبى وحرة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وأبو العاص ابن نوفل بن عبد شمس .

ومن حلفائهم : أبو ريشة بن أبى عمرو ؛ وعمرو بن الأزرق ؛ وعقبة بن عبد الحارث ابن الحضرمى . سبعة نفر .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عدى بن الخيار بن عدى بن نوفل ؛ وعثمان بن عبد شمس ابن أخى غزوان بن جابر ، حليف لهم من بنى مازن بن منصور ؛ وأبو ثور ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ؛ والأسود بن عامر ، حليف لهم . ويقولون : نحن بنو الأسود بن عامر بن عمرو بن الحارث ابن السباق . رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : السائب بن أبى حبيش بن المطلب بن أسد ، والحويرث بن عباد بن عثمان بن أسد .

قال ابن هشام : هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد .

قال ابن إسحاق : وسالم بن شماخ ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمية بن أبى حذيفة بن المغيرة ، والوليد بن الوليد بن المغيرة ؛ وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم وصيفى بن أبى رفاعة ، بن عابد بن عبد الله ؛ وأبو المنذر

ابن أبى رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأبو عطاء عبد الله بن أبى السائب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم ؛ وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، وهو كان — فيما يذكرون — أول من ولّى فارّاً منهزما ، وهو الذى يقول:

ولسنا على الأدبارِ تَدمَى كلومُنا ولكن على أقدامِنا يقطرُ الدمُ[1]

تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويروى : « لسنا على الأعقاب » .

وخالد بن الأعلم ، من خزاعة ؛ ويقال : عُقَيلى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى سَهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : أبو وَدَاعة بن ضُبَيْرة ابن سُعَيد بن سعد بن سهم ، كان أول أسير أفتدِىَ من أسرى بدر افتداه ابنه المطلب بن أبى وَدَاعة ؛ وفروة بن قيس بن عدى بن حُذافة بن سعد بن سهم ، وحنظلة بن قبيصة بن حُذافة ابن سعد بن سهم ، والحجاج بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم . أربعة نفر .

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبد الله بن أبى بن خلف بن وهب بن حُذافة ابن جُمَح ، وأبو عزة عمرو بن عبد بن عثمان بن أُهَيب بن حُذافة بن جُمَح ، والفاكه ، مولى أمية بن خلف ، ادعاه بعد ذلك رَباح بن المغترف ، وهو يزعم أنه من بنى شَمّاخ بن محارب ابن فِهر - ويقال : إن الفاكه : ابن جَرْوَل بن حِذْيَم بن عوف بن غَضْب بن شماخ بن محارب ابن فِهر - ووهب بن عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جمح ، وربيعة بن دَرّاج ابن العنْبَس بن أُهبان بن وهب بن حذافة بن جمح . خمسة نفر .

ومن بنى عامر بن لؤى : سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدُوَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، أسره مالك بن الدُّخْشُم ، أخو بنى سالم بن عوف ، وعبد بن زَمْعة بن قيس ابن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وعبد الرحمن بن مشنوء بن وقدان ابن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن مالك بن حِسْل بن عامر . ثلاثة نفر .

ومن بنى الحارث بن فِهْر : الطُّفَيل بن أبى قُنَيْع ، وعتبة بن عمرو بن جَحْدَم . رجلان .

قال ابن إسحاق : فجميع من حفظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلا .

قال ابن هشام : وقع من جملة العدد رجل لم تذكر اسمه ، وممن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى :

---

(1) الكلوم : الجراحات .

من بنى هاشم بن عبد مناف : عُتْبة ، حليف لهم من بنى فهر . رجل .

ومن بنى المطلب بن عبد مناف : عقيل بن عمرو ، حليف لهم ، وأخوه تميم بن عمرو ، وابنه . ثلاثة نفر .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن أسيد بن أبى العيص ، وأبو العَريض يسار ، مولى العاص بن أمية . رجلان .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : نَبْهان ، مولى لهم . رجل .

ومن بنى أسد بن عبد العُزى عُبيد الله بن حُميد بن زهير بن الحارث . رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : عَقيل ، حليف لهم من اليمن . رجل .

ومن بنى تيم بن مرة : مُسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، وجابر بن الزبير ، حليف لهم . رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : قيس بن السائب . رجل .

ومن بنى جُمَح بن عمرو : عمرو بن أُبىّ بن خلف ، وأبو رُهْم بن عبدالله ، حليف لهم ، وحليف لهم ذهب عنى اسمه ، ومَوْليان لأمية بن خلف ، أحدهما نِسْطاس ، وأبو رافع ، غلام أمية بن خلف . ستة نفر .

ومن بنى سهم بن عمرو : أسلم ، مولى نُبَيه بن الحجاج . رجل .

ومن بنى عامر بن لؤى : حبيب بن جابر ، والسائب بن مالك . رجلان .

ومن بنى الحارث بن فهر : شافع وشفيع ، حليفان لهم من أرض اليمن . رجلان[1]

ما قيل من الشعر فى يوم بدر

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم بدر ، وترادّ به القوم بينهم لما كان فيه ، قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله :

---

(١) راجع أنساب وأخبار من حضر بدرا وشهداء بدر من المسلمين والقتلى من المشركين وأسرى المشركين فى الروض الأنف بتحقيقنا ج ٣ ص ٩٩ وما بعدها .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها :

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر ... وللحين أسباب مبينة الأمر(١)
وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم ... فحانوا تواص بالعقوق وبالكفر(٢)
عشية راحوا نحو بدر بجمعهم ... فكانوا رهوناً للركية من بدر(٣)
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية ... لنا غير طعن بالمثقفة السمر(٤)
وضرب ببيض يختلي الهام حدها ... مشهرة الألوان بينة الأثر(٥)
ونحن تركنا عتبة الغي ثاويا ... وشيبة في القتلى تجرجم في الجفر(٦)
وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم ... فشقت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤي بن غالب ... كرام تفرعن الذوائب من فهر(٧)
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم ... وخلوا لواء غير محتضر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله ... فخاس بهم، إن الخبيث إلى غدر(٨)
وقال لهم، إذ عاين الأمر واضحا ... برئت إليكم ما بي اليوم من صبر
فإني أرى ما لا ترون وإنني ... أخاف عقاب الله والله ذو قسر(٩)
فقدمهم للحين حتى تورطوا ... وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر
فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا ... ثلاث مئين كالمسدمة الزهر(١٠)
وفينا جنود الله حين يمدنا ... بهم في مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا ... لدى مأزق فيه مناياهم تجري

---

(١) الحين : الهلاك . (٢) أفادهم : أهلكهم .

(٣) الركية : البئر ذات الماء . (٤) مثنوية : رجوع .

(٥) يختلي : يقطع . والهام : الرءوس . والأثر : بضمتين أثر الجرح والجمع آثار وأثور وإذا كان بفتح فسكون فهو جوهر السيف .

(٦) تجرجم : تسقط ، والجفر : البئر المتسعة .

(٧) تفرعن : علون ، والذوائب : الأعالي .

(٨) خاس : غدر (٩) القسر : الغلبة

(١٠) المسدمة : الفحول من الإبل، والزهر البيض .

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة، فقال :

ألا يا لَقومى للصبابةِ والهجرِ ... وللحُزنِ منى والحرارةِ فى الصدرِ[1]
وللدمعِ من عينىَّ جَوْداً كأنّه ... فريدٌ هوَى من سلكِ ناظمةٍ يجرى
على البطلِ الحلوِ الشمائلِ إذ ثوَى ... رهينَ مَقامٍ للرَّكيّةِ من بدرِ
فلا تَبعُدَن يا عمرُو من ذى قَرابةٍ ... ومن ذى نِدامٍ كان ذا خُلُقٍ غَمْرِ[2]
فإن يكُ قومٌ صادفوا منك دولةً ... فلابدّ للأيامِ من دولِ الدهرِ
فقد كنتَ فى صرفِ الزمانِ الذى مضى ... تُريهم هوانا منك ذا سُبُلٍ وَعْرِ
فإلا أُمتْ يا عمرُو أتركْك ثائراً ... ولا أُبقِ بُقْيا فى إخاءٍ ولا صِهرِ[3]
وأقطعُ ظهراً من رجالٍ بمعشرٍ ... كرامٍ عليهم مثلَ ما قطعوا ظهرى
أغرّهمُ ما جمّعوا من وشيظةٍ ... ونحن الصميمُ فى القبائلِ من فِهْرِ[4]
فيالَ لؤىٍّ ذبّبوا عن حريمكم ... وآلهةٍ لا تتركوها لذى الفخرِ
توارثها آباؤكم وورثتمُ ... أواسيَّها والبيتَ ذا السقفِ والسِّترِ[5]
فما لحليمٍ قد أراد هلاكَكم ... فلا تعذِروه آلَ غالبَ من عُذْرِ
وجِدّوا لمن عاديتم وتوازروا ... وكونوا جميعا فى التأسّى وفى الصبرِ
لعلكمُ أن تثأروا بأخيكمُ ... ولا شىءَ إن لم تثأروا بذوِى عمرِو
بمُطّرِداتٍ فى الأكفّ كأنها ... وميضٌ تُطيرُ الهامَ بيّنةُ الأثْرِ[6]
كأنّ مَدبَّ الذرّ فوقَ متونها ... إذا جُرّدت يوما لأعدائها الخُزْرِ[7]

قال ابن هشام : أبدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابن إسحاق، وهما «الفخر» فى آخر البيت، و «فما لحليم» فى أول البيت، لأنه نال فيهما من النبى صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الصبابة : رقة الحب أو الحب الشديد.
(٢) الغمر بسكون الميم : الكريم الواسع الخلق، وهذا المعنى هو الذى يقصده هنا.
(٣) الثائر : صاحب الثأر.
(٤) الوشيظة: الأتباع الذين ليسوا من القوم.
(٥) الأواسى : ما تأسس عليها الأبنية.
(٦) المطردات : المهتزة. أى بسيوف مهتزة.
(٧) الذر : صغار النمل. والخزر : الناظرون بمؤخرة عيونهم كبرا.

قال ابن إسحاق: وقال على بن أبى طالب فى يوم بدر:

قال ابن هشام: ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضتها، وإنما كتبناهما لأنه يقال: إن عمرو بن عبد الله بن جدعان قتل يوم بدر، ولم يذكره ابن إسحاق فى القتلى، وذكره فى هذا الشعر:

ألم تر أن الله أبلى رسوله ... بلاء عزيزٍ ذى اقتدارٍ وذى فضلِ
بما أنزل الكفار دار مذلةٍ ... فلاقوا هواناً من إسارٍ ومن قتلِ
فأمسى رسولُ الله قد عز نصره ... وكان رسولُ الله أرسل بالعدلِ
فجاء بفرقانٍ من الله مُنْزَلٍ ... مُبينةٍ آياته لذوى العقلِ
فآمن أقوامٌ بذاك وأيقنوا ... فأمسوا بحمد الله مجتمعى الشملِ
وأنكر أقوامٌ فزاغت قلوبهم ... فزادهمُ ذو العرش خبلا على خبلِ
وأمكن منهم يوم بدرٍ رسوله ... وقوما غضابا فعلُهم أحسنُ الفعلِ
بأيديهمُ بيضٌ خفافٌ عَصَوْا بها ... وقد حادثوها بالجلاءِ وبالصقلِ[1]
فكم تركوا من ناشئٍ ذى حميةٍ ... صريعاً ومن ذى نجدةٍ منهم كهلِ
تبيت عيونُ النائحات عليهمُ ... تجودُ بإسبالِ الرَّشاش وبالوَبْلِ[2]
نوائحَ تنعى عتبةَ الغىَّ وابنَه ... وشيبةَ تنعاه وتنعَى أبا جهلِ
وذا الرِّجل تنعَى وابنَ جُدعان فيهمُ ... مُسَلَّبةً حَرَّى مُبيِنةَ الثُّكْلِ[3]
ثَوَى منهمُ فى بئرِ بدرٍ عِصابةٌ ... ذوو نجداتٍ فى الحروبِ وفى المَحْلِ
دعا الغىُّ منهم من دعا فأجابه ... وللغىِّ أسبابٌ مُرَمَّقةُ الوصلِ[4]
فأضحوا لدى دارِ الجحيمِ بمعزلٍ ... عن الشغْبِ والعدوانِ فى أشغلِ الشغلِ

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة، فقال:

عجبتُ لأقوامٍ تغنّى سفيهُهم ... بأمرٍ سفاهٍ ذى اعتراضٍ وذى بُطْلِ

---

(١) عصوا: ضربوا: وحادثوها: تعهدوها.

(٢) الإسبال: الإرسال، والرشاش: المطر الضعيف، والوبل: ما كثر من المطر.

(٣) ذا الرِّجل: هو الأسود الذى قطع حمزة رجله عند الحوض ثم قتله فيها. والمسلبة: التى تلبس السلاب وهى خرقة سوداء تلبسها الثكلى.

(٤) المرمقة: الضعيفة.

تتى بقتلى يوم بدر تتابعوا ... كرام المساعي من غلام ومن كهل
مصاليت بيض من لؤي بن غالب ... مطاعين في الهيجا مطاعيم في المحل (١)
أصيبوا كراما لم يبيعوا عشيرة ... بقوم سواهم نازحي الدار والأصل
كما أصبحت غسان فيكم بطانة ... لكم بدلا منا فيالك من فعل
عقوقا وإثما بينا وقطيعة ... يرى جوركم فيها ذوو الرأي والعقل
فإن يك قوم قد مضوا لسبيلهم ... وخير المنايا ما يكون من القتل
فلا تفرحـــوا أن تقتلوهم فقتلهم ... لكم كائن خبلا مقيما على خبل
فإنكم لن تبرحوا بعـــد قتلهم ... شتيتا هواكم غير مجتمعي الشمل
بفقد ابن جـــدعان الحميد فعاله ... وعتبة والمدعو فيكم أبا جهل
وشيبة فيهم والوليد وفيهم ... أمية مأوى المعترين وذو الرجل
أولئك فابك ثم لا تبك غيرهم ... نوائح تدعو بالرزية والثكل
وقولوا لأهل المكتين تحاشدوا ... وسيروا إلى آطام يثرب ذي النخل (٢)
جميعا وحاموا آل كعب وذببوا ... بخالصة الألوان محدثة الصقل (٣)
وإلا فبيتوا خائفين وأصبحوا ... أذل لوطء الواطئين من النعل
على أنني واللات يا قوم فاعلموا ... بكم واثق أن لا تقيموا على تبل (٤)
ســوى جمعكم للسابغات وللقنا ... وللبيض والبيض القواطع والنبل (٥)

وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس، أحد بني محارب بن فهر، في يوم بدر:

عجبت لفخر الأوس والحين دائر ... عليهم غـــدا والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار إن كان معشر ... أصيبوا بـــدر كلهم ثم صابر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا ... فإنا رجال بعـــدهم سنغادر
وتردي بنا الجرد العناجيج وسطكم ... بني الأوس حتى يشفي النفس ثائر (٦)
ووسط بني النجار سوف نكرها ... لها بالقنا والدارعـــين زوافر

(١) المصاليت: الشجعان.
(٢) المكتين: يقصد مكة والطائف. والآطام: جمع أطم، الحصن.
(٣) ذببوا: امنعوا. (٤) التبل: العداوة.
(٥) السابغات صفة لموصوف محذوف أي الدروع السابغات.
(٦) تردي: تسرع. والجرد: الخيل القصيرات الشعر العتاق، والعناجيج: الطوال السراع. والثائر: الطالب ثأره.

فتترك صرعى تعصب الطيرُ حولهم … وليس لهم إلا الأمانيّ ناصرُ[1]
وتبكيهم من أهل يثرب نسوةٌ … لهن بها ليلٌ عن النوم ساهر
وذلك أنا لا تزال سيوفنا … بهن دمٌ – ممن يحاربن – مائر[2]
فإن تظفروا فى يوم بدر فإنما … بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه … يحامون فى اللأواء والموتُ حاضر
يُعد أبو بكر وحمزةُ فيهم … ويُدعى علىٌّ وسط من أنت ذاكر
ويدعى أبو حفص وعثمان منهم … وسعد إذا ما كان فى الحرب حاضر
أولئك لا من نتّجت فى ديارها … بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤىّ بن غالب … إذا عُدت الأنساب كعبٌ وعامر
هم الطاعنون الخيل فى كلّ معرك … غداة الهياج الأطيبون الأكاثر

فأجابه كعب بن مالك ، أخو بنى سلمة ، فقال :

عجبتُ لأمر الله والله قادرٌ … على ما أراد ، ليس لله قاهرُ
قضى يومَ بدر أن نلاق معشراً … بغَوْا وسبيلُ البغى بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهمُ … من الناس حتى جمعُهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاولُ غيرَنا … بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامر
وفينا رسولُ الله والأوسُ حولَه … له معقلٌ منهم عزيزٌ وناصر
وجمعُ بنى النجار تحت لوائه … يُمَشّوْن فى الماذِىّ والنقعُ ثائر[3]
فلما لقيناهم وكلٌّ مجاهدٌ … لأصحابه مستبسلُ النفس صابر
شهدنا بأن الله لاربَّ غيرُه … وأن رسولَ الله بالحقّ ظاهر
وقد عُرّيت بيضٌ خفافٌ كأنها … مقاييس يُزْهيها لعينيك شاهر[4]
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا … وكان يُلاق الحَيْنَ من هو فاجر
فكُبّ أبو جهل صريعاً لوجهه … وعتبةُ قد غادرنه وهو عاثر

(١) تعصب : تجتمع .
(٢) مائر : سائل .
(٣) الماذى : الدرع اللينة السهلة .
(٤) يزهيها : يحركها .

وشيبةَ والتَّيْمىُّ غادرن فى الوغى ... وما منهم إلا بذى العرشِ كافرُ
فأمسَوْا وقودَ النارِ فى مستقرِّها ... وكلُّ كفورٍ فى جهنمَ صائرُ
تلظَّى عليهم وهى قد شبَّ حَميُها ... بزُبَرِ الحديدِ والحجارةِ ساجرُ(١)
وكان رسولُ الله قد قال أقبلوا ... فولَّوْا وقالوا : إنما أنتَ ساحرُ
لأمرٍ أراد اللهُ أن يَهلكوا به ... وليس لأمرٍ حمَّه اللهُ زاجرُ(٢)

وقال عبد الله بن الزِّبعرى السهمى يبكى قتلى بدر :

قال ابن هشام : وتروى للأعشى بن زُرارة بن النبّاش ، أحد بنى أُسَيد بن عمرو بن تميم ، حليف بنى نوفل بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : حليف بنى عبد الدار :

ماذا على بدرٍ وماذا حولَه ... من فتيةٍ بيضِ الوجوهِ كرامِ
تركوا نُبَيهاً خلفهم ومُنَبِّهاً ... وابنَىْ ربيعةَ خيرَ خصمٍ فِئامِ(٣)
والحارثَ الفياضَ يبرقُ وجهُه ... كالبدرِ جَلَّى ليلةَ الإظلامِ
والعاصىَ بنَ منبِّهٍ ذا مِرَّةٍ ... رُمحاً تميماً غيرَ ذى أوصامِ(٤)
تَنمِى به أعراقُه وجدودُه ... ومآثرُ الأخوالِ والأعمامِ
وإذا بكى باكٍ فأعولَ شَجْوَه ... فعلى الرئيسِ الماجدِ ابنِ هشامِ(٥)
حيّا الإلهُ أبا الوليدِ ورهطَه ... ربُّ الأنامِ ، وخصَّهم بسلامِ(٦)

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى ، فقال :

ابكِ بكت عيناك ثم تبادرت ... بدمٍ تُعَلُّ غروبُها سَجّامِ(٦)
ماذا بكيتَ به الذين تتايعوا ... هلّا ذكرتَ مكارمَ الأقوامِ(٧)

---

(١) تلظى : تلتهب : وزبر الحديد : قطعه . والساجر : الموقد .
(٢) حمه : قدره . (٣) الفئام : الجماعات .
(٤) ذو مرة : صاحب قوة . والأوصام : العيوب .
(٥) الشجوة : الحزن .
(٦) تعل : من العلل وهو الشرب مرة بعد أخرى ، والغروب : مجارى الدمع . والسجام : السائلة
(٧) تتايعوا : ألقوا بأنفسهم فى التهلكة

وذكرتَ مِنا ماجداً ذا هِمةٍ   سَمْحَ الخلائقِ صادقَ الإقدامِ
أعنى النبىّ أخا المكارمِ والندى   وأبرّ من يُولِى على الإقسامِ[1]
فلِمثلِه ولمثلِ ما يدعو له   كانَ الممدّحُ ثَمّ غيرَ كَهامِ[2]

وقال حسان بن ثابت الأنصارى أيضاً .

تبلَتْ فؤادَك فى المنامِ خريدةٌ   تسقى الضجيعَ ببارِدٍ بسّامِ[3]
كالمِسكِ تخلِطُه بماءِ سحابةٍ   أو عاتقٍ كدمِ الذبيحِ مُدامِ[4]
نُفُجُ الحقيبةِ بَوْصُها متنضِّدٌ   بلهاءُ غيرُ وشيكةِ الأقسامِ[5]
بُنيتْ على قطنٍ أجمَّ كأنه   فُضُلاً إذا قعدت مَداكُ رُخامِ[6]
وتكاد تَكسلُ أن تجىءَ فراشَها   فى جسمِ خَرْعَبةٍ وحسنِ قوامِ[7]
أما النهارَ فلا أفتّر ذكرَها   والليلُ توزعنى بها أحلامى[8]
أقسمت أنساها وأتركُ ذكرَها   حتى تُغيَّبَ فى الضريحِ عظامى[9]
يا من لعاذلةٍ تلومُ سفاهةً   ولقد عَصَيتُ على الهوى لُوّامى
بكرَتْ علىّ بسُحرةٍ بعد الكرى   وتقارُبٍ من حادثِ الأيامِ
زعمتْ بأن المرءَ يكرُبُ عُمرَه   عدمٌ لمعتكرٍ من الأصرامِ[10]

---

(١) يولى : يقسم   (٢) الكهام : الضعيف .

(٣) تبلت : أسقمت . والخريدة : الحسنة الناعمة .

(٤) العاتق : الخمر المعتقة .

(٥) النفج : المرتفعة ، والحقيبة وهى ما يجعله الراكب وراءه ، استعارها هنا لردف المرأة . والبوص : الردف . والبلهاء الغافلة . والأقسام : جمع قسم وهو اليمين .

(٦) قطنها : وسطها . والأجم أى لاعظام فيه ، والمداك : الحجر الذى يدق عليه الطيب .

(٧) الخرعبة : حسنة الخلق .   (٨) توزعنى : تغرينى .

(٩) أنساها : أى لا أنساها .

(١٠) المعتكر : الإبل الكثيرة التى يرجع بعضها على بعض . والأصرام : الجماعات من الإبل .

إن كنتِ كاذبةَ الذى حدّثتنى فنجوتِ منجَى الحارثِ بنِ هشامِ
ترك الأحبةَ أن يقاتلَ دونَهم ونجا برأسِ طِمِرّةٍ ولجامِ(١)
يَذَرُ العناجيجَ الجيادَ بقفرةٍ مَرّ الدَّموكِ بمُحصَدٍ ورِجامِ(٢)
مَلأت به الفَرْجين فارمدَّتْ به وثَوَى أحبّتُه بشرِّ مُقامِ(٣)
وبنو أبيه ورهطُه فى معركٍ نصرَ الإلهُ به ذَوِى الإسلامِ
طحنتهمُ، واللهُ يُنفِذُ أمرَه حربٌ يُشَبُّ سعيرُها بضِرامِ
لولا الإلهُ وجريُها لتركنه جَزَرَ السباعِ ودُسنه بحَوامى
من بين مأسورٍ يُشدّ وثاقُه صَقرٍ إذا لاقى الأسنةَ حامى
ومُجدَّلٍ لايستجيب لدعوةٍ حتى تزولَ شوامخُ الأعلامِ
بالعارِ والذلِّ المبينِ إذا رأى بيضَ السيوفِ تسوقُ كلَّ هُمامِ
بيدَىْ أغرَّ إذا انتمى لم يُخزِه نسبُ القِصارِ سَمَيْدَعٍ مِقدامِ(٤)
بيضٌ إذا لاقت حديداً صممت كالبرقِ تحتَ ظلالِ كلِّ غَمامِ

فأجابه الحارث بن هشام، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

اللهُ أعلمُ ما تركت قتالَهم حتى حَبَوْا مُهرى بأشقرَ مُزْبِدِ(٥)
وعرَفت أنى إن أقاتِل واحداً أقتل ولا يُنكِى عدوى مَشهدى
فصددت عنهم والأحبةُ فيهمُ طمعاً لهم بعقابِ يومٍ مفسِدِ

قال ابن إسحاق: قالها الحارث يعتذر من فراره يوم بدر.

قال ابن هشام: تركنا من قصيدة حسان ثلاثة أبيات من آخرها، لأنه أقذع فيها.

---

(١) الطمرة: الفرس كثيرة الجرى.

(٢) العناجيج: الطوال السراع. والدموك: البكرة بآلتها التى تكون عند رأس البئر والمحصد: الحبل الشديد الفتل، والرجام: واحد الرجامين، وهما الخشبتان اللتان تلقى عليهما البكرة.

(٣) الفرجان: الفراغان اللذان بين يدى الفرس ورجليها. وأرمدت: أسرعت.

(٤) القصار: من قصر سعيهم عن كسب المحامد، والسميدع: السيد.

(٥) المزبد: ما قذف بالزبد.

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

لقد علمتْ قريشٌ يومَ بدرٍ ... غداةَ الأسرِ والقتلِ الشديدِ
بأنا حين تشتجرُ العوالي ... حُماةُ الحربِ يومَ أبي الوليدِ
قتلنا ابنَيْ ربيعةَ يومَ سارا ... إلينا في مُضاعفةِ الحديدِ
وفر بها حكيمٌ يوم جالت ... بنو النجارِ تخطِرُ كالأسودِ
وولت عند ذاك جموعُ فِهْرٍ ... وأسلمها الحويرثُ من بعيدِ
لقد لاقيتمُ ذُلا وقتلا ... جهيزاً نافذاً تحتَ الوريدِ (١)
وكلُّ القومِ قد ولوا جميعا ... ولم يَلْوُوا على الحسبِ التليدِ

وقال حسان بن ثابت أيضا:

يا حارِ قد عَوّلتَ غيرَ مُعوّلٍ ... عندَ الهياجِ وساعةَ الأحسابِ (٢)
إذ تمتطي سُرُحَ اليدين نجيبةً ... مَرْطى الجِراءِ طويلةَ الأقرابِ (٣)
والقومُ خلفَك قد تركتَ قتالَهم ... ترجو النجاةَ وليس حينَ ذهابِ
ألا عطفتَ على ابنِ أمك إذ ثوى ... قَعْصَ الأسنةِ ضائعَ الأسلابِ (٤)
عَجِلَ المليكُ له فأهلك جمعَه ... بِشَنارِ مُخزيةٍ وسوءِ عذابِ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحداً أقذع فيه .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

— قال ابن هشام : ويقال : بل قالها عبد الله بن الحارث السهمي :

مُستشعِري حَلَقَ الماذِيِّ يَقْدُمُهم ... جَلْدُ النحيزةِ ماضٍ غيرُ رِعْديدِ (٥)
أعني رسولَ إلهِ الخلقِ فضّلَه ... على البريةِ بالتقوى وبالجودِ

---

(١) الجهيز : السريع . والوريد عرق فى صفحة العنق .
(٢) عولت : عزمت .
(٣) سرح اليدين : سريعتهما . ومرطى الجراء : سريعة الجرى. والأقراب : الخواصر.
(٤) القعص : القتل بسرعة .
(٥) المستشعر اللابس الثوب على جسده بلا حاجز . والماذى الدروع السهلة اللينة والنحيزة : الطبيعة .

وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم ... وماء بدر زعمتم غير مورود
ثم وردنا ولم نسمع لقولكم ... حتى شربنا رواء غير تصريد[1]
مستعصمين بحبل غير منجذم ... مستحكم من حبال الله ممدود
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه ... حتى الممات ونصر غير محدود
وافٍ وماضٍ شهاب يستضاء به ... بدر أنار على كل الأماجيد

قال ابن هشام: بيته: «مستعصمين بحبل غير منجذم» عن أبي زيد الأنصاري.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضا:

خابت بنو أسدٍ وآب غزيهم ... يوم القليب بسوءة وفضوح
منهم أبو العاصى تجدل مقعصا ... عن ظهر صادقة النجاء سبوح[2]
حيناً له من مانع بسلاحه ... لما ثوى بمقامه المذبوح
والمرء زمعة قد تركن ونحره ... يدمى بعاند معبط مسفوح[3]
متوسدا حر الجبين معفراً ... قد عر مارن أنفه بقبوح[4]
ونجا ابن قيس في بقية رهطه ... بشفا الرماق موليا بجروح[5]

وقال حسان بن ثابت أيضاً:

ألا ليت شعرى هل أتى أهل مكة ... إبارتنا الكفار في ساعة العسر[6]
قتلنا سراة القوم عند مجالنا ... فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر[7]
قتلنا أبا جهل وعتبة قبله ... وشيبة يكبو لليدين وللنحر
قتلنا سويداً ثم عتبة بعده ... وطعمة أيضاً عند ثائرة القتر[8]
فكم قد قتلنا من كريم مرزإ ... له حسب في قومه نابه الذكر
تركناهم للعاويات ينوبهم ... ويصلون ناراً بعدُ حامية القعر[9]

---

(١) الرواء الكثير من الماء، والتصريد: تقليل الشرب.
(٢) المقعص: من قتل بسرعة. والسبوح: سريعة الجرى كأنها تسبح في الماء لسهولة جريها.
(٣) العاند الذى يجرى بلا انقطاع، ودم معبط: طرى.
(٤) عر: لطخ. (٥) الشفا: الحد.
(٦) إبارتنا: إهلاكنا. (٧) قاصمة الظهر: أى المصيبة التى تقصم الظهور.
(٨) ثائرة القتر: ما ثار من الغبار.
(٩) العاويات: الذئاب والسباع. ينوبهم: يأتيهم مرة بعد أخرى.

لعَمرُكَ ماحامت فوارسُ مالكٍ وأشياعُهم يومَ التقينا على بدرِ

قال ابن هشام : أنشدنى أبوزيد الأنصارى بيته :

قتلنا أبا جهل وعتبة قبله وشيبة يكبو لليدين وللنحر

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

نجّى حكيما يومَ بدرٍ شَدُّه كنجاءِ مُهْرٍ من بناتِ الأعوجِ[1]
لما رأى بدراً تسيل جِلاهُه بكتيبةٍ خضراء من بَلْخزرَجِ[2]
لاينكلون إذا لَقُوا أعداءَهم يمشونَ عائدةَ الطريقِ المَنهجِ
كم فيهمُ من ماجدٍ ذى مَنعةٍ بَطَلٍ بمُهلِكةِ الجبانِ المُحرَجِ
ومسوَّدٍ يعطى الجزيلَ بكفّه حَمّالِ أثقالِ الدياتِ مُتوجِ
زَيْنِ النَّدِىّ مُعاودٍ يومَ الوغى ضربَ الكماةِ بكلّ أبيضَ سَلْجَجِ[3]

قال ابن هشام : قوله سلجج ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان أيضاً :

فما نخشى بحولِ اللهِ قوما وإن كثروا وأجمعتِ الزحوفُ
إذا ماألَّبوا جمعا علينا كفانا حدَّهم ربٌّ رءوف
سَمَونا يومَ بدرٍ بالعوالى سِراعا ماتُضَعْضِعُنا الحتوف
فلم تَرَ عُصبةً فى الناسِ أنكى لمن عادَوْا إذا لَقِحت كَشُوفُ[4]
ولكنا توكلنا وقلنا مآثِرُنا ومَعقِلنا السيوف
لقيناهم بها لما سَمَوْنا ونحن عصابة وهمُ ألوف

(١) الأعوج : نوع كريم من الخيل .
(٢) الجلاه : ما يستقبلك من جنبات الوادى . وخضراء : سوداء من كثرة الحديد الذى عليها .
(٣) السلجج : الماضى .
(٤) لقحت : حملت . والكشوف : الناقة التى يضربها الفحل فى وقت لاتشتهيه . والمعنى أن الحرب قد هاجت بعد سكون .

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يهجو بنى جُمَح ومن أصيب منهم :

جمحت بنو جُمَحٍ لِشِقْوَةِ جَدِّهم ... إن الذليلَ مُوَكَّلٌ بذليلِ
قُتلت بنو جمحٍ ببدرٍ عَنوةً ... وتخاذلوا سعيا بكلِّ سبيلِ
جحدوا الكتابَ وكذبوا بمحمدٍ ... واللهُ يُظهر دينَ كلِّ رسولِ
لعن الإلهُ أبا خُزَيمة وابنَه ... والخالدَيْن ، وصاعدَ بنَ عقيلِ

قال ابن إسحاق : وقال عُبيدة بن الحارث بن المطلب فى يوم بدر ، وفى قطع رجله حين أصيب ، فى مبارزته هو وحمزة وعلى حين بارزوا عدوهم — قال ابن هشام ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعبيدة :

ستبلُغُ عنا أهلَ مكةَ وقعةٌ ... يهب لها من كان عن ذاك نائيا[1]
بعتبةَ إذ ولى وشيبةَ بعده ... وما كان فيها بِكرُ عتبة راضيا[2]
فإن تقطعوا رجلى فإنى مسلم ... أُرَجِّى بها عيشاً من الله دانيا
مع الحورِ أمثالَ التماثيل أخلصت ... مع الجنةِ العليا لمن كان عاليا[3]
وبعت بها عيشا تعرَّقتُ صفوَه ... وعالجته حتى فقدت الأدانيا[4]
فأكرمنى الرحمنُ من فضلِ مَنِّه ... بثوبٍ من الإسلامِ غطَّى المساويا
وما كان مكروها إلىَّ قتالُهم ... غداةَ دعا الأكفاء من كان داعيا
ولم يبغِ إذ سالوا النبىَّ سَواءنا ... ثلاثتَنا حتى حضرنا المناديا
لقيناهم كالأسْدِ تخطر بالقنا ... نقاتل فى الرحمنِ من كان عاصيا
فما برحت أقدامُنا من مقامِنا ... ثلاثتنا حتى أُزيروا المنائيا

قال ابن هشام : لما أصيبت رجل عبيدة قال : أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنى أحق منه بما قال حين يقول :

كذبتم وبيتِ الله يُبْزَى محمداً ... ولمّا نطاعنْ دونه ونناضلِ[5]
ونُسلِمُه حتى نُصَرَّعَ حوله ... ونَذهَل عن أبنائنا والحلائلِ

وهذان البيتان فى قصيدة لأبى طالب ، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب .

---

(١) يهب : يستيقظ . (٢) بكر عتبة : ابن عتبة البكر .
(٣) التماثيل : الصور المتقنة الصنع والضمير فى أخلصت يعود على الحور العين ، والمعنى خلصن بيضا .
(٤) التعرق : المزج . (٥) يبزى : أى لا يبزى والمعنى : لا يقهر

قال ابن إسحاق: فمات عبيدة بن الحارث من مصاب رجله يوم بدر. قال كعب بن مالك الأنصاري، يبكيه:

أيا عينُ جودي ولا تبخلي ... بدمعك حقا ولا تنزري
على سيد هدَّنا هلكه ... كريم المشاهد والعنصر
جريء المقدَّم شاكي السلاح ... كريم الثنا طيب المكسر(١)
عُبيدة أمسى ولا نرتجيه ... لِعُرفٍ عرانا ولا منكر
وقد كان يحمي غداة القتا ... ل حامية الجيش بالمبتر

وقال كعب بن مالك أيضا، في يوم بدر:

ألا هل أتى غسان في نأي دارها ... وأخبرُ شيء بالأمور عليمها
بأن قد رمتنا عن قسيٍّ عداوةٍ ... مَعَدٌّ معا جُهالها وحليمها
لأنا عبدنا الله لم نرجُ غيره ... رجاء الجنان إذ أتانا زعيمها
نبيٌّ له في قومه إرثُ عزةٍ ... وأعراقُ صدقٍ هذبتها أرومها(٢)
فساروا وسرنا فالتقينا كأننا ... أسودُ لقاءٍ لا يُرجَّى كليمها(٣)
ضربناهم حتى هوى في مكرّنا ... لمنخرِ سوءٍ من لؤيٍّ عظيمها
فولوا ودسناهم ببيضٍ صوارمٍ ... سواءٌ علينا حلفُها وصميمها(٤)

وقال كعب بن مالك أيضا:

لعمر أبيكما يا بني لؤيٍّ ... على زهوٍ لديكم وانتخاء(٥)
لما حامت فوارسكم ببدرٍ ... ولا صبَروا به عند اللقاء(٦)
وردناه بنور الله يجلو ... دُجى الظلماء عنا والغطاء
رسولُ الله يقدُمنا بأمرٍ ... من امر الله أُحكمَ بالقضاء
فما ظفرت فوارسكم ببدرٍ ... وما رجعوا إليكم بالسواء
فلا تعجلْ أبا سفيانَ وارقبْ ... جيادَ الخيل تطلُعُ من كَداء(٧)

---

(١) الثنا: ما يتحدث به عن الشخص من خير أو شر. وطيب المكسر: خال من العيب.
(٢) الأروم: الأصول. (٣) الكليم: الجريح.
(٤) حلفها: حليفها، والصميم: الخالص. (٥) الانتخاء: الإعجاب.
(٦) حامت: من الحماية وهي الامتناع. (٧) كداء: مكان بمكة.

بنصرِ اللهِ رُوحُ القدسِ فيها ... وميكالٌ ، فيا طِيبَ المَلاءِ(١)

وقال طالب بن أبي طالب ، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبكي أصحاب القليب من قريش يوم بدر :

ألا إن عيني أنفدت دمعَها سَكْبًا ... تبكي على كعبٍ وما إن ترى كعبا
ألا إن كعباً في الحروبِ تخاذلوا ... وأرداهُمُ ذا الدهرِ واجترحوا ذنبا
وعامرُ تبكي للملمّاتِ غُدوةً ... فياليتَ شعري هل أرى لهما قُربا
هما أخوايَ لن يعدا لِغَيَّةٍ ... تُعد ولن يُستامَ جارُهما غَصْبا(٢)
فيا أخوَيْنا عبدَ شمسٍ ونوفلاً ... فِداً لكما لا تبعثوا بيننا حربا
ولا تُصبحوا من بعدِ وُدٍّ وألفةٍ ... أحاديثَ فيها كلُّكم يشتكي النكبا
ألم تعلموا ما كان في حربِ داحسٍ ... وجيشِ أبي يكسومَ إذ مَلئوا الشِّعْبا(٣)
فلولا دفاعُ اللهِ لاشيءَ غيرُه ... لأصبحتم لا تمنعون لكم سِربا(٤)
فما إن جنينا في قريشٍ عظيمةً ... سوى أن حمينا خيرَ من وطئ التربا
أخا ثقةٍ في النائباتِ مُرَزَّأً ... كريما ثناه لا بخيلا ولا ذَرِبا(٥)
يُطيفُ به العافون يغشون بابَه ... يؤمون بحرا لا نَزورا ولا صَرِبا(٦)
فواللهِ لا تنفكُّ نفسي حزينةً ... تَمَلْمَلُ حتى تَصدُقوا الخزرجَ الضربا

وقال ضرار بن الخطاب الفهري ، يرثي أبا جهل :

ألا مَن لعينٍ باتتِ الليلَ لم تنمْ ... تراقبُ نجما في سوادٍ من الظُّلَمْ
كأن قذًى فيها وليس بها قذًى ... سوى عَبرةٍ من جائلِ الدمعِ منسجمْ
فبلّغْ قريشا أن خيرَ نَدِيِّها ... وأكرمَ من يمشي بساقٍ على قدم
ثوَى يومَ بدرٍ رهنَ خَوْصاءَ رهنُها ... كريمُ المساعي غيرُ وغدٍ ولا بَرَم(٧)
فآليتُ لا تنفكُّ عيني بعَبرةٍ ... على مالكٍ بعدَ الرئيسِ أبي الحَكَم
على هالكٍ أشجَى لؤيَّ بنَ غالبٍ ... أتته المنايا يومَ بدرٍ فلم يَرِم(٨)

---

(١) روح القدس : جبريل . وميكال : هو ميكائيل عليهما السلام . والملاء : أراد الملأ وهم الأشراف .   (٢) يقال : هذا الشخص لغية إذا دُعي لغير أبيه .

(٣) انظر حرب داحس فيما سبق من السيرة وهامشها .

(٤) السرب : النفس .   (٥) الذرب : الفاسد .   (٦) الصرب : المنقطع .

(٧) الخوصاء : البئر الضيقة . والبرم : البخيل .   (٨) لم يرم : لم يبرح .

تَرى كِسَرَ الخَطِّىِّ فى نَحْرِ مُهرِه ... لَدَى بائنٍ من لحمه بينها يَخدِمِ[1]
وما كان ليثٌ ساكنٌ بطنَ بِيشةٍ ... لَدَى غَلَلٍ يَجرى ببطحاءَ فى أجمِ[2]
بأجرأَ منه حين تختلفُ القَنا ... وتُدعَى نَزالِ فى القَماقِمةِ البُهَمِ[3]
فلا تجزعوا آلَ المغيرةِ واصبِروا ... عليه ومن يجزعْ عليه فلم يُلَمِ
وجِدُّوا فإنّ الموتَ مَكرُمةٌ لكم ... وما بعده فى آخرِ العيشِ من نَدمِ
وقد قلت إنّ الرِيحَ طيبةٌ لكم ... وعِزَّ المُقامِ غيرَ شكٍّ لذى فَهَمِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار:

قال ابن إسحاق: وقال الحارث بن هشام، يبكى أخاه أبا جهل:

ألا يا لهفَ نفسى بعد عمرٍو ... وهل يُغنى التلهفُ من قتيلِ
يُخبِّرنى المُخبِّرُ أن عَمرا ... أمامَ القومِ فى جَفْرٍ مُحيلِ[4]
فقِدْما كنت أحسِبُ ذاك حقا ... وأنت لما تقدَّم غيرُ فِيلِ[5]
وكنتُ بنَعمةٍ مادمتَ حيا ... فقد خُلِّفت فى دَرَجِ المسيلِ[6]
كأنى حين أُمسى لا أراه ... ضعيفُ العَقدِ ذو همٍّ طويلِ[7]
على عمرٍو إذا أمسيتُ يوما ... وطَرْفى من تذكُّرِه كليلِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها للحارث بن هشام؛ وقوله: «فى جفر» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو بكر بن الأسود بن شَعُوب اللَّيْثى، وهو شداد بن الأسود:

تُحَيِّى بالسلامةِ أمُّ بكرٍ ... وهل لى بعد قومى من سلامِ
فماذا بالقليبِ قليبِ بدرٍ ... من القَيْناتِ والشَّرْبِ الكرامِ

---

(١) الخطى: الرماح. الخذم وقد تنطق بالجيم: قطع اللحم.

(٢) بطن بيشة: مكان تنسب إليه الأسود. الغلل: الماء الجارى فى أصول الشجر، والأجم بضم الميم وفتحها وقد تسكن، مفردها أجمة: الشجر الكثير الملتف.

(٣) القماقمة: السادة الكرام، والبهم: الشجعان. (٤) الجفر المحيل: البئر القديمة.

(٥) غير فيل: أى غير فاسد الرأى. (٦) درج المسيل: موطن الذل والقلة.

(٧) العقد: العزم.

وماذا بالقليب قليب بدرٍ ... من الشِّيزَى تُكلَّل بالسَّنام[1]
وكم لك بالطَّوِيِّ طوىّ بدرٍ ... من الحَوْماتِ والنَّعَم المُسام[2]
وكم لك بالطوى طوى بدر ... من الغايات والدُّسُع العِظام[3]
وأصحاب الكريم أبي عليّ ... أخى الكأسِ الكريمةِ والنِّدام
وإنكَ لو رأيت أبا عقيلٍ ... وأصحابَ الثَّنيةِ من نَعام[4]
إذاً لظللتَ من وَجْدٍ عليهم ... كأُمِّ السَّقْبِ جائلة المَرام[5]
يُخبِّرنا الرسولُ لسوف نحيا ... وكيف لِقاءُ أصداءٍ وَهَامِ[6]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة النحوى :

يخبرنا الرسول بأنْ سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام

قال : وكان قد أسلم ثم ارتد .

وقال ابن إسحاق : وقال أمية بن أبى الصلت ، يرثى من أصيب من قريش يوم بدر :

ألا بكيتَ على الكرا ... م بنى الكرام أولى المَمادِحْ
كبكا الحَمام على فرو ... ع الأَيْكِ فى الغُصُن الجوانحْ
يبكين حَرَّى مُستكيـ ... ـناتٍ يَرحن مع الروائحْ
أمثالهن الباكيا ... تُ المُعولاتُ من النوائحْ
من يَبكهم يبكِ على ... حُزنٍ ويَصدق كلُّ مادحْ
ماذا ببدر فالعَقَنْـ ... ـقَلِ من مَرازِبةٍ جَحاجحْ[7]

---

(١) الشيزى : جفان تصنع من خشب الأبنوس .

(٢) الطوى : البئر المطوية بالحجارة ، والحومات : القطع من الإبل . والمسام : المرسل فى المرعى .
(٣) الدسع : العطايا .

(٤) النعام : موضع .
(٥) السقب : ولد الناقة وقت وضعه .

(٦) الأصداء : جمع صدى : وهو ما يبقى من الميت فى قبره . والهام : جمع هامة : وهى طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل يصيح أسقونى حتى يؤخذ بثأره فيسكت .

(٧) العقنقل : المتعقد من كثبان الرمل والمرازبة : الرؤساء ، كلمة أعجمية . والجحاجح : السادة .

فمدافع البَرَقَيْنِ فالحَنَّانِ من طَرَفِ الأواشِحِ[1]
فَمُشَطِّ وشبانٍ بها ليسل مغاوير وحاوح[2]
ألا ترون لما أرى ولقد أبان لكل لائح
أن قد تغيّر بطنُ مكـ ـةَ فَهْىَ مُوحِشَةُ الأباطح
من كلِّ بطريقٍ لبطر يقٍ نقىّ اللونِ واضحِ[3]
دُعْمُوصِ أبوابِ الملو كِ وجائبِ الخَرْقِ فاتحِ[4]
من السّراطمةِ الخـلا جِمَةِ الملاوِثةِ المَنَاجِحِ[5]
القــائلين الفـاعلين الآمرينَ بكلِّ صــالحِ
المُطعمين الشحمَ فو قَ الخبزِ شحما كالأنافِحِ[6]
نُقُلٍ الجفانِ مع الجفا نِ إلى جفانٍ كالمَنَاضِحِ[7]
ليست بأصفــارٍ لمن يعفو ولا رُحٍّ رحارِحِ[8]
للضيفِ ثم الضيفِ بعـ ـدَ الضيفِ والبُسُطِ السلاطِحِ[9]
وَهُبِ المئينَ من المئينَ إلى المئينَ من اللواقحِ[10]
سَوْقَ المؤبَّلِ للمؤبَّــلِ صــادراتٍ عن بلادِحِ[11]

---

(١) مدافع : حيث يندفـــع السيل . البرقين مكان . والحنان : كثيب الرمل ، والأواشح : مكان .

(٢) الوحاوح : جمع وحوح : المنكمش الحديد النفس .

(٣) البطريق : رئيس الأساقفة عند النصارى وهو أيضاً : القائد من قواد الروم وهو العالم عند اليهود .

(٤) الدعموص : فى الأصل دويبة صغيرة تغوص فى الماء ، استعارها لمن يكثر الدخولَ على الملوك . والجائب : القاطع . والخرق : الفلاة .

(٥) السراطمة : واسع الحلق . والخلاجمة : الطوال . والملاوث : السادة .

(٦) الأنافح : جمع أنفحة وهو شىء يخرج من بطن البهائم المجترة لونه أصفر فشبه به الشحم .

(٧) المناضح : الحياض .

(٨) الأصفار : الآنية ، ويعفو : يطلب المعروف . ورح رحارح أى واسعة من غير عمق .

(٩) السلاطح : الطوال العراض (١٠) اللواقح : الحوامل .

(١١) المؤبل : الإبل الكثيرة ، وبلادح : موضع .

لكرامهم فوق الكرا ... م مَزِيةٌ وزنَ الرواجح
كتثاقُلِ الأرطـالِ بالقسطاسِ فى الأيدى الموائح[1]
خـذلتهمُ فئـةٌ وهمْ ... يحمون عوراتِ الفضائح
الضاربين التقدُمِيّـةَ بالمهنّـدةِ الصفـائح[2]
ولقد عنانى صوتُهم ... من بين مُستسقٍ وصائح
لله درُّ بنى علـىٍّ أيِّمٍ منهم وناكـح
إن لم يُغيروا غارةً ... شعواءَ تُجحِرُ كلَّ نابح[3]
بالمقرباتِ ، المُبعِـدا ... تِ ، الطامحاتِ مع الطوامح[4]
مُرْداً على جُرْدٍ إلى ... أُسْدٍ مُكالِبَةٍ كوالح
ويُلاقِ قِرْنٌ قِرنَه ... مَشْىَ المُصافِحِ للمُصافح
بزُهاءِ ألفٍ ثم ألـ ... ـفٍ بين ذى بَدَنٍ ورامح

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر بيته :

ويُلاقِ قِرنٌ قِرنَه ... مشىَ المصافحِ للمصافحْ

وأنشدنى أيضاً :

وُهُبَ المِئينَ من المئينَ إلى المئين من اللوافح
سوقَ المؤبَّلِ للوبِل صـادراتٍ عن بـلادح

قال ابن إسحاق : وقال أمية بن أبى الصَّلْت ، يبكى زَمْعة بن الأسود ، وقتلى بنى أسد :

عينُ بكّى بالمُسْبِلاتِ أبا الـ ... ـحارثِ لا تَذْخَرِى على زَمْعَهْ[5]
وابكى عقيلَ بنَ أسودٍ أسدَ الـ ... ـبأسِ ليومِ الهياجِ والدفعة

---

(١) الموائح : المتمايلة لثقل ما ترفعه .

(٢) التقدمية : المتقدمين فى أول الجيش . والصفائح : العراض .

(٣) تجحر : تلجىء إلى جحر .

(٤) المقربات : الكريمة التى تكون قرب البيوت اهتماما بها ، والمبعدات : التى تبعد فى جريها ، والطامحات : التى ترفع رءوسها .

(٥) تذخرى : تدخرى .

تلك بنو أسدٍ إخوةُ الجو ... زاءِ لا خانةٌ ولا خَدَعَهْ
هم الأسرةُ الوسيطةُ من كع ... ب وهم ذِروةُ السَّنام والقَمَعَة[1]
أنبتوا من معاشر شعر الر ... أس وهم ألحقوهم المنعه
أمسى بنو عمّهم إذا حضر ال ... بأسُ أكبادهم عليهم وجِعَه
وهم المطعمون إذ قحِط القط ... رُ وحالت فلا ترى قَزَعه[2]

قال ابن هشام: هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة، ليست بصحيحة البناء، لكن أنشدني أبو محرز خلف الأحمر وغيره، وروى بعضٌ ما لم يرو بعض:

عين بكّى بالمسبِلات أبا الحا ... رثِ لا تذخَرِى على زَمَعَهْ
وعقيلَ بنَ أسودٍ أسدَ البأ ... سِ ليوم الهياجِ والدفعة
فعلى مثل هُلْكِهم خَوَتِ الجو ... زاءُ، لا خانةٌ ولا خَدَعَه
وهم الأسرةُ الوسيطةُ من كع ... بٍ، وفيهم كَذِروةِ القَمَعَه
أنبتوا من معاشرٍ شَعَرَ الرأ ... سِ، وهم ألحقوهم المنعه
فبنو عمّهم إذا حضر البأ ... سُ عليهم أكبادهم وَجِعَه
وهم المطعمون إذ قحط القط ... رُ وحالت فلا ترى قَزَعَهْ

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة، معاوية بن زهير بن قيس بن الحارث بن سعد بن ضبيعة ابن مازن بن عدى بن جُشَم بن معاوية حليف بنى مخزوم — قال ابن هشام: وكان مشركا وكان مر بهُبَيرة بن أبى وهب وهم منهزمون يوم بدر، وقد أعيا هُبيرة، فقام فألقى عنه درعه وحمله فمضى به، قال ابن هشام: وهذه أصح أشعار أهل بدر:

ولما أن رأيتُ القومَ خفوا ... وقد زالت نعامتُهم لِنَفْرِ[3]
وأن تُرِكت سَراةُ القوم صرعَى ... كأن خيارَهم أذباحُ عِتْرِ[4]
وكانت جمة وافت حِماما ... ولُقِّينا المنايا يوم بدرِ[5]
نَصُدُّ عن الطريق وأدركونا ... كأن زهاءَهم غَطْيانُ بحرِ[6]

---

(١) الوسيطة: الشريفة. والقمعة: السنام.

(٢) القزعة: القطعة من السحاب المتفرق.

(٣) زالت، ورويت شالت نعامتهم كناية عن الهلاك فالنعامة باطن القدم ومن مات شالت رجله فظهرت باطنها.

(٤) العتر: الصنم الذى يذبح له. (٥) الجمة: الجماعة. (٦) الغطيان: الفيضان.

وقال القائلون : مَنِ ابنُ قيسٍ ؟ فقلت : أبو أسامةَ ، غيرَ فخرِ
أنا الجُشَمِيُّ كيما تعرفوني أُبيّن نسبتي نقراً بنقرِ (١)
فإنْ تلك في الغلاصمِ من قريشٍ فإني من معاويةَ بنِ بكرِ (٢)
فأبلغ مالكاً لمّا غَشِينا وعندك مالِ ـ إن نبأت ـ خُبرى (٣)
وأبلغ إن بلغت المرءَ عنّا مُبَيَّرةَ ، وهو ذو علمٍ وقدرِ
بأني إذ دُعيت إلى أُفَيْدٍ كررتُ ولم يَضِقْ بالكرِّ صدرى (٤)
عشيةَ لا يَكُرُّ على مُضافٍ ولا ذى نِعمةٍ منهم وصِهرِ (٥)
فدونكمُ بنى لأْيٍ أخاكم ودونك مالكاً يا أمَّ عمرو (٦)
فلولا مشهدى قامت عليه مُوَقَّفةُ القوائمِ أمُّ أجْرِ (٧)
دفوعٌ للقبورِ بمَنكِبيها كأن بوجهها تحميمَ قِدْرِ (٨)
فأقسمُ بالذى قد كان ربى وأنصابٍ لدَى الجمراتِ مُغْرِ (٩)
لسوف ترون ما حسبى إذا ما تبدلتِ الجلودُ جلودَ نَمِرِ
فما إن خادرٌ من أُسْدِ تَرْجٍ مُدِلٌّ عَنْبَسٌ فى الغِيلِ مُجْرِى (١٠)
فقد أحمى الأباءةَ من كُلافٍ فما يدنو له أحدٌ بنَقْرِ (١١)

---

(١) النقر : الطعن فى النسب ، أى إن عبتم نسبى جاوبتكم بمثله .
(٢) الغلاصم : الأعالى .
(٣) مال : أصله مالك فرخمه بحذف آخره .
(٤) أفيد : تصغير وفد اسم الجمع ، مثل ركب ولذلك جاز تصغيره .
(٥) المضاف : الخائف .
(٦) بنى لأى : جاء به مكبرا على أصله ويريد به بنى لؤى .
(٧) الموقفة : الضبع . والأجر ، جمع جرو وجو ولدها .
(٨) التحميم : التلطخ بالسواد .
(٩) الأنصاب : مايذبحون عنده من الأحجار . ومغر : حمراء .
(١٠) الخادر : الأسد فى خدره ، والخدر أجمة الأسد . وترج ، جبل بالحجاز . والعنبس : العابس الوجه . والغيل : الشجر الملتف . والمجرى : ذو جراء ، أى ذو أشبال .
(١١) الأباءة : أجمة الأسد . والكلاف : إما أن تكون اسم لمكان أو لعله أراد أنه من شدة كلفه بذلك .

بِخَلٍّ تعجز الحلفاءُ عنه ... يواثبُ كلَّ هَجْهَجَةٍ وزجرِ (١)
بأوشكَ سَوْرةً منى إذا ما ... حَبَوْتُ له بقرقرةٍ وهَدْرِ (٢)
ببيضٍ كالأسنةِ مُرْهَفاتٍ ... كأن ظُباتِهن جحيمُ جَمْرِ (٣)
وأكلفَ مُجْنَأٍ من جلدِ ثورٍ ... وصفراءِ البُرَايةِ ذاتِ أَزْرِ (٤)
وأبيضَ كالغديرِ ثوى عليه ... عُميرٌ بالمداوِسِ نصفَ شهرِ (٥)
أُرَفِّلُ في حمائله وأمشى ... كمِشيةِ خادرٍ ليثٍ سِبَطْرِ (٦)
يقول لىَ الفتى سعدٌ هَدِيّاً ... فقلت: لعله تقريبُ غدرِ (٧)
وقلتُ أبا عدىٍّ لاتَطُرْهُمْ ... وذلك إن أطعتَ اليومَ أمرى (٨)
كدأبِهِمُ بفَرْوةَ إذ أتاهم ... مظلٌّ يُقادُ مكتوفًا بضَفْرِ (٩)

قال ابن هشام: وأنشدنى أبو مُحْرِز خلف الأحمر:

تَصُدُّ عن الطريقِ وأدركُونا ... كأنَّ سراتَهم تيارُ بحرِ

وقوله: — كمثل غَنيِّ في الفيل تُجرى — عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة أيضا:

---

(١) الخل: الطريق وسط الرمل. والحلفاء: الأصدقاء المتحالفون. والهجهجة: زجر الأسد بأن تقول له: هج هج.

(٢) السورة: الحدة. والقرقرة والهدر: من أصوات فحول الإبل.

(٣) الظباة: جمع ظبة، حد السهم.

(٤) الأكلف: الترس أسود الظاهر. والمجنأ: المنحنى. وصفراء: القوس. والبرايا مايتطاير منها حين تصنع.

(٥) الأبيض: السيف. وعمير: اسم رجل يصقل السيوف. والمداوس الآلات التى تصقل بها السيوف.

(٦) أرفل: أطول. والسبطر: الطويل.

(٧) الهدى: مايهدى إلى البيت، ونصبه على إضمار فعل من لفظه.

(٨) لاتطرهم: لاتقربهم.

(٩) الدأب: العادة. والضفر: الحبل المفتول.

ألا من مُبلغٌ عنى رسولا مُغلغلةً يثبتها لطيفُ (١)
ألم تعلم مَردّى يومَ بدرٍ وقد برقت بجنبيك الكُفوف (٢)
وقد تُركت سَراةُ القوم صرعى كأن رءوسهم حَدَجٌ نَقيف (٣)
وقد مالت عليك ببطنِ بدرٍ خِلافَ القومِ داهيةٌ خَصيف (٤)
فنجاه من الغمرات عزمى وعونُ اللهِ والأمرُ الحصيف
ومنقلبى من الأبواءِ وحدى ودونك جمعُ أعداءٍ وُقوف (٥)
وأنت لمن أرادك مستكينٌ بجنبِ كُراشَ مكلومٌ نَزيف (٦)
وكنت إذا دعانى يومَ كربٍ من الأصحابِ داعٍ مُستضيف (٧)
فأسمعنى ولو أحببتُ نفسى أخٌ فى مثلِ ذلك أو حليف
أردُّ فأكشفُ الغُمّى وأرمى إذا كلح المشافرُ والأنوف (٨)
وقِرنٍ قد تركتُ على يديه ينوءُ كأنه غصنٌ قصيف
دلفتُ له إذا اختلطوا بحرّى مُسحسحةٍ لعاندها حفيف (٩)
فذلك كان صُنعى يومَ بدرٍ وقبلُ أخو مُداراةٍ عَزوف (١٠)
أخوكم فى السنين كما علمتم وحربٌ لا يزال لها صَريف (١١)
ومِقدامٌ لكم لا يزدهينى جَنانُ الليلِ والأنسُ اللفيف (١٢)

---

(١) المغلغلة : الرسالة ، واللطيف : الحازم فى أموره .
(٢) برقت : لمعت . (٣) الحدج النقيف : الحنظل المكسور لأخذ الحب منه .
(٤) الخصيف المتراكم .
(٥) الأبواء : مكان بين مكة والمدينة وبه قبر آمنة أم الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٦) كراش : اسم جبل ، والمكلوم : الجريح .
(٧) المستضيف : الواقع فى الضيق .
(٨) المشافر : شفاه الإبل واستعارها هنا للآدمى .
(٩) حرى : موجعة : صفة لموصوف محذوف أى طعنة موجعة . المسحسحة : كثيرة سيلان الدم . والعاند : العرق الذى لاينقطع دمه . والحفيف : الصوت .
(١٠) المداراة : مصانعة الناس . والعزوف : المترفع عن الدنايا .
(١١) السنين : سنين القحط المجدبة . والصريف : الصوت .
(١٢) جنان الليل : ظلمته . الأنس اللفيف الجماعة الكثيرة .

أخوضُ الصَّرةَ الجمّاءَ خَوْضاً ... إذا ما الكلبُ ألجأه الشفيفُ (١)

قال ابن هشام : تركت قصيدة لأبي أسامة على اللام، ليس فيها ذكر بدر إلا في أول بيت منها والثاني، كراهة الإكثار.

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة تبكي أباها يوم بدر :

أعَيْنَيَّ جودا بدمعٍ سَرِبْ ... على خيرِ خِنْدِفَ لم ينقلبْ
تداعى له رهطُه غُدْوَةً ... بنو هاشمٍ وبنو المطلب
يذيقونه حدَّ أسيافهم ... يَعُلُّونه بعد ما قد عَطِب
يجرونه وعفيرُ التراب ... على وجهه عاريا قد سُلِب
وكان لنا جبلا راسيا ... جميلَ المَرَاةِ كثيرَ العُشُب (٢)
وأما بُرَىٌّ فلم أعْنِه ... فأوتىَ من خيرِ ما يحتسب (٣)

وقالت هند أيضاً :

يَريبُ علينا دهرُنا فيسوءُنا ... ويأبَى فما نأتي بشيءٍ يُغالبه
أبعدَ قتيلٍ من لؤيّ بنِ غالبٍ ... يُراعُ امرؤٌ إن مات أو مات صاحبُه
ألا رُبَّ يومٍ قد رُزِئْتُ مُرَزَّءاً ... تروح وتغدو بالجزيلِ مواهبُه
فأبلغ أبا سفيانَ عنى مَألُكاً ... فإن ألقه يوما فسوف أعاتبه (٤)
فقد كان حربٌ يسعَرُ الحربَ إنه ... لكلِّ امرئٍ في الناسِ مَولًى يطالبه (٥)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند.

قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضاً :

لله عينا من رأى ... هُلْكا كهُلْكِ رجاليهْ
يا رُبَّ باكٍ لي غدا ... في النائباتِ وباكيه

---

(١) الصرة : شدة البرد. والجماء : الشديدة. والشفيف : الريح الشديدة.
(٢) المراة : أرادت مرآة العين فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها فحذفت الهمزة.
(٣) برى : مصغر البراء وهو اسم رجل.
(٤) المألك : الرسالة الشفوية. (٥) حرب : والد أبي سفيان.

كم غادروا يومَ القليبِ ... غداةَ تلكَ الواعيه (١)
من كلِّ غيثٍ فى السنيـ ... ـنَ إذا الكواكبُ خاويه
قد كنتُ أحذرُ ما أرى ... فاليومَ حُقَّ حِذاريَه
قد كنتُ أحذرُ ما أرى ... فأنا الغداةَ مُوَاميه (٢)
يا رُبَّ قائلةٍ غداً ... يا وَيْحَ أمِّ مُعاويه

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند.

قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضا:

يا عينُ بَكِّي عُتْبَهْ ... شيخا شديدَ الرقَبَهْ
يُطعم يومَ المَسْغَبه ... يدفعُ يومَ المَغْلَبه
إنى عليه حَرِبَه ... ملهوفةٌ مُستلَبه (٣)
لَنَهْبِطَنَّ يثربه ... بغارةٍ مُنْثَعِبَه (٤)
فيها الخيولُ مُقْرَبه ... كلُّ جوادٍ سَلْهَبه (٥)

وقالت صفية بنت مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، تبكى أهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش وتذكر مصابهم:

يامن لعينٍ قذاها عائرُ الرمدِ ... حدَّ النهارِ وقرنُ الشمسِ لم يَقِدِ (٦)
أُخْبِرتُ أن سَراةَ الأكرمين معا ... قد أحرزتهم مناياهم إلى أمدِ
وفرَّ بالقومِ أصحابُ الركابِ ولم ... تَعطِفْ غَداتئذٍ أمٌّ على وَلَدِ
قُومِى صَفِيَّ ولا تنسى قرابتَهم ... وإن بكيتِ فما تبكين من بُعُدِ
كانوا سُقوبَ سماءِ البيتِ فانقصفت ... فأصبحَ السَّمْكُ منها غيرَ ذي عُمُدِ (٧)

قال ابن هشام: أنشدنى بيتها: «كانوا سقوب» بعض أهل العلم بالشعر.

---

(١) الواعية: الصراخ. (٢) موامية: أصلها مؤامية وهى الذليلة.

(٣) الحربة: الحزينة. (٤) المنثعبة: سريعة السيلان. (٥) السلهبة: الفرس الطويلة.

(٦) القذا: مايقع فى العين من الأذى. والعائر: وجع فى العين. وحد النهار: الفاصل الذى بينه وبين الليل: وقرن الشمس: أعلاها. ولم يقد: لم يتم نوره.

(٧) السقوب: عمد الخباء.

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت مُسافر أيضا :

ألا يا من لعيني التَّبكِّى دمعُها فانْ
كَغَرْبَىْ دالجٍ يسقى خــلالَ الغَيْثِ الدانْ(١)
وما ليثُ غريفٍ ذو أظافــيرَ وأسنان(٢)
أبو شِبلين وثّابٌ شديدُ البطشِ غرثان(٣)
كَحِبِّى إذ تولى ووجوهُ القــوم ألوانْ
وبالكفِّ حسامٌ صا رمٌ أبيضُ ذُكْرَان(٤)
وأنت الطاعنُ النجلا ءَ منها مُزْبِدٌ آنْ(٥)

قال ابن هشام : ويروون قولها : « وماليث غريف » إلى آخرها ، مفصولا من البيتين اللذين قبله .

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت أُثاثة بن عَبّاد بن المطلب ترثى عُبيدة بن الحارث ابن المطلب :

لقد ضُمِّن الصفراءُ مجدا وسؤدداً وحلما أصيلا وافرَ اللُّبِّ والعَقلِ(٦)
عُبيدةَ فابكيه لأضيافِ غُربةٍ وأرملةٍ تهوى لأشعثَ كالجِذلِ(٧)
وبكّيه للأقوامِ فى كلِّ شتوةٍ إذا احمرّ آفاقُ السماءِ من المَحْلِ
وبكّيه للأيتامِ والريحُ زَفْزَفٌ وتشبيبُ قِدرٍ طالما أزبدت تغلى(٨)
فإن تُصبح النيرانُ قد مات ضوؤُها فقد كان يُذكيهنّ بالحطبِ الجزلِ
لطارقِ ليــلٍ أو لملتمسِ القِرَى ومُستنبحٍ أضحى لديه على رِسْلِ(٩)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لهند .

---

(١) الغرب : الدلو العظيمة . الدالج الساقى بالدلو بين البئر والشجر .

(٢) الغريف : أجمة الأسد . (٣) الغرثان : الجوعان .

(٤) الذكران أجود الحديد وأيبسه . (٥) المزبد الذى له زبد وهو الرغوة . وآن : حام .

(٦) الصفراء : موضع بين مكة والمدينة . (٧) الأشعث : المتغير . والجذل : أصل الشجرة .

(٨) الريح الزفزفة : الشديدة . والتشبيب : إيقاد النار تحت القدر . وأزبدت : رمت بالزبد وهو الرغوة .

(٩) المستنبح : الضال بالليل فينبح مثل الكلاب لتجاوبه كلاب الحى فيهتدى إليه . والرسل : هنا الرفق .

قال ابن إسحاق : وقالت قُتَيلة بنت الحارث ، أخت النضر بن الحارث (١) ، تبكيه :

يا راكبا إن الأُثيلَ مظنةٌ ... من صُبح خامسةٍ وأنت موفَّقُ
أبلغ بها ميْتا بأن تحيةً ... ما إن تزالُ بها النجائبُ تخفِق
منى إليك وعبرةً مسفوحةً ... جادت بواكفها وأخرى تخنُق(٢)
هل يسمعنى النضرُ إن ناديتُه ... أم كيف يسمعُ ميتٌ لا ينطِق
أمحمدٌ يا خيرَ ضِنْءِ كريمةٍ ... فى قومها والفحلُ فحلٌ مُعرِق(٣)
ما كان ضَرَّك لو مننت وربما ... مَنَّ الفتى وهو المَغيظُ المحنَق
أو كنت قابلَ فديةٍ فلْيُنفِقَنْ ... بأعزِّ ما يغلو به ما يُنفِق
فالنضرُ أقرب من أسرتَ قرابةً ... وأحقُّهم إن كان عِتقٌ يُعتَق
ظلت سيوفُ بنى أبيه تنوشُه ... لله أرحامٌ هناك تُشقَّق
صبرا يُقادُ إلى المنية مُتعبا ... رَسْفَ المقيدِ وهو عانٍ مُوثَقُ

قال ابن هشام : فيقال ، والله أعلم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر ، قال : لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه .

قال ابن إسحاق : وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عقب شهر رمضان أو فى شوال .

بحمد الله وحسن توفيقه تم الجزء الثانى من سيرة ابن هشام
ويليه الجزء الثالث إن شاء الله — نرجو من الله يعين على تمامه

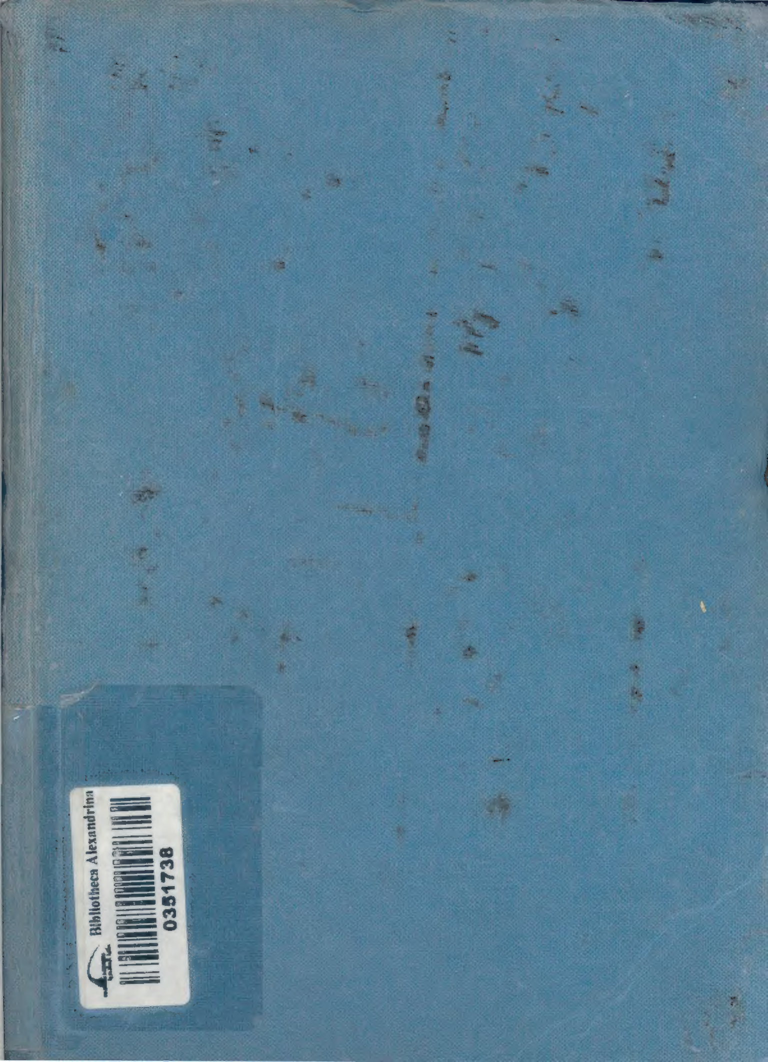
* * *

---

(١) الصحيح : أنها بنت النضر لا أخته . (٢) الواكف : السائل .
(٣) الضنء : الأصل . والمعرق : الكريم .

فهرست الجزء الثانى

من سيرة ابن هشام


Bibliotheca Alexandrina
03551738